

ترجمة: عبدالمقصود عبد الكريم

جليس

الحياة
الخفية
لآدي لارو



الحياة الخفية لآدي لارو

في. إي. شفاب

THE INVISIBLE LIFE OF ADDIE LARUE

V.E SCHWAB

جليس

شركة جليس للنشر والتوزيع

ees.net

es_net



"pul ... ONAL,

الحياة الخفية

لآدي لارو

في. إي. شفاب

ترجمة: عبد المقصود عبد الكريم

مكتبة
t.me/soramnqraa

جليس

كتب أخرى بقلم فيكتوريا إي شفاب

الخبيث

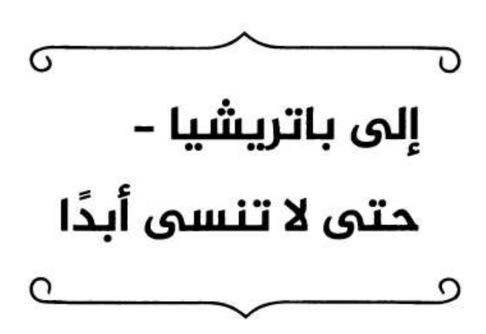
المنتقم

ظل أسود من السحر

تجمع الظلال

استحضار الضوء





إلى باتريشيا -

حتى لا تنسى أبدًا

قد تكون الآلهة القديمة عظيمة، لكنها ليست لطيفة أو رحيمة. إنها متلونة ومتقلبة مثل ضوء القمر على الماء أو الظلال في عاصفة. إذا صممْتَ على دعائها، فاحذر: احذر ما تطلبه منها، واستعد لدفع الثمن. وبغض النظر عن مدى اليأس أو الرهبة، لا تصلِّ أبدًا للآلهة التي تستجيب بعد حلول الظلام.

إستيل ماجريت 1642–1719

فيون سور سارت، فرنسا

29 يوليو 1714

مكتبة
t.me/soramnqraa

فتاة تفرُّ بحياتها.

هواء الصيف يحرق ظهرها، لكن لا توجد مشاعل، أو حشود غاضبة، لا يوجد سوى الفوانيس البعيدة في حفل الزفاف، ووهج الشمس المحمر ينكسر في الأفق، ويتصدع وينسكب على التلال، والفتاة تجري، والتنورة تشبك في العشب وهي تندفع نحو الغابة، في محاولة للتغلب على الضوء المحتضر.

تحمل الريح أصواتًا تنادي باسمها.

أديلين؟ أديلين؟ أديلين!

يمتد ظلها إلى الأمام - طويلًا جدًّا، وحوافه ضبابية بالفعل - وتتساقط الزهور البيضاء الصغيرة من شعرها، متناثرة على الأرض مثل النجوم. تركت كوكبة في أعقابها، مثل تلك الموجودة على خديها تقريبًا.

سبع من بقع النمش. بقعة لكل حب تحظى به، هذا ما قالته إستيل، والفتاة لا تزال صغيرة.

بقعة لكل حياة تعيشها.

بقعة لكل إله يرعاها.

الآن، تسخر منها، تلك البقع السبع. وعود. أكاذيب. لم تعرف الحب، ولم تعش أي حياة، ولم تقابل أي آلهة، والآن لم يعد أمامها وقت.

لكن الفتاة لا تبطئ، لا تنظر إلى الخلف. لا تريد أن ترى الحياة التي تقف هناك، تنتظر. ساكنة مثل لوحة. صلبة مثل قبر.

بدلا من ذلك، تجري.

الجزء الأول

الآلهة التي تستجيب بعد حلول الظلام

مدينة نيويورك

10 مارس 2014

I

تستيقظ الفتاة في سرير شخص آخر.

تستلقي فيه، ساكنة تمامًا، تحاول حبس الوقت كما تحبس نَفَسًا في صدرها؛ وكأنها تستطيع منع الساعة من التقدم، منع الصبي بجانبها من الاستيقاظ، والحفاظ على ذكرى ليلتهما حية بقوة الإرادة المطلقة.

وهي تعرف، بالطبع، أنها لا تستطيع. تعرف أنه سينسى. ينسون دائمًا.

ليست غلطته - ليست غلطاتهم أبدًا.

لا يزال الصبي نائمًا، وهي تراقب ارتفاع كتفيه وهبوطهما ببطء، والمكان الذي يلتف فيه شعره الداكن على مؤخرة رقبته، والندبة على طول ضلوعه. تفاصيل تذكرتها طويلًا.

اسمه توبي.

أخبرته، ليلة أمس أن اسمها جيس. كذبتْ، لكن فقط لأنها لا تستطيع نطق اسمها الحقيقي - أحد التفاصيل الصغيرة الشريرة مدسوس مثل القراص في العشب. أشواك خفية مصممة للسع. ما المرء، إن لم يكن العلامات التي يتركها وراءه؟ تعلمتْ أن تسير بين الأعشاب الشائكة، لكن ذلك يتشبب في جروح لا يمكن تجنبها - ذكرى، صورة، اسم.

في الشهر الماضي، كان اسمها كلير وزوي وميشيل - وقبل ليلتين، حين كان اسمها إيل، وكانوا يغلقون مقهى في وقت متأخر من الليل قال توبي، بعد إحدى جولاته، إنه يحبُّ فتاة اسمها جيس - لم يقابلها بعد ببساطة.

وبالتالي اسمها الآن جيس.

يبدأ توبي يتقلب، وتشعر بالألم القديم المألوف في صدرها وهو يتمدد ويتدحرج نحوها - لكنه لا يستيقظ، ليس بعد. وجهه الآن على بعد بوصات منها، وشفتاه منفرجتان أثناء النوم، وخصلات سوداء تظلل عينيه، ورموش داكنة على وجنتيه الفاتحتين.

ذات مرة، أزعج الظلام الفتاة وهما يتجولان على نهر السين، وأخبرها أنها تختار "نوعًا معينًا"، ملمِّحًا إلى أن معظم الرجال الذين اختارتهم - وحتى بعض النساء - يشبهونه كثيرًا.

الشعر الداكن نفسه، العيون الحادة نفسها، السمات المحفورة نفسها.

لكن ذلك لم يكن منصفًا.

بالرغم من كل شيء، بدا الظلام فقط كما بدا بسببها. أعطته هذا الشكل، واختارت ما تفعله معه، وما تراه منه.

قالت له حينها، ألا تتذكر، حين لم تكن إلا ظلًّا ودخانًا؟

قال بطريقته الناعمة الثرية، حبيبتي، كنْتُ الليلةَ نَفْسَها.

الآن حل الصباح، في مدينة أخرى، وقرن آخر، وضوء الشمس الساطع يخترق الستائر، وتوبي يتقلب مرة أخرى، ويظهر عبر سطح النوم. والفتاة التي - كانت – هي جيس تحبس أنفاسها مرة أخرى وهي تحاول تخيل نسخة هذا اليوم حيث يستيقظ ويراها ويتذكرها.

حين يبتسم ويربت على خدها ويقول "صباح الخير".

لكن الأمر لن يحدث على هذا النحو، وهي لا تريد أن ترى التعبير الأجوف المألوف، ولا تريد أن تشاهد الصبي وهو يحاول سد الفجوات التي يجب أن تحتلها ذكرياتها، وتشاهده وهو يستعيد هدوءه في رباطة جأش عملية. رأت الفتاة هذا الأداء كثيرًا، وتحفظ الحركات عن ظهر قلب، لذا بدلًا من ذلك تنزل من السرير وتسير حافية إلى غرفة المعيشة.

تلتقط انعكاس صورتها في مرآة القاعة وتلاحظ ما يلاحظه الجميع: سبع بقع من النمش متناثرة مثل كوكبة من النجوم عبر أنفها ووجنتيها.

كوكبتها الخاصة.

تميل إلى الأمام وتضبب الزجاج بنَفَسها. ترسم أنملة إصبعها عبر السحابة وهي تحاول كتابة اسمها. آ-د-

لكنها لا تصل إلى هذا الحد إلا وقد ذابت الحروف. لا يرتبط الأمر بالوسيلة — يحدث هذا بغض النظر عن الطريقة التي تحاول بها نطق اسمها، بغض النظر عن الطريقة التي تحاول أن تحكي بها قصتها. وقد حاولت، بالقلم الرصاص والحبر والطلاء والدم.

أديلين.

آدي.



لارو.

لا فائدة.

الحروف تنهار أو تتلاشى. تموت الأصوات في حلقها.

تبتعد أصابعها عن الزجاج وتستدير لتفحص غرفة المعيشة.

توبي موسيقار، وعلامات فنه في كل مكان.

في الآلات التي تميل على الجدران. في السطور المكتوبة والنوتات المتناثرة على الطاولات – أشرطة ألحان لم تنسَ تمامًا مختلطة بقوائم البقالة والمهام الأسبوعية. لكن هنا وهناك، يد أخرى - الزهور التي بدأ يحتفظ بها على عتبة المطبخ، بالرغم من أنه لا يتذكر متى بدأت هذه العادة. كتاب عن ريلكه لا يتذكر أنه اشتراه. الأشياء التي تبقى، حتى حين لا تبقى الذكريات.

توبي من النوع الذي ينهض ببطء، لذا تعد آدي الشاي لنفسها - فهو لا يشربه، لكنه موجود بالفعل، في دولابه، علبة من السيلان الفضفاض، وعلبة من الأكياس الحريرية. بقايا رحلة في وقت متأخر من الليل إلى محل البقالة، فتى وفتاة يتجولان في الممرات، يدا بيد، لأنهما لا يستطيعان النوم. لأنها لم تكن على استعداد لترك الليل ينتهي. لم تكن مستعدة لأن تدعه يمر.

ترفع الكوب، وتستنشق الرائحة والذكريات تنطلق لتلتقي بالرائحة. متنزه في لندن. باحة في براج. غرفة شاي في إدنبره.

ينسحب الماضي مثل ملاءة من الحرير على الحاضر.

إنه صباح بارد في نيويورك، والنوافذ مغطاة بالصقيع، لذا تسحب بطانية من خلف الأريكة وتلفها حول كتفيها. تحتل حقيبة الجيتار أحد طرفي الكنبة، وتحتل قطة توبي الطرف الآخر، لذا تجلس على مقعد البيانو بدلًا من ذلك.

القطة، تُدعى أيضًا توبي (وضح: "وبالتالي يمكن أن أتحدث مع نفسي بدون أن أبدو غريبًا.."). وهو ينظر إليها وهي تنفخ في الشاي.

تتساءل إن كانت القطة تتذكر.

أصبحت يداها أكثر دفئًا الآن، وهي تضع الكوب أعلى البيانو وتسحب الغطاء من على المفاتيح، وتمد أصابعها، وتبدأ في العزف بأكبر قدر ممكن من النعومة. في غرفة النوم، يمكنها سماع تحرك توبي الإنسان، وكل بوصة منها، من الهيكل العظمي إلى الجلد، يتوتر هلعًا.

إنه أصعب جزء.

كان يمكن لآدي أن تغادر - كان ينبغي أن تغادر - تتسلل إلى الخارج وهو لا يزال نائمًا، وصباحهما لا يزال امتدادًا لليلهما، لحظة تحفظ في العنبر وتبقى للأبد. ولكن فات الأوان الآن، لذا تغلق عينيها وتستمر في العزف، وتحافظ على رأسها منخفضًا وهي تسمع خطاه بين النغمات، وتحافظ على تحريك أصابعها حين تشعر به في المدخل. يقف هناك، يلاحظ المشهد، محاولًا تجميع الجدول الزمني لليلة أمس، كيف يمكن أن يضيع، حين كان يمكن أن يلتقي بفتاة ثم يأخذها إلى البيت، إذا استطاع تناول الكثير من الشراب، لماذا لا يتذكر أي شيء.

لكنها تعلم أن توبي لن يقاطعها ما دامت تعزف، وبالتالي تستمتع بالموسيقى عدة ثوانٍ أخرى قبل أن تجبر نفسها على المتابعة، والبحث، والتظاهر بأنها لا تلاحظ الارتباك على وجهه.

تقول: "الصباح"، وصوتها مبتهج، ولهجتها التي كانت فرنسية ريفية ذات يوم، أصبحت الآن خافتة لدرجة أنها تسمعها بصعوبة.

يقول: "آه، صباح الخير"، وهو يمرر يده خلال خصلات شعره الأسود الفضفاض، ويرجع الفضل له في أن توبي يبدو كما يبدو دائمًا - مذهولًا إلى حد ما، ومندهشًا برؤية فتاة جميلة تجلس في غرفة معيشته ولا ترتدي إلا ملابسها الداخلية وقميص فرقته المفضلة تحت البطانية.

تقول: "جيس" مقدمة الاسم الذي لا يستطيع العثور عليه، لأنه غير موجود. وتقول: "لا بأس إذا كنت لا تتذكر".

يحمر توبي خجلًا، ويدفع القطة توبي بعيدًا عن طريقه وهو يغوص في وسائد الأريكة. "آسف... إنه لا يشبهني. لسْتُ من هذا النوع من الشبان".

تضحك: "لسْتُ من هذا النوع من الفتيات".

يبتسم أيضًا، وحينها يخترق خط من الضوء ظلال وجهه. يومئ برأسه إلى البيانو، وتريد منه أن يقول شيئًا مثل، "لم أكن أعرف أنك تستطيعين العزف"، ولكن بدلاً من ذلك قال توبي، "أنت رائعة حقًا"، وهي كذلك - مدهش ما يمكن أن يتعلمه المرء حين يكون لديه وقت.

تقول وهي تمرر أناملها على المفاتيح: "شكرًا".

توبي متوتر الآن، يهرب إلى المطبخ. يسأل، وهو يتنقل بين الخزائن: "قهوة؟"

"وجدْتُ الشاي".

بدأت تعزف أغنية مختلفة. ليست معقدة، مجرد سلسلة من النغمات. بدايات شيء ما. تجد اللحن، وتبدأ، وتتركه ينساب بين أصابعها وتوبي يعود إلى الغرفة، وفي يديه فنجان يتصاعد منه البخار.

يسأل: "ماذا كنت تعزفين؟" بعينين متألقتين بالطريقة التي تميز الفنانين - الكتاب والرسامين والموسيقيين، أي شخص عرضة للحظات من الإلهام. "يبدو مألوفًا..".

تهز كتفه: "ما عزفته من أجلي ليلة أمس".

ليست كذبة، ليست تمامًا. عزفه لها. بعد أن شاهدته.

يقول مقطبًا جبينه: "عزفته؟" إنه بالفعل يضع القهوة جانبًا، ويأخذ قلم رصاص ومفكرة من أقرب طاولة. "يا إلهي - لابد أنني كنت سكرانًا".

يهز رأسه وهو يقول ذلك؛ لم يكن توبي قط أحد مؤلفي الأغاني الذين يفضلون العمل تحت تأثير الشرب.

يسأل، مستديرًا عبر الوسادة: "هل تتذكرين أكثر؟" بدأت العزف مرة أخرى، وهي توجهه من خلال النغمات. إنه لا يعرفها، لكنه كان يعمل على هذه الأغنية لأسابيع. حسنًا، لقد عملا معًا.

تبتسم قليلًا وهي تواصل العزف. هذا هو العشب بين القراص. مكان آمن للسير. لا يمكن أن تترك بصمتها، ولكن إذا كانت حريصة، يمكنها إعطاء البصمة لشخص آخر. لا يوجد شيء ملموس بالطبع، ولكن الإلهام نادرًا ما يكون ملموسًا.

أخذ توبي الجيتار الآن، ووضعه على ركبة، وأخذ يتبع توجيهها، ويتمتم لنفسه. هذا جيد، هذا مختلف، هذا شيء ما. تتوقف عن العزف، وتقف.

"يجب أن أذهب".

ينهار اللحن على الأوتار وتوبي ينظر إلى أعلى. "ماذا؟ لكني حتى لا أعرفك".

تقول وهي تتجه إلى غرفة النوم لتأخذ ملابسها: "بالضبط".

يقول توبي: "لكنني أريد أن أعرفك"، وهو يضع الجيتار ويتبعها في الشقة، وهذه هي اللحظة التي لا يبدو فيها أي شيء منصفًا، المرة الوحيدة التي تشعر فيها بموجة إحباط تهدد بالانفصال. لأنها تعرفت عليه في أسابيع. ونساها في ساعات. "تمهلي".

تكره هذا الجزء. لا ينبغي لها أن تتمهل. كان من المفترض أن تكون بعيدة عن الأنظار وبعيدة عن الذهن، ولكن هناك دائمًا هذا الأمل المزعج في أن الأمر سيكون، هذه المرة، مختلفًا، وأنه سيتذكر هذه المرة.

يقول الظلامُ في أذنها: إنني أتذكر.

تهز رأسها، مرغمة الصوت على الابتعاد.

يسأل توبي: "لماذا العجلة؟ على الأقل دعيني أعد لك الإفطار".

لكنها متعبة جدًا من ممارسة اللعبة مرة أخرى بهذه السرعة، ولذا تكذب بدلًا من ذلك، وتقول إن هناك شيئًا ينبغي أن تفعله، ولا تسمح لنفسها بالتوقف عن الحركة، لأنها تعرف أنها إذا توقفت فلن تتمتع بالقوة اللازمة لتبدأ مرة أخرى، وتدور الدورة، وتبدأ العلاقة في الصباح

بدلًا من الليل. لكن لن يكون الأمر أسهل حين ينتهي، وإذا كان عليها أن تبدأ من جديد، فإنها تفضل أن يكون لقاءً لطيفًا في حانة بدلًا من تداعيات ليلة لا يتذكرها.

لن يهم، في لحظة، على أي حال.

يقول توبي ممسكًا بيدها: "جيس، انتظري"، يبحث عن الكلمات المناسبة، ثم يستسلم، ويبدأ من جديد. "لدي حفلة الليلة، في أواي. عليك أن تأتي. إنها على."..

تعرف مكانها بالطبع. إنه المكان الذي التقيا فيه المرة الأولى والخامسة والتاسعة. وحين توافق على المجيء، تكون ابتسامته مبهرة. إنها مبهرة دائمًا.

يسأل: "وعد؟"

"وعد".

يقول، والكلمات مليئة بالأمل وهي تستدير وتدخل عبر الباب: "سأراك هناك". تنظر إلى الخلف، وتقول: "لا تنسني في هذه الأثناء".

عادة قديمة. خرافة. توسل.

توبي يهز رأسه. "كيف يمكنني؟"

تبتسم وكأنها مجرد مزحة.

لكن آدي تعرف، وهي تجبر نفسها على النزول السلم، أن هذا يحدث بالفعل — تعلم أنه بحلول الوقت الذي يغلق فيه الباب، تكون قد تلاشت.

II

مارس شهر متقلب.

إنه وصلة بين الشتاء والربيع - بالرغم من أن كلمة وصلة توحي بوجود حافة متساوية، ومارس يشبه إلى حد كبير خطًّا تقريبيًا من الغرز المخيطة بيد مهتزة، ويتأرجح بشكل كبير بين هبات يناير وخضرة يونيو. لا تعرف ما تجده حتى تخرج.

اعتادت إستيل أن تسميها الأيام المضطربة، حين تبدأ الآلهة ذات الدم الدافئ الحركة، وتبدأ الآلهة ذات الدم البارد الاستقرار. حين يكون الحالمون أكثر عرضة للأفكار السيئة، ومن المرجح أن يتوه المتجولون.

كانت آدي عرضة للاثنين دائمًا.

من المنطقي إذن أنها ولدت في العاشر من مارس، على الوصلة البالية، بالرغم من مرور وقت طويل على آخر مرة شعرت فيها آدي بالرغبة في الاحتفال.

لثلاثة وعشرين عامًا، كانت تفزع من دلالة الوقت، ما يعنيه: إنها تكبر، تكبر. وبعد ذلك، لعدة قرون، كان عيد الميلاد شيئًا تافهًا إلى حدٍّ ما، وأقل أهمية بكثير من الليلة التي وقَّعتْ فيها التنازل عن روحها.

في ذلك التاريخ التف الموت والبعث معًا. يبقى أنه عيد ميلادها، وعيد ميلاد يستحق هدية.

تتوقف أمام البوتيك، وانعكاسها يظهر في الزجاج.

في النافذة العريضة، تقف مانيكان في منتصف خطوة، ورأسها يميل قليلًا إلى جانب، وكأنها تستمع إلى أغنية. جذعها الطويل ملفوف في سويتر مخطط عريض، وطماق زيتي أملس يتلاشى في بوت يصل إلى الركبة. يد لأعلى، والأصابع معلقة في ياقة السترة المتدلية فوق كتف. وآدي تتفحص المانيكان، تجد نفسها تحاكي الوضع، مغيرة وقفتها، ومائلة برأسها. وربما يكون هذا هو اليوم، أو وعد الربيع في الهواء، أو ربما تكون ببساطة في حالة مزاجية استعدادًا لشيء جديد.

في الداخل، تنبعث من البوتيك رائحة شموع غير مضاءة وملابس لم تلبس، وتمرر آدي أصابعها على القطن والحرير قبل أن تجد سويتر محبوك مخطط، تبين أنه من الكشمير. ترميه على ذراع مع الطماق المميز. إنها تعرف مقاساتها.

لم تتغير.

"أهلا!" الموظفة المبتهجة فتاة في أوائل العشـرينات من عمرها، مثل آدي نفسها، بالرغم أن إحداهما حقيقية وتتقدم في السن والأخرى صورة تبقى للأبد. "هل يمكن أن أوفر لك مكانًا للقياس؟"

تقول: "أوه، أوكيه"، وهي تنتزع بوتًا من العرض. "لدي كل ما أحتاج إليه". تتبع الفتاة إلى الأكشاك الثلاثة ذات الستائر في نهاية المحل.

تقول الفتاة: "ناديني فقط إذا احتجت إلى مساعدة"، وهي تستدير مبتعدة قبل أن تغلق الستارة، وآدي وحدها مع دكة عليها وسائد ومرآة كاملة الطول ونفسها.

تخلع البوت وتسقط السترة مع على كتفها وتلقي بها على المقعد. تخشخش العملة في الجيب حين تهبط، ويقع شيء ما. إنه يضرب الأرضية بنقرة خافتة ويتدحرج عبر غرفة التغيير الضيقة، ولا يتوقف إلا حين يصطدم بلوح القاعدة.

إنها حلقة.

دائرة صغيرة منحوتة من خشب رمادي باهت. شريط مألوف، كان محبوبًا ذات يوم، وهو الآن بغيض.

تحدق آدي فيها لحظة. أصابعها ترتعش، آثمة، لكنها لا تصل إلى الحلقة، لا تلتقطها، فقط تدير ظهرها للدائرة الخشبية الصغيرة وتستمر في خلع ملابسها. تسحب السويتر، تتراقص في الطماق، ترفع سوستة البوت. كانت المانيكان أنحف وأطول، لكن آدي تعجب بطريقة تعليق السترة عليها، ودفء الكشمير، ووزن الطماق، والطوق الناعم للبطانة في البوت.

تنزع بطاقات الأسعار واحدة تلو الأخرى، متجاهلة الأصفار.

تظن أن عيد ميلاد سعيد[1] تقابل تأمُّلها. مائلة برأسها، وكأنها أيضًا تسمع أغنية. صورة امرأة حديثة في منهاتن، حتى لو كان الوجه في المرآة وجهها نفسه منذ قرون. تترك آدي ملابسها القديمة متناثرة كالظل على أرضية غرفة اللبس. الحلقة، طفل محتقر في الركن. لا تسترد إلا السترة الملقاة.

إنها ناعمة، مصنوعة من الجلد الأسود وحين تبلى تتحول عمليًّا إلى حرير، من الأشياء التي يدفع الناس ثروة مقابلها هذه الأيام ويصفونها بأنها عتيقة. إنه الشيء الوحيد الذي رفضت آدي تركه وراءها وتطعمه للهب في نيو أورلينز، بالرغم من أن رائحته تشبثت به مثل الدخان، وصبغته إلى الأبد على كل شيء. لا تهتم. إنها تحب السترة.

كانت جديدة حينها، لكنها بليت الآن، وتوضح مدى تآكلها بكل الطرق التي لا تعرفها. تذكرها بدوريان جراي، انعكس الزمن في جلد البقر بدلًا من جلد الإنسان.

تخرج آدي من الكشك الصغير الذي تتدلى عليه ستارة.

عبر البوتيك، تذهل الموظف، مرتبكة عند رؤيتها. تسأل: "كل شيء مناسب؟" مهذبة جدًّا بحيث لا تعترف بأنها لا تتذكر أنها تركت شخصًا ما في الخلف. بارك الله في خدمة العملاء.

تهز آدي رأسها بحزن. تقول وهي تتجه إلى الباب: "في بعض الأيام يلتصق بكم ما حصلتم عليه".

بحلول الوقت الذي تجد فيه الموظفة الملابس، شبح فتاة على أرضية غرفة تغيير الملابس، لن تتذكره، وتختفي آدي، من البصر والذهن والذاكرة.

تلقي السترة على كتفها، بإصبع واحدة معلقة في الياقة، وتخرج في الشمس.

---

1 عيد ميلاد سعيد: بالفرنسية في الأصل.

فيون سور سارت، فرنسا

صيف 1698

III

أديلين تجلس على دكة بجوار والدها.

والدها، وهو، بالنسبة لها، لغز، عملاق مهيب في البيت داخل ورشته.

تحت أقدامها، تصنع كومة من الأدوات الخشبية أشكالًا مثل أجساد صغيرة تحت بطانية، وتقعقع عجلات العربة ومكسيم، الفرس القوي، يسحبها إلى الممر بعيدًا عن البيت.

بعيدًا - بعيدًا - كلمة تجعل قلبها الصغير يسرع.

أديلين في السابعة، نفس عدد بقع النمش على وجهها. إنها متألقة وضئيلة وسريعة مثل عصفور، وقد توسلت لشهور للذهاب معه إلى السوق. توسلت حتى أقسمت أمها أنها ستُجَنُّ، فوافق والدها أخيرًا. وهو، أي والدها، يعمل في صناعة الأخشاب، ويقوم ثلاث مرات في السنة برحلة على طول نهر سارت، وصولًا إلى مدينة لومان.

وهي اليوم معه.

اليوم، أديلين تغادر فيون لأول مرة.

تنظر إلى أمها، وذراعاها متقاطعتان بجانب شجرة الطقسوس العتيقة في نهاية الممر، ثم دارا حول المنعطف، وغابت أمها. تلتف القرية، هنا المنازل وهناك الحقول، هنا الكنيسة وهناك الأشجار، هنا مسيو بيرجر يقلب التربة وهناك مدام ثيرولت تعلق الملابس، وابنتها إيزابيل تجلس على العشب القريب، تجدل الزهور تيجانًا، لسانها بين أسنانها من شدة التركيز. حين أخبرت أديلين الفتاة عن رحلتها، هزت إيزابيل كتفيها وقالت: "يعجبني هنا".

كأن المرء لا يمكن أن يعجب بمكان ويريد رؤية آخر.

الآن تنظر إلى أديلين، وتلوح والعربة تمر بها. يصلان إلى حافة القرية، إلى أبعد مسافة قطعتها من قبل، وتصطدم العربة بكومة من العشب في الطريق، وتهتز كأنها تجاوزت أيضًا عتبة. تحبس أديلين أنفاسها، متوقعة أن تشعر بحبل يُشَدُّ بداخلها، يربطها بالمدينة.

لكن لا يوجد حبل، أو ترنح. تستمر العربة في الحركة، وتشعر أديلين ببعض الجنوح وبعض الفزع وهي تلتفت إلى الوراء لإلقاء نظرة على صورة فيون وهي تتقلص، وكانت، حتى الآن، كل عالمها، وهي الآن مجرد جزء، تصغر مع كل خطوة يخطوها الفرس، حتى تبدو المدينة وكأنها تمثال من تماثيل والدها، صغيرة بما يكفي لتعشش داخل كف صلبة.

إنها رحلة ليوم واحد إلى لومان، وقد سهلت الجولة بسلة أمها وصحبة والدها - الخبز والجبن لملء بطنها، وضحك الآخر بسهولة، والأكتاف العريضة التي تظلل على أيدلين تحت شمس الصيف.

إنه رجل هادئ في البيت، ملتزم بعمله، لكنه على الطريق يبدأ في الانفتاح، والفضفضة، والتحدث.

وحين يتكلم، يتكلم ليحكي لها قصصًا.

تلك القصص التي جمعها، كما يجمع بها المرء الخشب.

يقول "كان يا ما كان"[2]، قبل أن يبدأ في قصص القصور والملوك، والذهب والبريق، والحفلات التنكرية والمدن المليئة بالروعة. كان يا ما كان. هكذا تبدأ القصة.

لن تتذكر القصص نفسها، لكنها ستتذكر طريقة روايته لها؛ تبدو الكلمات ناعمة مثل حجارة النهر، وتتساءل إن كان يروي هذه القصص حين يكون وحده، إذا استمر، متحدثًا إلى مكسيم بهذه الطريقة السهلة اللطيفة. تتساءل إن كان يروي القصص للخشب وهو يعمل. أو إذا كانت من أجلها وحدها.

---

2 كان يا ما كان: بالفرنسية في الأصل.

تتمنى أديلين لو استطاعت تدوينها.

لاحقًا، يعلمها والدها الحروف. تنفجر أمها حين تكتشف ذلك، وتتهمه بإعطائها طريقة أخرى للخمول، وإضاعة ساعات اليوم، لكن أديلين تتسلل إلى ورشته مع ذلك، ويتركها تجلس وتتدرب على كتابة اسمها في الغبار الناعم الذي يبدو دائمًا أنه يغطي أرضية ورشة العمل.

لكنها اليوم لا تستطيع إلا الاستماع.

يتدحرج الريف حولها، صورة متحركة لعالم تعرفه بالفعل. الحقول حقول، تمامًا مثل حقولها، والأشجار مرتبة بالترتيب نفسه تقريبًا، وحين يصلان إلى قرية، تكون انعكاسًا مائيًّا لفيون، وتبدأ أديلين في التساؤل عما إذا كان العالم الخارجي مملًّا مثل عالمها.

وبعد ذلك، تظهر جدران لومان في الأفق.

التلال الحجرية ترتفع عن بُعْدٍ، خلفيات متعدد الأنماط على طول التلال. إنها في حجم فيون مائة مرة – أو على الأقل، إنها ضخمة في الذاكرة – وتحبس أديلين أنفاسها وهما يمران عبر البوابات ويدخلان إلى المدينة المحمية.

بعد ذلك، متاهة من الشوارع المزدحمة. يقود والدها العربة بين البيوت المحصورة كالحجارة، حتى ينفتح الطريق الضيق على ميدان.

في فيون ميدان بالطبع، لكنه أكبر قليلًا من فناء منزلهم. وهذا مساحته هائلة، وقد اختفت الأرض تحت أقدام كثيرة وعربات وأكشاك. ووالدها يوجه مكسيم ليتوقف، تقف أديلين على الدكة وتنظر إلى السوق بدهشة، رائحة الخبز والسكر المنبعثة في الهواء، والناس، الناس، أينما تنظر. لم ترهم بهذه الكثرة من قبل، ناهيك عمن لا تعرفهم. إنهم بحر من الغرباء، وجوه غير مألوفة في ملابس غير مألوفة، بأصوات غير مألوفة، ينادون بكلمات غير مألوفة. يبدو الأمر وكأن أبواب عالمها فتحت تمامًا، حيث أضيفت غرف كثيرة إلى منزل اعتقدت أنها تعرفه.

يتكئ والدها على العربة، ويتحدث إلى أي شخص يمر، وطول الوقت تتحرك يداه فوق كتلة من الخشب، وسكين صغير في كفه. يكشط السطح بسهولة وثبات كما يقشر شخص ما تفاحة، والنشارة تتساقط بين أصابعه. أحبت أديلين مشاهدته دائمًا وهو يعمل، لترى الأشكال تتشكل، وكأنها كانت موجودة طول الوقت، لكنها مخفية، مثل حفر في وسط خوخة.

شغل والدها جميل، الخشب أملس بينما يداه خشنتان، ورقيق بينما هو كبير.

مختلطة بالأوعية والأكواب، مدسوسة بين أدوات تجارته، ألعاب للبيع، وأشكال خشبية صغيرة مثل لفائف الخبز - حصان، ولد، منزل، طائر.

نشأت أديلين محاطة بمثل هذه الحلي، لكن ما تفضله ليس حيوانًا ولا إنسانًا.

إنها حلقة.

تلبسها في حبل جلدي حول رقبتها، وشريط رقيق، ورماد الخشب رمادي، وناعم كالحجر المصقول. نحتها حين وُلِدتْ، صنعها من أجل الفتاة التي ستكون في يوم من الأيام، وأديلين تلبسها مثل تعويذة، تميمة، مفتاح. تلمسها بيدها بين الحين والآخر، يتحرك إبهامها على السطح كما يتحرك إبهام أمها على مسبحة.

تتشبث بها الآن، مرسى في العاصفة، وهي تقف على ظهر العربة وتراقب كل شيء. من هذه الزاوية، تكاد تكون طويلة بما يكفي لرؤية المباني خلفها. تشب على أصابع قدميها، متسائلة إلى أي مدى تمتد، حتى يدفع حصان عربتها وهو يمر بالقرب منها، وكادت تسقط. تغلق يد والدها حول ذراعها، ويسحبها مرة أخرى إلى مكان آمن في متناول يده.

بحلول نهاية اليوم، اختفت الأواني الخشبية، وأعطى والد أديلين ابنته عملة نحاسية وقال إنها تستطيع شراء ما تريده. تنتقل من كشك إلى كشك، وتراقب المعجنات والكعك والقبعات والفساتين والدمى، لكنها في النهاية تستقر على دفتر يوميات، وورق ملفوف بخيط شمعي. فراغ الورق هو ما يثيرها، فكرة أنها قد تملأ الفراغ بما تحبه.

لم تتحمل تكلفة الأقلام الرصاص معه، لكن والدها يستخدم عملة معدنية ثانية لشراء حزمة من العصي السوداء الصغيرة، ويوضح لها أنها فحم، ويوضح لها كيف تضغط الطباشير الغامق على الورق، وتلطخ الخط حتى تحول الحواف الصلبة إلى ظل. ببضع ضربات سريعة، يرسم طائرًا في زاوية الصفحة، وقضت الساعة التالية في نسخ السطور، أكثر إثارة بكثير من الحروف التي كتبها تحتها.

يجهز والدها العربة والنهار يفسح الطريق للغسق.

يقضيان ليلتهما في نزل محلي، ولأول مرة في حياتها، تنام أديلين في سرير غريب، وتستيقظ على أصوات وروائح غريبة، وتكون هناك لحظة، قصيرة مثل التثاؤب، لا تعرف فيها مكانها، ويسرع قلبها – خوفًا في البداية، ثم نتيجة شيء آخر. شيء لا تعرف الكلمات التي تعبر عنه حتى الآن.

وبحلول الوقت الذي يعودان فيه إلى بيتهما في فيون، تكون بالفعل نسخة مختلفة من نفسها. غرفة بنوافذ مفتوحة، تتوق للسماح بدخول الهواء النقي، وضوء الشمس، والربيع.

فيون سور سارت، فرنسا

خريف 1703

IV

إنه مكان كاثوليكي، فيون. بالتأكيد الجزء الذي يظهر.

في وسط المدينة كنيسة، بناء حجري مهيب حيث يذهب الجميع لإنقاذ أرواحهم. والدة أديلين ووالدها يركعان هناك مرتين في الأسبوع، ويرسمان علامة الصليب ويأخذان البركة ويرددان كلام الرب.

أديلين الآن في الثانية عشرة، تفعل ذلك أيضًا. لكنها تصلي بالطريقة التي يرفع بها والدها أرغفة الخبز، بالطريقة نفسها التي تلعق بها أمها إبهامها لتجمع حبات الملح.

على سبيل العادة، حركات آلية أكثر مما هو إيمان.

الكنيسة في المدينة ليست جديدة، ولا الرب أيضًا، لكن أديلين بدأت تفكر فيه بهذه الطريقة، شكرًا لإستيل، التي تقول إن أكبر خطر في التغيير هو ترك الجديد يحل محل القديم.

إستيل، التي تنتمي للجميع، ولا تنتمي لأحد، ولنفسها.

إستيل، التي نمت مثل شجرة في قلب القرية على ضفاف النهر، وبالتأكيد لم تكن شابة قط، نبتت من الأرض نفسها بأيدٍ كثيرة العقد وجلد خشبي وجذور عميقة بما يكفي للاستفادة من بئرها المخفي.

تؤمن إستيل بأن الإله الجديد مزركش. وتعتقد أنه ينتمي للمدن والملوك، وأنه يجلس في باريس على وسادة ذهبية، وليس لديه وقت للفلاحين، ولا مكان بين الخشب والحجر وماء الأنهار.

ويعتقد والد أديلين أن إستيل مجنونة.

تقول أمها إن المرأة تندفع إلى الجحيم، وذات مرة، حين كررت أديلين الكلام نفسه، ضحكت إستيل ضحكتها الجافة وقالت إنه لا يوجد مثل هذا المكان، فقط التربة المظلمة الباردة والوعد بالنوم.

سألت أديلين: "وماذا عن الجنة؟"

"الجنة بقعة جميلة في الظل، شجرة عريضة فوق عظامي".

في الثانية عشـرة من عمرها، تتساءل أديلين عن الإله الذي يجب أن تصلي إليه الآن، حتى يغير والدها رأيه. يحمل عربته بأدوات متجهة إلى لومان، وأعد مكسيم، لكن لأول مرة منذ ست سنوات، لن تذهب معه.

وعدها بإحضار رزمة جديدة من الورق، وأدوات جديدة للرسم. لكنهما كليهما يعرفان أنها تفضل الذهاب عن الحصول على هدايا، وتفضل رؤية العالم في الخارج على أن يكون لديها رزمة ورق أخرى للرسم عليها. الموضوعات تنفد، وقد حفظت صفوف القرية المتعبة، وجميع الوجوه المألوفة فيها.

لكن هذا العام، قررت أمها أنه ليس من المناسب أن تذهب إلى السوق، فهذا غير مناسب، بالرغم من أن أديلين تعرف أنها لا تزال قادرة على الجلوس على هذا المقعد الخشبي بجانب والدها.

كانت أمها تتمنى لو كانت مثل إيزابيل ثيرولت، لذيذة ولطيفة وغير مبالية تمامًا، راضية عن ممارسة الحياكة بدلًا من النظر إلى الغيوم، بدلًا من التساؤل عما حول المنعطف، وما فوق التلال.

لكن أديلين لا تعرف كيف تكون مثل إيزابيل.

إنها لا تريد أن تكون مثل إيزابيل.

إنها تريد فقط الذهاب إلى لومان، مرة أخرى، لتشاهد الناس وترى الفن في كل مكان، وتذوق الطعام، وتكتشف أشياء لم تسمع عنها بعد.

تقول: "أرجوك"، ووالدها يصعد إلى العربة. كان يجب أن تختبئ بين الأعمال الخشبية، وأن تختفي في خزنة تحت قماش القنب. ولكن الآن فات الأوان، وحين اقتربت أديلين من العجلة، أمسكتها أمها من معصمها وسحبتها إلى الخلف.

تقول: "كفى".

ينظر والدها إليها ثم يبتعد. تنطلق العربة، وحين تحاول أديلين أن تفلت وتجري خلف العربة، تومض يد أمها مرة أخرى، وهذه المرة على خدها.

تنهمر الدموع على عينيها، ويظهر احمرار شديد قبل أن تظهر الكدمة، ويعلو صوت أمها حين تهبط الصفعة الثانية.

"لم تعودي طفلة".

وتفهم أديلين – ولا تفهم إطلاقًا – تشعر وكأنها تُعاقب لمجرد أنها تكبر. تغضب بشدة لدرجة أنها تريد الهروب. تريد إلقاء شغل إبرة أمها في الموقد وكسر كل منحوتة نصف مصنوعة في متجر والدها.

وبدلاً من ذلك، تراقب العربة حول المنعطف، وهي تختفي بين الأشجار، بيد واحدة مشدودة حول حلقة والدها. تنتظر أديلين أن تتركها أمها تذهب، وترسلها للقيام بالأعمال المنزلية.

ثم تذهب إلى إستيل. إستيل، التي لا تزال تعبد الآلهة القديمة.

لابد أن أديلين كانت في الخامسة أو السادسة حين رأت المرأة تسقط كوبها الحجري في النهر أول مرة. كان جميلًا، برسم مضغوط مثل الدانتيل على جوانبه، والمرأة العجوز تتركه يسقط ببساطة، معجبة بالرزاز. كانت عيناها مغلقتين، وشفتاها تتحركان، وحين باغتت أديلين السيدة العجوز – كانت عجوزًا بالفعل، وكانت عجوزًا دائمًا – في طريق العودة إلى البيت، قالت إستيل إنها كانت تصلي للآلهة.

"لأي غرض؟"

قالت: "طفل ماري لا يأتي كما ينبغي. طلبْتُ من آلهة الأنهار أن تجعل الأمور تسير بسلاسة. إنهم جيدون في ذلك".

"لكن لماذا أعطيتهم كوبك؟"

"لأن الآلهة جشعة يا آدي".

آدي. اسم حيوان أليف، حيوان احتقرته أمها بوصفه صبيانيًّا. اسم يفضله والدها، لكن فقط حين يكونا بمفردهما. اسم رن مثل الجرس في عظامها. اسم يناسبها أكثر بكثير من أديلين.

الآن، تجد إستيل في حديقتها، محنية بين نبات القرع البري، العمود الشائك لشجيرة بلاك بيري، منحنية إلى أسفل كغصن ملتوٍ.

"آدي". تنطق السيدة العجوز اسمها دون أن تنظر.

إنه الخريف، والأرض تتناثر عليها حجارة الفاكهة التي لم تنضج كما ينبغي. تدفعها آدي بطرف حذائها. تسأل: "كيف تتحدثين معهم؟ الآلهة القديمة. هل تناديهم بالاسم؟"

يستقيم إستيل، والمفاصل تقعقع مثل العصي الجافة. إذا كانت قد فوجئت بالسؤال، لا يظهر عليها. "ليس لهم أسماء".

"هل هناك تعويذة؟"

تنظر إليها إستيل نظرة حادة. "التعاويذ للسحرة، والساحرات غالبًا ما يُحرَقون".

"إذن كيف تصلِّين؟"

"بالهدايا والتسبيح، وحتى مع ذلك، الآلهة القديمة متقلبة. إنهم غير ملزمين بالاستجابة".

"ماذا تفعلين إذن؟"

"تواصلين".

تمضغ خدها من الداخل: "كم عدد الآلهة يا إستيل؟"

ترد المرأة العجوز: "الآلهة كثر بعدد الأسئلة التي لديك"، ولكن لا يوجد ازدراء في صوتها، وتعرف آدي أن تنتظرها، أن تحبس أنفاسها حتى ترى العلامة الدالة على لين إستيل. إنه مثل الانتظار عند باب الجيران بعد أن تطرق الباب، حين تعلم أنهم في البيت. يمكنها أن تسمع الخطوات، الحك المنخفض للقفل، وتعلم أنه سوف يفتح.

تتنهد إستيل بصوت واضح.

تقول: "الآلهة القديمة في كل مكان. يسبحون في النهر، وينمون في الحقل، ويغنون في الغابة. إنهم في ضوء الشمس على القمح، وتحت الشتلات في الربيع، وفي الكروم التي تنمو بجانب تلك الكنيسة الحجرية. يجتمعون عند أطراف النهار وعند الفجر وعند الغسق".

تضيق عينا أديلين. "هل تعلمينني؟ كيف أدعوهم؟"

تتنهد المرأة العجوز، وهي تعلم أن أديلين لارو ليست ذكية فحسب، لكنها عنيدة أيضًا. تبدأ السير في الحديقة إلى المنزل، وتتبعها الفتاة، خائفة من أنه إذا وصلت إستيل إلى باب بيتها قبل أن تجيب، فقد تنهي هذه المحادثة. لكن إستيل تنظر إلى الخلف، وعيناها متوقدتان على وجهها المتجعد.

"هناك قواعد".

تكره أديلين القواعد، لكنها تعلم أنها ضرورية أحيانًا.

"مثل ماذا؟"

"يجب أن تتواضعي أمامهم. يجب أن تقدمي لهم هدية، شيئًا ثمينًا بالنسبة لك. ويجب أن تكوني حريصة فيما تطلبينه".

تفكر أديلين. "هل هذا كل شيء؟"

يسودُّ وجه إستيل. "قد تكون الآلهة القديمة عظيمة، لكنها لا تعرف الشفقة ولا الرحمة. إنها متقلبة وغير ثابتة مثل ضوء القمر على الماء، أو الظلال في عاصفة. إذا صممْتِ على استدعائهم، فاحذري: احذري مما تطلبينه، وكوني على استعداد لدفع الثمن". تميل على أديلين، منعكسة عليها في الظل. "وبغض النظر عن مدى اليأس أو الرهبة، لا تصلي أبدًا للآلهة التي تستجيب بعد حلول الظلام".

بعد يومين، حين يعود والد أديلين، يأتي حاملًا رزمة ورق جديدة، وحزمة من أقلام الرصاص السوداء، مربوطة بخيط، وأول ما تفعله اختيار الأفضل، وإخفاؤه في الأرض خلف حديقتهم، وتدعو أن تكون مع والدها حين يسافر في المرة القادمة.

ولكن إذا كانت الآلهةُ قد سمعت، فإنهم لا يجيبون.

لم تذهب إلى السوق مرة أخرى.

فيون سور سارت، فرنسا

ربيع 1707

V

طرفة عين، وتتساقط السنوات مثل أوراق الشجر.

تبلغ أديلين الآن السادسة عشرة، والجميع يتحدثون عنها كما لو كانت زهرة الصيف، شيء يجب قطفه، ووضعه داخل إناء، مخصص للزهور فقط ثم يتعفن. مثل إيزابيل، التي تحلم بالأسرة بدلًا من الحرية، وتبدو راضية عن الازدهار فترة وجيزة ثم الذبول.

لا، قررت أديلين أنها تفضل أن تكون شجرة، مثل إستيل. إذا كان يجب أن تنمو جذورها، فإنها تفضل تركها لتزدهر برية بدلًا من تقليمها، وتفضل الوقوف بمفردها، والسماح لها بالنمو تحت السماء المفتوحة. تفضل ذلك عن أن تكون حطبًا، تُقطَع لتحرق في موقد شخص آخر.

ترفع الغسيل على وركها وتنهض، وتشق طريقها في المنحدر العشبي إلى النهر. حين تصل إلى الضفة، تخرج السلة، وتلقي بالملابس المتسخة على العشب، وهناك كراسة الرسم، مدسوسة مثل سر بين التنانير والمآزر والملابس الداخلية. ليست الأولى - لقد جمعتها عامًا بعد عام، حريصة على ملء كل بوصة من الفراغ، لتحقيق أقصى استفادة من كل صفحة بيضاء.

لكن كل واحدة تشبه شمعة تحترق في ليلة غير مقمرة، تنتهي دائمًا بسرعة كبيرة.

لا يفيدها الاستمرار في التخلي عن بعض الأجزاء.

تخلع حذاءها وتهبط المنحدر مرة أخرى، وتتجمع تنورتها تحتها. تمرر أصابعها عبر العشب الكثيف وتجد الحافة المهترئة للورقة، إحدى لوحاتها المفضلة، مطوية في مربع وقد توجهت إلى الضفة الأسبوع الماضي، بعد الفجر مباشرة. رمز مدفون مثل البذرة أو الوعد. قربان.

لا تزال أديلين تصلي للرب الجديد، حين ينبغي عليها، ولكن حين لا ينظر والداها، فإنها تصلي للآلهة القديمة أيضًا. يمكنها أن تفعل الاثنين: تحتفظ بواحد مطوي في خدها مثل حفرة الكرز وهي تهمس للآخر.

حتى الآن، لم يجب أي منهم.

ومع ذلك، فإن أديلين متأكدة من أنهم ينصتون.

حين بدأ جورج كارون ينظر إليها بطريقة معينة في الربيع الماضي، صلت من أجل أن يحول نظره، وبدأ يلاحظ إيزابيل بدلًا من ذلك. ومنذ ذلك الحين، صارت إيزابيل زوجته، وهي الآن ناضجة مع طفلها الأول، ومرهقة من كل العذابات التي تصاحب ذلك.

حين كشف أرنو تول عن نواياه في الخريف الماضي، صلت أديلين من أجل أن يعثر على فتاة أخرى. لم يعثر، لكنه مرض في ذلك الشتاء ومات، فزعت أديلين من شعورها بالارتياح، حتى وهي تغذي الجدول بالمزيد من الحلي.

صلَّتْ، ولا بد أن هناك من سمع، فهي لا تزال حرة. متحررة من الخطوبة، متحررة من الزواج، متحررة من كل شيء ماعدا فيون. تركت وحدها لتنمو.

والحلم.

تجلس أديلين مرة أخرى على المنحدر، ولوحة الرسم متوازنة على ركبتيها. تسحب الكيس من جيبها، وقطع من الفحم وبعض أقلام الرصاص الثمينة البالية تقعقع مثل العملات المعدنية في يوم السوق.

اعتادت ربط قطعة من القماش حول الأقلام لتحافظ على نظافة أصابعها، حتى صنع والدها شرائط ضيقة من الخشب حول العصي السوداء، وشرح لها كيف تمسك السكين الصغيرة، وكيف تبري الحواف، وترفِّع السنون. والآن أصبحت الصور أكثر وضوحًا، والحواف محددة، والتفاصيل دقيقة. تتفتح الصور مثل البقع عبر الورق، والمناظر الطبيعية لفيون، وكل من بداخلها أيضًا - خطوط شعر أمها وعينا والدها ويدي إستيل، ثم هناك، مطويًا في طبقات وحواف كل صفحة -.

سر أديلين.

غريبها.

كل جزء من المساحة غير المستخدمة تملأه به، وجه مرسوم في معظم الأحيان لدرجة أن الإيماءات أصبحت الآن سهلة، والخطوط تنساب تلقائيًّا. يمكنها استحضاره من الذاكرة، بالرغم من أنهما لم يلتقيا قط.

إنه، بالرغم من كل شيء، ليس إلا من نسيج عقلها. رفيق صُنِع أولًا من الملل ثم من الشوق. حلم، أن تحافظ على صحبتها.

إنها لا تتذكر متى بدأت، فقط ذات يوم ألقت نظرة على القرية ووجدت أنه مفتقد تمامًا.

كانت عينا أرنو جميلتين، لكن لم يكن له ذقن. كان جاك طويلًا، لكنه كان مملًّا مثل القذارة.

كان جورج قويًّا، لكن يديه قاسيتان، ومزاجه أكثر قسوة.

وهكذا سرقت القطع التي وجدتها ممتعة، وشكلتْ شخصًا جديدًا.

غريب.

بدأت لعبةً - ولكن كلما رسمته أديلين أكثر، زادت قوة الخطوط، زادت الثقة وهي تضغط الفحم.

خصلات الشعر الأسود. عينان شاحبتان. فك قوي. كتفان منحدران وفم يشبه قوس كيوبيد. رجل لم تقابله قط، حياة لن تعرفها أبدًا، عالم يمكن فقط أن تحلم به.

حين تكون متوترة، تعود إلى اللوحات، متتبعة الخطوط التي صارت مألوفة. وحين لا تستطيع النوم، تفكر فيه. لا تفكر في زاوية خده، ولا الظل الأخضر الذي استحضرته لعينيه، بل في صوته، ولمساته. ترقد مستيقظة وتتخيله بجانبها، أصابعه الطويلة تقتفي أنماطًا غائبة على بشرتها. وهو يفعل ذلك، يروي قصصها.

ليست من نوع القصص التي اعتاد والدها أن يرويها، عن الفرسان والممالك والأميرات واللصوص. وليست حكايات خرافية وتحذيرات من المغامرة خارج المألوف، ولكنها قصص تبدو وكأنها حقائق، أداء على الطريق، ومدن تتلألأ، وعالم ما وراء فيون. وبالرغم من أن

الكلمات التي تضعها في فمه مليئة بالتأكيد بالأخطاء والأكاذيب، فإن صوت شخصها الغريب يجعلها تبدو رائعة جدًّا وواقعية جدًّا.

يقول: إن كنت تستطيعين رؤيته فقط.

ترد: أقدم أي شيء.

يعد: ذات يوم. ذات يوم، سأريك. سترينه كله.

الكلمات مؤلمة، حتى وهي تفكر فيها، اللعبة تفسح المجال للرغبة، شيء حقيقي جدًّا، خطير جدًّا. وهكذا، حتى في خيالها، توجه المحادثة إلى طرق أكثر أمانًا.

تقول أديلين، احكِ لي عن النمور، وقد سمعت عن القطط الضخمة من إستيل، التي سمعت عنها من البنَّاء، الذي كان جزءًا من قافلة تضم امرأة ادعت أنها رأت واحدًا.

يبتسم غريبها، ويشير بأصابعه المدببة، ويحكي لها عن فروها الحريري وأسنانها وزئيرها الغاضب.

على المنحدر، نُسِـي الغسيل بجانبها، أدارت أديلين حلقتها الخشبية بيد وهي شاردة وترسم بالأخرى، ترسم عينيه وفمه وخط كتفيه العاريتين. تنفث فيه الحياة مع كل خط. ومع كل جرة قلم، تستنبط قصة أخرى.

احكِ لي عن الرقص في باريس.

احكِ لي عن الإبحار عبر البحر.

احكِ لي كل شيء.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لم يكن فيها خطر أو عتاب، لم يكن فيها حين كانت صغيرة. جميع الفتيات يحلمن. يقول والداها إنها ستخرج منه - لكن بدلًا من ذلك، تشعر أديلين بنفسها وهي تكبر فيه، متشبثة بالأمل العنيد فيما هو أكثر.

يجب أن يصبح العالم أكبر. بدلًا من ذلك، تشعر أنه يتقلص، ويضيق كأنه سلاسل حول أطرافها حيث تبدأ الخطوط المسطحة لجسمها في الانحناء أمامه، وفجأة أصبح الفحم الموجود

تحت أظافرها غير مناسب، وأيضًا فكرة أن تختار صحبتها من بين صحبة أرنو أو جورج، أو أي رجل قد يكون لها.

إنها على خلاف مع كل شيء، إنها لا تصلح، إهانة لجنسها، طفلة عنيدة في شكل امرأة، رأسها منحنٍ وذراعها ملفوفتان بإحكام حول لوحة الرسم كما لو كانت بابًا.

وحين تنظر إلى أعلى، تتجه نظرتها دائمًا إلى حافة المدينة.

"حالمة"، تحتقر أمها.

"حالمة" تنعي والدها.

"حالمة"، تحذر إستيل.

ومع ذلك، لا تبدو هذه الكلمة سيئة.

حتى تستيقظ أديلين.

مدينة نيويورك

10 مارس 2014

VI

هناك إيقاع لتحرك المرء وحيدًا عبر العالم.

يكتشف المرء ما يمكن أن يعيش بدونه وما لا يمكن، الضـروريات البسيطة والمتع الصغيرة التي تحدد حياة. ليس الطعام، وليس المأوى، ولا الأشياء الأساسية التي يحتاجها جسم - هذه بالنسبة لها، ترف - ولكن الأشياء التي تبقي المرء عاقلاً. تلك التي تجلب له البهجة. تلك التي تجعل الحياة محتملة.

تفكر آدي في والدها ومنحوتاته، والطريقة التي قشر بها اللحاء، وبري الخشب تحته للعثور على الأشكال التي تعيش في داخله. سمّاه مايكل أنجلو الملاك في الرخام - بالرغم من أنها لم تكن تعرف ذلك وهي طفلة. سماه والدها السـر في الخشب. عرف كيف يختزل شيئًا، شريحة شريحة، قطعة قطعة، حتى يجد جوهره؛ عرف، أيضًا، متى يمضـي بعيدًا. ضربة واحدة تكفي وأكثر، ويتحول الخشب من رقيق إلى هش في يديه.

أمضت آدي ثلاثمائة عام تمارس فن والدها، تقتصـر على بعض الحقائق الأساسية، تتعلم الأشياء التي لا تستطيع الاستغناء عنها.

وهذا ما استقرت عليه: يمكن أن تعيش بدون طعام (لن تذبل). يمكن أن تعيش بدون حرارة (لن يقتلها البرد). لكن حياة بدون فن، بدون دهشة، بدون أشياء جميلة - تصيبها بالجنون. وقد أصيبت بالجنون.

القصص ما تحتاج إليه.

القصص وسيلة للحفاظ على الذات. يجب أن نتذكر. وأن تنسى.

تأتي القصص في أشكال كثيرة: في الفحم والأغنية واللوحات والقصائد والأفلام. والكتب. وجدت أن الكتب وسيلة لتعيش ألف حياة - أو تجد القوة في حياة طويلة جدًّا.

على بعد بنايتين من فلاتبوش، ترى طاولة قابلة للطي خضـراء مألوفة على الرصيف، مغطاة بأغلفة ورقية، وفريد منحنٍ في كرسيه المتهالك خلفها، والأنف الأحمر المدفون في ح اختصار حقد. أوضح لها الرجل العجوز ذات مرة، حين كان على ق اختصار قاتل، كيف كان مصممًا على إتمام سلسلة أبجدية جرافتون[3] كلها قبل وفاته. تتمنى أن يتمها. إنه يعاني من سعال مزعج، والجلوس هنا في البرد لا يفيد، ولكن ها هو، وقتما تمر آدي.

فريد لا يبتسم ولا يتحدث. ما تعرفه آدي عنه نقبت عنه كلمة كلمة على مدى العامين الماضيين، والتقدم بطيء ومتوقف. تعرف أنه أرمل يعيش في طابق علوي، وتعرف أن الكتب كانت ملك زوجته، كانديس، وتعرف أنه، حين ماتت، عبأ جميع كتبها وأنزلها لبيعها، وكان الأمر أشبه بتمزيقها أشلاء. يبيع أساه. تعرف آدي أنه يجلس هنا لأنه يخشى الموت في شقته، ولا يُعثَر عليه - ألا يُفتقَد.

يقول: "آتي إلى هنا، على الأقل سيلاحظ شخص ما".

إنه عجوز فظ، لكنه يعجب آدي. ترى الحزن في غضبه، حراسة الأسى.

تظن آدي أنه لا يريد أن يبيع الكتب حقًّا.

إنه لا يسعِّرها، ولم يقرأ إلا القليل، وأحيانًا يكون مزاجه فظًّا جدًّا، ونبرته باردة جدًّا، فهو في الواقع يُرهِب العملاء. ومع ذلك، يأتون، وما زالوا يشترون، ولكن كلما بدا الانتقاء ضعيفًا يظهر صندوق جديد، تُفرَّغ محتوياته لملء الفجوات، وفي الأسابيع القليلة الماضية، بدأت آدي مرة أخرى في اكتشاف إصدارات جديدة من بين الأغلفة القديمة والحديثة وظهور كتب غير مفتوحة في أغلفة ورقية ممزقة. تتساءل إن كان يشتريها، أو إذا بدأ أشخاص آخرون التبرع لمجموعته الغريبة.

تبطئ آدي، الآن، تتراقص أصابعها على ظهور الكتب.

---

3 سو تايلور جرافتون (1940-2017) مؤلفة أمريكية لروايات بوليسية. اشتهرت بأنها مؤلفة "سلسلة الأبجدية".

الاختيار دائمًا مزيج من أعمال متنافرة. أعمال مثيرة، وسير ذاتية، قصص، أسواق جماهيرية مضطربة تقطعها، غالبًا، بعض الأغلفة الصلبة اللامعة. توقفت لفحصها مائة مرة، لكنها اليوم تميل ببساطة الكتاب في نهايته في يدها، فتكون الإيماءة خفيفة وسريعة مثل إيماءة ساحر. قطعة من الشعوذة. التدرب فترة طويلة يؤدي إلى الكمال. تضع آدي الكتاب تحت ذراعها وتواصل المشي.

الرجل العجوز لا ينظر أبدًا.

مدينة نيويورك

10 مارس 2014

VII

يقع السوق مثل مجموعة من الزوجات العجائز على حافة المتنزه.

نحيلة لفترة طويلة من الشتاء، بدأ عدد الأكشاك المغطاة باللون الأبيض ينتفخ مرة أخرى، وقطرات من الألوان تنتشر في الساحة حيث تظهر منتجات جديدة بين الخضروات الجذرية واللحوم والخبز، وغيرها من المواد الغذائية الأساسية المقاومة للبرد.

تتسلل آدي بين الناس، متوجهة إلى الخيمة البيضاء الصغيرة التي تقع عند البوابات الأمامية لمتنزه بروسبكت. رايز أند شاين كشك لصنع القهوة والمعجنات تديره أختان تذكران آدي بأستيل، إذا كانت المرأة العجوز قد صارت اثنين بدلًا من واحدة، مقسمة على أسس المزاج. إذا كانت أكثر لطفًا، أو رقة، أو ربما إذا عاشت حياة أخرى، مرة أخرى.

الأختان هنا على مدار العام، يأتي الثلج أو الشمس، استقرار ضئيل في مدينة دائمة التغير.

تقول ميل: "مرحبًا، يا سكر"، بكتفين عريضتين وخصلات برية، وهذا النوع من الحلاوة التي تجعل الغرباء يشعرون وكأنهم أسرة. تحب آدي ذلك، الدفء السهل، الذي تريد أن تستقر فيه مثل سويتر لُبِس كثيرًا.

تسأل ماجي: "ماذا نحضر لك؟" وهي الأكبر، والأكثر رشاقة، وخطوط الضحك حول عينيها توحي خطأ بأنها نادرًا ما تبتسم.

طلبت آدي كوبًا كبيرًا من القهوة وكعكتين، واحدة بالتوت والأخرى رقاقة شوكولاتة، ثم سلمت ورقة مجعدة بعشرة دولارات عثرت عليها على طاولة قهوة توبي. يمكنها بالطبع أن تسرق شيئًا من السوق، لكنها تحب هذا الكشك الصغير والمرأتين اللتين تديرانه.

تسأل ماجي: "هل لديك عشرة سنتات؟"

تبحث آدي عن الفكة في جيبها، وتخرج بضعة أرباع، نيكل - وهناك مرة أخرى، دافئة بين العملات المعدنية الباردة، تمس أصابعها الحلقة الخشبية فتكز على أسنانها حين تحس بها. مثل فكرة مزعجة، من المستحيل التخلص منها. بغربلة العملات المعدنية، تحرص آدي على عدم لمس الشريط الخشبي مرة أخرى أثناء بحثها عن الفكة، وتقاوم الرغبة في قذف الحلقة في الأعشاب، وتعلم أن ذلك لن يحدث فرقًا إذا فعلته. سوف تجدها دائمًا.

يهمس الظلام في أذنها وذراعاها ملفوفتان مثل وشاح حول حلْقها.

أنا معك دائمًا.

تخرج آدي عشرة سنتات وتضع الباقي في جيوبها.

ترد ماجي أربعة دولارات.

تسأل ميل: "من أين أنت، يا عروسة؟" ملاحظة الحافة الواهية للهجة في زوايا صوت آدي، تتقلص هذه الأيام إلى النهاية المتلاشية لحرف إس، والانخفاض الطفيف لحرف تي. مر وقت طويل، ومع ذلك، لا يبدو أنها تتخلى عنها.

تقول: "من هنا وهناك، لكني ولدت في فرنسا".

تقول ميل بتشدقها المسطح، تشدق أهل بروكلين: "أوه لا لا".

تقول ماجي: "ها أنت ذا، يا أشعة الشمس"، وهي تعطي لها كيسًا من المعجنات وكوبًا طويلًا. تلف آدي أصابعها حول الورقة، مستمتعة بالحرارة على راحتيها الباردتين. القهوة ثقيلة، وداكنة، وحين تأخذ رشفة، تشعر بالدفء طول الطريق، وتعود إلى باريس مرة أخرى، إلى إسطنبول، إلى نابولي.

حفنة ذكريات.

تبدأ الاتجاه نحو بوابات المتنزه.

تقول ميل: "إلى اللقاء!"[4] مؤكدة بقوة على كل حرف، وتبتسم آدي في البخار.

---

4 بالفرنسية في الأصل.

الهواء لطيف في المتنزه. الشمس خارجة، تقاتل من أجل الدفء، لكن الظل لا يزال ينتمي للشتاء، وبالتالي تتبع آدي الضوء، وتغطس على منحدر عشبي تحت السماء الصافية.

تضع كعكة التوت فوق الكيس الورقي، وترشف قهوتها، وتفحص الكتاب الذي استعارته من طاولة فريد. لم تكلف نفسها عناء النظر إلى ما كانت تأخذه، لكن قلبها الآن يغطس قليلًا لرؤية الغلاف الورقي، الغلاف رقيق من البلى، العنوان بالألمانية.

العنوان حكايات الأطفال وربات المنازل[5] بقلم الأخوين جريم.

حكايات جريم الخيالية.

لغتها الألمانية صدئة، ومحفوظة في مؤخرة عقلها، في زاوية لم تستخدمها كثيرًا منذ الحرب. الآن تزيل الغبار عنها، وتعلم أنها ستجد، تحت طبقة الوسخ، الفضاء سليمًا، وهادئًا. نعمة الذاكرة. تقلب الصفحات القديمة الهشة، وتتعثر عيناها فوق الكلمات.

ذات يوم، كانت تحب هذا النوع من القصص.

وهي ما زالت طفلة، وكان العالم صغيرًا، وكانت تحلم بفتح الأبواب.

لكن آدي تعرف جيدًا الآن، تعرف أن هذه القصص مليئة بالبشر الحمقى الذين يقترفون حماقات، حكايات التحذير من الآلهة والوحوش والبشر الجشعين الذين يريدون الكثير، ثم يفشلون في فهم ما فقدوه. حتى يدفعوا الثمن، وقد فات أوان الاسترداد.

يرتفع صوت مثل الدخان داخل صدرها.

لا تصلي للآلهة الذين يردون بعد حلول الظلام.

تلقي آدي بالكتاب جانبًا وتنزلق مرة أخرى في العشب، وتغمض عينيها وهي تحاول تذوق طعم الشمس.

---

5 بالألمانية في الأصل.

فيون سور سارت، فرنسا

29 يوليو 1714

VIII

أرادت أديلين أن تكون شجرة.

أن تنمو برية وعميقة، لا تنتمي إلا للأرض تحت قدميها، والسماء فوقها، تمامًا مثل إستيل. تعيش حياة غير تقليدية، وربما تشعر بالوحدة إلى حد ما، لكنها على الأقل ستكون على طبيعتها. لن تنتمي إلا لنفسها.

ولكن هنا تكمن خطورة مكان مثل فيون. طرفة عين – وانقضى عام.

طرفة عين – ويتبعه خمسة أعوام أخرى.

إن هذه القرية، مثل فجوة بين الحجارة، واسعة بما يكفي لتضيع الأشياء. مكان يتسلل فيه الوقت ويختفي، حيث يمكن أن يضيع شهر، سنة، عمر. حيث يولد الجميع ويدفنون في البقعة نفسها التي مساحتها عشرة أمتار.

كانت أديلين توشك أن تكون شجرة.

ولكن جاء حينها روجر وزوجته بولين. كبرا معًا، ثم تزوجا، ثم رحلا، في الوقت الذي استغرقته لانتعال بوت.

حمل صعب، ولادة مدمرة، موتان بدلًا من حياة جديدة.

تركا وراءهما ثلاثة أطفال صغار، حيث كان ينبغي أن يكونوا أربعة. لا تزال الأرض نضرة فوق قبر، ويبحث روجر عن زوجة أخرى، وأم لأطفاله، وحياة ثانية على حساب حياة أديلين الوحيدة.

بالطبع، قالت لا.

أديلين ابنة الثالثة والعشـرين، أكبر من أن تتزوج بالفعل.

ثلاثة وعشـرون، ثلث الحياة مدفونة بالفعل.

ثلاثة وعشرون – تهدى حينها مثل خنزيرة لرجل لا تحبه أو تريده أو حتى تعرفه.

قالت لا، وعرفت ما تستحقه الكلمة. عرفت أنها، مثل إستيل، وعدت نفسها للقرية، وأن القرية تحتاج إليها.

قالت أمها إنه واجب.

قال والدها إنها رحمة، بالرغم من أن أديلين لا تعرف لمن.

لم تقل إستيل شيئًا، لأنها كانت تعلم أنه ليس إنصافًا. كانت تعلم أن هذا خطر أن تكون امرأة، أن تمنح نفسك لمكان، بدلًا من شخص.

كانت أديلين توشك أن تصبح شجرة، وبدلًا من ذلك، جاء الناس يلوحون مهددين بفأس.

تخلوا عنها.

تستلقي مستيقظة في الليلة السابقة للزفاف، وتفكر في الحرية. في الفرار. في سرقة حصان والدها، حتى وهي تعلم أن الفكر جنون.

تشعر بالجنون بما يكفي للقيام بذلك.

وبدلًا من ذلك، تصلي.

كانت تصلي، بالطبع، منذ يوم خطوبتها، وأعطت نصف ممتلكاتها للنهر ودفنت النصف الآخر في الحقل أو على منحدر التراب والأغصان حيث تلتقي القرية بالغابات، والآن يوشك وقتها ورموزها على النفاد.

تستلقي في الظلام، وتلف الحلقة الخشبية القديمة على حبلها الجلدي، وتفكر في الخروج والصلاة مرة أخرى الآن، في جوف الليل، لكن أديلين تتذكر تحذير إستيل المخيف بشأن الآلهة التي قد تجيب. لذا بدلًا من ذلك، تشبك يديها وتصلي لإله أمها. تصلي طلبا لمساعدة، لمعجزة، لمخرج. وبعد ذلك في أحلك جزء من الليل، تصلي ليموت روجر - أي شيء لتهرب. تشعر بالذنب في الحال، وتطرد الفكرة كما تطرد الزفير من صدرها، وتنتظر.

ينبثق النهار مثل صفار البيض، ويسكب الضوء الأصفر عبر الحقل.

تخرج أديلين من المنزل قبل الفجر، ولم تنم إطلاقًا. الآن تشق طريقها عبر العشب البري وراء حديقة الخضروات، وتنورتها تلتقط الندى. تركت نفسها تغرق بثقلها، وقلم الرسم المفضل لديها تمسكه بيد. لا تريد أديلين التخلي عنه، لكن نفد وقتها ورموزها المميزة.

تضغط القلم الرصاص إلى أسفل في تربة الحقل الرطب.

تهمس في العشب، حوافه ممتلئة بالضوء: "ساعدوني، أعلم أنكم هناك. أعلم أنكم تستمعون. أرجوكم. أرجوكم".

لكن العشب مجرد عشب، والريح مجرد ريح، ولا أحد يجيب، حتى حين تضغط جبهتها على الأرض وتنتحب.

لا عيب في روجر.

لكن لا مزية أيضًا. جلده شمعي، شعره أشقر رقيق، صوته مثل خصلة ريح. حين تستقر يده على ذراعها تضعف القبضة، وحين يميل رأسه نحو رأسها تكون أنفاسه فاسدة.

وأديلين؟ إنها خضار تُرك فترة طويلة في الحديقة، جلده متيبس، داخله خشبي، اختفى في الأرض، لتحفر بحثًا عنه ويتحول إلى وجبة.

تقول وأصابعها متشابكة في التراب: "لا أريد الزواج منه".

تنادي أمها "أديلين!" وكأنها من الماشية الضالة. تسحب نفسها، خالية من الغضب والأسى، وحين تدخل لا ترى أمها إلا القذارة تكسو يديها، وتطلب من ابنتها الذهاب إلى الحوض. تنظف أديلين الطين من تحت أظافرها، وتعض أصابعها وأمها توبخها.

"ماذا يظن زوجك؟"

زوج.

كلمة مثل حجر الرحى، وزن بلا دفء.

تستهجن أمها. "لن تكوني متوترة جدًّا بمجرد أن يكون لديك أطفال تعتني بهم".

تتذكر أديلين مرة أخرى إيزابيل، ولدان صغيران يتشبثان بتنورتها، والثالث في سلة بجانب الموقد. اعتادتا أن تحلما معًا، لكنها كبرت عشر سنوات في سنتين. إنها متعبة دائمًا، وفي وجهها تجاويف حيث كانت وجنتاها حمراوين ذات يوم من الضحك.

تقول أمها: "من الجيد أن تكوني زوجة شخص ما".

النهار يمر مثل عقوبة.

الشمس تسقط مثل منجل.

تكاد أديلين تسمع صوت النصل وأمها تجدل شعرها على شكل تاج، وتنسج الزهور بدلًا من الجواهر. فستانها بسيط وخفيف، ولكن من الممكن أيضًا أن يكون مصنوعًا من الدروع بسبب ثقله عليها.

تريد أن تصرخ.

بدلاً من ذلك، تمد يدها وتمسك بالحلقة الخشبية حول رقبتها، وكأنها تحقق التوازن.

توجهها أمها: "يجب أن تخلعيها قبل الحفل"، وتومئ أديلين برأسها، حتى وأصابعها تضيق أكثر حولها.

يأتي والدها من الحظيرة، وقد غُبِّرَ بنشارة الخشب ورائحة النسغ. يسعل، خشخشة خافتة، مثل البذور السائبة، في صدره. بدأ هذا السعال منذ عام، لكنه لا يسمح لهم بالحديث عنه.

يسأل: "هل أنت جاهزة تقريبًا؟"

يا له من سؤال أحمق.

تتحدث أمها عن عشاء الزفاف وكأنه جاء وانتهى بالفعل. تنظر أديلين من النافذة إلى الشمس الغاربة، ولا تسمع الكلمات، لكنها تسمع البهجة في صوت أمها، تسمع نبرة التبرير. حتى في عيني والدها، قدر من الارتياح. حاولت ابنتهما شق طريقها، ولكن الأمور الآن على ما يرام، عادت الحياة الضالة إلى مسارها، وانطلقت في طريقها الصحيح.

المنزل دافئ جدًا، والهواء ثقيل وساكن، وأديلين لا تستطيع التنفس.

أخيرًا تدق أجراس الكنيسة، النغمة المنخفضة نفسها التي تنطلق في الجنازات، وهي تجبر نفسها على الوقوف على قدميها.

يلمس والدها ذراعها.

وجهه حزين، لكن قبضته قوية.

يقول: "ستحبين زوجك"، لكن من الواضح أن الكلمات تبدو أمنية أكثر مما تبدو وعدًا.

تقول أمها: "ستكونين زوجة صالحة"، وكلام أمها يبدو أمرًا أكثر مما يبدو أمنية.

ثم تظهر إستيل في المدخل مرتدية ملابسها وكأنها في حداد. ولماذا لا تكون؟ هذه المرأة التي حدثتها عن الأحلام البرية والآلهة الجامحة، التي ملأت رأس أديلين بأفكار الحرية، دفعتها على جمر الأمل وتركتها تعتقد أن الحياة يمكن أن تكون ملكها.

أصبح الضوء مائيًّا ورقيقًا خلف رأس إستيل الرمادي. تقول أديلين لنفسها إنه لا يزال هناك وقت، لكنه سريع الزوال الآن مع كل نفس.

الوقت - كم مرة سمعت أنه يوصف بأنه رمل في كوب، ثابت، ثابت. لكنها كذبة، لأنها تشعر أنه يسرع ويتحطم باتجاهها.

يدق الذعر طبلة في صدرها، وفي الخارج، المسار عبارة عن خط مظلم واحد، ممتد بشكل مستقيم وضيق باتجاه ساحة القرية. على الجانب الآخر، تقف الكنيسة منتظرة، شاحبة وقاسية مثل شاهد قبر، وهي تعلم أنها إذا دخلت فلن تخرج.

يندفع مستقبلها كما اندفع ماضيها، ولكن إلى الأسوأ فقط، لأنه لن تكون هناك حرية، فقط سرير زواج وسرير موت وربما سرير طفل بينهما، وحين تموت يبدو وكأنها لم تعش قط .

لن تكون هناك باريس.

لا عاشق أخضر العينين.

لا رحلات بالقوارب إلى الأراضي البعيدة.

لا سماوات أجنبية.

لا حياة خارج هذه القرية.

لا حياة على الإطلاق، إلا – تتحرر أديلين من قبضة والدها، وتنسحب وتتوقف على الطريق.

تستدير أمها لتنظر إليها، وكأنها قد تركض، وهذا بالضبط ما تريد أن تفعله، لكنها تعلم أنها لا تستطيع.

تقول أديلين، وذهنها يلف: "صنعتُ هدية لزوجي، تركتها في المنزل".

ترقُّ أمها، وتوافق.

ويتجمد الدها ويرتاب.

تضيق عينا إستيل، عارفة.

تتابع: "أحضرها فقط"، وهي تستدير بالفعل.

يقول والدها: "آتي معك"، وقلبها يترنح وأصابعها ترتعش، لكن إستيل تمد يدها لتمنعه.

تقول بطريقة ماكرة: "جان، لا يمكن أن تكون أديلين ابنتك وزوجته. إنها امرأة كبرت، وليست طفلة يجب ا لاهتمام بها".

ينظر في عيني ابنته ويقول: "أسرعي".

كانت أديلين قد فرت بالفعل.

عادت عبر المسار، وتجاوزت الباب، إلى المنزل، ومن خلاله، إلى الجانب الآخر، إلى النافذة المفتوحة، والحقل، وصف الأشجار البعيد. الغابة تقف حارسة على الحافة الشرقية للقرية، مقابل الشمس. الغابة، المغطاة بالفعل في الظل، بالرغم من أنها تعلم أنه ما زال هناك ضوء، ما زال هناك وقت.

ينادي والدها: " أديلين؟" لكنها لا تنظر إلى الخلف.

بدلاً من ذلك، تتسلق النافذة، ويعلق الخشب في فستان الزفاف وهي تتعثر وتجري.

"أديلين؟ أديلين!"

الأصوات تنادي وراءها، لكنها تضعف مع كل خطوة، وسرعان ما تكون عبر الحقل، وفي الغابة، مجتازة صف الأشجار وهي تغرق إلى ركبتيها في القذارة الصيفية الكثيفة.

تقبض على الحلقة الخشبية، وتشعر بفقدانها حتى قبل أن تسحب الحبل الجلدي فوق رأسها. لا تريد أديلين أن تضحي بها، لكنها استنفدت كل رموزها، وقدمت كل هدية يمكن أن توفرها للأرض، ولم يستجب أي إله. الآن هذه الحلقة كل ما تبقى لديها، والضوء ضعيف، والقرية تنادي، وهي في أمس الحاجة إلى الهروب.

تهمس: "رجاء"، وصوتها ينكسر فوق الكلمة وهي تدس الشريط في الأرض المليئة بالطحالب. "سأفعل أي شيء".

ترفُّ الأشجار فوق رأسها، ثم تسكن، وكأنها تنتظر أيضًا، وتصلي أديلين، لكل إله في غابة فيون، لأي شخص وأي شيء يسمع. لا يمكن أن تكون هذه حياتها. لا يمكن أن يكون هذا كل الوجود.

تتوسل: "أجبني"، والرطوبة تتسرب إلى فستان زفافها.

تغلق عينيها وتصغي لتسمع، لكن الصوت الوحيد صوتها في الريح واسمها يتردد في أذنيها مثل دقات القلب.

"أديلين..".

"أديلين..".

"أديلين..".

تحني رأسها إلى الأرض وتمسك بالأرض المظلمة وتصرخ، "أجبني!"

يسخر الصمت.

عاشت هنا طول حياتها ولم تسمع الغابة بهذا الهدوء قط. يستقر البرد عليها، ولا تعرف ما إذا كان قادمًا من الغابة أم من عظامها، متخلية عن آخر أسلحتها. لا تزال عيناها مغلقتين، وربما لهذا لم تلاحظ أن الشمس غاصت خلف القرية من خلفها، وأن الغسق أفسح المجال للعتمة.

تواصل أديلين الصلاة، ولا تلاحظ على الإطلاق.

فيون سور سارت، فرنسا

29 يوليو 1714

IX

الصوت، حين يأتي، يكون قعقعة منخفضة وعميقة وبعيدة مثل الرعد.

ضحك، تفكر أديلين، وهي تفتح عينيها وتلاحظ أخيرًا كيف تلاشى الضوء.

تنظر إلى أعلى، لكنها لا ترى شيئًا. "أهلا؟"

يتحول الضحك إلى صوت، في مكان ما خلفها.

يقول: "لا تحتاجين إلى الركوع. اسمحي لنا أن نراك واقفة على قدميك".

تندفع واقفة، وتستدير، لكن لا يقابلها إلا الظلام، محاطة به، ليلة بلا قمر بعد أن هربت شمس الصيف. وتعرف أديلين، إذن، أنها ارتكبت خطأ. أن هذا أحد الآلهة التي حذرت منها.

"أديلين؟ أديلين؟" تنادي الأصوات من المدينة خافتة وبعيدة مثل الريح.

تحدق في الظلال بين الأشجار، لكن ليس هناك شكل، لا يوجد إله - فقط هذا الصوت، يقترب مثل نفَس على خدها.

يقول ساخرًا: "أديلين، أديلين... إنهم ينادون عليك".

تستدير مرة أخرى، ولا تجد إلا ظلًّا عميقًا. تأمر: "اظهرْ"، وصوتها حاد وجاف مثل عصا.

شيء ما يمس كتفها، يخدش معصمها، يلتف حولها مثل عاشق. تبلع أديلين ريقها: "من أنت؟"

تنسحب لمسة الظل. يسأل: "من أنا؟" ونبرة من روح الدعابة في تلك النغمة المخملية. "يعتمد الأمر على ما تؤمنين به".

ينشقُّ الصوت، ويتضاعف، ويخشخش عبر أطراف الأشجار ويتسلل فوق الطحالب، وينطوي على نفسه حتى يصبح في كل مكان.

يتردد الصدى: "أخبريني - أخبريني - أخبريني، هل أنا إبليس - إبليس - أم الظلام - الظلام؟ هل أنا وحش - وحش - أم إله - إله - أم.. ".

تبدأ الظلال في الغابة تتجمع معًا، منسحبة مثل سحب العاصفة.

وحين تستقر، لا تكون الحواف خيوطًا من الدخان، بل خطوطًا صلبة، شكل رجل، يثبت بضوء فوانيس القرية في ظهره.

"أم أنا هذا؟"

يتدفق الصوت من شفتين مثاليتين، ظل يكشف عن عينين خضراوين ترقصان أسفل حاجبين أسودين، وشعر أسود يتدلى عبر جبهته، ويؤطر وجهًا تعرفه أديلين جيدًا. وجهًا استحضرته ألف مرة بالقلم الرصاص والفحم والحلم.

إنه الغريب.

غريبها.

تعرف أنها خدعة، ظلٌّ يسير مثل رجل، لكن منظره لا يزال يحبس أنفاسها. يسقط الظلام على شكله، ويظهر كما لو كان للمرة الأولى، ويبدو أنه يوافق. "آه، الفتاة إذن تؤمن بشيء رغم كل شيء". ترتفع العينان الخضراوان. يقول: "حسنًا الآن، ناديتِ، وقد أتيت".

لا تصلي للآلهة التي تجيب بعد حلول الظلام.

أديلين تعرف - إنها تعرف - لكنه الوحيد الذي أجاب. الوحيد الذي سيساعد.

"هل أنت مستعدة للدفع؟"

الدفع.

الثمن.

الحلقة.

تسقط أديلين على ركبتيها وتفتش في الأرض حتى تعثر على الحبل الجلدي وتخرج حلقة والدها من التربة.

تقدمها للإله، خشبها الباهت ملطخ بالتراب، وهو يقترب. قد يبدو مثل لحم ودم، لكنه لا يزال يتحرك مثل ظل. خطوة واحدة، ويكون هناك، يملأ عينيها، يطوي إحدى يديه حول الحلقة، ويريح الأخرى على خد أديلين. إبهامه يمسح النمش تحت عينها، حافة نجومها.

يقول الظلام، وهو يأخذ الحلقة: "عزيزتي، أنا لا أتعامل مع الحلي". يتفتت الشريط الخشبي في يده، ويسقط بعيدًا، مجرد دخان. يخرج صوت مخنوق من شفتيها - مؤلم جدًّا أن تفقد الحلقة، ومؤلم أكثر أن تراها تمحى من العالم مثل لطخة على الجلد. لكن إذا لم تكن الحلقة كافية، فماذا يكفي؟ تقول: "أرجوك، سأقدم أي شيء".

لا تزال اليد الأخرى للظل تستريح على خدها. يقول وهو يرفع ذقنها: "تفترضين أنني أريد أي شيء. لكني آخذ عملة واحدة فقط". يميل أكثر، عينان خضراوان مشرقتان بشكل مستحيل، وصوته ناعم كالحرير. "الصفقات التي أبرمها، أبرمها مقابل أرواح".

يترنح قلب أديلين في صدرها.

في عقلها، ترى أمها على ركبتيها في الكنيسة، تتحدث عن الله والسماء، تسمع والدها يتحدث، يروي قصص الأمنيات والألغاز. تفكر في إستيل، التي لا تؤمن إلا بشجرة فوق عظامها. من تقول إن الروح ليست أكثر من بذرة عادت إلى التراب - بالرغم من أنها هي التي حذرت من الظلام.

يقول الظلام واسمها ينزلق مثل الطحلب بين أسنانه: "أديلين، أنا هنا. أخبريني الآن بالسبب".

انتظرت وقتًا طويلًا حتى تلتقي به - حتى يرد عليها، وأن تُسأل - وقد خذلتها الكلمات كلها في البداية.

"لا أريد أن أتزوج".

تشعر بأنها صغيرة جدًّا وهي تقول ذلك. تبدو حياتها كلها صغيرة، وترى أن الحُكْم ينعكس في نظرة إله، وكأن النظرة تقول، هل هذا كل شيء؟

لا، إنه أكثر من ذلك. إنه أكثر بالطبع.

تقول بقوة مفاجئة: "لا أريد أن أنتمي إلى شخص آخر"، الكلمات باب يفتح، والآن يتدفق منها الباقي. "لا أريد أن أنتمي إلى أحد غير نفسي. أريد أن أكون حرة. حرة في أن أعيش، وأجد طريقي الخاص، وأحب، أو أن أكون وحيدة، ولكن على الأقل يكون خياري، وقد تعبْتُ تمامًا من عدم وجود خيارات، لذا أفزع من السنوات التي تندفع تحت قدميَّ. لا أريد أن أموت كما عشت، فهذه ليست حياة على الإطلاق. أنا - "

يقاطعها الظل، نافد الصبر: "ما فائدة أن تخبريني بما لا تريدينه؟" تنساب يده عبر شعرها، وتستقر على قفاها، وتقربها: "أخبريني بدلًا من ذلك بأكثر ما تريدينه".

تتطلع: "أريد فرصة للعيش. أريد أن أكون حرة". وتفكر في السنوات التي تفلت منها.

في طرفة عين، انتهى نصف حياتي.

"أريد المزيد من الوقت".

يتأملها، هاتان العينان الخضراوان تغيران الظل، الآن عشب الربيع، الآن ورق الصيف: "كم من الوقت؟"

عقلها يدور. خمسون سنة. مائة. كل رقم يبدو صغيرًا جدًّا.

يقول الظلام وهو يقرأ صمتها: "آه، لا تعرفين". مرة أخرى، تحولت العينان الخضراوان، صارتا أغمق: "تطلبين عن وقت بلا حدود. تريدين حرية بلا قاعدة. تريدين أن تكوني غير مقيدة. تريدين أن تعيشي كما يحلو لك تمامًا".

تقول أديلين: "نعم"، وهي تلهث بالرغبة، لكن تعبير الظل مزعج. تسقط يده من على جلدها، ولم يعد هناك، لكنه يتكئ على شجرة على بعد عدة خطوات.

يقول: "أرفض".

تتراجع أديلين وكأنها صعقت. "ماذا؟" وصلتْ إلى هذا الحد، وقدمت كل ما لديها - واختارت. لا يمكنها العودة إلى ذلك العالم، تلك الحياة، ذلك الحاضر والماضي بدون مستقبل. "لا يمكن أن ترفض".

يرفع حاجبًا غامقًا، لكن لا توجد دعابة في ذلك الوجه.

"أنا لست جنيًا مرتبطًا بأهوائك". يبتعد عن الشجرة. "كما أنني لست روح غابة تافهة، أقنع ببعض الحلي الفانية. إنني أقوى من إلهك وأكبر من إبليس. أنا الظلمة بين النجوم والجذور تحت الأرض. أنا وعد وإمكانية، وحين يتعلق الأمر باللعب، أتكهن بالقواعد، وأضع القطع، وأختار متى ألعب. والليلة أقول لا".

أديلين؟ أديلين؟ أديلين؟

خلف حافة الغابة، أضواء القرية أقرب الآن. هناك مشاعل في الحقل. إنهم قادمون من أجلها.

ينظر الظل بحذر: "اذهبي إلى المنزل، يا أديلين. عودي إلى حياتك الصغيرة".

تتوسل، ممسكة بذراعه: "لماذا؟ لماذا ترفضني؟"

يمرر يده على خدها، الإيماءة ناعمة ودافئة مثل دخان الموقد. "أنا لا أمارس أعمالًا خيرية. تطلبين الكثير. كم سنة تشبعك؟ كم لأحصل على ما أستحق؟ لا أبرم صفقات مع نهايات، وصفقاتك بلا نهايات".

تعود إلى هذه اللحظة ألف مرة.

في الإحباط والندم والحزن والشفقة على الذات والغضب الجامح. سوف تواجه حقيقة أنها لعنت نفسها قبل أن يلعنها.

لكن هنا والآن، كل ما تستطيع رؤيته ضوء شعلة فيون المتوهج، وعينا الغريب الخضراوان اللتان حلمت ذات مرة بحبه، وفرصة الهروب تتلاشى بلمسته.

تقول: "تريد نهاية. إذن خذ حياتي حين تنتهي. يمكن أن تأخذ روحي حين لا أريدها".

يوجه الظل رأسه، مذهولًا فجأة.

ابتسامة - تمامًا مثل الابتسامة في لوحاتها، مرتابة، ومليئة بالأسرار -

"تم"، يهمس أمامها.

وبعد ذلك يسودُ العالم، وهي تسقط.

فيون سور سارت، فرنسا

29 يوليو 1714

X

ترتجف أديلين.

تنظر إلى أسفل وترى أنها تجلس على فراش من أوراق مبللة.

قبل ثانية، كانت تسقط - ثانية واحدة فقط، وهي بالكاد المدة اللازمة لالتقاط أنفاسها - ولكن يبدو أن الوقت قفز إلى الأمام. ذهب الغريب وآخر بقايا الضوء أيضًا. سماء الصيف، حيث تظهر من خلال الأشجار المغطاة، ترقّ إلى اللون الأسود المخملي، الذي يتميز فقط بقمر معلق على ارتفاع منخفض.

تنهض أديلين، وتفحص يديها، وتنظر إلى ما وراء القذارة بحثًا عن علامة من علامات التحول.

لكنها تشعر... بأنها لم تتغير. دوار خفيف، ربما، وكأنها وقفت فجأة، أو شربت كمية كبيرة من النبيذ على معدة فارغة، ولكن بعد لحظة انتهى حتى ذلك الاضطراب، وخلف شعورًا بأن العالم انقلب، لكنه لم يسقط، انحنى، ثم استعاد التوازن، واستقر في الأخدود القديم نفسه.

تلعق شفتيها، متوقعة أن تتذوق الدم، لكن العلامة التي خلفتها أسنان الغريب اختفت، مع كل أثر آخر له.

كيف يمكن للمرء أن يعرف إن كانت التعويذة قد نجحت؟ طلبت وقتًا، حياة - هل عليها أن تنتظر عامًا، أو ثلاثة، أو خمسة، لترى ما إذا كان العمر يترك أي أثر؟ أو تأخذ سكينًا وتقطع جلدها لترى ما إذا كانت ستشفى وكيف تشفى؟ لكن لا، طلبت حياة، وليس حياة سالمة، وإذا صدقت أديلين، فهي تخشى اختبارها، وتخشى أن تجد بشرتها لا تزال مرنة جدًّا، وتخشى أن تعلم أن وعد الظل كان حلمًا، أو ما هو أسوأ، كذبة.

لكنها تعرف شيئًا واحدًا - سواء كانت الصفقة حقيقية أم لا، لن تلتفت إلى رنين أجراس الكنيسة، ولن تتزوج من روجر. ستتحدى عائلتها. ستغادر فيون، إذا كان يجب عليها ذلك. تعرف أنها ستفعل كل ما يتطلبه الأمر الآن، لأنها كانت راغبة في الظلام، وبطريقة أو بأخرى، من هذه اللحظة فصاعدًا، سوف تكون حياتُها ملكًا لها.

الفكرة مثير. مرعبة، لكنها مثيرة، وهي تغادر الغابة.

إنها في منتصف الطريق عبر الحقل قبل أن تدرك مدى هدوء القرية.

مدى ظلمتها.

أطفئت فوانيس الاحتفالات، وتوقفت الأجراس عن الرنين، ولا أصوات تنادي باسمها.

تشق أديلين طريقها إلى البيت، وتزداد الرهبة الباهتة حدة مع كل خطوة. حين تصل إلى هناك، يطن عقلها بالقلق. الباب الأمامي مفتوح، ينبعث منه الضوء على الطريق، ويمكن أن تسمع أمها تدمدم في المطبخ، ووالدها يقطع الخشب حول جانب المنزل. ليلة عادية، أخطأت في حقيقة أنها لم يكن من المستهدف أن تكون ليلة عادية.

تقول وهي تدخل: "ماما!"

يتحطم طبق على الأرض، وأمها تصرخ، ليس من الألم، ولكن مندهشة، وجهها يتلوى.

تسأل: "ماذا تفعلين هنا؟" وها هو الغضب الذي توقعته آدي. ها هو الفزع.

تبدأ قائلة: " آسفة. أعرف لابد أنك جُنِنْتِ، لكنني لم أستطع -"

"من أنت؟"

الكلمات هسهسة، وقد أدركت حينها أن النظرة المخيفة على وجه أمها ليست غضب أم محتقرة، بل غضب امرأة مفزوعة.

"ماما!"

تنقبض أمها من الكلمة ذاتها: "اخرجي من بيتي".

لكن أديلين تعبر الغرفة، وتمسكها من كتفيها. "لا تكوني سخيفة. إنها أنا، أ- "

إنها على وشك أن تقول أديلين.

في الواقع، تحاول. لا ينبغي أن تكون المقاطع الثلاثة بمثابة جبل تتسلقه، لكنها تتنفس بنهاية المقطع الأول، غير قادرة على نطق الثاني. يتحول الهواء إلى حجر في حلقها، وتختنق وتصمت. تحاول مرة أخرى، هذه المرة تحاول أن تنطق آدي، أخيرًا اسم عائلتها، لارو، لكن لا فائدة. تتعرض الكلمات لمأزق بين عقلها ولسانها. ومع ذلك، في المرة الثانية التي تتنفس فيها لتنطق كلمة أخرى، أي كلمة أخرى، تكون الرئتان ممتلئتين والحلق رخوًا.

تتوسل أمها: "اتركيني".

"ما هذا؟" يسأل صوت منخفض وعميق. الصوت الذي هدأ أديلين في ليالي المرض، وكان يروي لها القصص وهي تجلس على أرضية متجره.

يقف والدها في المدخل وذراعاه محملتان بالخشب.

تقول: "بابا"، يتراجع، وكأن الكلمة حادة.

تنتحب أمها: "المرأة مجنونة. أو ملعونة".

تقول مرة أخرى: "أنا ابنتكما".

يتجهم والدها: "ليس لدينا أبناء".

هذه الكلمات، سكين باردة. جرح أكثر عمقًا.

تقول أديلين: "لا"، وهي تهز رأسها من عبثية الموقف. إنها في الثالثة والعشرين، وقد عاشت كل يوم وكل ليلة تحت هذا السقف. "تعرفانني".

كيف لا يستطيعان؟ كان التشابه بينهم شديدًا دائمًا، عينا والدها، وذقن أمها، وجبين أحدهما وشفتا الآخر، كل قطعة منسوخة بوضوح من مصدرها.

إنهما يريانها أيضًا، لابد.

لكن بالنسبة لهما، هذا مجرد دليل على الشيطانية.

ترسم أمها علامة الصليب ويدا والدها حولها، وتريد أن تغوص في قوة عناقه، لكن لا يوجد دفء وهو يجرها إلى الباب.

تتوسل: "لا".

تبكي أمها الآن، وإحدى يديها على فمها والأخرى تمسك بالصليب الخشبي حول رقبتها، وهي تسمي ابنتها شيطانة، وحشًا، مجنونة، ووالدها لا ينطق، يمسك فقط ذراعها بقوة وهو يسحبها من المنزل.

يقول: "ابتعدي"، الكلمة شبه توسل.

يكتسح الحزن وجهه، لكن ليس من النوع الذي يأتي بالمعرفة. لا، إنه الحزن المخصص للأشياء المفقودة، شجرة مزقتها العاصفة، حصان أعرج، نحت شق بضربة واحدة قبل أن يتم.

تتوسل: "من فضلك. بابا-"

يقسو وجهه وهو يجبرها على الخروج في الظلام ويغلق الباب. المزلاج يحكم غلق البيت. تتعثر أديلين وترتجف من الصدمة والرعب. ثم تستدير وتجري.

"إستيل".

يبدأ الاسم كصلاة، ناعمة وخاصة، وينمو إلى صراخ مع اقتراب أديلين من كوخ المرأة.

"إستيل!"

يضيء المصباح في الداخل، وحين تصل إلى حافة الضوء، تقف المرأة العجوز في المدخل المفتوح، في انتظار المنادي.

تسأل إستيل بحذر: "هل أنت غريبة أم روح؟"

تقول أديلين: "لا هذا ولا ذاك"، بالرغم من أنها تعرف كيف تبدو. فستانها ممزق، وشعرها جامح، تتدفق كلمات مثل السحر على الدرج. "أنا من لحم ودم وإنسانة، وقد عرفتك طول حياتي. تصنعين سحرًا في شكل أطفال لإبقائهم بحالة جيدة في الشتاء. تعتقدين أن الخوخ أحلى فاكهة، وأن جدران الكنيسة سميكة للغاية بحيث لا يمكن للدعاء أن يمر خلالها، ولا تريدين أن تدفني تحت حجر، ولكن في بقعة من الظل تحت شجرة كبيرة".

يومض شيء ما عبر وجه المرأة العجوز، وتحبس أديلين أنفاسها، على أمل أن يكون ذلك اعترافًا. لكنه قصير للغاية.

تقول إستيل: "أنت روح ذكية، لكنك لن تعبري هذا الموقد".

تصرخ أديلين: "لست روحًا!" مندفعة إلى ضوء باب المرأة العجوز. "حدثتني عن الآلهة القديمة، وكل طرق استدعائهم، لكني ارتكبت خطأ. لم يجيبوا، وكانت الشمس تغرب بسرعة". تلف ذراعيها بإحكام حول ضلوعها، غير قادرة على التوقف عن الاهتزاز. "صليت بعد فوات الأوان، وأجابني شيء، والآن كل شيء خطأ".

توبخها إستيل: "فتاة حمقاء"، تبدو على طبيعتها. يبدو وكأنها تعرفها.

"ماذا أفعل؟ كيف أصلح الأمر؟"

لكن المرأة العجوز تهز رأسها فقط. تقول: "الظلام يلعب لعبته الخاصة". تقول: "يضع قواعده الخاصة. وقد خسرْتِ".

وهنا تدخل إستيل إلى منزلها.

تنادي أديلين: "انتظري!" والمرأة العجوز تغلق الباب. الترباس يغلق البيت.

تقذف أديلين نفسها على الخشب، تبكي حتى تنهار ساقاها، وتزحف على ركبتيها على درجات الحجر البارد، ولا تزال قبضة واحدة تضرب على الخشب.

وبعد ذلك، فجأة، تراجع الترباس.

ينفتح الباب، وتقف إستيل أمامها.

"ما هذا؟" تسأل وهي تستطلع الفتاة مطوية على سلمها.

تنظر إليها المرأة العجوز وكأنهما لم يلتقيا قط. تمحى اللحظات السابقة في لحظة وباب يغلق.

تنقل نظراتها المتغضنة على فستان الزفاف الملطخ، والشعر البري، والأوساخ تحت أظافرها، لكن لا يبدو على وجهها أنها تعرفها، مجرد فضول حذر.

"هل أنت روح؟ أم غريبة؟"

تغمض أديلين عينيها. ماذا يحدث؟ لا يزال اسمها صخرة عميقة، وحين كانت روحًا، نُفِيتْ، لذا تبلع ريقها بصعوبة وترد: "غريبة". تبدأ الدموع في التدفق على وجه أديلين. تمكنت من أن تقول: "من فضلك. ليس لدي مكان أذهب اليه".

تنظر المرأة العجوز إليها لبرهة ثم تومئ برأسها.

تقول: "انتظري هنا"، وهي تتسلل إلى المنزل، ولن تعرف أديلين أبدًا ما الذي كانت تفعله إستيل في ذلك الوقت، لأن الباب يغلق ويبقى مغلقًا، وتُركت راكعة على ركبتيها على الأرض، ترتجف من الصدمة أكثر مما ترتجف من البرد.

لا تعرف كم من الوقت تجلس هناك، لكن ساقيها متصلبتان حين تجبرهما على تحمل وزنها. تنهض وتتجاوز منزل المرأة العجوز إلى صف الأشجار وراءها، متجاوزة حافة حراسها في الظلام المزدحم.

تنادي: "اظهر!"

لكن هناك فقط تأرجح الريش، وخشخشة الأوراق، تموج الغابة المضطربة أثناء النوم. تستحضر وجهه، هاتين العينين الخضراوين، تلك الخصلات السوداء، تحاول استعادة شكل الظلام مرة أخرى، لكن اللحظات تمر، وهي لا تزال وحيدة.

لا أريد أن أنتمي لأي شخص.

توغل أديلين في الغابة. هذا امتداد من الأشجار البرية، والأرضية عش من العليق والأغصان. تتخبط في ساقيها العاريتين، لكنها لا تتوقف، حتى تغلق الأشجار من حولها، وأغصانها تحجب القمر فوقها.

تصرخ: "أناديك!"

لست جنيًا مرتبطًا بأهوائك.

يرتفع طرف منخفض، نصف مدفون في أرضية الغابة، بما يكفي ليحمل قدميها، وتنزل بقوة، وتضرب ركبتيها الأرض الممزقة ويداها تمزقان التربة المليئة بالأعشاب.

من فضلك، سأقدم أي شيء.

ثم تأتي الدموع مفاجئة وشديدة. حمقاء. حمقاء. حمقاء. تدق بقبضتيها على الأرض.

تفكر، هذه خدعة حقيرة، حلم مروع، لكنها ستنتهي.

هذه هي طبيعة الأحلام. لا تدوم.

تهمس في الظلام: "استيقظي".

استيقظي.

تلتف أديلين في أرضية الغابة، وتغمض عينيها، وترى خدي أمها ملطختين بالدموع، وحزن والدها الأجوف، ونظرة إستيل المرهقة. ترى الظلام، تبتسم. تسمع صوته وهو يهمس بتلك الكلمة المنفردة المُلزمة.

تم.

مدينة نيويورك

10 مارس 2014

XI

يهبط طبق طائر على العشب القريب.

تسمع آدي وقع أقدام وهي تفتح عينيها في الوقت المناسب لترى أنفًا أسود عملاقًا يندفع على وجهها قبل أن يغطيها الكلب بقبلات مبللة. تضحك وتجلس، وتداعب بأصابعها الفراء الكثيف، وتمسك الكلب من طوقه قبل أن يتمكن من أخذ على الكيس الورقي وبه الكعكة الثانية.

تقول: "مرحبًا"، بينما يعتذر شخص عبر المنتزه.

تقذف الطبق الطائر في اتجاههم، ويبتعد الكلب مرة أخرى. ترتجف آدي، مستيقظة فجأة، وهي تشعر بالبرد.

إنها مشكلة مارس – الدفء لا يدوم أبدًا. هناك هذا الامتداد الضيق حين يبدو مثل الربيع، وهو ما يكفي للشعور بالدفء إذا كان المرء يجلس في الشمس، ثم يختفي. تحركت الشمس. اجتاحت الظلال المكان. ترتجف آدي مرة أخرى، وتندفع من العشب، وتنفض طماقها.

كان يجب أن تسرق بنطلونًا ثقيلًا.

تدفع آدي الكيس الورقي في جيبها، وتضع كتاب فريد تحت ذراعها وتهجر الحديقة، متجهة شرقًا إلى يونيون باتجاه الواجهة البحرية.

في منتصف الطريق، تتوقف على صوت كمان، وتلتقط النغمات مثل فاكهة ناضجة.

على الرصيف، تجلس امرأة على كرسي، والآلة مطوية أسفل ذقنها. اللحن حلو وبطيء، يعيد آدي إلى مارسيليا، إلى بودابست، إلى دبلن.

يتجمع بعض الناس للاستماع، وحين تنتهي الأغنية، يمتلئ الرصيف بالتصفيق اللطيف والأجساد العابرة. تخرج آدي آخر فكة من جيبها، وتسقطها في العلبة المفتوحة، وتواصل، أخف، وأكثر امتلاء. حين تصل إلى المسرح في كوبل هيل، تتحقق من الجدول الزمني المنشور ثم تفتح الباب، مما يسرع من وتيرتها وهي تعبر البهو المزدحم.

تقول آدي: "مرحبًا"، وهي تشير إلى صبي في سن المراهقة معه مكنسة. "أعتقد أنني تركت محفظتي في المسرح الثالث".

الكذب سهل ما دام المرء يختار الكلمات المناسبة.

يلوح لها بدون أن يرفع عينيه، وهي تنحني تحت حبل حامل التذاكر المخملي وفي القاعة المظلمة، يتلاشى الإلحاح مع كل خطوة. يتدحرج الرعد الخافت تحت أبواب فيلم أكشن. والموسيقى تتسرب إلى القاعة من كوميديا رومانسية. ارتفاع الأصوات وانخفاضها، والنتائج. تتجول في الممر، تتفحص ملصقات ما يعرض قريبًا والأشرطة التي تعلن عن العروض فوق كل باب. رأتها كلها عشرات المرات، لكنها لا تهتم.

يجب أن تظهر الأسماء على الشاشة رقم خمسة، لأن الأبواب تفتح، ويتدفق تيار من الناس إلى الممر. تتسلل آدي بجانبهم، إلى غرفة التفريغ، وتجد دلوًا مقلوبًا من الفشار في الصف الثاني، وحصوات ذهبية تتناثر على الأرضية اللزجة. تأخذها بسرعة وتعود إلى الردهة، وكشك البيع، تنتظر في صف خلف ثلاث فتيات قبل أن تصل إلى الكاونتر، الذي يجلس الصبي خلفه.

تمرر يدها خلال شعرها، وتنفشه قليلاً، وتنفث أنفاسها.

تقول: "آسفة، ركل صبي صغير الفشار الذي معي". تهز رأسها، فيهز رأسه، مقلدًا، ومرددًا سخطها. "هل هناك أي طريقة يمكنك من خلالها تحصيل تكلفة إعادة الملء بدلًا من..". تضع يدها بالفعل في جيبها، وكأنها تسحب محفظة، لكن الصبي يأخذ الكيس.

يقول، وهو يلقي نظرة سريعة حوله: "لا تقلقي بشأنه، رأيتك".

تبتسم آدي. وتقول: "أنت نجم"، وهي تضع عينيها في عينيه، ويحمر الصبي خجلًا بشدة، ويتلعثم بأنه لا توجد مشكلة حقًا، لا توجد مشكلة إطلاقًا، حتى وهو يفتش الردهة بحثًا عن مشرف. يفرغ ما تبقى من الفشار المسكوب ويملأه طازجًا، ويمرره وكأنه سر عبر الكاونتر.

"استمتعي بالعرض".

من بين جميع الاختراعات التي شاهدتها آدي تدخل العالم - القطارات التي تعمل بالبخار، والأضواء الكهربائية، والتصوير الفوتوغرافي، والتليفونات، والطائرات، وأجهزة الكمبيوتر - قد تكون الأفلام الاختراع المفضل لديها.

الكتب رائعة، محمولة، تدوم، لكنها تجلس هناك، في المسرح المظلم، الشاشة العريضة تملأ بصرها، العالم يسقط، ولبضع ساعات قصيرة تكون شخصية أخرى، تغرق في الرومانسية والمكيدة والكوميديا والمغامرة. كل ذلك كامل مع صورة بدقة 4000 بكسل وصوت ستيريو. يملأ ثقل هادئ صدرها حين تعرض الأسماء على الشاشة. كانت عديمة الوزن لبعض الوقت، لكنها الآن تعود كما كانت، تغوص حتى تقف بقدميها على الأرض.

وآدي تخرج من المسرح، تكون الساعة السادسة تقريبًا، والشمس تغرب.

تشق طريقها عائدة عبر الشوارع التي تصطف على جانبيها الأشجار، مرورًا بالمتنزه، والسوق المغلق الآن وقد اختفت الأكشاك بالفعل، ونحو الطاولة الخضراء الصدئة على الحافة الأخرى. فريد ما زال جالسًا على كرسيه، يقرأ م.

تغير نمط وضع الكتب على الطاولة قليلًا، مساحة فارغة هنا حيث بيع كتاب، وترتفع أخرى حيث أضيف آخر. ينخفض الضوء، وسرعان ما يكون عليه أن يدخل وقد حزم الصناديق وحملها واحدًا بعد الآخر إلى المنزل، وصعد الطابقين إلى غرفة نومه. عرضت آدي المساعدة عدة مرات، لكن فريد يصر على القيام بذلك بنفسه. صدى آخر لإستيل. عنيد كالخبز الناشف.

تنحني آدي بجانب الطاولة، وتنهض وهي تحمل الكتاب المُستعار في يدها، كما لو كان قد سقط في النهاية ببساطة. تعيده إلى موضعه، حريصة على عدم قلب الكومة، ولابد أن فريد يلاحظ الوضع جيدًا، لأنه يهمهم بدون أن ينظر إليها، أو إلى الكتاب، أو الحقيبة الورقية التي تضعها على القمة، التي بداخلها كعكة الشوكولاتة.

إنه النوع الوحيد الذي يعجبه.

كانت كانداس تؤذيه دائمًا بأطعمة حلوة، كما أخبر آدي ذات صباح، قال إن ذلك سيقتله، لكن الحياة عاهرة بحس دعابة ملتوية - لأنها ذهبت، وما زال يأكل القذارة (كلماته، وليست كلماتها).

تنخفض درجة الحرارة، وتضع آدي يديها في جيوبها وتتمنى ليلة سعيدة لفريد قبل أن تستمر في نزول البناية، وظهرها إلى الشمس الغاربة وظلها طويل أمامها.

يحل الظلام حين تصل فيه آدي إلى ألواي - أحد تلك الأماكن التي يبدو أنها تستمتع بمكانتها كحاجز للغطس dive bar، وهي سمعة تلطخت بسبب حقيقة أنها أصبحت مفضلة بين النجوم الذين تريد أن تبدو بروكلين بهذا الشكل. حفنة من الناس يتجولون على الرصيف ويدخنون ويتحدثون وينتظرون الأصدقاء وتبقى آدي بينهم لحظة. إنها تتسول سيجارة، لمجرد أن يكون هناك ما تفعله، مقاومة السحب السهل للباب لأطول فترة ممكنة، ذلك الإحساس المألوف، ديجا فو.[6]

إنها تعرف هذا الطريق.

تعرف إلى أين يؤدي.

في الداخل، تتشكل ألواي على شكل زجاجة ويسكي، الجذع الضيق للمدخل، ويتسع الشريط الخشبي الداكن إلى غرفة من الطاولات والكراسي. تجلس على الكاونتر. الرجل الذي على يسارها يشتري لها شرابًا فتتركه.

يقول الرجل: "دعيني أخمن. روزيه؟"

وهي تفكر في طلب الويسكي فقط لترى المفاجأة على وجهه، لكنه لم يكن مشروبها قط؛ كانت تذهب دائمًا لتشعر بأن أحدًا ينجذب إليها.

"شامبانيا".

يطلب، ويجريان محادثة قصيرة حتى يتلقى مكالمة، ويبتعد، واعدًا بالعودة. تعرف أنه لن يعود، وهي ممتنة لذلك لأنها تحتسي مشروبها وتنتظر أن يصعد توبي إلى المسرح.

---

6 ديجا فو déjà vu: بالفرنسية في الأصل، والتعبير يعني الشعور بأن المرء قد سبق له أن رأى ما يراه الآن.

يجلس، وركبته مرفوعة لتثبيت الجيتار، وتومض تلك الابتسامة الخجول، كأنها اعتذار. لم يتعلم بعد كيف يحتل مساحة، لكنها واثقة من أنه سيتعلم. ينظر إلى الحشد الصغير قبل أن يبدأ العزف، وتغمض آدي عينيها وتتلاشى في الموسيقى. يعزف ألحانًا قليلة. لحنًا من ألحانه الشعبية. ثم هذا.

تطفو الأوتار الأولى خلال ألواي، وتعود آدي إلى مكانه. تجلس أمام البيانو، تضبط النغمات، وهو بجانبها، وأصابعه ملفوفة على أصابعها.

تتجمع الآن الكلمات المتوارية في اللحن. تصبح كلماته. إنها مثل الشجرة، تمد جذورها. سوف يتذكر، بنفسه؛ ليست هي، بالطبع - ليست هي، ولكن هذه. أغنيتها.

انتهى الأمر، وحل التصفيق مكان الموسيقى، ويتسلل توبي إلى الحانة، ويطلب جاك وكولا لأنهم سيعطيانها له مجانًا، وفي مكان ما بين الرشفة الأولى والثالثة يراها، ويبتسم، وللحظة، تفكر آدي - تأمل، حتى الآن - أن يتذكر شيئًا، لأنه ينظر إليها وكأنه يعرفها، لكن الحقيقة ببساطة أنه يريد أن يعرفها؛ يمكن أن تبدو الجاذبية مثل التعرف إلى حد بعيد في الضوء السيء.

يقول توبي: "آسف"، ويحني رأسه كما يحنيه كلما شعر بالحرج. كما حناه ذلك الصباح حين وجدها في غرفة معيشته.

شخص ما يلمس كتف آدي حين يتخطاها وهو يبحث إلى باب البار.

تغمض عينيها، ويسقط الحلم.

لم تدخل. لا تزال تقف في الشارع، السيجارة محترقة تمامًا بين أصابعها.

يفتح رجل الباب: "تدخلين؟"

تهز آدي رأسها، وتجبر نفسها على التراجع بعيدًا عن الباب والبار، والصبي على وشك أن يصعد إلى المسرح. تقول: "ليس الليلة".

الارتفاع لا يستحق السقوط.

مدينة نيويورك

10 مارس 2014

XII

يهبط الليل على آدي وهي تعبر جسر بروكلين.

تراجعت بشائر الربيع مثل المد، وحل محلها برد شتوي رطب مرة أخرى، فتسحب سترتها عن قرب، وتتنفس الضباب وهي تبدأ السير في الامتداد الطويل على طول منهاتن.

سيكون من السهل ركوب مترو الأنفاق، لكن آدي لم يعجبها قط أن تكون تحت الأرض، حيث الهواء خانق وفاسد، والأنفاق تشبه المقابر إلى حد كبير. لم يعجبها أن تحاصر وتدفن حية، هذا ما يخيف المرء حين لا يستطيع الموت. بالإضافة إلى أنها لا تمانع في أن تمشـي، وتعرف قوة أطرافها، وتستمتع بالتعب الذي اعتادت أن ترهبه.

ومع ذلك، فات الأوان، وخداها خدران، وساقاها مرهقتان، حين تصل فيه إلى باكستر في السادس والخمسين.

يمسك بالباب رجل يرتدي معطفًا رماديًا مزركشًا، وهي تشعر بتنميل في جلدها عند التدفق المفاجئ للحرارة المركزية وهي تخطو إلى ردهة باكستر الرخامية. إنها تحلم بالفعل بدش ساخن وسرير ناعم، وتتحرك بالفعل نحو المصعد المفتوح، حين ينهض الرجل الموجود خلف المكتب من مقعده.

يقول: "مساء الخير. هل يمكن أن أساعدك؟"

تقول، بدون تباطؤ: "أريد أن أرى جيمس، الطابق الثالث والعشرون".

يقطب الرجل جبينه: "إنه ليس هنا".

تقول وهي تدخل المصعد: "أفضل".

ينادي، وهو يبدأ متابعتها: "مدام، لا يمكنك فقط -" لكن الأبواب تغلق بالفعل. يعرف أنه لن ينجح، ويعود بالفعل إلى المكتب، ويرفع التليفون للاتصال بالأمن، وهذا آخر ما تراه قبل أن تغلق الأبواب بينهما. ربما يضع التليفون على أذنه، حتى يبدأ في الاتصال قبل أن تفلت الفكرة من عقله، وبعد ذلك سينظر إلى السماعة في يده ويتساءل عما كان يفكر فيه، يعتذر بشدة للصوت الموجود على الخط قبل أن يغطس مرة أخرى في مقعده.

الشقة ملك جيمس سانت كلير.

التقيا في مقهى في وسط المدينة قبل شهرين. كانت كل المقاعد مشغولة حين جاء، خصلات من الشعر الأشقر تهرب من حاشية قبعة الشتاء، والنظارة مضببة من البرد. في ذلك اليوم، كانت آدي اسمها ريبيكا، وقبل حتى أن يقدم نفسه، سأل جيمس عما إذا كان يمكن أن يشاركها طاولتها، ورأى أنها كانت تقرأ رواية عزيزي لكوليت، ونجح في قراءة بضعة أسطر من الفرنسية المكسورة والخجولة. جلس، وسرعان ما أفسحت الابتسامات السهلة الطريق لمحادثة سهلة. عجيب، كيف يستغرق بعض الناس عمرًا للشعور بالدفء، ويدخل البعض الآخر ببساطة إلى كل مكان كما لو كان بيتهم.

كان جيمس من هذا النوع، يثير الإعجاب على الفور.

حين سأل، قالت إنها شاعرة (كذبة سهلة، حيث لم يسألها أحد قط عن دليل)، وأخبرها أنه يتنقل بين الوظائف، وشربت قهوتها ببطء شديد، لكن كوبها فرغت في النهاية، وكذلك كوبه، وكان العملاء الجدد يدورون، مثل الصقور، بحثًا عن الكراسي، لكن حين بدأ ينهض، شعرت بذلك الحزن القديم المألوف. سألها جيمس إن كانت ترغب في آيس كريم، وبالرغم من أنه يناير، والأرض في الخارج ملطخة بالثلج وملح الرصف، قالت آدي إنها ترغب، وحين وقفا هذه المرة، وقفا معًا.

الآن تكتب الرمز المكون من ستة أرقام في لوحة المفاتيح الموجودة على بابه وتدخل.

تضيء الأضواء كاشفة عن أرضيات خشبية شاحبة وطاولات رخامية نظيفة وستائر وأثاث يبدو أنه لم يستخدم بعد. كرسي مرتفع الظهر. أريكة كريمي. طاولة مكدسة بعناية بالكتب.

تفك سوستة بوتها، وتخلعه بجوار الباب، وتسير حافية في الشقة، وتلقي سترتها على ذراع كرسي. في المطبخ، تصب لنفسها كأسًا من الميرلو، وتأتي بكتلة من جبن الجرويير من درج الثلاجة وعلبة من الرقائق اللذيذة من الخزانة، وتحمل مهامها المؤقتة إلى غرفة المعيشة، والمدينة تظهر من النوافذ التي تمتد من الأرضية حتى السقف.

تقلب آدي في تسجيلاته، وتضغط على المطربة بيلي هوليداي، وتتراجع إلى الأريكة الكريمي، والركبتان مطويتان تحتها وهي تأكل.

تحب مكانًا بهذا الشكل. تحب مكانًا خاصًا بها. سريرًا مناسبًا لجسمها. خزانة ملابس مليئة بالملابس. منزلًا مزين بعلامات من الحياة التي عاشتها، والدليل المادي للذاكرة. لكنها لا تستطيع الاحتفاظ بأي شيء لفترة طويلة.

لا يبدو الأمر وكأنها لم تحاول.

على مر السنين، جمعت كتبًا، وكنزت أعمالًا فنية، وأخفت ثيابًا جميلة في صناديق وأغلقت عليها. ولكن بغض النظر عما تفعله، تختفي الأشياء دائمًا. تتلاشى، شيئًا بعد الآخر، أو تتلاشى كلها مرة واحدة، تسرق في ظروف غريبة، أو بفعل الزمن ببساطة. فقط في نيو أورلينز كان لها بيت، وحتى هذا لم يكن بيتها، بل بيتهم، وذهب.

الحلقة الشيء الوحيد الذي يبدو أنها لا يمكن أن تتخلص منها.

كان هناك وقت لم تستطع تحمل التخلي عنها مرة أخرى. وقت حزنت فيه على خسارتها. وقت كان قلبها يحلق ليحتفظ بها، هكذا بعد عدة عقود.

الآن، لا يمكن أن تتحمل رؤيتها. إنها وزن مزعج في جيبها، وتذكير مزعج بخسارة أخرى. وفي كل مرة تلمس أصابعها الخشب، تشعر بالظلام يُقبِّل عقلة إصبعها ويسحب الشريط مرة أخرى.

أفهم؟ نحن متعادلان الآن.

ترتعد آدي، وترج كأسها، فتتناثر قطرات من النبيذ الأحمر على الحافة، وتهبط مثل الدم على الأريكة الكريمي. لا تلعن، ولا تقفز على قدميها لجلب المياه الغازية ومنشفة. تراقب ببساطة البقعة وهي تتسرب إلى الداخل وتنتهي وتختفي. وكأن البقعة لم توجد قط.

وكأنها هي نفسها لم توجد قط.

تنهض آدي، وتذهب لتستحم، وتزيل وسخ المدينة بالزيت المعطر، وتنظف نفسها بصابونة بمائة دولار.

حين ينزلق كل شيء من بين أصابع المرء، يتعلم الإحساس بالأشياء اللطيفة على راحته.

تستقر مرة أخرى في الحوض وتتنهد وتتنفس في رذاذ من الخزامى والنعناع.

ذهبا، هي وجيمس، لشراء الآيس كريم في ذلك اليوم، وأكلاه في المحل، وانحنى الرأسان معًا وكل منهما يسرق طبقات من كوب الآخر. كانت قبعته ملقاة على الطاولة، وشعره الأشقر على الشاشة بالكامل، وكان مذهلًا، نعم، لكن الأمر استغرق منها برهة لملاحظة المظهر.

اعتادت آدي على إلقاء نظرات عابرة - ملامحها حادة، لكنها أنثوية، وعيناها ساطعتان فوق كوكبة النمش على خديها، نوع من الجمال الخالد، كما قيل لها - لكن هذا كان مختلفًا. كان الرأسان يدوران. دامت النظرات. وحين تساءلت عن السبب، نظر إليها بدهشة مبهجة، واعترف بأنه، في الواقع، ممثل - في عرض يحظى حاليًا بشعبية كبيرة. احمرَّ خجلًا وهو يقول ذلك، ونظر بعيدًا، ثم عاد ليفحص وجهها، وكأنه استعد لتغيير أساسي. لكن آدي لم تشاهد أعماله قط، وحتى لو كانت قد شاهدتها، فهي ليست ممن يحمرون خجلًا أمام الشهرة. عاشت طويلًا، وعرفت فنانين كثيرين. وحتى مع ذلك، أو ربما أكثر من ذلك، تفضل آدي الذين لم يكتملوا بعد، الذين ما زالوا يبحثون عن شكلهم.

وهكذا استمر جيمس وآدي.

أزعجته بشأن حذائه، وسترته، ونظارته بالإطار السلكي.

أخبرها أنه ولد في العقد الخطأ.

أخبرته أنها ولدت في القرن الخطأ.

ضحك ولم تضحك، ولكن كان في أسلوبه شيء قديم. في السادسة والعشرين فقط، ولكن حين تحدث، كان الإيقاع سهلًا، الدقة البطيئة، لرجل عرف قيمة صوته، ينتمي إلى فئة الشباب الذين يرتدون ملابس مثل آبائهم، تمثيلية أولئك الذي يتوقون بشدة إلى أن يكبروا.

رأت هوليود ذلك أيضًا. استمر في الحصول على دور من فترة إلى أخرى.

قال مازحًا: "حصلْتُ على وجه جبّار".

ابتسمت آدي. "أفضل من وجه راديو".

وحين خرجا مرة أخرى، يدا بيد، كانا متآمرين، دائخين بمعرفتهما الخاصة. لم تقلق من أن تُلاحظ، أو تُرى، كانت تعلم أنه إذا كانت هناك صور، فلن تظهر أبدًا.

(كانت هناك صور، لكن وجهها كان دائمًا متحركًا أو محجوبًا بشكل مريح، وظلت فتاة غامضة في الصحف الشعبية على مدار الأسبوع التالي، حتى انتقلت العناوين الرئيسية حتمًا إلى أمر أكثر إثارة).

عادا إلى هنا، إلى شقته في باكستر، لتناول مشروب. كانت طاولاته مغطاة بسلسلة من الكتب والأوراق، وكلها تتعلق بالحرب العالمية الثانية. قال لها إنه كان يستعد لدور ما، وهو يقرأ كل تعليق مباشر يمكنه العثور عليه. أطلعها على هذه النسخ المطبوعة، وقالت آدي إنها فتنت بالحرب، وعرفت بعض القصص، وحكتها كما لو كانت قصص شخص آخر، خبرة شخص غريبة وليست خبرتها. استمع جيمس، منزويًا في زاوية الأريكة الكريمي، وعيناه مغلقتان، وكأس من الويسكي متوازنة على صدره وهي تتحدث.

ناما جنبًا إلى جنب في سرير كبير، وكل منهما في ظل دفء الآخر، وفي صباح اليوم التالي، استيقظت آدي قبل الفجر وابتعدت، وجنبت الاثنين الانزعاج بسبب الوداع.

لديها إحساس بأنهما كانا صديقين. إذا تذكَّر. تحاول ألا تفكر في الأمر - إنها تقسم أحيانًا أن ذاكرتها تسير للأمام كما تعود للخلف، وهي تتأرجح لتظهر الطرق التي لن تسافر إليها أبدًا. لكن بهذه الطريقة يكمن الجنون، وقد تعلمت ألا تتبعها.

عادت الآن إلى هنا، لكنه لم يعد.

تلتفُّ آدي بروب من نسيج فخم من أرواب جيمس، وتفتح الأبواب الفرنسية، وتخرج إلى بلكونة غرفة النوم. تشتد الريح، والبرد يلسع باطن قدميها الحافيتين. تمتد المدينة من حولها مثل سماء منخفضة ليلًا، مليئة بالنجوم الاصطناعية، وهي تدفع يديها في جيوب الروب، وتحسس عليه، وتريح يديها في قاع الطية الفارغة.

دائرة صغيرة من الخشب الأملس.

تتنهد، وتغلق يدها حول الحلقة، وتسحبها للخارج، وتميل بمرفقيها على البلكونة، وتجبر نفسها على النظر إلى الشريط في راحة يدها المفتوحة، لتفحصه، وكأنها لم تحفظ في ذاكرتها بالفعل كل التواء واعوجاج فيه. تتعقب المنحنى بيدها الحرة، وتقاوم الرغبة في أن تدحرج الشريط إلى إصبعها. فكرت في ذلك، بالطبع، في لحظات الظلمة، لحظات التعب، لكنها لن تكون من يكسره.

تقلب يدها، وتترك الحلقة تسقط على حافة البلكونة، إلى أسفل، إلى أسفل، في الظلام.

عائدة إلى الداخل، تصب آدي لنفسها كأسًا أخرى من النبيذ وتصعد على السرير الفخم، وتلتف تحت اللحاف السفلي وبين الملاءات المصرية، وتتمنى لو ذهبت إلى ألواي، وتتمنى لو جلست في البار وانتظرت توبي، بخصلاته الفوضوية وابتسامته الخجول. توبي، الذي تفوح منه رائحة العسل، ويعزف على الأجساد وكأنها آلات موسيقية، ويشغل مساحة كبيرة في السرير.

فيون سور سارت، فرنسا

30 يوليو 1714

XIII

تهز يد أديلين وتوقظها.

إنها، للحظة، في غير مكانها، وقد نفد الوقت. يتشبث النوم بأطرافها، ومعه الحلم - لابدَّ أنه كان حلمًا - بصلوات قُدِّمتْ لآلهة صامتة، وصفقات عُقِدتْ في الظلام، وبالنسيان.

كان خيالها حيًّا دائمًا.

يقول صوت: "استيقظي"، صوت عرفته طول حياتها.

اليد مرة أخرى، ثابتة على كتفها، وهي تبعد عن عينيها آخر رغبة في النوم لتجد الألواح الخشبية لسقف الحظيرة، والقش يخرق جلدها، وإيزابيل تركع بجانبها، وشعر أشقر مضفر في تاج، وحواجب مشدودة بقلق. تضاءل وجهها قليلًا مع كل طفل، وكل ولادة تسرق المزيد من حياتها.

"انهضي، يا حمقاء".

هذا ما ينبغي أن تقوله إيزابيل، خفف العطف في صوتها من حدة التأنيب. لكن شفتيها مضمومتان بقلق، وجبينها مجعد باهتمام. عبست دائمًا بهذا الشكل، تمامًا، بوجهها كله، ولكن حين تمد أديلين يدها لتضغط إبهامًا في المسافة بين حاجبي الفتاة الأخرى (لتهدئة القلق، كما هدأته من قبل ألف مرة) تتراجع إيزابيل إلى الخلف مبتعدة عن لمسة شخص غريب.

ليس حلمًا إذن.

تلتفت إيزابيل وتنادي: "ماثيو"، وترى أديلين ابنها البكر يقف عند باب الحظيرة المفتوح، ممسكًا بدلو. "اذهب وأحضرْ بطانية".

يتلاشى الصبي في الشمس.

تسأل إيزابيل: "من أنت؟" وتبدأ أديلين الإجابة، ناسية أن الاسم لن يأتي. يقف في حلقها.

تضغط إيزابيل: "ماذا حدث لك؟ هل أنت تائه؟"

تومئ أديلين.

"من أين أتيت؟"

"من هنا".

مكتبة
t.me/soramnqraa

يزداد عبوس إيزابيل. "فيون؟ لكن هذا غير ممكن. كنا سنلتقي. عشْتُ هنا طول حياتي".

تهمهم: "وأنا كذلك"، ولابد أن إيزابيل ترى الحقيقة وهْمًا، لأنها تهز رأسها وكأنها تبعد فكرة.

تتمتم: "ذلك الفتى، أين ذهب؟"

تحول نظرها كله إلى أديلين: "هل يمكن أن تقفي؟"

ذراعًا في ذراع، تسيران إلى الفناء. أديلين قذرة، لكن إيزابيل لا تتركها، وصوتها يختنق مع أبسط عطف، ومع دفء لمسة الفتاة الأخرى. تعاملها إيزابيل على أنها همجية، وصوتها ناعم، وحركاتها بطيئة وهي تقود أديلين إلى المنزل.

"هل أصابك أذى؟"

تفكر، نعم. لكنها تعرف أن إيزابيل تتحدث عن الخدوش والشقوق والجروح البسيطة، وهي أقل يقينًا بشأنها. تنظر الى نفسها بازدراء. في الظلام، يختفي الأسوأ. في ضوء الصباح، يظهر. فستان أديلين، ملوث. شبشبها بال. بشـرتها مطلية بأرضية الغابة. شعرت بخدش ودموع العليق في الغابة ليلة أمس، لكنها لم تشعر بكدمات شديدة، أو شقوق، أو علامات على وجود دم.

تقول بهدوء: "لا"، وهما تدخلان المنزل.

ليس هناك ما يشير إلى ماثيو، أو هنري، طفلها الثاني - فقط الطفلة، سارة، تنام في سلة بجوار الموقد. إيزابيل تجلس أديلين على كرسي مقابل الرضيع، وتضع قدرًا من الماء فوق النار.

تهمس أديلين: "أنت لطيفة جدًّا".

تقول إيزابيل: "كنْتُ غريبًا فأويتموني". إنها آية من الكتاب المقدس.[7]

تحضـر طشتًا إلى الطاولة، مع قطعة قماش. تركع عند قدمي أديلين، تخلع الشبشب المتسخ، وتضعه بجوار الموقد، ثم تأخذ يدي أديلين وتبدأ في إزالة ما علق من أرضية الغابة في أصابعها، والطين من تحت أظافرها.

وهي تعمل، تمطرها إيزابيل بالأسئلة، وتحاول أديلين الإجابة، تحاول حقًّا، لكن اسمها لا يزال شكلًا لا تستطيع نطقه، وحين تتحدث عن حياتها في القرية، عن الظل في الغابة، الصفقة التي أبرمتها، تعبر الكلمات شفتيها، لكن تقف قبل أن تصل إلى أذني الفتاة الأخرى. خلا وجه إيزابيل من التعبير، وصارت نظرتها بلا معنى، وحين تتوقف أديلين في النهاية، تهز رأسها بسرعة، وكأنها تتخلص من حلم من أحلام اليقظة.

تقول أقدم صديقاتها بابتسامة اعتذارية: "آسفة. ماذا كنت تقولين؟"

تتعلم في الوقت المناسب أنها تستطيع أن تكذب، وتتدفق الكلمات مثل النبيذ، ويسهل سكبها، ويسهل بلعها. لكن الحقيقة تتوقف دائمًا عند طرف لسانها. أسكتت قصتها الجميع إلاها.

يُضغَط كوب في يدي أديلين والرضيع يبدأ في الضجيج.

تقول إيزابيل وهي تحمل الطفلة الملفوفة: "إنها رحلة تستغرق ساعة للوصول إلى أقرب قرية. هل مشيت كل هذا الطريق؟ لابد أنك..". إنها تتحدث إلى أديلين، بالطبع، لكن صوتها رقيق ولطيف، وانتباهها إلى سارة، تتنفس في شعر الطفلة الناعم، ويجب أن تعترف أديلين، بأن صديقتها قد خلقت لتكون أمًّا - راضية جدًّا عن ذلك حتى أنها لا تلاحظ الانتباه.

تتحدث برقة: "ماذا نفعل لك؟"

صوت خطى على الطريق بالخارج، ثقيلة ومرتفعة، وتستقيم إيزابيل قليلًا، تربت على ظهر الرضيع. "إنه زوجي، جورج".

---

7 إنجيل متى 25: 35، والترجمة عن الترجمة العربية للكتاب المقدس.

أديلين تعرف جورج جيدًا، قبّلتْه مرة وهما في السادسة، حين كانت القبلات مثل قطع في لعبة. لكن قلبها الآن يرفرف من الذعر، وهي تقف بالفعل، والكوب يقعقع على الطاولة.

ليس جورج ما تخشاه.

إنه المدخل، وما يحدث حين تكون إيزابيل على الجانب الآخر.

تمسك بذراع إيزابيل، قبضتها مفاجئة وشديدة، وللمرة الأولى، يرفرف الخوف على وجه المرأة الأخرى. لكنها تستقر وتربت على يد أديلين.

تقول: "لا تقلقي. سأتحدث معه. سيكون كل شيء على ما يرام". وقبل أن ترفض أديلين، تُضغَط الرضيعة في ذراعيها، وتبتعد عنها إيزابيل.

"انتظري. لو سمحت".

يدق الخوف في صدرها، لكن إيزابيل ذهبت. يبقى الباب مفتوحًا، والأصوات ترتفع وتنخفض في الفناء خلفه، والكلمات نفسها تتحول إلى أصوات رياح. تهمهم الطفلة في ذراعيها وتتأرجح قليلًا، في محاولة لتهدئة الطفلة وتهدئة نفسها. تهدأ الطفلة، وتعيدها للتو إلى السلة حين تسمع شهقة قصيرة.

"ابتعدي عنها".

إنها إيزابيل، صوتها عالٍ وحاد من الذعر. "من سمح لك بالدخول؟"

كل اللطف المسيحي، محاه في لحظة خوف الأم.

تقول أديلين: "أنت"، وتقاوم الرغبة في الضحك. لا توجد الآن روح الدعابة، جنون فقط.

تحدق إيزابيل في هلع، وتقول: "أنت تكذبين"، وهي تتقدم للأمام، توقفها فقط يد زوجها على كتفها. رأى أديلين، أيضًا، واعتبرها نوعًا مختلفًا من الأشياء البرية، ذئبًا في منزلهم.

تقول: "لا أقصد أي ضرر".

يأمر جورج: "اذهبي إذن".

وماذا يمكن أن تفعل غير ذلك؟ تتخلى عن الطفل وتترك وراءها كوب الحساء والحوض على الطاولة وأقدم صديقاتها. تخرج مسرعة إلى الفناء وتنظر وراءها، وترى إيزابيل تضغط على ابنتها على صدرها قبل أن يسد جورج المدخل، وفأس في يده وكأنها شجرة تسقط، ظل يسقط على منزلهم.

ثم اختفى أيضًا، وأغلق الباب بالمزلاج.

تقف أديلين على الممر، غير متأكدة مما يجب القيام به، إلى أين تذهب. في عقلها أخاديد، ناعمة وعميقة. حملتها ساقاها من هذا المكان وإليه عدة مرات. جسدها يعرف الطريق. انزلي في هذا الطريق، وانعطفي يسارًا، حيث منزلها، الذي لم يعد منزلها، بالرغم من أن قدميها تتجهان نحوه بالفعل.

قدماها - تهز أديلين رأسها. تركت شبشبها بجوار موقد إيزابيل ليجف.

يميل بوت جورج على الحائط بجانب الباب، وتأخذه وتبدأ المشي. ليس إلى المنزل الذي نشأت فيه، بل إلى النهر حيث بدأت صلواتها.

اليوم دافئ بالفعل، الهواء مشحون بالحرارة وهي تخلع البوت على الضفة وتدخل في التيار الضحل.

يحبس البرد أنفاسها والنهر ينساب حول سمانتيها، ويمس باطن ركبتيها. تنظر إلى أسفل، باحثة عن انعكاسها المشوه، شبه متوقعة ألا تجده، لترى السماء فقط خلف رأسها. لكنها لا تزال هناك، يشوهها التيار.

كان الشعر مجدولًا، وهو الآن منكوش، وعيناها حادتان وواسعتان. سبع بقع من النمش مثل بقع طلاء على جلدها. وجه يمتصه الخوف والغضب.

تهمس لأشعة الشمس على التيار: "لماذا لم تردي؟"

لكن النهر لا يضحك إلا بطريقته الناعمة الزلقة، بقبقة الماء على الحجر.

تتصارع مع أربطة فستان زفافها، تزيل الأوساخ، وتغطسه في الماء. يسحب التيار القماش، وأصابعها تتراخى لتتركه، لتدع النهر يأخذ آخر بقايا حياتها، لكن ليس لديها الآن سوى القليل جدًا بشكل لا يسمح لها بأن تتخلى عن المزيد.

تغطس أديلين أيضًا، محررة الأزهار الأخيرة من شعرها، وتزيل آثار الغابة من على بشرتها. تخرج وهي تشعر بالبرد والهشاشة والانتعاش. الشمس مشرقة، واليوم حار، وتضع الثوب على العشب ليجف، وتغطس على المنحدر بجانبه في دورتها. يجلسان جنبًا إلى جنب في صمت، أحدهما شبح للآخر. وتدرك، وهي تنظر إلى أسفل، أن هذا كل ما لديها.

فستان. قميص داخلي. حذاء مسروق.

متوترة، تمسك بعصا وتبدأ رسم أنماط لا وجود لها في الطمي على طول الضفة. لكن كل ضربة تضربها تذوب، التغيير سريع للغاية بحيث لا يمكن أن يكون بفعل النهر. ترسم خطًا، تراقبه وهو يبدأ في التلاشي قبل أن تنهيه. تحاول كتابة اسمها، لكن يدها تسكن، تثبت تحت الصخرة نفسها التي كانت تقيد لسانها. تحفر خطًا أعمق، وتخرج الرمال، لكن هذا لا يحدث أي فرق، وسرعان ما يختفي هذا الأخدود أيضًا، ويفر نحيب غضب من حلقها وهي ترمي العصا بعيدًا. تتدفق الدموع من عينيها وهي تسمع وقع أقدام صغيرة، وتلتفت لتجد صبيًا مستدير الوجه يقف بجوارها. ابن إيزابيل البالغ من العمر أربع سنوات. اعتادت آدي على أن تهزه بين ذراعيها، وتلف حتى يشعر كلاهما بالدوار ويضحكان.

يقول الصبي: "مرحبا".

تقول: "مرحبًا"، وصوتها مرتعش إلى حد ما.

تنادي والدة الصبي: "هنري!" وفي لحظة تظهر إيزابيل، وتقترب، وسلة غسيل على وركها. ترى أديلين جالسة على العشب، تمد يدها ليس لصديقتها، ولكن لابنها. تأمره: "تعال هنا"، والعينان الزرقاوان تتفحصان أديلين.

تسأل إيزابيل: "من أنت؟" وتشعر وكأنها على حافة تل شديد الانحدار، والأرض تتدحرج تحت قدميها. توازنها، يميل إلى الأمام، حيث يبدأ الهبوط المخيف مرة أخرى.

"هل أنت تائهة؟"

رأيت هذا من قبل. عرفت هذا من قبل. عشت هذا من قبل.[8]

8 في الأصل بالفرنسية ثم بالإنجليزية.

كانتا هنا من قبل، وسارتا في هذا الطريق، أو شيء من هذا القبيل، وهكذا تعرف أديلين الآن أين تضع قدميها، وتعرف ماذا تقول، وأي كلمات تستدعي العطف، وتعرف أنها إذا سألت بالطريقة الصحيحة، فإن إيزابيل ستأخذها إلى البيت، وتلف بطانية حول كتفيها، وتقدم لها كوبًا من الحساء، ويكون هذا مفيدًا حتى النهاية.

تقول: "لا. أمر من هنا فقط".

من الخطأ أن تقول ذلك، ويقسو تعبير إيزابيل.

"ليس من المناسب للمرأة أن تسافر بمفردها. وبالتأكيد ليس من المناسب في مثل هذه الحالة".

تقول: "أعرف. كان لدي المزيد، لكني تعرضت للسرقة".

تشحب إيزابيل تبيض: "من سرقك؟"

تقول: "غريب في الغابة"، وهذه ليست كذبة.

"هل تعرضت للأذى؟"

تفكر، نعم. بأسًى. لكنها تجبر نفسها على هز رأسها وتجيب: "سأعيش".

ليس لديها خيار.

تضع المرأة الأخرى الغسيل.

تقول إيزابيل، اللطيفة والسخية مرة أخرى: "انتظري هنا، سأعود حالًا".

تهز ابنها الصغير بين ذراعيها، وتستدير باتجاه منزلها، وفي اللحظة التي تبعد فيها عن الأنظار، تلم أديلين فستانها، وهو لا يزال رطبًا عند الحافة، وتلبسه.

بالطبع، إيزابيل تنسى مرة أخرى.

في منتصف الطريق إلى منزلها قبل أن تبطئ وتتساءل لماذا عادت بدون ملابسها. تلوم عقلها المتعب، المدمر من ثلاثة أطفال، نكد الرضيع، وتعود إلى النهر. وهذه المرة، لن تكون هناك امرأة تجلس على الضفاف، ولا فستان منشور في الشمس، فقط عصا، مهجورة في العشب، لوحة ملساء من الطمي.

رسمت أديلين منزل عائلتها مائة مرة.

تحفظ زاوية السقف، وملمس الباب، وظل ورشة والدها، وأطراف شجرة الطقسوس القديمة التي تجلس مثل حارس على حافة الفناء.

هذا هو المكان الذي تقف فيه الآن، مندسة خلف صندوق السيارة، تراقب مكسيم يرعى بجانب الحظيرة، تراقب والدتها وهي تعلق البياضات حتى تجف، وتراقب والدها وهو يشكِّل قطعة من الخشب.

وأديلين تشاهد، تدرك أنها لا تستطيع البقاء.

أو بالأحرى، يمكنها - أن تجد طريقة للتنقل من منزل إلى منزل، مثل التزلج على الحجارة عبر النهر - لكنها لن تفعل ذلك. لأنها حين تفكر في الأمر، لا تشعر أنها مثل النهر أو الحجر، بل وكأنها يد، تتعب من الرمي.

ها هي إستيل تغلق بابها.

وها هي إيزابيل، طيبة لحظة، واللحظة التالية مليئة بالهلع.

في وقت لاحق، بعد ذلك بكثير، تجعل آدي هذه الدورات لعبة، وترى كم من الوقت يمكنها الانتقال من عمود إلى عمود قبل أن تسقط. لكن الآن، الألم جديد جدًّا، وحاد جدًّا، ولا يمكنها فهم المرور بهذه المواقف، ولا يمكنها تحمل النظرة المرهقة على وجه والدها، والتوبيخ في عيني إستيل. لا يمكن أن تكون أديلين لارو غريبة هنا، بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الذين عرفتهم دائمًا.

مؤلم للغاية، أن ترى أنهم ينسونها.

تتسلل والدتها مرة أخرى داخل المنزل، وتتخلى أديلين عن ملجأ الشجرة وتبدأ السير عبر الفناء؛ ليس إلى الباب الأمامي، ولكن إلى دكان والدها.

هناك نافذة واحدة مغلقة، مصباح غير مضاء، الضوء الوحيد شريط من الشمس ينسكب من الباب المفتوح، لكن هذا يكفي للرؤية. تعرف ملامح المكان عن ظهر قلب. رائحة الهواء مثل النسغ، ترابية وحلوة، الأرضية مغطاة بالنشارة والغبار، وكل سطح يحمل سخاء عمل

والدها. حصان خشبي، على غرار مكسيم، بالطبع - ولكنه هنا ليس أكبر من قطة. مجموعة آنية، مزينة فقط بحلقات الجذع التي قطعت منها. مجموعة من الطيور في حجم كف اليد أجنحتها مفرودة أو مطوية أو ممددة في منتصف الرحلة.

تعلمت أديلين رسم العالم بالفحم والضغط على الرصاص، لكن والدها دائمًا ما يصنع بسكين؛ يشكل الأشكال من لا شيء، مانحًا إياها اتساعًا وعمقًا وحياة.

تمد يدها الآن، وتمرر إصبعها على أنف الحصان، كما فعلت مائة مرة من قبل.

ماذا تفعل هنا؟ أديلين لا تعرف.

ربما تودع والدها - الشخص المفضل لديها في هذا العالم. هكذا تتذكره. ليس بسبب عدم الإدراك الحزين في عينيه، أو تجهمه وهو يأخذها إلى الكنيسة، ولكن بالأشياء التي أحبها. بالطريقة التي أوضح لها بها كيف تمسك بإصبع من الفحم، وتشكل الأشكال والظلال بثقل يدها. الأغاني والقصص، المشاهد من فصول الصيف الخمسة التي ذهبت معه فيها إلى السوق، حين بلغت أديلين من العمر ما يكفي لأن تسافر، لكنها لم تكبر بما يكفي لإحداث ضجة. بالهدية الرائعة من حلقة خشبية، صنعها لابنته الأولى والوحيدة حين ولدت - تلك التي قدمتها بعد ذلك للظلام. مكتبة سُر مَن قرأ

حتى الآن، تنجرف يدها إلى حلقها لتتحسس الحبل الجلدي، وشيء عميق بداخلها يتأرجح حين تتذكر أنه ضاع إلى الأبد.

قصاصات من الورق منثورة على الطاولة، مغطاة باللوحات والأبعاد، وعلامات أعمال الماضي والمستقبل. يستقر قلم رصاص على حافة المكتب، وتجد أديلين نفسها تمد يدها إليه، حتى حين يصدر صدى مخيف داخل صدرها.

تحمله إلى الصفحة، وتبدأ الكتابة.

عزيزي بابا—

ولكن بينما يخدش قلم الرصاص الورقة، تتلاشى الحروف في أعقابه. حين تنتهي أديلين من هاتين الكلمتين غير المستقرتين، تختفيان، وحين تضرب بيدها على الطاولة،

تحـرك قـدرًا صغـيرًا مـن الورنيـش، وينسـكب الزيـت الثمـين عـلى ملاحظـات والدهـا، والخشـب تحتهـا. تدافعـت جاهـدة لجمـع الأوراق، وتلطيـخ يديها والقـرع على أحـد الطيور الخشـبية الصغيرة.

لكن لا داعي للذعر.

الورنيش يتشرب بالفعل، ويغرق ويهبط مثل صخرة في النهر، حتى يختفي. إنه لأمر غريب أن نفهم هذه اللحظة وأن نحسب ما ضاع وما لم يضعْ.

ذهب الورنيش، ولكن لم يعد إلى الإناء، الذي كان فارغًا على جانبه، فقدت المحتويات. الورقة موجودة بدون علامات، لم تمس، وكذلك الطاولة الموجودة تحتها. فقط يداها ملطختان بالزيت الذي يتتبع خيوط أصابعها وخطوط راحتيها. كانت لا تزال تحدق بها وهي تتراجع، وتسمع صوت تشقق خشب تحت كعبها.

إنه الطائر الخشبي الصغير، انقسم أحد جناحيه على الأرض المكدسة. تجفل أديلين تعاطفًا - كان المفضل لديها من المجموعة، مجمد في لحظة حركة صعود، أول صعود للطيران.

تنحنـي لتجمعـه، لكن حـين تسـتقيم، تختفي الشـظايا من عـلى الأرض، وفي يدهـا يكون الطائر الخشـبي الصغير سـليمًا مرة أخرى. كادت أن تسـقطه من الدهشـة، لا تعـرف لماذا هذا هـو الـشيء الـذي يبدو مسـتحيلًا. أصبحـت غريبـة، ورأت نفسـها تنزلـق من أذهـان الذين تعرفهـم وتحبهم مثل الشـمس خلف سـحابة، وشـاهدت كل علامة تحـاول أن تصنعها وهي تتلاشـى وتمحى.

لكن الطائر مختلف.

ربما لأنها تستطيع حمله بين يديها. ربما لأنه، للحظة، يبدو نعمة، هذا التراجع عن حادث، تصحيح لخطأ، وليس مجرد امتداد للمحو الذي تتعرض له. عدم القدرة على ترك بصمة. لكن أديلين لا تفكر في الأمر بهذه الطريقة، لا تفكر بها بعد، لم تقضِ شهورًا تقلب اللعنة بين يديها، وتحفظ شكلها، وتفحص الأسطح الملساء بحثًا عن الشقوق.

في هذه اللحظة، تمسك ببساطة الطائر الصغير غير المنكسر، ممتنة لأنه سليم.

وهي على وشك إعادة الطائر إلى مجموعته يوقفها شيء ما - ربما غرابة اللحظة، وربما حقيقة أنها تفتقد هذه الحياة بالفعل، حتى لو لم تفقدها قط - لكنها تضع الطائر في جيب تنورتها وتجبر نفسها على الخروج من السقيفة والابتعاد عن بيتها.

في الطريق، وبعد شجرة الطقسوس الملتوية، وحول المنعطف، حتى وصلت إلى حافة المدينة. عندها فقط سمحت لنفسها بالنظر إلى الوراء، وتركت نظرتها تنجرف للمرة الأخيرة إلى خط الأشجار عبر الحقل، والظل الكثيف الممتد تحت الشمس، قبل أن تدير ظهرها للغابة، وقرية فيون، والحياة التي لم تعد حياتها، وتبدأ المشي.

فيون سور سارت، فرنسا

30 يوليو 1714

XIV

تختفي فيون مثل عربة حول منعطف، وتبتلع الأشجار والتلال المحيطة أسطح المنازل. حين تحشد أديلين شجاعتها للنظر إلى الوراء، تكون قد اختفت.

تتنهد، وتستدير، وتمشي، وهي تتأرجح في الشكل الغريب لبوت جورج.

مقاسه أكبر بمقدار النصف. وجدت أديلين جوربًا على حبل الغسيل، ودفعته في مقدمة الحذاء لجعله مناسبًا، ولكن بحلول الساعة الرابعة من المشـي، يمكن أن تشعر بالأماكن التي احتك فيها جلدها، وتجمع الدم في النعل الجلدي. تخشى أن تنظر، ولذا لا تنظر، تركز فقط في المسار أمامها.

قررت السير نحو مدينة لومان المسورة. وهي أبعد مسافة قطعتها على الإطلاق، ومع ذلك فهي لم تقطع الرحلة بمفردها قط.

تعرف أن العالم أكبر بكثير من المدن الواقعة على طول نهر سارت، لكنها الآن لا تستطيع التفكير أبعد من الطريق الذي أمامها. كل خطوة تخطوها تبعدها خطوة من فيون، تبعدها عن حياة لم تعد حياتها.

يقول صوت في رأسها، أردتِ أن تكوني حرة، لكنه ليس صوتها؛ لا، إنه أعمق وأكثر سلاسة ومبطن بالساتان ودخان الخشب.

تتنقـل في القـرى والمـزارع وحيـدة في الحقـول. هنـاك امتـدادات كاملـة يبـدو العـالم فيها فارغًـا مـن حولهـا. كما لـو أن فنانًا رسـم أخف خطـوط المناظر الطبيعية، ثم اسـتدار، مشـتتًا، عـن المهمة.

ذات مرة، تسمع أديلين عربة تندفع على الطريق، وتغوص في ظل بستان قريب وتنتظر أن تمر. لا تريد أن تبتعد كثيرًا عن الطريق أو النهر، ولكن بحذر، من خلال أيكة، ترى التورد الأصفر لفاكهة الصيف، وتشعر بآلام في بطنها شوقًا.

بستان.

الظل جميل، والهواء بارد، وتلتقط خوخًا ناضجًا من فرع منخفض وتغرق أسنانها بجشع في الفاكهة، ومعدتها الفارغة تتقلص حول القضمة المسكَّرة. بالرغم من الألم، تأكل كمثرى أيضًا، وحفنة من البرقوق، ثم تشرب ماء براحة يدها من بئر على حافة البستان، قبل أن تجبر نفسها على الخروج من الملجأ والعودة إلى حرارة الصيف.

تمتد الظلال فترة طويلة حين تغوص أخيرًا على ضفة النهر وتخلع البوت لتقيم الضرر الذي أصاب قدميها.

لكن لا يوجد ضرر.

الجورب ليس ملوثًا بالدم. كعباها، غير مجروحين. لا علامة على الأميال التي قطعتها، والبلى والتلف نتيجة ساعات طويلة على طريق مغبر، بالرغم من أنها شعرت بألم كل خطوة. ولم تحترق كتفاها من الشمس، بالرغم أنها شعرت بحرارتها طول اليوم. تتقلب معدتها، وتتألم بسبب شيء أكثر من مجرد الفاكهة المسروقة، ولكن مع انحسار الضوء وانتشار والظلام على التلال، حيث لا توجد فوانيس أو منازل على مرمى البصر.

مرهقة، كان لها أن تتكور على حافة النهر وتستسلم للنوم، لكن الحشرات تطفو فوق الماء، تقرص جلدها، فتنسحب إلى حقل مفتوح، وتغرق وسط العشب الطويل كما فعلت مرات كثيرة جدًّا وهي صغيرة، وتريد أن تكون في مكان آخر. كان العشب يبتلع المنزل، والورشة، وأسطح فيون، كل شيء ما عدا السماء المفتوحة في الأفق، السماء التي قد تنتمي إلى أي مكان.

الآن، وهي تحدق في الغسق المرقط، تحنُّ إلى البيت. ليس من أجل روجر، أو المستقبل الذي لم تكن تريده، لكن القبضة الخشبية ليد إستيل على يدها والمرأة العجوز توضح لها كيف تخترق شجيرات التوت، وتسمع الطنين الناعم لصوت والدها وهو يعمل في سقيفته، وتشم رائحة النسغ وغبار الخشب في الهواء. قطع حياتها التي لم تقصد أن تخسرها قط.

تضع يدها في جيب تنورتها، وأصابعها تبحث عن الطائر الصغير المنحوت. لم تسمح لنفسها بأن تمد يدها إليه من قبل، شبه متأكدة من أنه سيختفي، سرقتها تمحى مثل أي عمل آخر - لكنه ما زال موجودًا، والخشب أملس ودافئ.

تخرجه أديلين وتضعه في مواجهة السماء وتندهش.

لم تستطع كسر التمثال الصغير.

لكنها استطاعت أن تأخذه.

وسط قائمة متزايدة من السلبيات - لا يمكن أن تكتب، لا يمكن أن تنطق اسمها، لا يمكن أن تترك علامة - هذا أول شيء كانت قادرة على فعله. يمكن أن تسرق. يمر وقت طويل قبل أن تعرف ملامح لعنتها، ووقت أطول قبل أن تفهم روح دعابة الظل، قبل أن ينظر إليها في كأس من النبيذ ويلاحظ أن السرقة الناجحة عمل لمجهول. لعدم وجود علامة.

في هذه اللحظة، تمتن ببساطة للتميمة.

تقول لنفسها وهي تمسك بالطائر الخشبي الصغير: اسمي أديلين لارو، ولدت في فيون عام 1691، لأبوين هما جان ومارت، في منزل حجري خلف شجرة الطقسوس القديمة...

تروي قصة حياتها للتمثال الصغير، وكأنها تخشى أن تنسى نفسها بالسهولة التي ينساها بها الآخرون، غير مدركة أن عقلها الآن قفص لا تشوبه شائبة، وذاكرتها مصيدة مثالية. لن تنسى أبدًا، بالرغم من أنها تتمنى لو تستطيع.

والليل يزحف، يحل اللون الأسود محل الأرجواني، تنظر أديلين إلى الظلام، وتبدأ في الشك في أن الظلام يحدق في الخلف، ذلك الإله، أو الشيطان، بنظراته القاسية، وابتسامته الساخرة، وملامحه الملتوية بطريقة لم ترسمها قط.

بينما كانت تحدق برأس مرفوعًا، يبدو أن النجوم تلتقط خطوط الوجه وعظام الوجنتين والحاجب، يجمعها الوهم معًا حتى تتوقع تقريبًا أن تتموج بطانية الليل وتلتف كما فعلت الظلال في الغابة، والفضاء بين النجوم ينقسم ليكشف هاتين العينين الخضراوين.

تعض لسانها لتمنعه من أن ينادي عليه حتى لا يقرر شيء آخر أن يرد.

إنها ليست في فيون، بالرغم من كل شيء. إنها لا تعرف أي الآلهة قد تبقى هنا.

في وقت لاحق، تنهار قوتها.

لاحقًا، تكون هناك ليال لا تحتاج فيها إلى خنق الحذر، حيث تصرخ وتشتم وتتجرأ على الخروج ومواجهة نفسها.

لاحقًا - لكنها الليلة متعبة وجائعة وتكره إهدار القليل من طاقتها على آلهة لن تجيب.

لذا تنحني على جانبها، وتغمض عينيها، وتنتظر النوم، وهي تفكر في المشاعل في الحقل خلف الغابة، والأصوات تنادي باسمها.

أديلين، أديلين، أديلين.

الكلمات تضربها بقوة، وتنهمر على جلدها مثل المطر.

تستيقظ لاحقًا في وقت ما بشكل مفاجئ، العالم معتم والماء يتساقط بالفعل من خلال ثوبها، والعاصفة الممطرة مفاجئة وثقيلة.

تسرع، والتنورة تعوقها، عبر الحقل إلى أقرب صف من الأشجار. في البيت، كانت تحب طقطقة المطر على جدران المنزل، وتستلقي مستيقظة وتستمع إلى العالم وهو يغتسل. لكن هنا ليس لديها سرير ولا مأوى. تبذل أقصى ما تستطيع لتعصر الماء من الفستان، لكنه بالفعل يبرد على جلدها، وتتكوم بين الجذور، وترتجف تحت المظلة المكسورة.

تقول لنفسها: اسمي أديلين لارو. علمني أبي كيف أكون حالمة، وعلمتني أمي كيف أكون زوجة، وعلمتني إستيل كيف أتحدث إلى آلهة.

تتأرجح أفكارها في إستيل، التي كانت تخرج تحت المطر، وتفتح راحتيها كما لو كانت تصطاد العاصفة. إستيل، التي لم تهتم أبدًا بصحبة الآخرين بقدر ما اهتمت بصحبتها.

من يحتمل أنه كان راضيًا بأن يكون وحده في العالم.

تحاول أن تتخيل ما تقوله المرأة العجوز، إذا تمكنت من رؤيتها الآن، لكن كلما حاولت استدعاء هاتين العينين الحادتين، هذا الفم العارف، لا ترى إلا الطريقة التي نظرت بها إستيل

إليها في تلك اللحظات الأخيرة، الطريقة التي عبس بها وجهها، ثم محتها، محت حياة من المعرفة، تلاشت مثل دمعة.

لا، لا يجب أن تفكري في إستيل.

تلف أديلين ذراعيها حول ركبتيها، وتحاول النوم، وحين تستيقظ مرة أخرى، يكون ضوء الشمس متدفقًا عبر الأشجار. يقف عصفور على الأرض الطحلبية القريبة، وينقر في حافة فستانها. تبعده، وتفحص جيبها بحثًا عن الطائر الخشبي الصغير وهي تقف، وتتأرجح، وتشعر بالدوار من الجوع، وتدرك أنها لم تأكل أكثر من الفاكهة في يوم ونصف.

تقول لنفسها، اسمي أديلين لارو، وهي تعود إلى الطريق. تصبح تعويذة، شيء لتمضية الوقت، وقياس خطواتها، وتكررها مرات ومرات.

تدور حول منعطف، وتتوقف، وتطرف عيناها بقوة، كما لو كانت الشمس في عينيها. الأمر ليس كذلك، ومع ذلك فقد انغمس العالم في اللون الأصفر المفاجئ والحيوي، والتهمت الحقولَ الخضراءَ بطانيةٌ بلون صفار البيض.

تنظر إلى الخلف بدون أن تستدير، لكن الطريق خلفها لا يزال أخضر وبنيًّا، ظلال الصيف العادية. الحقل أمامها بذور خردل، بالرغم من أنها لا تعرف حينها. إنه حينها جميل ببساطة، بطريقة هائلة. تحدق آدي، وتنسى للحظة جوعها، وألم قدميها، وذهولها المفاجئ، وتتعجب من السطوع المذهل، واللون الذي يلتهم كل شيء.

تتجول في الحقل، براعم الزهور تمشط كفيها، غير خائفة من سحق النباتات تحت قدميها -- كانت تنتصب بالفعل في أعقابها، وتمحى الخطوات. حين تصل إلى الحافة البعيدة للحقل، والمسار، والأخضر الثابت، تبدو ضجرة، وعيناها تبحثان عن مصدر آخر للدهشة.

بعد فترة وجيزة، ظهرت مدينة أكبر في الأفق، وهي على وشك أن تلف حولها تلتقط رائحة في الهواء تسبب لها آلامًا في معدتها.

الزبدة والخميرة ورائحة الخبز الحلوة المحببة.

تبـدو وكأنها فسـتان سـقط من الخـط، متجعدًا ومتسـخًا، وشـعرها عش متشـابك، لكنها جائعـة جـدًّا بحيـث لا تسـتطيع الاهتمام بـه. تتبـع الرائحة بـين المنـازل، وفي ممر ضيـق باتجاه سـاحة القريـة. ترتفع الأصـوات مع رائحـة الخبز، وحين تلتفـت حول الزاوية تـرى مجموعة نسـاء يجلسـن حـول فـرن مشـترك. يجلسـن على مقعـد حجـري حولـه، يضحكـن ويتحدثن مثـل طيـور على غصـن والأرغفـة ترتفع داخـل فم الفـرن المفتـوح. كانت رؤيتهـن صارخة، عاديـة بطريقـة مؤلمـة، وأديلـين تتوانـى لحظـة في الممـر المظلـل، تسـتمع إلى زقزقـة أصواتهن، قبـل أن يدفعهـا الجـوع إلى الأمام.

ليس عليها أن تبحث في جيوبها لتعرف أنه ليس معها عملات معدنية. ربما يمكن أن تقايض الخبز بها، لكن كل ما لديها الطائر، وحين تجده في ثنايا تنورتها، ترفض أصابعها أن تتراخى على الخشب. يمكن أن تتوسل، لكن وجه أمها يتبادر إلى الذهن، وعيناها مغلقتان ازدراء.

وكهذا لا يبقى إلا السـرقة - وهي خطأ بالطبع، لكنها جائعة جدًّا بحيث لا تقيم إثمها. هناك فقط مسألة كيف. من الصعب أن يكون الفرن بدون بشر، وبالرغم من السرعة التي يبدو أنها تتلاشى بها من الذاكرة، فإنها لا تزال من لحم ودم، وليست شبحًا. لا يمكن ببساطة أن تسير وتأخذ الخبز دون أن تسبب ضجة. بالتأكيد، قد ينسينها بسـرعة هائلة، لكن ما الخطر الذي تكون عليه قبل أن ينسينها؟ إذا وصلت إلى الخبز، ثم ابتعدت، إلى أي مدى تركض؟ بأي سرعة؟

ثم تسمعه. صوت حيوان ناعم يكاد يضيع تحت الثرثرة.

تدور حول الكوخ الحجري وتجد فرصتها عبر الممر.

يقف بغل في الظل، يمضغ طعامه بتكاسل بجانب كيس من التفاح، كومة من الوقود.

كل ما يتطلبه الأمر صفعة واحدة حادة، وتأمل أن يتأرجح البغل من الصدمة أكثر من الألم. إنه يتدافع إلى الأمام، ناثرًا التفاح والخشب أثناء انطلاقه. وبهذه الطريقة، ترتبك الساحة، وتدخل به في حالة قصيرة ولكنها صاخبة والوحش يهرول مبتعدًا، ويسحب كيسًا من الحبوب، وتقفز النساء على أقدامهن، وتذوب ضحكاتهن في صيحات فزع وتوتر.

تتسلل أديلين عبر الفرن مثل السحابة، وتسحب أقرب رغيف من الفم الحجري. يكوي الألم أصابعها وهي تمسك به، وكادت تسقط الخبز، لكنها جائعة للغاية، والألم، كما تعلم، لا

يدوم. الرغيف رغيفها، وبحلول الوقت الذي يستقر فيه البغل، وتوضع الحبوب في مكانها، ويجمع التفاح، وتعود النساء إلى مكانهن بجوار الفرن، تكون قد اختفت بالفعل.

تميل في ظل إسطبل على أطراف البلدة، وتمزق أسنانها الخبز غير المخبوز جيدًا. تنهار العجين في فمها، ثقيلة وحلوة ويصعب ابتلاعها، لكنها لا تهتم. إنها ممتلئة بما فيه الكفاية، تزيل حواف جوعها. يبدأ عقلها يصفو. يرتخي صدرها، وللمرة الأولى منذ أن تركت فيون، تشعر وكأنها إنسان، وإن لم يكن بشكل كامل. تبعد عن الجدار المستقر وتبدأ المشي مرة أخرى، متبعة خط الشمس، ومسار النهر، نحو لومان.

اسمي أديلين... تبدأ من جديد، ثم تتوقف.

لم تحب الاسم قط، والآن لا يمكن حتى أن تنطقه. مهما سمَّتْ نفسها، يكون فقط في رأسها. أديلين هي المرأة التي تركتها في فيون، عشية حفل زفاف لم تكن تريده. لكن آدي- آدي هدية من إستيل، أقصر، وأكثر حدة، اسم سريع التبديل للفتاة التي ذهبت إلى الأسواق، وتوترت لرؤية ما فوق الأسطح، لمن رسمت وحلمت بقصص أكبر، وعوالم أعظم، وحياة مليئة بالمغامرة.

وهكذا، وهي تمشي، تبدأ القصة في رأسها.

اسمي أدي لارو...

مدينة نيويورك

11 مارس 2014

XV

الوضع هادئ للغاية بدون جيمس.

لم تفكر آدي فيه قط باعتباره صاحب صوت مرتفع – إنه ساحر، ومبهج، ولكنه ليس صاخبًا – لكنها الآن تدرك كم كان يملأ هذه المساحة حين كانا فيها.

في تلك الليلة، شغل تسجيلًا وغنى وهو يصنع الجبن المشوي على موقد بست شعلات، حيث أكلا واقفين لأن المكان كان جديدًا، ولم يكن قد اشترى كراسي مطبخ. لا توجد حتى الآن كراسي مطبخ، ولكن الآن لا يوجد جيمس أيضًا – إنه في مكان ما غير معروف – والشقة تمتد من حولها، صامتة جدًّا وكبيرة جدًّا على شخص، والأرضية العالية والزجاج المزدوج يجتمعان معًا لحجب أصوات المدينة، وتقليص منهاتن إلى صورة ثابتة ورمادية خلف النوافذ.

تشغل آدي تسجيلًا بعد الآخر، لكن الصوت لا يصدر إلا صدى. تحاول مشاهدة التلفزيون، لكن نشـرة الأخبار ثابتة أكثر من أي شيء آخر، كما هو الحال مع جوقة الأصوات الصغيرة في الراديو، بعيدًا جدًّا عن الإحساس بالواقع.

السماء بالخارج رمادية ثابتة، رذاذ خفيف من المطر يطمس المباني. إنه يوم من الأيام المصممة لحرائق الخشب وأكواب الشاي والكتب المفضلة.

لكن في حين أن جيمس لديه مدفأة، فإنها لا تعمل إلا بالغاز، وحين تفحص الخزانة بحثًا عن مزيجها المفضل، تجد الصندوق موضوعًا في الخلف، لكنه فارغ، وجميع الكتب التي يحتفظ بها كتب تاريخ، وليست قصصًا، وآدي تعرف أنها لا تستطيع أن تمضـي اليوم هنا، مع نفسها فقط من أجل شراكة.

ترتـدي ملابسـها مـرة أخـرى، وتسـوي الأغطيـة عـلى السـرير، بالرغـم مـن أن عـمال النظافـة سـيعودون بالتأكيـد قبـل جيمـس. بإلقـاء نظـرة أخـيرة على اليـوم الكئيب، تسـرق وشـاحًا من رف خزانة، كشـميرًا ناعمًا منقوشًـا والبطاقـات لا تزال معلقـة، وتنطلق، والقفل يحـدث صوتًـا خلفها.

لا تعرف، في البداية، إلى أين تذهب.

في بعض الأيام، ما زالت تشعر وكأنها أسد في قفص، يسير في محيطه. لقدميها عقل خاص بهما، وسرعان ما تحملانها إلى شمال المدينة.

تفكر في نفسها وهي تمشي، اسمي آدي لارو.

ثلاثمائة عام وجزء منها ما زال يخشى النسيان. كانت هناك أوقات، بالطبع، تمنتْ فيها أن تكون ذاكرتها أكثر تقلبًا، حيث يمكن أن تقدم أي شيء لترحب بالجنون، وتختفي. إنه طريق ألطف، أن تفقد نفسك.

مثل بيتر، في بيتر بان للكاتب ج. م. باري.[9]

هناك، في النهاية، حين يجلس بيتر على الصخرة، تنزلق ذكرى ويندي دارلنج من عقله، ومن المحزن بالطبع أن ينسى.

لكنه شيء وحيد، يجب أن يُنسى.

لتتذكر حين لا يتذكر شخص آخر.

يهمس الظلام: أتذكر، بلطف تقريبًا، وكأنه ليس من لعنها.

ربما كان الطقس السيء، أو ربما هذا المزاج الجياش الذي يقود آدي على طول الحافة الشرقية لسنترال بارك، إلى الثاني والثمانين وإلى قاعات الجرانيت في مِيْت.

كانت آدي مولعة بالمتاحف دائمًا.

---

9 بيتر بان: شخصية خيالية من تأليف الروائي والكاتب المسرحي الإسكتلندي جيمس ماثيو باري (1860-1937). وهو ولد شقي يمكنه الطيران ولا يكبر.

المساحات التي يتجمع فيها التاريخ في غير مكانه، حيث ترتب الأعمال الفنية، وتجلس القطع الأثرية على قواعد، أو معلقة على الجدران فوق مواضع بيضاء صغيرة معدة للتعليم. تبدو آدي أحيانًا وكأنها متحف، متحف يمكنها وحدها زيارته.

تعبر القاعة الكبرى، بأقواسها الحجرية وأعمدتها، وتنسج طريقها عبر العصر اليوناني الروماني وأوقيانوسيا السابقة، معروضات وقفت أمامها مئات المرات، وتستمر حتى تصل إلى ساحة النحت الأوروبية، بأشكالها الرخامية الضخمة.

انتهت غرفة، تجدها، حيث توجد دائمًا.

إنها موضوعة في صندوق زجاجي بطول جدر، تؤطره من الجانبين قطع مصنوعة من الحديد أو الفضة. إنها ليست كبيرة، فيما يتعلق بالمنحوتات، بطول ذراعها، من الكوع إلى أطراف الأصابع. قاعدة رخامية عليها خمسة طيور خشبية تقبع فوقها، كل منها على وشك الطيران. تطيل التحديق في الخامس: ارتفاع منقاره، زاوية جناحيه، نعومة ريشه الكامن مرة في الخشب، والآن مرة أخرى.

يسمى، **يعود**.[10]

تتذكر آدي المرة الأولى التي وجدت فيها العمل، معجزة صغيرة، تجلس هناك على قالب أبيض نظيف. الفنان أرلو ميريت، رجل لم تعرفه ولم تقابله قط، ومع ذلك ها هو، في جزء من قصتها، ماضيها. وجد، وتحول إلى شيء لا يُنسى، شيء يستحق الاهتمام، شيء جميل.

تتمنى أن تلمس الطائر الصغير، وأن تمرر إصبعها على جناحه، كما كانت تفعل دائمًا، بالرغم من أنها تعرف أنه ليس الطائر الذي فقدته، تعرف أنه لم يُنحَت بيدي والدها القويتين، ولكن بيد شخص غريب. لا يزال، هناك، إنه حقيقي، بطريقة ما، طائرها.

سر محفوظ. تسجيل تم. العلامة الأولى التي تركتها على العالم، قبل أن تعرف الحقيقة بوقت طويل، وهي أن الأفكار أكثر وحشية من الذكريات، وأنها طويلة وتبحث عن طرق للتجذر.

---

10 يعود: في الأصل بالفرنسية، ثم الإنجليزية.

لومان، فرنسا

31 يوليو 1714

XVI

تقبع لومان مثل عملاق نائم في الحقول على طول نهر سارت.

مرت أكثر من عشر سنوات على السماح لآدي بالقيام برحلة إلى المدينة المسورة، قابعة بجانب والدها في عربة العائلة.

الآن تسرع نبضات قلبها وهي تخطو عبر بوابات المدينة. لا يوجد حصان هذه المرة، ولا أب، ولا عربة، ولكن في ضوء العصر، تكون المدينة مزدحمة بالقدر نفسه، صاخبة بالقدر نفسه، كما تتذكر. لا تكلف آدي نفسها عناء محاولة الاندماج – إذا نظر، بين الحين والآخر، شخص ما في طريقها، ولاحظ الشابة في الفستان الأبيض الملطخ، فإنه يحتفظ بآرائه لنفسه. من الأسهل أن تكون وحيدة بين ناس كثر.

فقط – لا تعرف إلى أين تذهب. تتوقف لحظة لتفكر، فقط لتسمع أصوات حوافر، فجأة وقريبة جدًا، وتهرب بصعوبة خشية أن تدوسها عربة.

"ابعدي عن الطريق!" يصرخ السائق، وهي تندفع للخلف، لتصطدم بامرأة تحمل سلة من الكمثرى. تنقلب، وتقع ثلاث ثمرات أو أربع على المسار المرصوف بالحصى.

تزمجر المرأة: "انتبهي"، ولكن حين تنحني آدي لتساعدها في جلب الفاكهة المتساقطة، تصرخ المرأة وتدوس على أصابعها.

تتراجع آدي بعيدًا وتدفع يديها في جيوبها، وتتشبث بالطائر الخشبي الصغير وهي تواصل السير في الشوارع المتعرجة باتجاه وسط المدينة. هناك طرق كثيرة، لكنها تبدو كلها متشابهة.

اعتقدتْ أن هذا المكان سيبدو مألوفًا أكثر، لكنه يبدو غريبًا ببساطة. خيال من حلم قديم. حين كانت آدي هنا آخر مرة، بدت المدينة مدهشة، مكانًا كبيرًا وحيويًّا: الأسواق الصاخبة، تغمرها الشمس؛ الأصوات تصطدم بالحجارة. كتفا والدها العريضتان، تحجبان الجوانب المظلمة من المدينة.

ولكن الآن، وحدها، يتسلل التهديد إليها، مثل الضباب، ماحيًا سحر البهجة، تاركًا فقط الحواف الحادة التي تبرز من الضباب. حلت نسخة من المدينة محل الأخرى.

رق ممسوح.

لا تعرف الكلمة بعد،[11] ولكن بعد خمسين عامًا من الآن، في صالون باريس، تسمعها لأول مرة، فكرة الماضي الذي يمحى، ويكتب الحاضر فوقه، وتفكر في هذه اللحظة في لومان.

مكان تعرفه، ولا تعرفه.

يا لها من حماقة أن تعتقد أنها ستبقى على حالها، حين يتغير كل شيء آخر. حين تكون هي نفسها قد تغيرت، كبرت من فتاة إلى امرأة، ثم إلى هذا – شبح، طيف.

تبلع ريقها بصعوبة وتقف منتصبة عاقدة العزم على ألا تنهك أو تنهار.

لكن آدي لم تتمكن من العثور على النزل الذي أقامت فيه هي ووالدها، وحتى لو استطاعت، فماذا تخطط للقيام به هناك؟ ليس لديها وسيلة للدفع، وحتى لو كانت معها عملة، فمن يؤجر لامرأة بمفردها؟ لومان مدينة، لكنها ليست كبيرة لدرجة أن يمر شيء مثل هذا تحت عين المالك.

تشتد قبضة آدي على الطائر المنحوت في تنورتها وتواصل السير في الشوارع. بجوار دار البلدية مباشرة سوق، لكنه مغلق، والطاولات فارغة، والعربات تنطلق بعيدًا، والأرض يتناثر عليها فقط بقايا الخس وبعض البطاطس المتعفنة، وقبل أن تفكر في البحث فيها، اختفت، جرفتها أيادٍ أصغر وأسرع.

---

11 رق ممسوح: في الأصل Palimpsest، ومن هنا الحديث عن كلمة.

على حافة الميدان نزل به حانة.

تشاهد رجلاً ينزل من على حصانه، فرس مرقط، ويمرر اللجام إلى مسؤول الإسطبل، ويتجه بالفعل نحو الضجيج وصخب الأبواب المفتوحة. تشاهد مسؤول الإسطبل يقود الفرس عبر الطريق إلى حظيرة خشبية عريضة، ويختفي في الظلام النسبي. ولكن لم يلفت انتباهها الحظيرة أو الحصان - شدته الكومة التي لا تزال ملقاة على ظهره. حقيبتان ثقيلتان، منتفختان مثل أكياس الحبوب.

تعبر آدي الساحة وتتسلل إلى الإسطبل خلف الرجل والفرس، خطواتها خفيفة وسريعة قدر الإمكان. يتدفق ضوء الشمس ضعيفًا بين عوارض سقف الإسطبل، ويكشف المكان بشكل خافت، بعض النقاط البارزة وسط الظل متعدد الطبقات، مكان من النوع الذي كانت تحب رسمه.

دستة من الخيول تتدحرج في مرابطها، وعبر الحظيرة، يهمهم مسؤول الإسطبل للفرس وهو يفك سرجه ويلقيه فوق الحاجز الخشبي، ويمشط الحيوان، وشعره عش من العقد المتشابكة.

تنسل آدي زاحفة باتجاه المرابط في مؤخرة الحظيرة، تتناثر الأكياس والحقائب على الحواجز الخشبية بين الخيول. تندفع يداها بنهم عبر أغطية السروج، باحثة تحت الأبازيم وتحت الأغطية. لا توجد محافظ، لكنها تجد معطفًا ثقيلًا من معاطف الفرسان، وقربة نبيذ، وسكينًا لنزع العظام بطول يدها. تلف المعطف حول كتفيها، وتدخل النصل في جيب عميق والنبيذ في الآخر وتواصل التسلل، هادئة مثل شبح.

لا ترى الدلو الفارغ قبل أن يصدر حذاؤها قعقعة حادة ويصطدم به. يسقط بصوت مكتوم على القش، وتحبس آدي أنفاسها وتأمل أن يضيع الصوت بين حركة الحوافر. لكن مسؤول الإسطبل يتوقف عن الهمهمة. تنحني أكثر، تنطوي في ظلال أقرب مربط. تمر خمس ثوانٍ، ثم عشر ثوانٍ، ثم تبدأ الهمهمة أخيرًا مرة أخرى، وتستقيم آدي وتشق طريقها إلى المربط الأخير، حيث يتسكع حصان جر قوي، يمضغ الحبوب، بجانب حقيبة مربوطة. تنجرف أصابعها نحو الإبزيم.

"ماذا تفعلين؟"

الصوت قريب جدًّا خلفها. مسؤول الإسطبل، ولم يعد يهمهم، ولم يعد يمشط شعر الفرس المرقط، لكنه يقف في الممشى بين المرابط، وفي يده سوط قصير.

ظلًّا لاهثًا، تقول: "آسفة يا سيدي، جئت أبحث عن حصان أبي. يريد شيئًا من حقيبته".

يحدق بها، ولا يهتز له جفن، يبتلع شعره الغامق ملامحه تقريبًا. "أي حصان هذا؟"

تتمنى لو كانت قد فحصت الخيول بالإضافة إلى أكوامها، لكن لا يمكن أن تتردد، فهذا سيكشف الكذبة، لذا استدارت بسرعة نحو حصان العمل: "هذا".

إنها كذبة جيدة، فيما يتعلق بالأكاذيب، من النوع الذي يمكن أن يكون صحيحًا بسهولة، إذا اختارت حصانًا آخر فقط. تبدر ابتسامة تجهم تحت لحية الرجل.

يقول، وهو يحرك السوط في كفه: "آه، لكن كما ترين، هذا حصاني".

تشعر آدي برغبة غريبة ومقززة للضحك.

تهمس، وتتقدم ببطء نحو باب الإسطبل: "هل يمكنني الاختيار مرة أخرى؟"

في مكان قريب، فرس يصهل. وآخر يضـرب بحافره. يتوقف السوط عن الفرقعة في كف الرجل، وتترنح آدي، بين المرابط، ومسؤول الإسطبل في أعقابها.

إنه سريع، سرعة نشأت بوضوح من اصطياد الحيوانات، لكنها أخف وزنًا، ولديها الكثير لتخسره. تمس يده ياقة معطفها المسـروق، لكنه لا يستطيع الإمساك بها. خطواته الثقيلة متعثرة وبطيئة، وتعتقد آدي أنها حرة، قبل أن تسمع صوتًا متموجًا وواضحًا لرنين جرس على حائط الإسطبل، متبوعًا بصوت بوت قادم من الخارج.

تقترب من فتحة الحظيرة حين يظهر الرجل الثاني، قاطعًا الطريق مثل ظل عريض عبر المدخل.

"هل تحرر حيوان؟" يصـرخ قبل أن يراها، ملفوفة في المعطف المسـروق، وبوتها الضخم جدًّا ملتف في القش. تندفع للخلف، مباشرة إلى ذراعي مسؤول الإسطبل. تقترب أصابعه من كتفيها، ثقيلة مثل الأغلال، وحين تحاول أن تفلت، تحفر قبضته بعمق كاف فتصاب بكدمة.

يقول: "قبضت عليها وهي تسرق"، والشعيرات الخشنة على خده تحك خدها.

تتوسل وهو يسحبها بقوة: "دعني أذهب".

يسخر الثاني وهو يسحب سكينًا من حزامه: "هذا ليس كشكًا في سوق، هل تعرفين ماذا نفعل مع اللصوص؟"

"كانت غلطة. لو سمحت. دعني أذهب".

السكين تهتز مثل إصبع: "ليس قبل أن تدفعي الثمن".

"ليس لدي أي نقود".

يقول الرجل الثاني، وهو يقترب: "لا بأس، اللصوص يدفعون من لحمهم".

تحاول أن تفلت، لكن القبضة على ذراعيها حديدية والسكين تستقر على أربطة فستانها، وتنقر عليها مثل الأوتار. وحين تلتف مرة أخرى، ولم تعد تحاول الإفلات، ببساطة تحاول الوصول إلى سكين نزع العظام في جيب معطفها المسروق. تلمس المقبض الخشبي مرتين بأصابعها قبل أن تتمكن من الإمساك به.

تدفع النصل لأسفل وللخلف في فخذ الرجل الأول، وتشعر أنه يغوص في لحم ساقه. يصرخ قبل أن يدفعها بعيدًا مثل دبور، يدفعها إلى الأمام، مباشرة على شفرة الرجل الآخر.

تصرخ من الألم في كتفها والسكين تنغرس فيها، وتنزلق على طول عظمة الترقوة، مخلفة خطًّا من حرارة حارقة. تفقد صوابها، لكن ساقيها تتحركان بالفعل، وتحملانها عبر أبواب الإسطبل وتخرج إلى الساحة. تلقي بنفسها خلف برميل، بعيدًا عن الأنظار، بينما يأتي الرجلان يتعثران ويقسمان من الحظيرة خلفها، ووجهاهما يتلويان من الغضب وشيء أسوأ، شيء بدائي، جائع.

وبعد ذلك، بين خطوة وأخرى، يبدأ التباطؤ.

بين خطوة وأخرى، يترنح الإلحاح ويتلاشى، والهدف ينزلق، مثل فكرة، بعيدة المنال. ينظر الرجلان حولهما، ثم ينظر كل منهما إلى الآخر. الرجل الذي طعنته يقف الآن أكثر استقامة، ولا توجد علامة على تمزق في بنطلونه، ولا دم يتخلل القماش. العلامة التي تركتها عليه، محيت.

يتدافعان، ويسخران، ويعودان إلى الحظيرة، وتنحدر آدي إلى الأمام، ويقترب رأسها من البرميل الخشبي. ينبض صدرها، ويظهر الألم بخط واضح على طول طوقها، وحين تضغط بيدها على الجرح، تخرج أصابعها حمراء.

لا تستطيع البقاء هناك، متكورة خلف برميل، تجبر نفسها النهوض، وتتأرجح، تشعر بدوخة، لكن سرعان ما تمر موجة الإنهاك، ولا تزال تقف على قدميها. تمشي، وإحدى يديها مضغوطة على كتفها، والأخرى مغلقة بإحكام حول السكين تحت معطفها المسروق. لا تعرف متى تقرر مغادرة لومان، لكنها سرعان ما تعبر الفناء، بعيدًا عن الإسطبل وعبر الشوارع المتعرجة، والنزل الفاسقة والحانات، والخطوات المزدحمة والضحك الصاخب، مما يجعل المدينة تغيب مع كل خطوة.

يتلاشى الألم في كتفها من حرارة حارقة إلى خفقان خفيف، ثم إلى لا شيء. تمرر أصابعها على الجرح، لكنه اختفى. وكذلك الدم على فستانها، ابتلع مثل الكلمات التي كتبتها عبر أوراق أبيها، والخطوط التي رسمتها في الطمي على ضفة النهر. آثاره الوحيدة على جلدها، قشرة من الدم الجاف على طول عظمة الترقوة، لطخة حمراء داكنة في كفها. وتتعجب آدي لحظة، بالرغم من إرادتها، من سحرها الغريب، والدليل على أن الظل حافظ على كلمته بطريقة ما. حرف معناها، نعم، شوه رغباتها وحولها إلى شيء خاطئ وفاسد. لكنه منحها هذا على الأقل.

أن تعيش.

يفر صوت منخفض مجنون من حلقها، وربما يكون فيه ارتياح، لكن فيه رعب أيضًا. بسبب حقيقة جوعها الذي تكتشفه للتو. بسبب أوجاع قدميها مع أنهما لا تجرحان ولا تخدشان. بسبب آلام الجرح في كتفها قبل أن يلتئم. منحها الظلام التحرر من الموت، ربما، لكنه لم يحررها من هذا. لم يحررها من المعاناة.

تمر سنوات قبل أن تدرك المعنى الحقيقي لتلك الكلمة، ولكن في هذه اللحظة، وهي تدخل في الغسق الكثيف، لا تزال تشعر بارتياح لأنها على قيد الحياة.

ارتياح يهتز حين تصل إلى حافة المدينة. هذا أبعد ما ذهبت إليه أديلين.

تلوح لومان خلفها، وأمامها تفسح الجدران الحجرية العالية المجال للبلدات المتناثرة، كل واحدة مثل أيكة، ثم تفتح المجال للحقل، وبعد ذلك، إلى ماذا، لا تعرف.

كانت آدي، وهي صغيرة، تصعد المنحدرات التي ترتفع وتهبط حول فيون، وتندفع إلى حافة التل، المكان الذي سقطت فيه الأرض، وتتوقف، وقلبها يسرع وجسدها يميل إلى الأمام، مشتاقًا للوقوع.

أدنى دفعة، والوزن ينجز ما تبقى.

لا يوجد تل شديد الانحدار تحتها الآن، ولا منحدر، ومع ذلك، تشعر باختلال توازنها.

وبعد ذلك، يرتفع صوت إستيل ليلتقي بها في الظلام.

سألتْ ذات يوم: كيف تمشين حتى نهاية العالم؟ وحين لم تعرف آدي، ابتسمت المرأة العجوز ابتسامة أقرب إلى التكشير وردَّتْ.

خطوة واحدة في كل مرة.

لن تذهب آدي إلى نهاية العالم، لكن يجب أن تذهب إلى مكان ما، وفي تلك اللحظة، تقرر.

تذهب إلى باريس.

إنها، بجانب لومان، المدينة الوحيدة التي تعرفها بالاسم، اسم تكرر كثيرًا على شفتي غريبها، وظهر في كل حكاية رواها والدها، مكان الآلهة والملوك، الذهب والعظمة والوعد.

هكذا يبدأ الأمر، كما قد يقول، إذا كان له أن يراها الآن.

تخطو آدي الخطوة الأولى، وتشعر أن الأرض تتلاشى، وتشعر بأنها تميل إلى الأمام، لكنها هذه المرة، لا تسقط.

مدينة نيويورك

12 مارس 2014

XVII

إنه يوم أفضل.

غربت الشمس، والهواء ليس شديد البرودة، وهناك الكثير مما تحبه في مدينة مثل نيويورك.

الطعام والفن والعروض الثقافية المستمرة - بالرغم من أن المفضل لدى آدي هو حجمها. تُفتَح البلدات والقرى بسهولة. كان أسبوعًا في فيون كافيًا للسير في كل طريق، لمعرفة كل وجه. ولكن مع مدن مثل باريس ولندن وشيكاغو ونيويورك، ليس عليها أن تسرع، ليس عليها أن تشاهد قطعًا صغيرة ليدوم الشعور باكتشاف الجديد. إنها مدينة يمكنها أن تستهلك فيها بشغف كما تحب، وتلتهم منها كل يوم ولا ينفد منها أبدًا ما تأكله.

إنه مكان تستغرق زيارته سنوات، ويظل يبدو دائمًا أن هناك زقاقًا آخر، ومجموعة أخرى من السلالم، وبابًا آخر.

ربما لهذا لم تلاحظ هذا من قبل.

بالابتعاد عن الرصيف، والنزول مسافة قصيرة على سلالم، يوجد متجر شبه مختفٍ بجوار بداية الشارع. من الواضح أن المظلة كانت أرجوانية ذات يوم، ولكن اللون تلاشى منذ فترة طويلة وتحول إلى الرمادي، بالرغم من أن اسم المتجر لا يزال مقروءًا، ويظهر بحروف بيضاء.

الكلمة الأخيرة.

مكتبة لبيع الكتب المستعملة، حسب الاسم، ونوافذها ممتلئة بكتب مكدسة. يثار نبض آدي قليلًا. كانت متأكدة من أنها ستعثر على كل شيء. لكن هذا هو الشيء الرائع في نيويورك. تجولت آدي في جزء لا بأس به من الأحياء الخمس، وما زالت المدينة تحتفظ بأسرارها، وبعضها

مطوي في الزوايا - بارات البدروم، والحانات غير المرخصة، ونوادي الأعضاء فقط - والبعض الآخر يجلس على مرأى من الجميع. مثل بيض عيد الفصح في فيلم، البيض الذي لا تلاحظه حتى المشاهدة الثانية أو الثالثة. وليس مثل بيض عيد الفصح على الإطلاق، لأنه بغض النظر عن عدد المرات التي تسير فيها على هذه الكتل، بغض النظر عن عدد الساعات أو الأيام أو السنوات التي تقضيها في التعرف على معالم نيويورك، بمجرد أن تدير ظهرها يبدو أنها تتغير مرة أخرى، يعاد تجميعها. ترتفع المباني وتنخفض، وتفتح الشركات وتغلق، ويصل الناس ويغادرون ويتغير السطح مرات ومرات.

تدخل بالطبع.

يعلن جرس خافت عن وصولها، وسرعان ما يختنق الصوت بفعل سقوط الكتب في ظروف مختلفة. بعض المكتبات منظمة، تكون أقرب إلى المعرض من المتجر. وبعضها عقيم ومخصص للجديد فقط ولا تُمس.

لكن ليس هذا.

هذا المتجر متاهة من الأكوام والرفوف، نصوص مكدسة في صفين، حتى ثلاثة بالعمق، والجلد بجانب الورق بجانب الكرتون. من المتاجر المفضلة لديها، متجر يسهل أن تتوه فيه.

يوجد كاونتر للدفع بجانب الباب، لكنه فارغ، وهي تتجول دون أي إزعاج عبر الأجنحة، تشق طريقها على طول الرفوف المحبوبة. تبدو المكتبة فارغة إلى حد ما، باستثناء رجل أبيض كبير يفحص صفًا من كتب الإثارة، وفتاة سوداء رائعة تجلس القرفصاء على كرسي جلدي في نهاية الصف، تتألق الفضة على أصابعها وفي أذنيها، وكتاب فن ضخم مفتوح في حجرها.

تتجول آدي متجاوزةً لافتة مكتوب عليها شعر، ويهمس الظلام على بشرتها. والأسنان تكشط مثل النصل على طول الكتف العاري.

تعالي وعيشي معي وكوني حبي.

لازمة آدي، تبلى بسلاسة مع التكرار.

أنت لا تعرف معنى الحب.

لا تتوقف، لكنها تستدير، والأصابع تتأرجح الآن على كتب علم اللاهوت. قرأت الكتاب المقدس والأوبنشاد[12] والقرآن، بعد صراع روحي من نوع ما قبل قرن من الزمان. تتجاوز شكسبير أيضًا، وهو دين خاص به وحده.

تتوقف مؤقتًا عند المذكرات، وتفحص العناوين الموجودة على الظهر، كثيرة ضمائر أنا وياء المتكلم، كلمات الملكية لحيوات مملوكة. يا لها من ترف، أن يحكي المرء قصته. أن تُقرَأ، وتَذكَر.

شيء ما يقرع كوع آدي، وتنظر إلى أسفل لترى عينين خضراوين تحدقان فوق كمها، وتحيط بهما كتلة من الفراء البرتقالي. يبدو القط عجوزًا مثل الكتاب الذي في يدها. يفتح فمه، ويصدر شيئًا ما بين التثاؤب والمواء، صوت صفير أجوف.

"أهلا". يخدش القط بين الأذنين، فتصدر قعقعة منخفضة ممتعة.

يقول صوت ذكر خلفها: "واو، بوك لا يزعج الناس عادة".

تستدير آدي لتعلق على اسم القط، لكنها تفقد سلسلة أفكارها حين تراه، لأنها للحظة، للحظة فقط، قبل التركيز على الوجه، كانت متأكدة من أنه هو –

لكنه ليس هو.

بالطبع ليس هو.

شعر الصبي، بالرغم أنه أسود، يتساقط في خصلات فضفاضة حول وجهه، وعيناه، خلف نظارته بإطارها السميك، أقرب إلى الرمادي منها إلى الأخضر. فيهما شيء هش، أقرب إلى الزجاج من الحجر، وحين يتكلم، يأتي صوته رقيقًا ودافئًا وإنسانيًا بلا شك. "أساعدك في العثور على أي شيء؟"

تهز آدي رأسها وتقول وهي تسلك حلقها: "لا، مجرد تصفح".

يقول مبتسمًا: "حسنًا، استمري".

---

12 الأوبنشاد: الجزء الأخير في مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمى الفيدات. وتكوّن الأوبنشاد جزءًا أساسيًا من مصادر الديانة الهندوسية، كما أثّرت في معظم الفلسفات الهندية

تشاهده يذهب، تختفي خصلات الشعر الأسود في متاهة العناوين، قبل أن تنظر إلى القط مرة أخرى.

لكن القط اختفى، أيضًا.

تعيد آدي المذكرات إلى الرف وتستمر في التصفح، متجولة في الفن وتاريخ العالم، وطول الوقت في انتظار ظهور الصبي مرة أخرى، لبدء دورة جديدة، متسائلة عما تقوله حين يظهر. كان يجب أن تطلب المساعدة، وتتركه يقودها عبر الرفوف - لكنه لا يعود.

يدق جرس المتجر مرة أخرى، معلنًا عن وصول عميل جديد مع وصول آدي إلى الكلاسيكيات. بيوولف.[13] أنتيجون. الأوديسة. هناك دستة إصدارات من العمل الأخير، وهي تسحب إصدارًا واحدًا فقط يحدث انفجار مفاجئ من الضحك، عاليًا ومبهجًا، وهي تنظر من فجوة في الرفوف وترى فتاة شقراء تتكئ على الكاونتر. يقف الصبي على الجانب الآخر وينظف نظارته في حافة قميصه.

يحني رأسه، والرموش السوداء تخدش خديه.

لا ينظر حتى إلى الفتاة التي تقف على أصابع قدميها لتقترب منه. تمد يدها وتمرر يدها على كمه كما فعلتْ آدي للتو على الرفوف، فيبتسم، ثم ابتسامة خجولة هادئة تمحو آخر شبه له بالظلام.

تضع آدي الكتاب تحت ذراعها وتتجه نحو الباب، وتخرج منه، مستفيدة من تشتته.

"مهلا!" ينادي بصوت – صوته – لكنها تواصل صعود الدرج إلى الشارع. في لحظة سوف ينسى. في لحظة، سوف يبتعد عقله، وسوف ي –

يد تهبط على كتفها. "عليك أن تدفعي ثمنه".

تستدير، الصبي من المتجر، يلهث إلى حد ما، ومنزعج جدًا. تتحرك عيناها وتتجاوزه إلى الدرج، الباب المفتوح. لا بد أنه كان مواربًا. لا بد أنه كان خلفها مباشرة. لكن مازال. تبعها في الخارج.

---

13 ملحمة شعرية إنجليزية وطنية قديمة، لشاعر أنجلو سكسوني مجهول الهوية، كتبها بين سنة 975 وسنة 1025.

"حسنا؟" يلح، يده تسقط عن كتفها وتستريح، راحة اليد مفتوحة، في الفراغ بينهما. يمكنها الركض بالطبع، لكن الأمر لا يستحق. تتحقق من التكلفة على ظهر الكتاب. ليست كبيرة، لكنها أكثر مما تملكه.

تقول وهي تعيده: "آسفة".

يعبس، ثم، أخدود عميق جدًا على وجهه. خط منقوش بسنوات التكرار، بالرغم من أنه لا يمكن أن يتجاوز الثلاثين. ينظر إلى الكتاب، وجبين داكن يرتفع خلف نظارته.

"متجر مليء بالكتب العتيقة، وتسرقين نسخة بغلاف ورقي ممزق من الأوديسة؟ تعلمين أنها لن تأتي بأي شيء، أليس كذلك؟"

تنظر آدي في عينه. "من يقول إنني أريد أن أعيد بيعها؟"

"إنها أيضًا باللغة اليونانية".

لم تكن قد لاحظت ذلك. ليس هذا ما يهم. تعلمت الكلاسيكيات في اللاتينية أولًا، وفي العقود التي تلت ذلك، تعلمت اليونانية.

تقول بجفاف: "يا لي من غبية، كان يجب أن أسرقها بالإنجليزية".

يكاد يبتسم – يكاد – حينها، لكنه شيء مربك ومشوه. بدلا من ذلك، يهز رأسه. ويقول وهو يمسك الكتاب: "فقط خذيه. أعتقد أن المتجر يمكن أن يتغاضى عنه".

عليها أن تقاوم الرغبة المفاجئة في إعادته. هذه اللفتة تشبه الصدقة إلى حد بعيد.

تنادي الفتاة السوداء الجميلة من المدخل: "هنري! هل يجب أت أتصل بالشرطة؟"

يرد وهو لا يزال ينظر إلى آدي: "لا، لا بأس". يضيق عينيه كأنه يفحصها. "خطأ بسيط".

تحدق في هذا الصبي – في هنري. ثم تمد يدها وتستعيد الكتاب، وتحمله معها وبائع الكتب يختفي مرة أخرى في المتجر.

الجزء الثاني

أعتم أجزاء الليل

مدينة نيويورك

12 مارس 2014

I

يعود هنري شتراوس إلى المتجر.

جلست بيا مرة أخرى على كرسي جلدي تالف، وكتاب الفن اللامع مفتوح في حجرها. "أين ذهبْتَ؟"

ينظر إلى الوراء من خلال الباب المفتوح ويتجهم. "لم أذهب إلى أي مكان".

تشيح بكتفيها، وتقلب الصفحات، دليل الفن الكلاسيكي الجديد ولا تنوي شراءه.

ليست مكتبة عامة. يتنهد هنري، عائدًا إلى مكانه.

يقول للفتاة بجوار الكاونتر: "آسف، أين كنا؟"

تعض شفتها. يعتقد أن اسمها إيميلي. "كنت على وشك السؤال عما إذا كنت تريد أن تتناول مشروبًا".

يضحك ببعض العصبية - وهي عادة بدأ يعتقد أنه لن يغيرها أبدًا. إنها جميلة، إنها جميلة حقًّا، لكنَّ في عينيها لمعانًا مزعجًا، ضوءًا لبنيًّا مألوفًا، وهو مرتاح لأنه ليس مضطرًّا للكذب بشأن وجود خطط الليلة.

تقول بابتسامة: "مرة أخرى".

يردد الصدى "مرة أخرى"، والفتاة تأخذ كتابها وتذهب. بالكاد يغلق الباب وبيا تسلك حلقها.

يسأل دون أن يستدير: "ماذا؟"

"كان يمكنك الحصول على رقمها".

يقول: "لدينا خطط"، وهو ينقر على التذاكر على الكاونتر.

يسمع صوت تمدد الجلد الناعم وهي تنهض من على الكرسي. تقول، وهي تؤرجح ذراعًا حول كتفه: "كما تعلم، العظيم في الخطط أنك يمكن أن تعدها لأيام أخرى أيضًا".

يستدير ويداه ترتفعان إلى خصرها، وهما الآن متعانقان مثل طفلين في خضم رقصة مدرسية، والأطراف تصنع دوائر واسعة مثل الشِّبَاك أو السلاسل.

يوبخ: "بياتريس هيلين".

"هنري صموئيل".

يقفان هناك، في منتصف المتجر، اثنان في العشرينيات من العمر في أحضان ما قبل المراهقة. وربما في يوم من الأيام، تتكئ بيا أكثر قليلًا، وتلقي بعض الكلام حول العثور على شخص (جديد)، حول أحقية أن تكون سعيدة (مرة أخرى). لكن لديهما صفقة: لم تذكر تابيثا، وهنري لم يذكر البروفيسور. لكل واحد أعداؤه الذين سقطوا، وندوب معارك خاضها.

يقول رجل كبير: "معذرة"، وهو يشعر بالأسف الشديد للمقاطعة. يحمل كتابًا، ويبتسم هنري ويرفع السلسلة، ويتراجع خلف الكاونتر ليأخذ منه الحساب. تمرر بيا تذكرتها من على الطاولة وتقول إنها ستقابله في العرض، وهنري يومئ لها والرجل الكبير يمضي في طريقه، ويمر ما بقي من بعد الظهر في ارتباك هادئ لغرباء رائعين.

يقلب اللافتة من الساعة الخامسة إلى السادسة، ويتابع حركات إغلاق المحل. محل الكلمة الأخيرة ليس ملكه، لكنه قد يكون ملكه. مرت أسابيع ولم ير المالكة الفعلية، ميريديث، التي تقضي سنواتها الذهبية مسافرة حول العالم بتأمين حياة زوجها الراحل. امرأة في خريف العمر تنغمس في ربيع ثان.

يضع هنري حفنة من الكيبل[14] في الطبق الأحمر الصغير خلف المنضدة لبوك، قط المتجر العتيق، وبعد لحظات، يظهر رأس برتقالي رديء فوق كتيبات الشعر. يحب القط التسلق خلف

14 الكيبل: وجبة مطحونة على شكل حبيبات، خاصة لأغذية الحيوانات الأليفة.

كومة والنوم لأيام، ولا يميز وجوده إلا الطبق الفارغ واللهاث العارض لزبون حين يصادف عينين صفراوين لا يرمشان خلف الرفوف.

بوك الكائن الوحيد الذي قضى وقتًا أطول من هنري في محل بيع الكتب.

إنه عمل هناك على مدى السنوات الخمس الماضية، بعد أن بدأ مرة أخرى وهو لا يزال طالب دراسات عليا في علم اللاهوت. في البداية كان مجرد عمل بدوام جزئي، وسيلة لتكملة منحة الجامعة، ولكن بعد ذلك اختفت المدرسة، وبقي المتجر. يعرف هنري أن من المحتمل أن يحصل على وظيفة أخرى، لأن الأجر تافه وقد قضى واحدًا وعشرين عامًا من التعليم الرسمي المكلِّف، وبعد ذلك بالطبع هناك صوت أخيه ديفيد، الذي يبدو تمامًا مثل صوت والدهم، يسأل بهدوء إلى أين تؤدي هذه الوظيفة، إذا كانت هذه هي الطريقة التي يخطط بها لقضاء حياته. لكن هنري لا يعرف ماذا يفعل، ولا يستطيع أن يدفع نفسه للمغادرة؛ إنه الشيء الوحيد الذي لم يفشل فيه بعد.

والحقيقة أن هنري يحب المتجر. يحب رائحة الكتب، وثقلها الثابت على الرفوف، ووجود العناوين القديمة ووصول عناوين جديدة، وحقيقة أن في مدينة مثل نيويورك، هناك قراء دائمًا. تصمم بيا على أن كل من يعمل في محل لبيع الكتب يريد أن يكون كاتبًا، لكن هنري لم يتخيل نفسه روائيًّا قط. من المؤكد أنه حاول وضع القلم على الورق، لكنه لم ينجح قط. لا يستطيع أن يجد الكلمات، القصة، الصوت.

لا يستطيع معرفة ما يمكن أن يضيفه إلى الرفوف الكثيرة جدًّا.

يفضل هنري أن يكون بائع قصص عن أن يكون راوي قصص.

أطفأ الأنوار وأخذ التذكرة ومعطفه، وتوجه إلى عرض روبي.

لم يكن لدى هنري وقت للتغيير.

يبدأ العرض في السابعة، ومحل الكلمة الأخيرة يغلق في السادسة، وعلى أي حال فهو غير متأكد من قواعد اللباس لعرض خارج برودواي عن الجن في بويري، لذلك لا يزال يرتدي الجينز الداكن وسويتر ممزقًا. هذا ما تحب بيا أن تطلق عليه اسم شياكة أمين المكتبة، حتى لو لم يكن الشخص يعمل في مكتبة، وهي حقيقة لا يبدو أنها تدركها. من ناحية أخرى، تبدو بيا

أنيقة جدًّا، كما تفعل دائمًا، بسترة بيضاء ملفوفة على مرفقيها، وشرائط فضية رفيعة ملفوفة حول أصابعها ومتألقة في أذنيها، وجدائل سميكة ملفوفة في تاج فوق رأسها. يتساءل هنري، أثناء انتظارهما في الصف، إذا كان لدى بعض الأشخاص أسلوب طبيعي، أو إذا كان لديهم ببساطة الانضباط لرعاية أنفسهم كل يوم.

يتقدمان للأمام، ويقدمان تذكرتيهما عند الباب.

المسرحية توليفة من تلك التوليفات الغريبة للمسرح والرقص الحديث، توليفة لا توجد إلا في مكان مثل نيويورك. وفقًا لروبي، تعتمد بشكل فضفاض على مسرحية حلم ليلة منتصف الصيف، إذا كان شخص ما قد قدم إيقاع شكسبير بسلاسة، وزاد من التشبع.

تضربه بيا في الضلوع.

"هل رأيت كيف نظرت إليك؟"

يرمش: "ماذا؟ من؟"

تقلب بيا عينيها. "أنت ميؤوس منك تمامًا".

اللوبي صاخب من حولهما، وهما يخوضان وسط الحشد حين يمسك شخص آخر بذراع هنري. فتاة، ملفوفة في ثوب بوهيمي ممزق، يلوح الطلاء الأخضر مثل كروم مجرد على صدغيها ووجنتيها، مما يجعلها تبدو واحدة من الممثلين في العرض. رأى البقايا على جلد روبي عشرات المرات في الأسابيع القليلة الماضية.

تحمل فرشاة رسم ووعاءً من الذهب. تقول بإخلاص رصين: "لسْتَ مُزيَّنًا"، وقبل أن يفكر في إيقافها، ترسم غبارًا ذهبيًا على خديه، ولمسة الفرشاة في خف الريشة. بهذا القرب، يمكنه رؤية ذلك الوميض الخافت في عيني الفتاة.

يرفع هنري ذقنه.

يسأل: "كيف أبدو؟" مؤثرًا على تجهم النموذج، وبالرغم من أنه يمزح، تبتسم الفتاة ابتسامة جادة وتقول: "ممتاز".

تتدحرج قشعريرة في داخله عند سماع الكلمة، وهو في مكان آخر، يد تمسكه في الظلام، وإبهامه ينظف خده. لكنه يتخلص منها.

تسمح بيا للفتاة برسم شريط لامع أسفل أنفها، ونقطة ذهبية على ذقنها، وتنجح في الحصول على ثلاثين ثانية من المغازلة قبل أن تقرع الأجراس في الردهة، وتختفي العفريتة الفنية مرة أخرى في الحشد وهما يستمران في التوجه نحو أبواب المسرح.

يلف هنري ذراعه في ذراع بيا: "لا تعتقدين أنني ممتاز، أليس كذلك؟"

تتذمر: "يا إلهي، لا".

وهو يبتسم، بالرغم من إرادته، وممثل آخر، رجل ببشرة داكنة بلون ذهبي وردي على وجنتيه، يعطي لكل منهما غصنًا، الأوراق خضراء بدرجة يصعب معها أن تكون حقيقية. تركز نظراته على هنري اللطيف والحزين والمتألق.

أظهرا تذكرتيهما لمرشدة - امرأة عجوز، بشعر أبيض طولها خمسة أقدام بالكاد - تمسك بذراع هنري للتوازن وهي ترشدهما على صفهما، وتربت على كوعه حين تتركهما، وتهمهم: "يا له من فتى طيب" وهي تتجول في الممر.

ينظر هنري إلى الرقم الموجود على تذكرته، ويتحركان إلى مقاعدهما، مجموعة من ثلاثة قرب منتصف الصف. يجلس هنري، بيا على جانب، والمقعد الخالي على الجانب الآخر. المقعد المحجوز لتابيثا، لأنهم اشتروا تذاكرهم بالطبع منذ أشهر، حين كانوا لا يزالون معًا، حين كان كل شيء جمعًا وليس مفردًا.

يملأ صدر هنري وجع خفيف، ويتمنى لو دفع العشرة دولارات مقابل مشروب.

تنخفض الأنوار، وترتفع الستارة على مملكة من النيون والفولاذ المطلي برشاش، وروبي في منتصف كل ذلك، يسترخي على العرش في وضع ملك عفريت محض.

يتطاير شعره في موجة عالية، وخطوط من الأرجواني والذهبي تحفر خطوط وجهه وتحوله إلى شيء مذهل وغريب. وحين يتحدث روبي، يأتي صوته بلوريًا، ويتردد صداه عبر المسرح.

يقول: "هذه هي قصة الآلهة".

المســرح ممتلئ بالعازفين، وتبدأ الموسيقى، ولبعض الوقت، يصبح الأمر سهلًا.

لبعض الوقت، يتلاشى العالم تدريجيًّا، ويهدأ كل شيء من حولها، ويختفي هنري.

قرب نهاية المسرحية مشهد يضغط في ظلمة عقل هنري، يعرض مثل ضوء في فيلم.

روبي، ملك بويري، ينهض من عرشه مع تساقط المطر في دفقة واحدة عبر خشبة المســرح، وبالرغم من أنها كانت قبل لحظات مزدحمة بالناس، لا يوجد الآن، بطريقة ما، إلا روبي. يمد يده، ليسحب ستارة المطر بيده، فتنشق حول أصابعه ومعصمه وذراعه وهو يتحرك للأمام ببطء شديد حتى يصبح جسده كله تحت الموجة.

يرفع رأسه إلى الوراء، والمطر يشطف الذهب واللمعان من جلده، ويسوي الموجة المثالية من خصلات الشعر على جمجمته، ويمحو كل آثار السحر، ويحوله من أمير ضعيف متعجرف إلى صبي؛ هالك، ضعيف، وحيد.

تنطفئ الأضواء، ولفترة طويلة، الصوت الوحيد في المســرح صوت المطر، يتلاشى من جدار صلب إلى إيقاع ثابت لهطول الأمطار، وبعد ذلك، إلى طقطقة ناعمة على المسرح.

وبعد ذلك، في النهاية، لا شيء.

تضيء الأنوار ويظهر الممثلون على خشبة المسرح ويصفق الجميع.

تهتف بيا، وتنظر إلى هنري، البهجة تنزف من وجهها. تسأل: "ما بك؟ يبدو أنك على وشك الإغماء".

يبلع ريقه ويهز رأسه.

كانت يده تنبض، وحين نظر إلى أسفل، غرس أظافره في الندبة على طول راحة يده، راسمًا خطًّا جديدًا من الدم.

"هنري؟"

يقول وهو يمسح يده على المقعد المخملي: "أنا بخير. كان هذا فقط. كان جيدًا".

يقف ويتبع بيا إلى الخارج.

يتضاءل الحشد حتى لا يبقى إلا الأصدقاء والعائلة غالبًا في انتظار عودة الممثلين. لكن هنري يشعر بالعيون، والانتباه ينجرف مثل التيار. في كل مكان ينظر إليه، يجد وجهًا ودودًا وابتسامة دافئة وأحيانًا أكثر من ذلك.

أخيرًا، دخل روبي الردهة، وألقى بذراعيه حولهما.

يقول، في رنين مسرحي: "العاشقان المعجبان بي!"

يزمجر هنري، وبيا تحمل شوكولاتة وردية، مزحة طويلة من الداخل منذ أن أصر روبي ذات يوم على أن عليها الاختيار بين الشوكولاتة والزهور، وأشارت بيا إلى أنه عيد الحب، وأنه للعروض، كانت الزهور نموذجية، وقال روبي إنها ليست نموذجية، وإلى جانب ذلك، ماذا لو كان جائعًا؟

يقول هنري: "كنت رائعًا"، وهذا صحيح. روبي رائع - كان دائمًا رائعًا. تلك الثلاثية من الرقص والموسيقى والمسـرح مطلوبة للحصول على عمل في نيويورك. لا يزال على بعد شوارع قليلة من برودواي، لكن هنري ليس لديه شك في أنه سيصل إلى هناك.

يربت هنري على ظهر صديقه، ويستقيم روبي، كما لو كان منتعشًا ومتجددًا. يرفع الوردة عاليًا مثل هراوة ويعلن: "إلى الحفلة!"

اعتاد هنري على الاعتقاد بأن الحفلات التالية للعروض الأخيرة فقط، طريقة للممثلين يقولون بها وداعًا، لكنه تعلم منذ ذلك الحين أنه، بالنسبة لأبناء المسـرح، كل أداء مبرر للاحتفال. للنزول من العالي، أو في حالة حشد روبي، للمضي قدمًا.

منتصف الليل تقريبًا، وهم محتشدون في ممر بالطابق الثالث في حي سوهو، والأضواء منخفضة وقائمة عزف شخص ما تعلن عبر مكبرين لاسلكيين. يتحرك فريق الممثلين عبر المركز مثل وريد، ولا تزال وجوههم مطلية لكن أزياءهم تتدلى، عالقة بين شخصياتهم على المسرح وشخصياتهم خارج المسرح.

يشرب هنري بيرة فاترة ويفرك إبهامه على الندبة في راحة يده، فيما يصبح عادة بسرعة.

لبعض الوقت، كانت بيا معه ليبقى في صحبة.

بيا، التي تفضل حفلات العشاء على الحفلات المسرحية، تضع الإعدادات والحوارات بجوار الأكواب البلاستيكية والخطوط الصارخة فوق أجهزة الإستريو. مواطنة تتأوه، منزوية مع هنري في الركن، تفحص أنسجة الممثلين كما لو كانت في أحد كتبها عن تاريخ الفن. ولكن بعد ذلك، يبعدها عفريت آخر من بويري، وصاح هنري خائنة في أعقابها، بالرغم من أنه كان سعيدًا لرؤية بيا سعيدة مرة أخرى.

وفي أثناء ذلك، يرقص روبي في منتصف الغرفة، مركز الحفلة دائمًا.

"أهلًا، يا وسيم".

يلتفت هنري، رافعًا نظره عن البيرة، ويرى إحدى الشخصيات الرائدة في العرض، فتاة مذهلة بشفتين حمراوين وتاج من الزنبق الأبيض، بريق ذهبي على خديها مرسوم بالإستنسل ليبدو مثل الرسم على الجدران. تنظر إليه برغبة صريحة يجب أن يشعر بأنه مرغوب، ويجب أن يشعر بشيء ما إلى جانب الشعور بالحزن والوحدة والضياع.

"تشربين معي".

تلمع عيناها الزرقاوان وهي تحمل صينية صغيرة، عليها كأسان مع شيء صغير وأبيض يتحلل في الأسفل. يفكر هنري في كل القصص عن قبول الطعام والشراب من العفريتة، حتى وهي يمد يده إلى الكأس. إنه يشرب، وفي البداية كل ما يتذوق حلاوة، الحرق الخافت لمشروب التكيلا، ولكن بعد ذلك يبدأ العالم يهتز إلى حد ما عند الحواف.

يريد أن يشعر بأنه أكثر خفة، وأن يشعر بأنه أكثر تألقًا، لكن الغرفة مظلمة، ويمكن أن يشعر بعاصفة تزحف.

كان في الثانية عشرة حين تدحرجت الأولى. لم يرها قادمة. ذات يوم كانت السماء زرقاء وفي اليوم التالي كانت الغيوم منخفضة وكثيفة، وفي اليوم التالي كانت الريح تهب والأمطار تنهمر.

مرت سنوات قبل أن يتعلم هنري التفكير في تلك الأوقات المظلمة على أنها عواصف، ليصدق أنها ستمر، إذا استطاع ببساطة أن يصمد لفترة كافية.

كان والداه يقصدان الخير بالطبع، لكنهما كانا يقولان له دائمًا أشياء مثل ابتهج، أو ستتحسن الأمور، أو الأسوأ، ليس الأمر بهذا السوء، وهو ما يسهل قوله حين لا يكون يومك ممطرًا. ديفيد، الأخ الأكبر لهنري، وهو طبيب، لكنه ما زال لا يفهم. تقول أخته موريل إنها تعاني من العواصف، قبل أن تقدم له حبة من علبة النعناع التي تحتفظ بها في حقيبتها. تسميها مظلاتها الوردية الصغيرة، وهي تلعب على استعارته؛ كما لو كانت مجرد عبارة ذكية وليست الطريقة الوحيدة التي يمكن أن يحاول بها هنري أن يجعلهم يفهمون ما في رأسه.

إنها مجرد عاصفة، كما يعتقد مرة أخرى، حتى وهو يبتعد عن المشهد، يقدم بعض الأعذار حول الذهاب للعثور على هواء. الحفلة دافئة للغاية، ويريد أن يخرج، ويريد أن يصعد إلى السطح وينظر إلى أعلى ويرى أن الطقس ليس سيئًا، النجوم فقط، ولكن بالطبع، لا توجد نجوم، ليس في سوهو.

قرر العودة إلى البيت وكاد يصل إلى الباب حين تمسك بيده. الفتاة باللبلاب المتجعد على جلدها. الفتاة التي صبغته باللون الذهبي.

تقول: "أنت".

يقول: "أنت".

تمد يدها وتمسح بقعة من الذهب من خد هنري، والتلامس يشبه الصدمة الساكنة، شرارة من الطاقة حيث يلتقي الجلد بالجلد.

تقول: "لا تذهب"، وهو لا يزال يحاول التفكير فيما يقوله بعد ذلك تقربه منها، ويقبلها، بسرعة، مفتشًا، وينفصل عنها حين يسمع لهاثها.

يقول، "آسف"، كلمة تلقائية، مثل من فضلك، مثل أشكرك، مثل أنا بخير.

لكنها تمد يدها وتلتقط حفنة من خصلات الشعر.

تسأل: "على ماذا؟" وهي تسحب فمه إلى فمها.

يتمتم: "هل أنت متأكدة؟" بالرغم من أنه يعرف ما تقوله، لأنه رأى بالفعل الضوء في عينيها، والغيوم الباهتة تجتاح رؤيتها: "هل هذا ما تريدينه؟"

يريد الحقيقة – لكن ليست هناك حقيقة بالنسبة له، لم تعد هناك، والفتاة تبتسم فقط، وتعود

به إلى أقرب باب.

تقول: "هذا هو بالضبط ما أريده".

وبعد ذلك يكونان في إحدى غرف النوم، الباب يغلق ويطمس ضوضاء الحفلة خلف الجدار، وفمها على وجهه، ولا يمكنه رؤية عينيها الآن في الظلام، وبالتالي يكون من السهل تصديق أن هذا حقيقي.

ولبعض الوقت، يختفي هنري.

مدينة نيويورك

12 مارس 2014

II

تشق آدي طريقها إلى شمال المدينة، وتقرأ الأوديسة على ضوء الشارع. مر وقت طويل منذ أن قرأت أي شيء باليونانية، لكن الإيقاع الشعري للقصيدة الملحمية أعادها إلى اللغة القديمة، وحين يظهر شارع باكستر، كانت شبه ضائعة في صورة السفينة في البحر، وتتطلع إلى كأس من النبيذ وحمام ساخن.

ولم يكن مقدرًا لها أي منهما.

توقيتها إما جيد جدًّا أو سيئ جدًّا، اعتمادًا على الطريقة التي تنظر بها إليه، لأن آدي تدور حول الزاوية إلى السادس والخمسين تمامًا وسيارة سيدان سوداء تندفع أمام باكستر ويخرج جيمس سانت كلير إلى الرصيف. عاد من التصوير، أسمر ويبدو سعيدًا، يلبس نظارة شمسية بالرغم من حقيقة حلول الظلام منذ فترة. تبطئ آدي، وتتوقف، تحوم عبر الشارع والبواب يساعده في تفريغ حقائبه وحملها إلى الداخل.

تتمتم في سرها وليلتها تتلاشى: "قرف". لا فقاعات في الحمام، ولا زجاجات ميرلوت.

تتنهد وتتراجع إلى التقاطع، في محاولة لتقرر ما تفعله بعد ذلك.

إلى يسارها، يظهر سنترال بارك مثل قطعة قماش خضراء داكنة في وسط المدينة.

إلى اليمين، ترتفع منهاتن في خطوط خشنة، بناية بعد بناية من المباني المزدحمة من وسط المدينة إلى حي المال.

تذهب إلى اليمين، وتشقُّ طريقها نحو إيست فيلج.[15]

---

15 إيست فيلج: حي في الجانب الشرقي جنوب منهاتن، نيويورك.

تبدأ معدتها التذمر، وفي الثاني، تلاحظ العشاء. ينزل شاب من على دراجة إلى الرصيف، ويفك طلبًا من علبة مغلقة خلف المقعد، ويضع الكيس البلاستيكي في المبنى. تنحرف آدي إلى الدراجة وتصل للداخل. إنها صينية، حسب تخمينها، حسب حجم الأواني وشكلها، حواف الورق مطوية ومربوطة بمقابض معدنية رفيعة. تخرج كرتونة وعودين من عيدان تناول الطعام يمكن التخلص منها، وتنسحب مبتعدة قبل حتى أن يندفع الرجل عند الباب.

كان هناك وقت شعرت فيه بالذنب بشأن السرقة.

لكن الشعور بالذنب، مثل الكثير من الأشياء، تلاشى، وبالرغم من أن الجوع لا يمكن أن يقتلها، إلا أنه ما زال يؤلمها وكأنه سيقتلها.

تشق آدي طريقها نحو شارع سي، وهي تضع لومين[16] في فمها بينما تحملها ساقاها عبر فيلج إلى مبنى من الطوب بباب أخضر. تضع الكرتونة الفارغة في سلة مهملات في الزاوية وتصل إلى مدخل المبنى بمجرد خروج الرجل. تبتسم له ويبتسم ويمسك الباب.

في الداخل، تتسلق أربع مجموعات من درجات ضيقة إلى باب فولاذي في القمة، وتصل إلى أعلى، وتحسس على طول الإطار المترب للمفتاح الفضي الصغير، الذي اكتشفته الخريف الماضي، حين كانت هي وحبيب يترنحان في الطريق إلى البيت، كان الاثنان متشابكين من الأطراف على الدرج. شفتا سام مضغوطتان تحت فكها، وتنزلق الأصابع المخططة بالطلاء تحت حزام خصر بنطلونها الجينز.

كانت لحظة اندفاع نادرة بالنسبة لسام.

كان، بالنسبة لآدي، الشهر الثاني من علاقة غرامية.

إنها علاقة عاطفية بالتأكيد، ولكن فقط لأن الوقت رفاهية لا تستطيع تحملها. إنها، بالتأكيد، تحلم بصباحات استرخاء مع القهوة، وسيقان ملفوفة في حضن، ونكات خاصة وضحك سهل، لكن وسائل الراحة تأتي بالمعرفة. لا يمكن أن يكون هناك بناء بطيء، ولا شهوة هادئة، ألفة تتعزز على مدار أيام، وأسابيع، وشهور. لا يمكن. لذا فهي تشتاق للصباحات، لكنها تستقر في الليالي، وإذا كان لا يمكن أن يكون حبًا، حسنًا، فهي على الأقل ليست وحيدة.

---

16 طبق صيني من المكرونة بالبيض ويحتوي غالبًا على الخضار وبعض أنواع اللحوم أو المأكولات البحرية.

يغلق أصابعه حول المفتاح، والمعدن ينكمش بهدوء وهو يسحبه من مخبئه. يستغرق الأمر ثلاث محاولات في القفل القديم الصدأ، تمامًا كما حدث في الليلة الأولى، ولكن بعد ذلك يفتح الباب، ويخرج إلى سطح المبنى. ينطلق النسيم، ويدفع يديه في جيب سترته الجلدية وهو يعبر السقف.

إنه فارغ، باستثناء ثلاثة من كراسي الحديقة، كل منها غير كامل بطريقته الخاصة - مقاعد ملتوية، عالقة في أوضاع مختلفة من الميل، ذراع واحدة معلقة بزاوية مكسورة. ويقبع في الجوار مبرد ملطخ، وتتدلى سلسلة من الأضواء الخيالية بين المناشر، مما يحول السقف إلى واحة رثة، تآكلت بفعل الطقس. المكان هادئ هنا - ليس صامتًا، لم تجد الصمت في مدينة بعد، بدأت تعتقد أنه ضاع وسط أعشاب العالم القديم - ولكنه هادئ كما هو الحال في هذا الجزء من منهاتن. ومع ذلك، لم يكن هذا النوع من الهدوء ما خنقها في مكان جيمس، وليس الهدوء الداخلي الفارغ للأماكن الواسعة جدًّا بالنسبة لشخص. إنه مكان مفعم بالحياة وهادئ، مليء بصيحات بعيدة وأبواق سيارات وصوت إستريو خفض إلى حالة ثابتة محيطة.

يحيط بالسقف جدار منخفض من الطوب، وتترك آدي نفسها تنحني إلى الأمام، وتريح مرفقيها وتنظر إلى الخارج حتى يتلاشى المبنى، وكل ما تستطيع رؤيته هو أضواء منهاتن، متتبعة الأنماط في السماء الشاسعة الخالية من النجوم.

تفتقد آدي النجوم.

التقت بصبي، في عام 65، وحين أخبرته بذلك، أخذها بالسيارة لمدة ساعة إلى خارج لوس أنجلوس، لمجرد رؤيتها. الطريقة التي تألق بها وجهه بفخر حين توقف في الظلام وأشار إلى أعلى. رفعت آدي رأسها ونظرت إلى العرض الهزيل، سلسلة الأضواء الاحتياطية عبر السماء، وشعرت بشـيء متبلد في أعماقها. حزن شديد، يشبه حزن الفقد. ولأول مرة منذ قرن، تتوق لفيون. للوطن. لمكان كانت فيه النجوم شديدة السطوع حتى أنها شكلت نهرًا، تيارًا من الضوء الفضي والأرجواني في الظلام.

تتطلع الآن إلى أسطح المنازل، وتتساءل ما إذا كان الظلام لا يزال يُشاهِد بعد كل هذا الوقت. بالرغم من أنه كان طويلًا جدًّا. بالرغم من أنه أخبرها ذات يوم أنه لا يتتبع كل حياة، إلا أنه أشار إلى أن العالم كبير ومليء بالأرواح، وأنه لديه ما يشغله أكثر من مجرد التفكير بها.

انفتح باب السطح خلفها، وترنحت حفنة من الناس.

رجلان. فتاتان.

وسام.

ملفوف في سويتر أبيض وبنطلون جينز رمادي شاحب، يشبه جسده ضربة الفرشاة، طويل ونحيف ومتألق على خلفية السقف الغامق. شعره أطول الآن، خطوط من الطلاء الأحمر على ساعديه حيث شمر الكمين إلى أعلى، وتتساءل آدي، بذهول تقريبًا، ماذا يعمل عليه. إنه رسام. أعمال تجريدية، غالبًا. مكانه، الصغير بالفعل، أصبح أصغر بفضل أكوام القماش المسنودة على الجدران. اسمه، هش وسهل، فقط سام في عمله المكتمل، أو حين يتبع عمود فقري في منتصف الليل.

يتحرك الأربعة الآخرون في حشد من الضوضاء عبر السطح، أحد الرجلين في منتصف قصة، لكن سام يتخلف وراءه بخطوة، ويميل برأسه إلى الخلف لينعم بهواء الليل المنعش، وتتمنى آدي أن يكون لديها شيء آخر تحدق فيه. مرساة لمنعها من الوقوع في الجاذبية السهلة لمدار الفتى.

لديها بالطبع.

الأوديسة.

وآدي على وشك أن تدفن عينها في الكتاب، تنزل عينا سام الزرقاوان من السماء وتجد عينيها. يبتسم الرسام، وللحظة، يكون شهر أغسطس مرة أخرى، وهما يضحكان ويشربان البيرة في فناء البار، ترفع آدي شعرها عن رقبتها لتهدئة وهج حرارة الصيف.

ينبض قلب آدي بصدرها بينما ينفصل الفتى مبتعدا عن مجموعته ويتجول بشكل عرضي. "آسف لتحطيم سلامك".

تقول آدي: "أوه، لا يهم"، دافعة نظرتها إلى الخارج، وكأنها تفحص المدينة، بالرغم من أن سام جعلها دائمًا تشعر وكأنها عباد الشمس، وهي تتجه بدون وعي نحو ضوء الفتى.

يتأمل سام: "في هذه الأيام، ينظر الجميع إلى أسفل، رائع أن تري شخصًا ينظر إلى أعلى".

الوقت ينزلق. وهو نفسه ما قاله سام حين التقيا أول مرة. والسادسة. والعاشرة. لكنه ليس مجرد خط. لسام عين فنان، حاضرة، وباحثة، من النوع الذي يدرس الموضوع ويرى ما أكثر من الأشكال.

تستدير آدي بعيدًا، وتنتظر صوت خطوات التراجع، ولكن بدلًا من ذلك، تسمع صوت ولاعة، ثم يقف سام بجانبها، خصلات شعر أبيض وأشقر ترقص على حافة بصرها. تستسلم، وتتفحص ما حولها بسرعة.

تسأل: "هل يمكن أن أسرق واحدة من هذه؟" وهي تومئ برأسها إلى السجائر.

يبتسم سام. "يمكنك. لكنك لست بحاجة إليها". يسحب واحدة أخرى من العلبة ويسلمها مع ولاعة زرقاء نيون. تأخذهما آدي، وتضع السيجارة بين شفتيها وتسحب إبهامها على لتشعل الولاعة. لحسن الحظ يهب النسيم، ولديها عذر، وهي تراقب الشعلة وهي تنطفئ.

تخرج. تخرج. تخرج.

"هنا".

يقترب "سام" من كتفها وهو يتدخل لمنع الريح. تنبعث منه رائحة كعك رقائق الشوكولاتة التي تخبزها جارته، مثل صابون اللافندر الذي يستخدمه لتنظيف الطلاء من أصابعه، وبلسم جوز الهند الذي يتركه في خصلات شعره ليلًا.

لم تحب آدي طعم التبغ قط، لكن الدخان يدفئ صدرها، ويمنحها شيئًا ما تفعله بيديها، شيء تركز عليه بجانب سام. إنهما قريبان جدًّا، وأنفاسهما تغمر الجزء نفسه من الهواء، ثم يمد سام يده ويلمس بقعة من بقع النمش الذي على الخد الأيمن لآدي، كما فعل أول مرة التقيا فيها، وهي لفتة بسيطة للغاية ولا تزال حميمة للغاية.

يقول: "لديك نجوم"، ويضيق صدر أدي، ويلتوي مرة أخرى.

رأيتها من قبل. عرفتها من قبل. عشتها من قبل.[17]

17 بالفرنسية في الأصل.

عليها أن تقاوم الرغبة في سد الفجوة، وتمرر راحة يدها على طول المنحدر الطويل لرقبة سام، وتتركها ترتاح على القفا، حيث تعرف آدي أنه مناسب تمامًا. يقفان في صمت، ينفثان سحبًا من الدخان الباهت، والأربعة الآخرون يضحكون ويصيحون وهم على ظهورهم، حتى ينادي أحد الرجلين - إيريك؟ آرون؟ - على سام، وبهذه الطريقة، ينزلق مبتعدا، عائدا عبر السطح. تصارع آدي الرغبة في إحكام قبضتها، بدل أن تتركه يذهب — مرة أخرى.

لكنها تفعل.

تميل إلى حائط الطوب المنخفض وتستمع إليهم يتحدثون، عن الحياة، عن التقدم في السن، عن قوائم الجرافات والقرارات السيئة، ثم تقول إحدى الفتيات: "أوه، سوف نتأخر". وبهذه الطريقة، تنتهي البيرة، وتطفأ السجائر، وتنجرف المجموعة نحو باب السطح، ويتراجع الخمسة جميعًا مثل المد.

سام هو آخر الذاهبين.

تباطأ، ونظر دون أن يستدير بجسمه، مرسل ابتسامة أخيرة إلى آدي قبل أن يغيب في الداخل، وتعرف آدي أنها يمكن أن تمسك به إذا ركضت، ويمكن أن تتغلب على الباب المغلق.

لا تتحرك.

المزلاج المعدني يغلق.

تنحني آدي على جدار القرميد.

تفكر، النسيان يشبه الجنون إلى حد ما. تبدأ في التساؤل عن معنى حقيقي، إذا كنْتَ أنت حقيقيًا. بالرغم من كل شيء، كيف يمكن أن يكون الشيء حقيقيًا إذا كان لا يمكن تذكره؟ إنه مثل زِن كوان،[18] القصة التي تدور حول سقوط الشجرة في الغابة.

إذا لم يسمع أحد سقوطها، هل تكون قد سقطت؟

إذا كان شخص لا يستطيع ترك علامة، فهل هو موجود؟

---

18 زِن كوان: قصة أو حوار أو سؤال أو بيان يستخدم في ممارسة زن لإثارة الشك الكبير واختبار تقدم الطالب في زن.

ترفع آدي السيجارة إلى حافة الطوب، وتدير ظهرها للأفق، وتشق طريقها إلى الكراسي المكسورة والمبرد المحصور بينها. تجد زجاجة بيرة تطفو بين الذوبان وشبه التجميد وتلف الغطاء، وتغرق في كرسي الحديقة الأقل تضررًا.

الجو ليس باردًا جدًّا الليلة، وهي متعبة جدًّا من البحث عن سرير آخر. توهج الأضواء الخيالية كافٍ لأن ترى بجواره، وتتمدد آدي على كرسي الحديقة، وتفتح الأوديسة، وتقرأ عن الأراضي الغريبة، والوحوش، والرجال الذين لا يستطيعون العودة إلى وطنهم، حتى يهدئها البرد وتنام.

باريس، فرنسا

9 أغسطس 1714



III

تتدلى الحرارة مثل سقف منخفض فوق باريس.

هواء شهر أغسطس ثقيل، ويزداد ثقله بامتداد المباني الحجرية، ورائحة الطعام المتعفن وفضلات البشر، والعدد الهائل من الأجساد التي تعيش متلاصقة.

في غضون مائة وخمسين عامًا، يضع أوسمان[19] بصماته على المدينة، ويرفع واجهة موحدة ويرسم المباني باللوحة الباهتة نفسها، مبتكرًا شهادة على الفن والتكافؤ والجمال.

هذه باريس التي حلمت آدي بها، وتعيش بالتأكيد لتراها.

لكن الآن، يتراكم الفقراء في أكوام رثة بينما يتجول النبلاء الملتفون بالحرير في الحدائق. الشوارع مزدحمة بعربات تجرها الخيول، والساحات مكتظة بالناس، وتندفع هنا وهناك أبراج عبر النسيج الصوفي للمدينة. يسير الأغنياء في الشوارع، ويرفعون إلى القمم كل قصر وعقار، بينما تتجمع الأكواخ في طرق ضيقة، الحجارة ملطخة بالأوساخ والدخان.

آدي مهمومة لدرجة أنه لم تلاحظ أي شيء فيها.

إنها تطوف على حافة ساحة، وتراقب الرجال وهم يفكون أكشاك السوق، ويطردون الأطفال بملابسهم الرثة، الذين يتمايلون ويتسكعون بينهم، بحثًا عن الفتات. أثناء سيرها، تنزلق يدها في جيب تنورتها، متجاوزة الطائر الخشبي الصغير إلى العملات sols النحاسية الأربع التي وجدتها في بطانة المعطف المسروق. أربع عملات، لتكفيها.

---

19 أوسمان (1809- 1891): مهندس وسياسي فرنسي معروف وضع مخطط باريس في القرن التاسع عشر.

الوقت يتأخر، ويهدد بهطول الأمطار، وعليها أن تجد مكانًا للنوم. يجب أن يكون الأمر سهلاً بما فيه الكفاية - يبدو أن في كل شارع مسكنًا - لكنها تعبر بالكاد عتبة الأول حين تُبعَد.

يوبخها المالك، وهو يستشيط غضبًا: "هذا ليس بيت دعارة".

ردت: "وأنا لست عاهرة"، لكنه يسخر فقط، وينفض أصابعه وكأنه يتخلص من بعض البقايا غير المرغوب فيها.

البيت الثاني ممتلئ، والثالث مكلف للغاية، والرابع للرجال فقط. وهي تخطو عبر الباب الخامس، تكون الشمس قد غابت ومعها روحها، وهي بالفعل مستعدة للتوبيخ، بعض الأعذار عن سبب عدم أهليتها للبقاء تحت السقف.

لكنها لا تُبعَد.

تقابلها امرأة كبيرة في المدخل، نحيلة وصلبة، بأنف طويل وعينين صغيرتين حادتين مثل عيني الصقر. تلقي نظرة على آدي وتقودها إلى القاعة. الغرف صغيرة وقذرة، لكن لها جدران وأبواب ونافذة وفيها سرير.

تطلب المرأة: "أجر أسبوع، مقدمًا".

يغرق قلب آدي. يبدو الأسبوع امتدادًا مستحيلًا حين يبدو أن الذكريات لا تدوم سوى لحظة أو ساعة أو يوم.

تقرر المرأة: "حسنا؟"

يد آدي تُغلق حول العملات النحاسية. كانت حريصة على سحب ثلاث فقط، وتخطفها المرأة بسرعة الغراب الذي يسرق فتات الخبز. تختفي في الحقيبة عند خصرها.

تسأل آدي: "هل يمكن أن تعطيني فاتورة؟ دليلًا ما، لإثبات أنني دفعت؟"

المرأة عابسة، مهانة بشكل واضح. "أدير منزلًا شريفًا".

تتلعثم آدي: "أنا متأكدة من ذلك، لكن الغرف كثيرة. ومن السهل نسيان أي غرفة-"

تقاطعها: "أربعة وثلاثون عامًا أدير هذا النزل، ولم أنس وجهًا قط".

تفكر آدي، إنها مزحة قاسية، والمرأة تستدير وتبتعد وتتركها في غرفتها المستأجرة.

دفعت مقابل أسبوع، لكنها تعلم أنها ستكون محظوظة إذا حصلت على يوم. تعرف أنها ستطرد في الصباح، وتكون المرأة أكثر ثراءً بثلاثة سول، بينما تكون هي نفسها في الشارع.

في القفل مفتاح برونزي صغير، تديره آدي، وتستمتع بالصوت الصلب، مثل سقوط حجر في مجرى مائي. ليس لديها ما تفرغه، ولا تغير الملابس؛ تخلع معطف السفر، وتخرج الطائر الخشبي الصغير من تنورتها وتثبته على حافة النافذة. تعويذة ضد الظلام.

تنظر إلى الخارج، وتتوقع أن ترى أسطح المنازل الضخمة والمباني المبهرة في باريس، أو الأبراج الشاهقة، أو على الأقل نهر السين. لكنها سارت بعيدًا جدًّا عن النهر، والنافذة الصغيرة تطل فقط على زقاق ضيق، والجدار الحجري لمنزل آخر يمكن أن يكون في أي مكان.

روى والد آدي لها قصصًا كثيرة عن باريس. جعلتها تبدو مثل مكان للبريق والذهب، غني بالسحر والأحلام التي تنتظر الكشف. الآن تتساءل عما إذا كان قد رآها من قبل، أو إذا لم تكن المدينة سوى اسم، فهي خلفية سهلة للأمراء والفرسان والمغامرين والملكات.

نزفت في عقلها، أصبحت تلك القصص صورة أكثر منها لوحة ونغمة. ربما كانت المدينة أقل روعة. ربما كانت هناك ظلال مختلطة بالضوء.

إنها ليلة رمادية ورطبة، أصوات التجار وعربات الخيول خافتة بسبب بداية هطول الأمطار الخفيفة، وتلتف آدي على السرير الضيق وتحاول النوم.

اعتقدت أنها ستقضي الليل على الأقل، لكن المطر لم يتوقف، وبالكاد استقر الظلام حين دقّت المرأة بابها، ودُفع مفتاح في القفل، وغرقت الغرفة الصغيرة في ضوضاء. أيدٍ قاسية تسحب آدي من السـرير. رجل يمسك ذراعها والمرأة تسخر وتقول: "من سمح لك بالدخول؟"

تصارع آدي للقضاء على بقايا النوم.

تقول: "أنتِ"،، متمنية لو ابتلعت المرأة كبرياءها وأعطتها إيصالًا، لكن كل ما تملكه آدي المفتاح، وقبل أن تتمكن من إظهاره، تضربها يد المرأة النحيلة بشدة على خدها.

تقول وهي تمص أسنانها: "لا تكذبي يا فتاة، هذا ليس بيتًا خيريًّا".

تقول آدي وهي تضع يدها على وجهها: "دفعْتُ"، لكن لا فائدة. الثلاثة سول في الكيس الموجود عند خصر المرأة لن تكون دليلاً على ذلك. "تحدثنا، أنت وأنا وقلت إنك تديرين هذا المنزل منذ أربع وثلاثين عامًا-"

للحظة، يظهر عدم اليقين على وجه المرأة. لكنها لحظة قصيرة جدًّا وعابرة جدًّا. تتعلم آدي يومًا ما أن تسأل عن الأسرار والتفاصيل التي لا يعرفها سوى صديق حميم، ولكن حتى ذلك الحين لن تحظى دائمًا بمصالحها. سوف توصف بأنها محتالة وساحرة وروح وامرأة مجنونة. تطرد لعشرات الأسباب المختلفة، بينما في الحقيقة، هناك سبب واحد فقط.

لا يتذكرون.

تأمرها المرأةُ: "اخرجي"، وبالكاد تمتلك آدي الوقت لأخذ معطفها قبل أن تُجبر على مغادرة الغرفة. في منتصف الطريق إلى القاعة، تتذكر أن الطائر الخشبي لا يزال مستريحًا على حافة النافذة، وتحاول أن تلف بحرية، وتعود إليه، لكن قبضة الرجل ثابتة.

ألقيتْ في الشارع، مرتعشة من العنف المفاجئ لكل شيء، العزاء الوحيد أنه قبل أن يغلق الباب، يُرمَى الطائر الخشبي الصغير أيضًا. يهبط على الحجارة بجانبها، يفرقع أحد الأجنحة بقوة.

ومع ذلك لا يصلح الطائر نفسه هذه المرة.

يستلقي هناك، بجانبها، قطعة من الخشب مقطوعة مثل ريشة ساقطة بينما تختفي المرأة مرة أخرى داخل المنزل. وتخنق آدي الرغبة الرهيبة في الضحك، ليس على الفكاهة بل على الجنون الذي يكتنفها، السخافة، التي تنهي ليلتها بشكل حتمي.

الوقت متأخر جدًّا، أو مبكر جدًّا، هدأت المدينة والسماء غائمة، رمادية يلمع فيها المطر، لكنها تعرف أن الظلام يراقب وهي تجرف النقش وتدفنه في جيبها مع آخر عملة نحاسية. تصل إلى قدميها، وتسحب المعطف بإحكام حول كتفيها، وحافة تنورتها رطبة بالفعل.

منهكة، تشق آدي طريقها إلى الشارع الضيق وتحتمي تحت الحافة الخشبية للمظلة، وتغرق في الانحناء الحجري بين المباني في انتظار الفجر.

تنزلق في حالة من النوم المحموم تقريبًا، وتشعر بيد أمها على جبينها، والارتفاع الخافت والانخفاض في صوتها وهي تهمهم، وتضع بطانية على كتفي آدي. وتعلم أنها لا بد أن تكون مريضة؛ هذه هي المرة الوحيدة التي ترى فيها والدتها لطيفة. لا تزال آدي باقية هناك، متمسكة بالذاكرة حتى وهي تتلاشى، دقات حوافر قاسية وشد العربات الخشبية التي تتعدى على أغنية والدتها الهامسة، وتدفنها نغمة بعد أخرى حتى تندفع للأمام بعيدًا عن الضباب.

تنورتها صلبة من الأوساخ وملطخة ومجعدة من النوم القصير المضطرب.

توقف المطر، لكن المدينة تبدو قذرة تمامًا كما كانت عند وصولها.

بالعودة إلى الوطن، تغسل العاصفة الجيدة العالم وتتركه ورائحته منعشة وجديدة.

لكن يبدو أنه لا يوجد شيء يمكنه إزالة الأوساخ من شوارع باريس.

إذا كان هناك أي شيء، فقد زادت تلك العاصفة الأمور سوءًا، فالعالم رطب وباهت، منقوع باللون البني، بالطين والقذارة.

وبعد ذلك، وسط الوحل، تشم رائحة حلوة.

تتبع الرائحة حتى تجد سوقًا يعج بالناس، والبائعون يهتفون بالأسعار من الطاولات والأكشاك، ولا يزال الدجاج يصيح وهو يسحب من على ظهور العربات.

تعاني آدي من الجوع، ولا يمكنها حتى أن تتذكر آخر مرة أكلت فيها. فستانها لا يناسبها، لكنه لم يناسبها قط - سرقته من حبل الغسيل منذ يومين خارج باريس، وقد تعبت من الفستان الذي كانت ترتديه يوم زفافها. ومع ذلك، فإنه معلق ولا يتسع الآن، بالرغم من الأيام التي بدون طعام أو شراب. إنها تفترض أنها لا تحتاج إلى تناول الطعام، ولن تموت من الجوع – لكن لا يعرف ذلك بطنها المتشنج وساقاها المرتعشتان.

تفحص الساحة المزدحمة، وتتحسس العملة الأخيرة في جيبها، وتكره أن تنفقها. ربما لا تحتاج إلى ذلك. مع وجود الكثير من الأشخاص في السوق، يجب أن يكون من السهل سرقة ما تحتاجه. أو هكذا تعتقد، لكن تجار باريس ماكرون مثل لصوصها، وهم يحكمون قبضتهم على كل الأدوات. تتعلم آدي أنها طريقة صعبة. تمر أسابيع قبل أن تتعلم التقاط تفاحة، وتبقى فترة أطول لتتقن ذلك بدون أدنى شك.

واليوم، تبذل جهدًا أخرق، وتحاول أن تمرر لفافة مغطاة بالبذور من عربة خباز، وتكافأ بيد بدينة تلتف حول معصمها.

"لصة!"

تلقي نظرة خاطفة على الرجال الذي يشكلون الحشد، ويغمرها الخوف من الهبوط في زنزانة أو مخزن. إنها لا تزال من لحم وعظام، ولم تتعلم بعد أن تختار الأقفال، أو أن تسحر رجال الأصفاد، لتحرر نفسها من الأغلال بسهولة ووجهها ينزلق من أذهانهم.

لذلك تتوسل على عجل، وتسلم آخر سول معها.

ينتزعها منها، يلوح بالرجال بالابتعاد والسول يختفي في حقيبته. كثيرة جدًّا على لفة، لكنه لم يعطها شيئًا. يقول، دفع لمحاولة السرقة.

هدير، ويدفعها بعيدًا: "محظوظة لأنني لا أمسك بأصابعك".

وهكذا تكون آدي في باريس، بقطعة خبز وطائر مكسور، ولا شيء آخر.

تسـرع من السوق، ولا تبطئ إلا حين تصل إلى ضفة نهر السين. وبعد ذلك، وهي تتنفس، تتساقط دموعها في اللفافة، وتحاول أن تبقيها أطول وقت، لكنها اختفت في لحظات، مثل قطرة ماء في بئر فارغة، بالكاد لمست جوعها.

تفكر في إستيل.

في العام السابق، عانت المرأة العجوز من طنين في أذنيها.

قالت: كان هناك دائمًا، ليلًا ونهارًا، وحين سألتها آدي كيف يمكنها تحمل الضوضاء المستمرة، هزت كتفيها.

قالت: "بمرور الوقت، يمكنك التعود على أي شيء".

لكن آدي لا تعتقد أنها ستعتاد على هذا.

تحدق في القوارب على النهر، الكاتدرائية ترتفع في ستارة الضباب. لمحات من الجمال تتألق مثل الأحجار الكريمة مقابل الإعداد القذر للكتل، أبعد وأكثر تسطيحًا من أن يكون حقيقية.

تقـف هنـاك حتى تـدرك أنها تنتظـر. تنتظر شـخصًا ما للمسـاعدة. يأتي ويصلـح الفوضى التـي تعيـش فيها. لكـن لا أحد يأتي. لا أحـد يتذكر، وإذا استسـلمت للانتظار فسـوف تنتظر إلى الأبد.

وهكذا تمشي.

وأثناء سيرها تفحص باريس. تكتب ملاحظة عن هذا المنزل وهذا الطريق والجسور وعربة الخيول وبوابات الحديقة. لمحات الورود خلف الحائط، والجمال في الشقوق.

يستغرق الأمر سنوات لتتعلم طريقة عمل هذه المدينة. لحفظ آلية عمل المناطق الإدارية، خطوة بخطوة، ترسم مسار كل بائع ومتجر وشارع. تدرس الفروق الدقيقة بين الأحياء وتعثر على الحصون والشقوق، وتتعلم أن تبقى وتزدهر، في المسافات بين حيوات الآخرين، وأن تجد لنفسها مكانًا بينهم. مكتبة سُر مَن قرأ

في النهاية، نعرف آدي باريس معرفة دقيقة.

سوف تصبح لصة بارعة وسريعة، لا يمكن الإمساك بها.

سوف تتسلل عبر المنازل الجميلة مثل شبح مزركش، وتتنقل عبر الصالونات، وتتسلل إلى أسطح المنازل في الليل وتشرب النبيذ المسروق تحت السماء المفتوحة.

سوف تبتسم وتضحك على كل انتصار مسروق.

في النهاية - ولكن ليس اليوم.

اليوم، تحاول ببساطة صرف انتباهها عن جوعها الشديد وخوفها الخانق. إنها اليوم وحيدة في مدينة غريبة، بلا مال ولا ماض ولا مستقبل.

يفرغ شخص دلوًا من نافذة بالطابق الثاني، دون سابق إنذار، ويتناثر الماء البني الكثيف على الحصى عند قدميها. تقفز آدي للخلف، محاولة تجنب أسوأ ما في الرذاذ، لتصطدم بامرأتين ترتديان ملابس أنيقة، وتنظران إليها وكأنها بقعة قذرة.

تتراجع آدي، وتتوارى عند درج قريب، لكن بعد لحظات تخرج امرأة وتهز مكنسة، وتتهمها بمحاولة سرقة زبائنها.

توبخها: "اذهبي إلى الأرصفة إذا كنت تخططين لبيع بضاعتك".

وفي البداية، لا تعرف آدي ما تعنيه المرأة. جيوبها فارغة. ليس معها ما تبيعه. لكن حين تقول ذلك، تنظر إليها المرأة، وتقول: "لديك جسد، أليس كذلك؟"

يتورد وجهها حين تفهم.

تقول: "لستُ عاهرة"، وتبتسم المرأة ابتسامة باردة.

تقول، وآدي تنهض، تستدير لتبتعد: "ألسنا فخورين؟" وتقول المرأة في نعيق يشبه الغراب: "حسنًا، هذا الفخر لن يملأ بطنك".

تسحب آدي المعطف بإحكام حول كتفيها وتدفع ساقيها للتقدم على الطريق، وتشعر وكأنها على وشك الانثناء، حين ترى أبواب كنيسة مفتوحة. ليست أبراج نوتردام الضخمة المهيبة، بل بناء صخري صغير محصور بين المباني في شارع ضيق.

لم تكن أبدًا متدينة، لم تكن مثل والديها. شعرت دائمًا بأنها عالقة بين الآلهة القديمة والجديدة - لكن لقاء الشيطان في الغابة جعلها تفكر. لكل ظل، لابد أن يوجد ضوء. ربما يكون للظلام نظير، ويمكن لآدي أن توازن أمنيتها. كانت إستيل تسخر، لكن إلهًا واحدًا لم يمنحها إلا لعنة، وبالتالي لا يمكن للمرأة أن تنتقدها في البحث عن ملاذ مع الآخر.

ينفتح الباب الثقيل، وتندفع للداخل، وترمش في الظلام المفاجئ حتى تتكيف عيناها، وترى ألواح الزجاج الملون.

تستنشق آدي، مندهشة من الجمال الهادئ للمساحة، والسقف المقبب، وأنماط الطلاء بالأحمر والأزرق والأخضر على الجدران. إنه نوع من الفن، كما تعتقد، حين يقف رجل في طريقها.

يفتح ذراعيه، لكن لا يوجد ترحيب في هذه البادرة.

الكاهن هناك لاعتراض طريقها. يهز رأسه عند وصولها.

قال، وهو يتملقها مثل طائر ضال في الممر: "آسف، لا يوجد مكان هنا. نحن متخمون".

تعود للخارج على درجات الكنيسة، والطحن الثقيل لمزلاج البيت وهو ينزلق، وفي مكان ما في ذهن أدي، تبدأ إستيل في الثرثرة.

تقول، بطريقتها الخشنة: "كما ترين، الآلهة الجديدة وحدها لديها أقفال".

لم تقرر آدي الذهاب إلى أحواض السفن قط.

تختار قدماها لها، وتحملانها على طول نهر السين حيث تغرق الشمس فوق النهر، وتقودها إلى أسفل الدرجات، والبوت المسروق يهدر على الألواح الخشبية.

الجو أشد عتمة هناك، في ظل السفن، منظر طبيعي من الصناديق والبراميل والحبال والقوارب التي تتأرجح. عيون تتبعها. يلقي الرجال نظرة وهم يعملون، وتنظر نساء مسترخيات مثل القطط في الظل. نظرتهن مزعجة، ولونهن فاقع للغاية، وأفواههن ملطخة ببقع حمراء صارخة. فساتينهن ممزقة وقذرة، لكنها تبقى أفضل من ملابس آدي.

لم تقرر ما تفعله، حتى حين ينزلق المعطف من كتفيها. حتى حين يأتي رجل إليها، وإحدى يديه تتحرك بالفعل، وكأنه يختبر ثمرة.

يسأل بصوت أجش: "بكم؟"

وليس لديها أي فكرة عن قيمة الجسد، أو إن كانت على استعداد لبيعه.

حين لا تجيب، تصبح يداه أكثر قسوة، وتشتد قبضته.

تقول: "عشرة سول"، ويطلق الرجل ضحكة تشبه النباح.

"من أنت، أميرة؟"

ترد: "لا، عذراء".

كانت هناك ليال، في البيت، تحلم فيها آدي بالمتعة، تستحضر فيها الغريب بجانبها في الظلام.

قال الغريب: "حبي"، وهو يضغط عليها في السرير، ويتدلى الشعر الأسود المجعد إلى عينين خضراوين ناصعتين.

"حبي" تعض يدها حتى لا تتنهد بصوت عالٍ جدًّا. كانت والدتها تقول إن متعة المرأة خطيئة مميتة، لكن في تلك اللحظات، لم تكن آدي تهتم. في تلك اللحظات، كان هناك فقط الشوق والرغبة والغريب، يهمس على جلدها ويشتد التوتر، تتراكم الحرارة مثل عاصفة في تجويف الوركين، ثم في عقلها، كانت أديلين تسحب جسده إلى جسدها. وتجذبه أعمق وأعمق حتى تندلع العاصفة، ويتدحرج الرعد خلالها.

لكن هذا لم يكن بهذا الشكل.

لا شِعْر في همهمات هذا الرجل المجهول، ولا لحن أو تناغم، لا توجد متعة متدحرجة، فقط الضغط والألم، وتوتر شيء ما يدفع داخل شيء آخر، وتنظر آدي إلى السماء ليلًا حتى لا تضطر إلى النظر إلى جسده وهو يتحرك، وتشعر بالظلام وهي تنظر إلى الخلف.

ثم يكونان في الغابة مرة أخرى،

"انتهى".

ينتهي الرجل بدفعة أخيرة، ويتراجع أمامها، شاحبًا، ولا يمكن أن تكون هكذا، لا يمكن أن تكون هذه هي الحياة التي دفعت آدي كل شيء مقابلها، لا يمكن أن يكون هذا هو المستقبل الذي محا ماضيها. يسيطر الذعر على صدرها لكن لا يبدو أن هذا الغريب يهتم أو حتى يلاحظ. إنه ينهض ببساطة، ويرمي حفنة من العملات المعدنية على الحصى عند قدميها. يبعد ببطء وتميل آدي على ركبتيها لتجمع مكافأتها، ثم تفرغ معدتها في نهر السين.

حين تُسأَل عن ذكرياتها الأولى في باريس، تلك الأشهر القليلة الرهيبة، تقول إنه كان موسم حزن مطموس في الضباب. تقول إنها لا تتذكر.

لكن آدي تتذكر، بالطبع.

تتذكر رائحة الطعام الفاسد والفضلات والمياه الملوثة في السين، والأشخاص على الأرصفة. تتذكر لحظات العطف التي تمحى عند مدخل أو فجر، وتتذكر الأسى على بيتها بخبزه الطازج وموقده الدافئ، ولحن عائلتها الهادئ، وإيقاع إستيل القوي. الحياة التي كانت حياتها، الحياة التي تخلت عنها من أجل الحياة اعتقدت أنها تريدها، سُرِقتْ وحلت هذه محلها.

ومع ذلك، تتذكر، أيضًا، كيف أدهشتها المدينة، والطريقة التي يفيض بها الضوء في الصباح والمساء، العظمة المنحوتة بين الكتل غير المتجانسة؛ كيف، بالرغم من كل الأوساخ والحزن والاستياء، كانت باريس مليئة بالمفاجآت. لمحات الجمال من بين الشقوق.

تتذكر آدي فترة الراحة القصيرة في ذلك الخريف الأول، حيث تحولت أوراق الشجر الرائعة فوق ممرات المشاة، من الأخضر إلى الذهبي مثل عرض المجوهرات، قبل الاندفاع القصير الحاد إلى الشتاء.

تتذكر البرد الذي قضم أصابع يديها وقدميها قبل أن يبتلعها كلها. البرد والجوع. عاشت، بالطبع، شهورًا صعبة في فيون، حين سرق البرد المفاجئ آخر محصول، أو جمد بعد ذلك النباتات التي نمت حديثًا - لكن هذا نوع جديد من الجوع. إنه ينهشها من الداخل، ويغرس أظافره في ضلوعها. يرهقها، وبينما تعرف آدي أنه لا يمكن أن يقتلها، فإن المعرفة لا تفعل شيئًا لتهدئة الألم الملحّ، الخوف. لم تفقد أوقية من لحمها، لكن معدتها تلتف، تقضم نفسها، ومثلما ترفض قدماها أن تتكلسا، ترفض أعصابها أن تتعلم. لا يوجد تخدير، ولا تلك السهولة التي تجلبها العادة. هذا الألم جديد وجاف ومتألق دائمًا، يبدو حادًّا مثل ذاكرتها.

وتتذكر الأسوأ، أيضًا.

تتذكر التجمد المفاجئ، البرد الوحشي الذي يتسلل إلى المدينة، وموجة الاعتلال التي هبت خلفه مثل نسيم أواخر الخريف، مبعثرة أكوام من الأوراق الميتة والذابلة. صوت العربات وشكلها وهي تقعقع، وهي تحمل حمولة قاتمة. تشيح آدي بوجهها، تحاول ألا تنظر إلى الأشكال العظْمية المكدسة في الخلف. تسحب معطفًا مسروقًا وهي تتعثر على الطريق، وتحلم بحرارة الصيف، والرد يتسلل إلى عظامها.

إنها لا تعتقد أنها ستحظى بالدفء مرة أخرى. ذهبت مرتين أخريين إلى أحواض السفن، لكن البرد أجبر المحتاجين على الدخول، إلى الملاجئ الدافئة لبيوت الدعارة، وحولها، تحول البرد المفاجئ إلى قسوة باريس. يجلس الأثرياء في منازلهم، ويتشبثون بنيران مواقدهم، ويقضي الشتاء على الفقراء في الشوارع. لا مكان للاختباء منه - أو بالأحرى احتلت البقع الوحيدة.

في السنة الأولى، كانت آدي متعبة جدًّا بحيث لا تصارع من أجل مكان. متعبة جدًّا بحيث لا تبحث عن مأوى.

عاصفة أخرى تندفع، وتنطوي آدي على نفسها، وتبدو عيناها ضبابيتين. تتجول في اتجاه جانبي، في شارع ضيق، فقط للهروب من الرياح العنيفة، والهدوء المفاجئ، والسلام التام، في الزقاق كامن، ناعم ودافئ. ثنت ركبتيها. تنزل إلى الزاوية بجوار مجموعة من السلالم، وتشاهد أصابعها تتحول إلى اللون الأزرق، وتعتقد أنها تستطيع رؤية الصقيع ينتشر على بشرتها، وتتأرجح بهدوء، ورغبة في النوم، في تحولها الخاص. أنفاسها تضبب الهواء أمامها، كل زفير قصير يزيل العالم من خلفه حتى تتلاشى المدينة الرمادية وتصبح بيضاء، بيضاء، ببيضاء. غريب، كيف يبدو باقيًا الآن، أكثر قليلًا مع كل نفس، وكأنه تعفير لوح زجاج. تتساءل كم عدد الأنفاس حتى يختفي العالم. يمحى، مثلها.

ربما تكون رؤيتها ضبابية.

لا تهتم.

إنها متعبة.

إنها متعبة جدًّا.

لا تستطيع آدي البقاء مستيقظة، ولماذا تحاول؟

النوم رحمة.

ربما تستيقظ مرة أخرى في الربيع، مثل الأميرة في إحدى قصص والدها، وتجد نفسها مستلقية على الضفة العشبية على طول نهر سارت، تدفعها إستيل بحذاء بالٍ وتضايقها لأنها تحلم مرة أخرى.

إنه الموت.

على الأقل، للحظة، تعتقد آدي لابد أن يكون الموت.

العالم مظلم، والبرد عاجز عن كبح رائحة العفن، وهي لا تستطيع الحركة. لكنها تتذكر بعد ذلك أنها لا يمكن أن تموت. هناك نبضها العنيد، يكافح لينبض، ورئتاها العنيدتان، تكافحان للملء، وتدرك آدي أن أطرافها ليست هامدة على الإطلاق، ولكنها مثقلة من كل جانب. أكياس ثقيلة فوقها، وتحتها، والذعر يرفرف في أعماقها، لكن عقلها لا يزال مثقلًا بالنوم. تلتف، وتزيح الأكياس قليلًا فوقها. الانقسامات المظلمة، وشظية من الضوء الرمادي تسطع خلالها.

تتضور آدي وتتلوى حتى تحرر أحد ذراعيها ثم الأخرى، وتجذبهما إلى جسدها. تبدأ في الاندفاع خلال الأكياس، وفقط حين تشعر بالعظام تحت القماش، وفقط حين تلتقي يدها بجلد شمعي، حينها فقط تتشابك أصابعها في خيوط شعر شخص آخر، وهي الآن مستيقظة، مستيقظة جدًا، تندفع، تمزق، تحاول جاهدة أن تتحرر.

تشق طريقها صعودًا، وقد برزت يداها عبر كومة عظام ظهر إنسان ميت. في الجوار، تنظر إليها عينان لبنيتان. ويتدلى الفك مفتوحًا، وتسقط آدي من العربة وتنهار على الأرض، وهي تتقيأ، وتبكي، حية.

يندفع صوت فظيع من صدرها، سعال حاد، شيء عالق في المنتصف بين النحيب والضحك.

ثم، صرخة، وتستغرق لحظة حتى تدرك أنها لا تأتي من شفتيها المتشققتين. تقف امرأة ممزقة على الجانب الآخر من الطريق، وتضع يديها في فمها في حالة رعب، ولا تستطيع آدي حتى أن تلومها.

يا لها من صدمة أن يرى المرء جثة تسحب نفسها من العربة.

ترسم المرأة صليبًا على جسمها، وتصرخ آدي بصوت أجش ومكسور: "لسْتُ ميتة". لكن المرأة تهرب ببساطة وتصب آدي غضبها على العربة. وتقول مرة أخرى: "لست ميتة!" وهي ترفس العجلة الخشبية.

"أهلًا!" يصيح رجل يمسك بساقي جثة واهية وملتوية.

"ابقي في الخلف"، يصيح ثانية، وهو يمسك كتفي الجثة.

بالطبع، لا يتذكرون رميها فيها. تتراجع آدي وهم يحركون أحدث جثة في العربة. تهبط بصوت مقزز فوق الجثث الأخرى، وتضطرب معدتها حين تفكر أنها كانت بينها، ولو لفترة وجيزة.

يفرقع سوط، والخيول تتقدم، والعجلات تدور على الأحجار المرصوفة، ولن يحدث حتى تنطلق العربة، أن تدفع آدي يديها المرتعشتين في جيوب معطفها المسروق، لتدرك أنها فارغة.

ضاع الطائر الخشبي الصغير.

آخر ما ينتمي إلى حياتها الماضية، ضاع مع الموتى.

لأشهر، تستمر في البحث عن الطائر، تنجرف يدها إلى جيبها بالطريقة التي قد تمدها بها لشعر شديد التجعيد، حركة وليدة العادة المتكررة. لا يمكن أن يبدو أنها تذكّر أصابعها بأنه ضاع، ولا يمكن أن يبدو أنها تذكّر قلبها، الذي يضطرب قليلًا كلما وجدت الجيب فارغًا. ولكن، هناك، يتفتح وسط الحزن، ارتياح رهيب. في كل لحظة منذ أن غادرت فيون، كانت تخشى فقدان هذا الرمز الأخير.

الآن بعد أن ضاع، هناك فرح ممزوج بالإحساس بالذنب ومدسوس في الأسى.

انكسر هذا الخيط الأخير الهش الذي يربطها بحياتها القديمة، وبقيت آدي حرة بقوة وبشكل جيد وحقيقي.

باريس، فرنسا

29 يوليو 1715

IV

الحالمة كلمة ناعمة جدًّا.

تستدعي التفكير في نوم حريري، وأيام الكسل في حقول العشب الطويل، ولطخات الفحم على الورق الناعم.

لا تزال آدي تتمسك بالأحلام، لكنها تتعلم أن تكون أكثر حدة. قدر أقل من يد الفنان، والمزيد من حدة السكين، لشحذ حافة القلم الرصاص.

تقول ممسكة بزجاجة النبيذ: "صب لي كأسًا"، فينزع الرجل الفلين ويملأ كأسين من الرف السفلي في الغرفة المستأجرة. يعطيها كأسًا، ولا تلمسها ويتجرع كأسه مرة واحدة، ويتجرع كأسًا ثانية قبل أن يتخلى عن الكأس ويمد يده إلى فستانها.

تقول، وهي ترشده للتراجع: "لماذا الاندفاع؟ دفعْتَ ثمن الغرفة. لدينا الليلة كلها".

تحرص على عدم إبعاده، تحرص على إبقاء ضغط مقاومتها خجولًا. وجدت أن بعض الرجال يسعدون بتجاهل رغبات المرأة. بدلًا من ذلك، ترفع آدي كأسها إلى فمه النهم، وتصب المحتويات الحمراء الصدئة بين شفتيه، وتحاول تمرير الإيماءة على أنها إغواء وليست قوة.

يشرب بعمق، ثم يبعد الكأس. تقبض يداها الغليظتان على عنقها، تصارعان مع الأربطة والمشدات.

يشتم: "لا يمكن أن أنتظر..". لكن الدواء الموجود في النبيذ أثَّر بالفعل، وسرعان ما يبتعد، ولسانه يثقل في فمه.

يتراجع إلى السرير، وهو لا يزال يمسك بفستانها، وبعد لحظة تتدحرج عيناه إلى الوراء وينكمش على جانب، ويغرق في النوم قبل أن يصل رأسه إلى الوسادة الرقيقة.

تنحني آدي وتدفعه حتى يتدحرج عن السرير، ويصطدم بالأرض مثل كيس من الحبوب. يصدر الرجل آهة مكتومة، لكنه لا يستيقظ.

تنتهي منه، وتفك رباط ثوبها حتى تتمكن من التنفس مرة أخرى. أزياء باريس - ضيقة ضعف ضيق الملابس الريفية وعملية نصفها. تتمدد على السرير، ممتنة بالحصول عليه، على الأقل لليلة. لا تريد أن تفكر في الغد، حين تضطر إلى البدء من جديد.

هذا هو الجنون. كل يوم كهرمان وهي الذبابة المحاصرة بالداخل. لا توجد طريقة للتفكير في الأيام أو الأسابيع وهي تعيش لحظات. يبدأ الوقت يفقد معناه - ومع ذلك، لم تضيع مسار الوقت. لا يبدو أنها تسيء تقديره (بغض النظر عن الطريقة التي تحاول بها) وهكذا تعرف آدي الشهر، واليوم، والليلة، وتعلم بالتالي أنه مر عام.

عام منذ أن هربت من حفل زفافها.

عام منذ هربت إلى الغابة.

عام منذ أن باعت روحها مقابل هذا. مقابل الحرية. مقابل الزمن.

عام، أمضته في تعلم حدود هذه الحياة الجديدة.

تتتبع حواف لعنتها مثل أسد في قفصه. (رأت الأسود الآن. أتت إلى باريس في الربيع جزءًا من معرض. لم تكن مثل الوحوش في خيالها. أعظم بكثير، وأقل بكثير، تقلص جلالها بسبب أبعاد زنازينها. ذهبت آدي عشرات المرات لرؤيتها، وتفحصت نظراتها الحزينة، ناظرة خلف الزائرين إلى الفجوة في الخيمة، شريحة واحدة من الحرية).

عام أمضته مقيدة في إطار هذه الصفقة، مجبرة على المعاناة لكنها لا تموت، تتضور جوعًا لكنها لا تنحف، ترغب لكنها لا تذبل. كل لحظة تضغط على ذاكرتها، وهي تنزلق من أذهان الآخرين بأدنى دفعة، وتمحى بباب مغلق، لحظة بعيدة عن الأنظار، لحظة نوم. عاجزة عن ترك بصمة على أي شخص أو أي شيء.

حتى الرجل سقط على الأرض.

تسحب زجاجة اللودنم[20] المغطاة بسدادة من تنورتها، وتحملها للضوء الباهت. ثلاث محاولات، وضاعت زجاجتان من الدواء الثمين قبل أن تدرك أنها لا تستطيع أن تضع المخدر في المشروبات بنفسها، لا يمكن أن تكون اليد التي تسبب الضرر. لكنها تمزجها في زجاجة النبيذ، وتعيد ضبط الفلين، وتدعهم يصبون كؤوسهم، ولم يعد الإجراء إجراءها.

أفهم؟

تتعلم.

إنه تعليم وحيد.

تصب الزجاجة، وآخر مادة لبنية تنقلب داخل الكأس، وتتساءل عما إذا كانت ستشتري لها ليلة من النوم بلا أحلام، وسلام عميق ومخدر.

"يا لخيبة الأمل".

عند سماع الصوت، كادت آدي تسقط اللودنم. تتمايل في الغرفة الصغيرة، تجوب الظلام، لكنها لا تجد مصدره.

"أعترف يا عزيزتي، كنت أتوقع المزيد".

يبدو أن الصوت يأتي من كل ظل - ثم من واحد. يتجمع في أحلك ركن في الغرفة، مثل الدخان. ثم يتقدم للأمام في الدائرة التي يشكلها لهب الشمعة. خصلات الشعر الأسود تتدلى على جبينه. تسقط الظلال في تجاويف وجهه، وتتألق العينان الخضراوان بنورهما الداخلي.

وللحظة غادرة، يترنح قلبها لمنظر غريبها المألوف، قبل أن تتذكر أنه هو فقط.

الظلام من الغابة.

---

20 محلول كحولي يحتوي على الأفيون.

عاشت هذه اللعنة عامًا، وفي ذلك الوقت، استدعته. توسلت في الليل، وحين غرقت العملات المعدنية التي لم تستطع إنقاذها في ضفاف نهر السين، وتوسلت إليه أن يرد فقط لتستطيع أن تسأل لماذا، لماذا، لماذا.

الآن، ترمي زجاجة اللودنم على رأسه مباشرة.

الظل لا يتحرك ليمسك بها، لا داعي لذلك. تمر مباشرة، وتتحطم على الحائط خلفه. يبتسم لها ابتسامة شفقة.

"مرحبًا، أديلين".

أديلين. اسم اعتقدت أنها لن تسمعه مرة أخرى. اسم يؤلم مثل كدمة، حتى حين يقفز قلبها لسماعه.

تزمجر: "أنتَ".

يميل برأسه ميلًا طفيفًا. تتجعد ابتسامته. "هل اشتقت لي؟"

تندفع نحوه مثل الزجاجة المسدودة، وتلقي بنفسها عليه، بشبه توقع أن تسقط وتتحطم كما تحطمت. لكن يديها تلتقيان باللحم والعظم، أو على الأقل الوهم بهما. تقبض على صدره، ويشبه ذلك ضرب شجرة، بالقسوة نفسها وبلا فائدة.

ينظر إليها، مستمتعًا: "أرى أنك-".

تمزق نفسها وتريد أن تصرخ وتغضب وتنتحب: " تركتني هناك. أخذت كل شيء مني، وغادرت. هل تعرف كم ليلة توسلت - "

يقول: "سمعتك"، وهناك متعة رهيبة في الطريقة التي يتكلم بها.

تصرخ آدي غاضبة: "لكنك لم تأت قط".

يفرد الظلام ذراعيه، وكأنه يقول، أنا هنا الآن. وتريد أن تضربه، بلا فائدة كالعادة، وتريد إبعاده، وطرده من هذه الغرفة مثل لعنة، لكنها يجب أن تسأل. يجب أن تعرف. "لماذا؟ لماذا فعلت هذا بي؟"

حواجبه الداكنة متماسكة بقلق زائف، قلق زائف. "منحتك أمنيتك".

"طلبْتُ المزيد من الوقت فقط، من أجل حياة مليئة بالحرية -"

"أعطيتك الاثنين". تتحرك أصابعه على طول عمود السرير. "العام الماضي لم يكن له أي خسائر -" يفر من حلقها صوت خانق، لكنه يواصل. "أنت كاملة، أليس كذلك؟ وغير مصابة. لا تكبرين. لا تذبلين. أما بالنسبة للحرية، فهل هناك تحرر أكثر حدة مما أهديتك إياه؟ حياة بلا أحد يرد عليها".

"أنت تعلم أن هذا ليس ما أردت".

قال بحدة وهو يتجه نحوها: "لم تعرفي ما تريدين. ولو عرفْتِ، لكنْتِ أكثر حرصًا".

"لقد خدعْتَ -"

يقول الظلام، ويغلق آخر مسافة بينهما: "أخطأْتِ، ألا تتذكرين، يا أديلين؟" ينخفض صوته إلى همس. "كنْتِ متهورة جدًّا، ومتحدية جدًّا، تصارعين للتعبير عن أفكارك وكأنها مغروسة في أعماق الأرض. كنت تبحثين عن كل الأشياء التي لا تريدينها".

إنه قريب جدًّا منها الآن، وإحدى يديه تنجرف على ذراعها، وهي ترغب في عدم منحه الرضا بالانسحاب، وعدم السماح له بلعب دور الذئب، وإجبارها على لعب دور النعجة. ولكنه صعب. بالرغم من كل ما صُوِّر على أنه غريبها، فهو ليس رجلًا. ولا حتى إنسانًا. إنه مجرد قناع، غير مناسب. يمكنها أن ترى ما يوجد تحته، كما كان في الغابة، بلا شكل ولا حدود له، وحشيًّا، ومهددًا. الظلام يومض خلف تلك النظرة للعينين الخضراوين.

"طلبْتِ الأبدية وقلْتُ لا. توسلْتِ وتضـرعْتِ، وبعد ذلك، هل تتذكرين ما قلْتِه؟" حين يتكلم مرة أخرى، يظل صوته كما كان، لكنها تستطيع سماع صوتها يتردد من خلاله.

"يمكن أن تعيشي حياتي حين أنتهي منها. يمكن أن تحصلي على روحي حين لا أريدها".

تتراجع، عن الكلمات، عنه، أو تحاول، لكنه لا يسمح لها هذه المرة. تشد اليد على ذراعها؛ والأخرى تستريح مثل لمسة عاشق خلف رقبتها.

"ألم يكن من مصلحتي، إذن، أن أجعل حياتك غير سارة؟ للضغط عليك نحو استسلامك المحتوم؟"

تهمس، كارهة التردد في صوتها: "ما كان يجب أن تفعل ذلك".

يقول: "عزيزتي أديلين"، ويده تنزلق على رقبتها إلى شعرها. "أنشغل بالأرواح لا الرحمة". تشتد أصابعه، وتجبر رأسها على التراجع، ونظرتها على أن تلتقي بنظرته، ولا توجد حلاوة في وجهه، لا يوجد إلا جمال وحشي.

يقول: "تعالي، أعطيني ما أريد، وتتم الصفقة، وينتهي البؤس".

روح، سنة واحدة من الأسى والجنون.

روح، مقابل عملات معدنية على رصيف في باريس.

روح، مقابل لا شيء أكثر من هذا.

ومع ذلك، من الكذب أن تقول إنها لا تتردد. أن تقول إنه لا يوجد جزء منها يريد الاستسلام، التنازل، ولو للحظة. ربما هذا هو الجزء الذي يسأل.

"ماذا يحل بي؟"

هاتان الكتفان – الكتفان التي رسمتها مرات عديدة، الكتفان التي استحضرتها إلى الوجود – تهتز فقط هزة استنكار.

يقول ببساطة: "لن تكوني شيئًا يا عزيزتي. لكن لا شيء ألطف من أن تستسلمي وأحررك".

إذا اهتز جزء منها، إذا أراد جزء صغير التنازل، فلن يدوم أكثر من لحظة. هناك تحدٍّ في أن تكون حالمة.

تتذمر: "أرفض".

يتجهم الظل، وتظلم العينان الخضراوان مثل قماش مبلل.

تسقط يداه بعيدًا.

يقول: "سوف تستسلمين. قريبًا جدًّا".

لا يتراجع ولا يستدير ليذهب. ذهب ببساطة. ابتلعه الظلام.

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

V

لم يكن هنري شتراوس شخصًا صباحيًّا قط.

يريد أن يكون صباحيًّا، ويحلم بأن ينهض مع الشمس، ويتناول أول فنجان قهوة والمدينة لا تزال تستيقظ، وأمامه اليوم كله مليئًا بالوعود.

حاول أن يكون شخصًا صباحيًّا، وفي مناسبة نادرة تمكن من الاستيقاظ قبل الفجر، كان الأمر ممتعًا: مشاهدة اليوم يبدأ، والشعور، على الأقل لبعض الوقت، وكأنه يتقدم بدل أن يتأخر. ولكن حينها يطول الليل، ويبدأ اليوم متأخرًا، والآن يشعر أنه لا يوجد وقت على الإطلاق. وكأنه متأخر دائمًا عن شيء ما.

اليوم، يتناول الإفطار مع أخته الصغرى موريل.

يسرع هنري إلى البناية، ورأسه لا يزال يرن بصوت خافت من الليلة السابقة، وكان عليه أن يلغيه، يجب أن يلغيه. لكنه ألغاه ثلاث مرات في الشهر الماضي وحده، ولا يريد أن يكون أخًا قذرًا؛ إنها تريد فقط أن تكون أختًا طيبة وهو أمر لطيف وجديد.

لم يزر هذا المكان من قبل. ليس مكانًا من الأماكن المحلية التي يتردد عليها – بالرغم من حقيقة أن هنري تردد على كل المقاهي في المنطقة المجاورة له. أفسدت فانيسا الأول. وميلو الثاني. وتذوق الإسبريسو في الثالث مثل الفحم. لذا ترك الاختيار لموريل، واختارت "حفرة صغيرة جذابة في الحائط" تسمى عباد الشمس لا تحتوي على ما يبدو على علامة أو عنوان أو أي طريقة للعثور عليها إلا برادار حديث يفتقر إليه هنري بوضوح.

يرى، أخيرًا، زهرة عباد الشمس على جدار عبر الشارع. يهرول للقيام بدون اهتمام، ويصطدم برجل في الزاوية، ويغمغم بالاعتذار (حتى والرجل الآخر يقول إنه بخير، إنه بخير، إنه بخير تمامًا). حين يجد هنري المدخل أخيرًا، تكون المضيفة في منتصف الطريق لإخباره أنه لا يوجد مكان، لكنها بعد ذلك تنظر من المنصة وتبتسم وتقول إنها ستوفر مكانًا.

يبحث هنري حوله عن موريل، لكنها دائمًا تعتبر الوقت مفهومًا مرنًا، وبالرغم من تأخره، تتأخر أكثر بالتأكيد. وهو سعيد في سره، لمرة، لأن ذلك يمنحه لحظة للتنفس، لتسوية شعره والتخلص من الوشاح الذي يحاول خنقه، حتى أنه يطلب قهوة. يحاول أن يبدو حسن المظهر، حتى لو كان لا يهم ما يفعله؛ لن يغير ما تراه. لكنه لا زال مهمًّا. لابد أن يكون مهمًّا.

بعد خمس دقائق، تتسلل موريل. إنها، كالعادة، إعصار من خصلات الشعر الداكن وثقة لا تتزعزع.

موريل شتراوس، في الرابعة والعشرين فقط وتتحدث عن العالم من حيث أصالة المفاهيم والحقيقة الإبداعية، وكانت محبوبة في المشهد الفني في نيويورك منذ الفصل الدراسي الأول لها في تيش،[21] حيث أدركت بسرعة أنها أفضل في نقد الفن من إبداعه.

هنري يحب أخته، يحبها. لكن موريل كانت تحب العطر القوي دائمًا.

الأفضل بجرعات صغيرة. ومن مسافة.

تصيح: "هنري!" وتخلع معطفها وتجلس على المقعد بتأنق درامي.

تقول: "تبدو رائعًا"، وهذا ليس صحيحًا، لكنه ببساطة يقول: "وأنت أيضًا يا مور".

تبتسم، وتطلب إسبريسو بالحليب، ويستعد هنري لصمت محرج، لأنه في الحقيقة ليس لديه أي فكرة عن كيفية التحدث معها. ولكن إذا كانت موريل جيدة في أي شيء، ففي تعليق محادثة. لذا يشرب قهوته السوداء ويستقر وهي تتصفح أحدث دراما جاليري بوب آب، ثم جدولها لعيد الفصح، وتمتدح مهرجانًا فنيًّا تجريبيًّا على الهاي لاين، بالرغم من أنه لم يفتتح بعد. لم يكن الأمر كذلك إلا بعد أن تنتهي من التشدق على قطعة من فن الشارع الذي لم يكن

21 تيش Tisch: مدرسة بجامعة نيويورك للفنون المسرحية والسينمائية والإعلامية. تأسست في 1965.

بالتأكيد كومة من القمامة، ولكن في الواقع تعليق على النفايات الرأسمالية، على صدى همهمات هنري، وإيماءات تجلبها موريل لشقيقها الأكبر.

"كان يسأل عنك".

هذا شيء لم تقله موريل قط. ليس عن ديفيد؛ لم تقله قط لهنري.

لذلك لا حيلة له في الأمر. "لماذا؟"

تحرك أخته عينيها. "أتخيل ذلك لأنه يهتم".

كاد هنري يصاب بغصة من شرابه.

يهتم ديفيد شتراوس بأشياء كثيرة. يهتم بوضعه كأصغر كبير جراحين في سيناء.[22] يفترض أنه يهتم بمرضاه. ويهتم بتخصيص وقت للمدراش،[23] حتى لو كان ذلك يعني أن عليه أن يفعل ذلك في منتصف ليلة الأربعاء. إنه يهتم بوالديه، ومدى فخرهما بما فعله. لا يهتم ديفيد شتراوس بأخيه الأصغر، باستثناء الطرق التي لا تعد ولا تحصى التي يدمر بها سمعة العائلة.

ينظر هنري إلى ساعته بازدراء، بالرغم من أنها لا توضح الوقت أو أي وقت، بهذا الشأن.

يقول، وهو يسحب كرسيه للخلف: "آسف يا أختي، يجب أن أفتح المتجر".

تتوقف عما تفعله - وهو شيء لم تكن تفعله من قبل - وتنهض من الكرسي لتلف ذراعيها حول خصره، وتضغط عليه بقوة. إنه شعور يشبه الاعتذار، يشبه المودة، يشبه الحب. موريل أقصر بخمس بوصات من هنري، وهو ما يكفي لإراحة ذقنه على رأسها، إذا كانا قريبين من هذا النوع، وهما ليسا كذلك.

تقول: "لا تكن غريبًا"، ويعد هنري بأنه لن يكون كذلك.

---

22 لعل الإشارة إلى مستشفى جبل سيناء في نيويورك، وهي مستشفى تأسست في 1852.

23 المدراش Midrash: تعليق قديم على جزء من الكتب المقدسة العبرية، مرفق بنص من نصوص التوراة.

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

VI

تستيقظ آدي على شخص ما يلمس خدها.

كانت الإيماءة لطيفة للغاية، في البداية اعتقدت أنها تحلم بالتأكيد، لكنها بعد ذلك تفتح عينيها، وترى أضواء خيالية على السطح، وترى سام جالس بجانب كرسي الحديقة، وتجعيد قلق على جبينه. شعره حر، وخصلة من الشعر المجعد الأشقر البري حول وجهه.

يقول: "مرحبًا، بالجميلة النائمة"، وهو يعيد سيجارة إلى علبتها، بدون أن يشعلها.

ترتجف آدي وتجلس وتشد الجاكيت بإحكام حولها. إنه صباح بارد، غائم، السماء امتداد أبيض غير مشمس. لم تنوِ النوم كل هذا الوقت، إلى هذا الوقت المتأخر. لا يعني ذلك أن لديها أي مكان تذهب إليه، لكنها بالتأكيد بدت وكأنها فكرة أفضل في الليلة الماضية، حين استطاعت أن تشعر بأصابعها.

سقطت الأوديسة من حجرها. ملقاة على الأرض مقلوبة، وغلافها ملطخ بندى الصباح. تمد يدها لالتقاطها، وتبذل قصارى جهدها لإزالة الغبار من على الغلاف، وتنظيف الصفحات التي ثُنيتْ أو لُطِّختْ.

يقول سام وهو يسحب آدي لتنهض: "الجو بارد هنا، هيا".

يتحدث سام دائمًا بهذه الطريقة، بيانات بدل الأسئلة، أوامر تبدو دعوات. يدفع آدي نحو باب السطح، وآدي تشعر ببرد شديد لدرجة لا تسمح لها بالاحتجاج، وتتبع سام ببساطة أسفل الدرج إلى شقته، متظاهرة بأنها لا تعرف الطريق.

الباب يفتح على الجنون.

القاعة وغرفة النوم والمطبخ كلها مليئة بالأعمال لفنية والتحف. فقط غرفة المعيشة - في الجزء الخلفي من الشقة - فسيحة وخالية. لا توجد أريكة أو طاولات هناك، لا شيء سوى نافذتين كبيرتين، وحامل، وكرسي.

قال، حين أحضر آدي إلى البيت أول مرة: "هذا هو المكان الذي أعيش فيه".

وأجابت آدي: "أستطيع أن أعرف".

كدس كل ما يملك في ثلاثة أرباع المساحة، فقط للحفاظ على الهدوء والسكينة في الربع الرابع. عرضت عليه صديقته مساحة أستوديو في صفقة مجنونة، لكنه شعر بالبرد، كما قال، ويحتاج إلى الدفء ليرسم.

يقول سام وهو يلف حول لوحة، فوق صندوق. "آسف، إنها الآن مزدحمة بعض الشيء".

لم يسبق لآدي رؤيتها بشكل آخر. كانت تود أن ترى ما يفعله سام، وما وضع الطلاء الأبيض تحت أظافره وأدى إلى تلطيخ أسفل فكه مباشرة باللون الوردي. لكن بدلًا من ذلك، تجبر آدي نفسها على متابعة الفتى مرات ومرات خلال الفوضى إلى المطبخ. يستقر سام عند آلة صنع القهوة، وتنزلق عينا آدي فوق المكان، محددة التغييرات. مزهرية أرجوانية جديدة. كومة من الكتب نصف المقروءة، بطاقة بريدية من إيطاليا. مجموعة أكواب، وبعض الأغصان المبرعمة النظيفة، التي تنمو دائمًا.

تقول، وهي تومئ برأسها إلى كومة اللوحات الماثلة على الموقد: " ترسم".

يقول سام، وابتسامة على وجهه: "أرسم، لوحات تجريدية، غالبًا. فن بلا معنى، كما يسميه صديقي جيك. لكنه ليس بلا معنى حقًا، إنه بالضبط – كما يرسم الآخرون ما يرونه. أرسم ما أشعر به. ربما يكون الأمر محيرًا، حيث تستبدل حاسة بأخرى، لكنْ في التحول جمال".

يصب سام فنجانين من القهوة، أحدهما أخضر، ضحل باتساع سلطانية، والآخر طويل وأزرق. يسأل: "قطط أو كلاب؟" بدلًا من "أخضر أو أزرق"، برغم عدم وجود كلاب أو قطط على أي منهما، وتقول آدي: "قطط"، ويعطيها سام الكوب الأزرق الطويل بدون تفسير.

أصابعهما تتلامس، وهما يقفان أقرب مما أدركت، قريبين بما يكفي لكي ترى آدي الخطوط الفضية باللون الأزرق لعيني سام، قريبين بما يكفي لأن يعد سام النمش على وجهها.

يقول: "لديك نجوم".

تفكر آدي مرة أخرى، رأيتها من قبل. [24] تريد أن تبتعد، وتغادر، وتجنب نفسها جنون التكرار والتفكير. بدلًا من ذلك، تلف آدي يديها حول الكوب وتأخذ رشفة طويلة. السمة الأولى قوية ومرَّة، أما الثانية فغنية وحلوة.

تتنهد بسرور، ويبتسم لها سام ابتسامة رائعة. ويقول: "جيد، صحيح؟ السر -"

تفكر آدي، حبيبات الكاكاو.

يقول سام: "حبيبات الكاكاو"، وهو يأخذ رشفة طويلة من فنجانه، التي تعتقد آدي أنه الآن سلطانية حقًّا. ينثني فوق المنضدة، ورأسه ينحني فوق القهوة وكأنها قربان.

تمزح آدي: "تبدو مثل زهرة ذابلة".

يغمز سام ويرفع فنجانه: "اسقيني، وشاهديني وأنا أزهر".

لم يسبق لآدي أن رأت سام بهذا الشكل، في الصباح. بالطبع، استيقظت بجانبه، لكن تلك الأيام كانت تشوبها الاعتذارات، وعدم الارتياح. تداعيات غياب الذاكرة. ليس من الممتع أن تبقى في تلك اللحظات. الآن، مع ذلك. هذا جديد. ذكرى تُصنَع لأول مرة.

يهز سام رأسه: "آسف. لم أسأل عن اسمك قط".

هذا أحد الأشياء التي تحبها في سام، وهي من أول الأشياء التي لاحظتها عمومًا. يعيش سام ويحب بقلب مفتوح، ويشارك في هذا النوع من الدفء الذي يدخره معظم الناس لأقرب المقربين فقط في حياتهم. الأسباب تأتي في المرتبة الثانية بعد الاحتياجات. استقبلها ودفأها قبل أن يفكر في أن يسألها عن اسمها.

تقول آدي: "مادلين"، لأنه أقرب الأسماء التي يمكن أن ترد إلى ذهنها.

---

24 بالفرنسية في الأصل.

يقول سام: "أوه، نوع مفضل لدي من الكعك. اسمي سام".

تقول: "مرحبًا يا سام"، وكأنها تنطق الاسم لأول مرة.

يقول سام، وكأن السؤال خطر له للتو: "وبالمناسبة، ماذا كنت تفعلين على السطح؟"

تقول آدي وهي تضحك ضحكة صغيرة تحمل نبرة استنكار للذات. "أوه، لم أقصد النوم هناك. لا أتذكر حتى الجلوس على كرسي الحديقة. لابد أنني كنت متعبة أكثر مما أعتقد. انتقلت للتو، الدور الثاني، ولا أعتقد أنني معتادة على كل هذه الضوضاء. لم أستطع النوم، استسلمت أخيرًا وذهبت إلى هناك لاستنشاق بعض الهواء النقي ومشاهدة شروق الشمس فوق المدينة".

الكذبة تنطلق بسهولة، الطريق ممهد بالممارسة.

يقول سام: "نحن جيران!" ويضيف وهو يضع فنجانه الفارغ جانبًا: "كما تعلمين، أود أن أرسمك في وقت ما".

وتقاوم آدي الرغبة في القول، رسمتني بالفعل.

"أعني، لن تبدو اللوحة مثلك"، يتجول سام متجه إلى القاعة. تتابعه آدي، وتراقبه وهو يتوقف ويحرك أصابعه فوق كومة من اللوحات، فيقلبها كما لو كانت تسجيلات في متجر للفينيل.

يقول: "لدي هذه السلسلة الكاملة التي أعمل عليها، من أناس مثل السماوات".

يتردد صدى الوخز المزعج في صدر آدي، وكان ذلك قبل ستة أشهر، وهما يستلقيان في السرير، وتتتبع أصابع سام النمش على خديها، ولمسته خفيفة وثابتة مثل الفرشاة.

قال: "كما تعلمين، يقولون إن الناس مثل رقائق الثلج، كل واحد فريد، لكنني أعتقد أنهم يشبهون السماوات أكثر. بعضهم غائم، وبعضهم عاصف، وبعضهم صافٍ، لكن لا يوجد اثنان متماثلان تمامًا".

"وأي نوع من السماء أنا؟" سألت آدي حينها، فحدق بها سام، دون أن يرف له رمش، ثم أشرق، وكان ذلك نوعًا من الإشراق الذي رأته مع مائة فنان، مائة مرة، وهج الإلهام، كما لو

أن شخصًا ما أشعل ضوءًا تحت بشرتهم. وسام، الذي صار حيويا فجأة، جرحًا في الحياة، قفز من السرير، وأخذ آدي معه إلى غرفة المعيشة.

ساعة من الجلوس على الأرضية الصلبة، ملفوفة في بطانية فقط، تستمع إلى همهمة سام وكشطه وهو يمزج الألوان، وصوت الفرشاة على القماش، وبعد ذلك تكتمل اللوحة، وحين اقتربت آدي لتنظر إليها، رأت سماء الليل. ليست سماء الليل كما رسمها أي شخص آخر. خطوط غامقة من الفحم، وشُرَط سوداء ورفيعة من الرمادي المتوسط ، والطلاء كثيف لدرجة أنه يرتفع عن القماش. ومرقط على السطح، حفنة من النقط الفضية. بدت عَرَضية تقريبًا، مثل تناثر اللون من فرشاة، لكن كانت سبعًا بالضبط، صغيرة وبعيدة ومتباعدة مثل النجوم.

يعيدها صوت سام إلى المطبخ.

يقول الآن: "أتمنى أن أريك لوحتي المفضلة. كانت الأولى في هذه السلسلة. ليلة منسية. بعتها لجامع اللوحات في الجانب الجنوبي الشرقي. كانت أول عملية بيع كبيرة لي، دفعت إيجاري ثلاثة أشهر، وأدخلتني إلى جاليري. لا يزال، من الصعب التخلي عن الفن. أعلم أنني يجب أن – هذا الفنان الجائع تمامًا مبالغ في قيمته – لكني أفتقده كل يوم".

صوته يزداد رقة.

"الأمر الجنوني أن كل قطعة في تلك السلسلة مصممة على شخص ما. أصدقاء، ناس هنا في المبنى، غرباء وجدتهم في الشارع. أتذكرهم جميعًا. لكني لا أستطيع أن أتذكرها أبدًا".

تبتلع آدي ريقها: "هل تعتقد أنها كانت فتاة؟"

"نعم. أعتقد ذلك. كان لديها هذه الطاقة فقط".

"ربما حلمت بها".

يقول سام: "ربما. لم أكن أجيد تذكر الأحلام قط. لكنك تعلمين..". يبتعد، وهو يحدق في آدي كما حدق فيها تلك الليلة في السرير، وبدأ يتألق. "تذكرينني بتلك القطعة". يضع يده على وجهه. "يا إلهي، هذا يبدو وكأنه أسوأ بداية لحوار في العالم. آسف. سأستحم".

تقول آدي: "يجب أن أذهب. شكرًا على القهوة".

يعض سام شفته: "هل أنت مضطرة إلى الذهاب؟"

لا، ليست مضطرة. تعرف آدي أنها يمكن أن تتبع سام مباشرة في الحمام، تلف نفسها بفوطة، وتجلس على أرضية غرفة المعيشة وترى أي ما يرسمه سام لها اليوم. يمكنها. يمكنها. يمكن أن تقع في هذه اللحظة إلى الأبد، لكنها تعلم أنها لا يوجد فيها مستقبل. لا يوجد فيها إلا عدد لا حصر له من الهدايا، وقد عاشت مع سام بقدر ما يمكن أن تتحمل.

تقول: "آسفة"، وفي الصدر ألم، لكن سام يكتفي بهز كتفيه.

يقول بإيمان كبير: "سنتقابل مرة أخرى. نحن جيران الآن بالرغم من كل شيء".

تنجح آدي في أن تظهر ظلًّا شاحبًا لابتسامة: "صحيح".

يمشي سام معها إلى الباب، ومع كل خطوة، تقاوم آدي الرغبة في النظر إلى الوراء.

يقول سام: "لا تكوني غريبة".

"لن أكون"، وعدت آدي، والباب يغلق. تتنهد، تتكئ عليه، وتستمع إلى خطى سام وهو يتراجع في القاعة المزدحمة، قبل أن تجبر نفسها على الحركة، والسير إلى الأمام، والابتعاد.

في الخارج، تشققت السماء الرخامية البيضاء، تاركة شرائط رفيعة زرقاء تخترقها.

انقشع البرد، وتجد آدي مقهى به منطقة للجلوس على الرصيف، مشغولًا بما يكفي بحيث لا يتوفر للنادل الوقت للمرور على الطاولات الخارجية إلا كل عشر دقائق تقريبًا. إنها تحسب الضربات مثل سجينة تعلم خطى الحراس، وتطلب القهوة - إنها ليست جيدة مثل قهوة سام، مُرَّة، تمامًا ليست حلوة، لكنها دافئة بما يكفي لإبعاد البرد. ترفع طوق معطفها الجلدي وتفتح الأوديسة مرة أخرى وتحاول القراءة.

هنا، يعتقد أوديسيوس أنه في طريقه إلى البيت، ليلتئم شمله أخيرًا مع بينيلوب بعد أهوال الحرب، لكنها قرأت القصة مرات كافية لتعرف أن الرحلة أبعد ما تكون عن النهاية.

تتصفح الكتاب وتترجم من اليونانية إلى الإنجليزية الحديثة.

أخشى أن يرغمني الصقيع الحاد والندى المحمل بالماء
إلى الدخول- أنا مرهق جدًّا، على وشك أن أتنفس النفس الأخير،
وتهب ريح باردة من نهر في الصباح.

عاد النادل إلى الخارج، فترفع عينها عن الكتاب، وتشاهده يعبس إلى حد ما عند رؤية المشروب الذي طُلِب وسُلِّم بالفعل، والفجوة في ذاكرته بشأن المكان الذي يجب أن يكون فيه العميل. لكنها تبدو وكأنها تنتمي للمكان، وهذه بداية ناجحة، حقًّا، وبعد لحظة يوجه انتباهها إلى رفيقين في المدخل، في انتظار الحصول على مقعد.

عادت إلى كتابها، لكن لا فائدة منه. ليست في مزاج يسمح لها بالاندماج مع قدماء فقدوا في البحر، أمثلة لحياة الوحدة. إنها تريد أن تُسلَب وتريد أن تنسى. فانتازيا، أو ربما قصة حب.

القهوة باردة الآن، على أي حال، وتقف آدي، والكتاب في يدها، وتنطلق إلى الكلمة الأخيرة للعثور على شيء جديد.



باريس، فرنسا

29 يوليو 1716

VII

تقف في ظل تاجر حرير.

عبر الطريق، متجر الخياط صاخب، وتيرة الأعمال سريعة حتى واليوم يمر. يتساقط العرق على رقبتها وهي تفك البونيه وتعيد ربطه، بعد إنقاذه من هبة رياح، على أمل أن يكفي الكاب القماش لتبدو خادمة، أن يمنحها نوعًا من الاختفاء المدخر للمساعدة. إذا اعتقد أنها خادمة، فلن يبدو برتين قريبًا جدًّا. إذا اعتقد أنها خادمة، فقد لا يلاحظ فستان آدي، وهو بسيط ولكنه جيد، انزلق من على موديل الخياط قبل أسبوع، في متجر مماثل عبر نهر السين. كان شيئًا جميلًا في البداية، حتى علقت التنورة بمسمار خاطئ، وألقى شخص ما دلوًا من السخام بالقرب من قدميها، ونبيذًا أحمر بطريقة ما على أحد الكمين.

كانت تتمنى أن تكون ملابسها مقاومة للتغيير مثلها. خاصةً لأنها لا تملك سوى فستان واحد - فليس هناك فائدة من وجود دولاب، أو أي شيء آخر، حين لا يكون لديك مكان تضعه فيه. (ستحاول، في السنوات اللاحقة، جمع الحلي وإخفائها بعيدًا مثل غراب مع عشه، لكن شيئًا ما يتآمر دائمًا لسرقتها مرة أخرى. مثل الطائر الخشبي، الضائع بين الجثث في العربة. لا يبدو أنها تمسك قدرًا كبيرًا من أي شيء لفترة طويلة).

أخيرًا، يخرج الزبون الأخير - خادم، وصندوق مزخرف تحت كل ذراع - وقبل أن يتمكن أي شخص آخر من دفعها حتى الباب، تنطلق آدي في الشارع وتدخل محل الخياط.

إنها مساحة ضيقة: طاولة مكدسة بلفافات من القماش؛ فستانان يمثلان أحدث موضة. نوع من العباءات التي تتطلب أربعة أيادٍ على الأقل لارتدائها، ومثله لخلعها - مشدودة تمامًا إلى

الوركين والأكمام مكشكشة والصدور ضيقة للغاية بحيث لا تسمح بالتنفس. في هذه الأيام، يغلف المجتمع الراقي في باريس مثل الطرود، ومن الواضح أنه لا يفترض أن تفتح.

يعلن جرس صغير على الباب وصولها، وينظر إليها الخياط، مسيو برتين، بحواجب سميكة مثل العليق، وتجهم.

يقول باقتضاب: "أغلق".

تميل آدي برأسها، صورة التكتم. "أنا هنا نيابة عن مدام لوتريك".

إنه اسم التقطته من النسيم، سمعته وهي تمشي عدة مرات، لكنه الجواب الصحيح. يستقيم الخياط، فجأة حريص. "عن آل لوتريك، أي شيء". يأخذ وسادة صغيرة، وقلم رصاص من الفحم، وأصابع آدي ترتجف، لحظة أسى، شوق للرسم كما كانت تفعل غالبًا.

يقول، وهو يهز يديه المتصلبتين: "من الغريب، مع ذلك، أن ترسل خادمتها بدلًا من خادمها".

ترد آدي بسرعة: "إنه مريض". إنها تتعلم الكذب، والانحناء مع تيار المحادثة، واتباع مسارها. "لذلك أرسلت خادمة بدلًا منه. المدام ترغب في إقامة حفلة رقص، وتحتاج إلى فستان جديد".

يقول: "لكن بالطبع. هل لديك مقاساتها؟"

"لدي".

يحدق في انتظار أن تخرج قصاصة من الورق.

تشرح: "لا. لدي مقاساتها - إنها مقاساتي نفسها. لهذا السبب أرسلتني".

إنها تعتقد أنها كذبة ذكية إلى حد ما، لكن الخياط لا يتجاهل فقط، ويستدير نحو ستارة في الجزء الخلفي من المحل. "سأحصل على شريطي".

تلقي نظرة سريعة على المكان خلفها، وعشرات الأشكال من الفساتين، وجبل من الحرير، قبل أن تسقط الستارة مرة أخرى. ولكن حين يبتعد برتين، تبتعد أيضًا، وتتلاشى بين أشكال الفستان ولفائف الشاش والقطن المركونة على الحائط. هذه ليست أول زيارة لها إلى المحل، وقد

عرفت شقوقه وانحناءاته جيدًا، كل الزوايا كبيرة بما يكفي للاختباء فيها. تختبئ آدي في مكان من هذا القبيل، وحين يعود فيه برتين إلى مقدمة المحل، والشريط في يده، يكون قد نسي كل شيء عن مدام لوتريك وخادمتها الغريبة.

المكان خانق بين لفافات القماش، وهي ممتنة حين تسمع خشخشة الجرس، صوت زحف برتين وهو يغلق محله. سيصعد إلى الطابق العلوي، إلى الغرفة التي يحتفظ بها فوق، ويشرب بعض الحساء، وينقع يديه اللتين تؤلمانه، ويذهب إلى الفراش قبل حلول الليل. تنتظر، وتترك الهدوء يستقر من حولها، وتنتظر حتى تسمع وقع خطواته فوق رأسها.

وهي إذن حرة في التجول والاطلاع.

يتسرب ضوء رمادي ضعيف من النافذة الأمامية وهي تعبر المحل، تسحب الستارة الثقيلة جانبًا، وتتقدم.

ينزلق الضوء الباهت من نافذة واحدة، بما يكفي للرؤية. على طول الجدار الخلفي، هناك عباءات نصف منتهية. تسجل ملاحظة في ذهنها للعودة حين يفسح الصيف الطريق للخريف، ويندفع البرد. لكن تركيزها ينصب على وسط الغرفة، حيث تقف عشرات الفساتين مثل راقصات تحمل الماركات، وخصورها الضيقة ملفوفة بظلال من الأخضر والرمادي، وثوب كحلي مزين بخطوط بيضاء، وآخر أزرق باهت آخر مقلم بالأصفر.

تبتسم آدي، وتخلع البونيه وتضعه على طاولة، وتفك شعرها. تمرر يدها على شلات من الحرير المزخرف والقطن المصبوغ بشكل رائع، وتتحسس نسيج الكتان والتويل. تلمس دعامة المشدات، الحشوات في الوركين، وتتخيل نفسها في كل منها. تتجاوز الشاش والصوف، البسيط والقوي، وتمكث بدلًا من ذلك عند طيات صوفية وطبقات من الساتان، أرق من أي شيء رأته في البيت.

البيت – إنها كلمة يصعب التخلي عنها، حتى الآن، حين لا يبقى شيء يربطها به.

تلمح نوعًا من المشدات، زرقاء للصيف، وتتوقف، تحبس أنفاسها، حين تلتقط الحركة من زاوية عينها. لكنها مجرد مرآة، على الحائط. تستدير، تفحص نفسها في السطح الفضي، وكأنها صورة لشخص آخر، بالرغم من حقيقة أنها تبدو صورتها تمامًا.

بدت السنتان الماضيتان وكأنهما عشر سنوات، ومع ذلك، لا يظهران عليها. كان ينبغي لها منذ فترة طويلة أن تتقلص إلى جلد وعظام، وتجف، وتبتر، لكن وجهها ممتلئ تمامًا كما كان في الصيف الذي غادرت فيه البيت. بشرتها، غير المبطنة بالزمن والتجربة، لم تمس بأي شكل من الأشكال، باستثناء النمش المألوف على اللوحة الناعمة لخديها. فقط عيناها تحدد التغيير - حافة الظل متداخلة عبر البني والذهبي.

ترمش آدي، تجبر نظرتها على الابتعاد عن نفسها وعن الفساتين.

عبر الغرفة، ثلاثة أشكال داكنة - أشكال رجالية، في بنطلونات وصدريات وسترات. في الإضاءة المنخفضة، تبدو أشكالها التي بلا رؤوس حية، ويميل كل منها على الآخر وكأنها تفحصها. تفكر في قصة ملابسها، وغياب العظام أو التنانير المحشوة، وتفكر، ليس للمرة الأولى، وبالتأكيد ليس للأخيرة، كم يكون من الأسهل أن تكون رجلًا، كم يتحرك الرجال بسهولة خلال العالم، وبتكلفة زهيدة.

وبعد ذلك، تصل إلى أقرب شكل، وتخلع عنه المعطف. تفك الأزرار من الأمام. هناك حميمية غريبة عند خلع الملابس، وهي تستمتع بها أكثر لأن الرجل الموجود تحت أصابعها ليس حقيقيًّا، وبالتالي لا يمكنه أن يَمس، أو يَخدش، أو يَدفع.

تتحرر من أربطة فستانها، وتأخذ البنطلون، وتثبته أسفل ركبتها. تلبس السترة وتزرر صدريتها وتهز كتفيها أمام معطف مخطَّط وتربط ربطة العنق على حلقها.

تشعر بالأمان في درع الموضة، لكن معنوياتها تنخفض حين تستدير إلى المرآة. صدرها ممتلئ للغاية، وخصرها ضيق للغاية، ووركها يتسعان لملء البنطلون في المكان الخطأ. السترة مناسبة، إلى حد ما، لكن لا شيء يمكن أن يخفي وجهها. قوس شفتيها، وخط خدها، ونعومة جبينها، كلها ناعمة ومستديرة للغاية بحيث لا يمكن أن تكون إلا لأنثى.

تمسك مقصًّا، وتحاول تقليم اللفافة الفضفاضة لشعرها على كتفيها، ولكن بعد ثوانٍ، تعود، تسحب الأقفال على الأرض يد غير مرئية. لا توجد علامة، حتى على نفسها. تجد دبوسًا وتثبّت التموجات البنية الفاتحة بالطريقة التي رأت الرجال يرتدونها بها، وتنزع قبعة ثلاثية الزوايا من على موديل وتضعها فوق جبينها.

على مسافة، ربما؛ في لمحة عابرة، ربما؛ في الليل، ربما، حين يكون الظلام كثيفًا بدرجة كافية لتلطيخ التفاصيل؛ ولكن حتى من خلال ضوء المصباح، لا يبقى الوهم.

الرجال في باريس يتسمون بالرقة، بل وحتى بالجمال، لكنهم يبقون رجالًا.

تتنهد، وتتخلص من التنكر، وتجتاز الساعة التالية وهي تحاول ارتداء فستان تلو الآخر، مشتاقة بالفعل إلى حرية تلك البنطلونات، الراحة التي لا تدوم لتلك السترة. لكن الفساتين جميلة ورائعة. لونها المفضل من بينها هو الأخضر والأبيض الجميل - لكن الأمر لم ينته بعد. الياقة والحافة مفتوحة، في انتظار الدانتيل. عليها التحقق مرة أخرى في غضون أسبوع أو أسبوعين، على أمل أن تلتقط الفستان قبل ذهابه، ملفوفًا بالورق وإرساله إلى بيت بارونة.

في النهاية، اختارت آدي فستانًا أزرق داكنًا، حوافه مزينة باللون الرمادي. يذكرها بعاصفة في الليل، والغيوم تلطخ السماء. الحرير يمسُّ بشرتها، والنسيج رقيق وجديد ولا تشوبه شائبة بكل معنى الكلمة. إنه رائع تمامًا بالنسبة لاحتياجاتها، فستان للمآدب، للحفلات، لكنها لا تهتم. وإذا كان يجذب نظرات غريبة، فماذا يعني؟ ينسون قبل أن تتاح لهم فرصة للنميمة.

تركت آدي فستانها ملفوفًا حول الموديل العاري، ولا تهتم بالبونيه، الذي رفع من صف من الملابس في ذلك الصباح. تتسلل مرة أخرى عبر الستارة وعبر المحل، وتنورتها تدور حولها، وتجد المفتاح الاحتياطي الذي يحتفظ به برتين في الدرج العلوي للطاولة، وتفتح الباب، حريصة على إسكات الجرس بأصابعها. تغلق الباب خلفها، وتجثم لتعيد المفتاح الحديد للخلف عبر الفجوة الموجودة أسفل الباب، ثم تنهض وتدور، لتصطدم برجل يقف في الشارع.

لا عجب أنها لم تره. يرتدي الأسود، من حذائه إلى ياقته، يمتزج تمامًا بالظلام. بدأت تهمهم باعتذارات بالفعل، وتراجعت بالفعل وهي ترفع نظراتها، وترى خط فكه، وخصلات الشعر الأسود، والعينين، الخضراوين جدًا بالرغم من انعدام الضوء.

يبتسم لها. "أديلين".

هذا الاسم، يضرب مثل الصوان على لسانه، ويطلق شرارات وبريق إجابة خلف ضلوعها. تنجرف نظرته على فستانها الجديد. "تبدين بحالة جيدة".

"أبدو كما كنت".

"جائزة الخلود. كما أردْتِ".

هذه المرة لم تنهض لالتقاط الطُّعم. لا تصـرخ أو تشتم أو تشير إلى كل الطرق التي لعنها بها، لكن لابد أنه يرى الصراع على وجهها، لأنه يضحك، برقة ورشاقة مثل نسمة.

يقول الظل مقدمًا ذراعًا: "تعالي، سوف أمشي معكِ".

لم يقل يمشـي معها إلى بيتها. ولو كان حتى في منتصف النهار، لكانت تستهزئ بالعرض لمجرد النكاية فيه. (بالطبع، لو كان منتصف النهار، لما كان الظلام هناك). لكن الوقت متأخر، وهناك نوع واحد فقط من النساء يمشي بمفرده في الليل.

تعلمت آدي أن النساء - على الأقل، النساء من طبقة معينة - لا يغامرن أبدًا بالخروج بمفردهن، حتى أثناء النهار. يبقين في الداخل مثل النباتات المحفوظة في أصص، قابعات خلف ستائر منازلهن. وحين يخرجن، يخرجن في مجموعات، بأمان داخل أقفاص الرفقة المتبادلة، ودائمًا في وضح النهار.

إن المشـي بمفردها في الصباح فضيحة، أما المشـي بمفردها في الليل، فهو شيء آخر. تعرف آدي ذلك. شعرت بنظراتهن وحكمهن من كل جانب. النساء يحتقرنها من نوافذهن، ويحاول الرجال شرائها في الشوارع، ويحاول المتدينون إنقاذ روحها، وكأنها لم تبعها بالفعل. قالت نعم للكنيسة في أكثر من مناسبة، ولكن من أجل المأوى فقط وليس للخلاص قط.

"حسنا؟" يسأل الظل، وهو يمد ذراعه.

ربما تكون أكثر إحساسًا بالوحدة مما قد تعلن.

ربما تبقى رفقة العدو أفضل من لا شيء.

لا تمسـك آدي بذراعـه، لكنهـا بـدأت المـشي، ولا تحتاج إلى النظـر لتعرف أنـه بجانبها. صدى حذائـه يـتردد بهـدوء عـلى الأحجـار المرصوفـة بالحصـى، ونسـيم خافت يضغـط مثـل راحة يد عـلى ظهرها.

يسيران في صمت حتى لم تعد تتحمله. حتى ينهار تصميمها، وتنظر إليه، وتراه، رأسه مائل قليلًا إلى الخلف، ورموش داكنة تمسح وجنتيه الجميلتين وهو يتنفس في الليل، بالرغم من أنه

نتن. ابتسامة باهتة على هاتين الشفتين وكأنه مرتاح تمامًا. صورته نفسها تسخر منها، حتى مع حوافه ضبابية، ظلمة في ظلمة، دخان على ظل، تذكيرًا بحقيقته وبما ليس حقيقته.

يتصدع صمتها، وتتناثر الكلمات.

"يمكنك اتخاذ أي شكل من فضلك، أليس كذلك؟"

رأسه ينخفض: "بلى".

تقول: "ثم تتغير، لا يمكن أن أحتمل النظر إليك".

ابتسامة كئيبة. "أفضل هذا النموذج. أعتقد أنك تفضلينه أيضًا".

تقول: "فضلته مرة واحدة. لكنك أفسدتها عليَّ".

إنها فتحة، ترى بعد فوات الأوان، صدع في درعها.

الآن لن يتغير أبدًا.

تتوقف آدي في شارع ضيق ومتعرج، أمام منزل، إذا كان من الممكن تسميته منزلًا. هيكل خشبي متهدل، مثل كومة من الحطب، منعزل، ومهجور، لكنه ليس فارغًا.

حين يرحل، تتسلق الفجوة الموجودة في الألواح، وتحاول ألا تفسد حافة تنورتها الجديدة، وتعبر الأرضية غير المستوية وتصعد مجموعة سلالم مكسورة إلى العلية، وتأمل ألا يكون أي شخص آخر قد وجدها قبلها.

سوف تتسلق بدون ثوبها المليء بالغيوم، وتطويه بعناية داخل قطعة من المناديل الورقية، ثم تستلقي على لوح من الخيش واللوح، وتحدق في الألواح المنقسمة في السقف على قدمين فوق رأسها، وتتمنى ألا تمطر، بينما تتسلل النفوس الضالة إلى المنزل تحتها.

غدًا، تؤخذ الغرفة الصغيرة، وفي غضون شهر، يحترق المبنى، لكن لا داعي للقلق بشأن المستقبل الآن.

يتحول الظلام مثل ستارة خلفها.

يتأمل: "إلى متى تستمرين؟ ما الهدف من أن تزحفي يومًا آخر، حين لا توجد مهلة؟"

الأسئلة التي طرحتها على نفسها في جوف الليل، لحظات الضعف حين يدس الشتاء أسنانه في جلدها، أو ينهش الجوع عظامها، حين تؤخذ مساحة، ويمحى عمل يوم، ويضيع سلام الليل، وهي لا تستطيع تحمل فكرة النهوض لفعل كل ذلك مرة أخرى. ومع ذلك، عند سماع الكلمات المعادة بهذا الشكل، بصوته بدلًا من صوتها، تفقد قدرًا من سمها.

يقول، بعينين خضراوين حادتين مثل الزجاج المكسور: "ألا ترين؟ ليست هناك نهاية إلى جانب النهاية التي أعرضها. كل ما عليك فعله هو أن تتنا[25] - "

تقول آدي: "رأيت فيلًا"، والكلمات مثل الماء البارد على الفحم. لا يزال الظلام بجانبها، وتتابع، تحدق في المنزل المتهالك، والسقف المحطم، والسماء المفتوحة فوقها. "فيلان، في الواقع. كانا في ساحة القصر، جزءًا من عرض. لم أكن أعرف أن الحيوانات يمكن أن تكون بهذا الحجم. وكان هناك عازف في الميدان في ذلك اليوم"، تواصل، صوتها ثابت: "وقد أبكتني موسيقاه. كانت أجمل أغنية سمعتها على الإطلاق. كان معي شامبانيا، وشربتها مباشرة من الزجاجة، وشاهدت غروب الشمس فوق نهر السين والأجراس تدق في نوتردام، ولم يكن أي من ذلك ليحدث في فيون". تستدير لتنظر إليه. وتقول: "مر عامان فقط. فكر في كل الوقت الذي لديَّ، وكل الأشياء التي سأراها".

تبتسم آدي للظل حينها، ابتسامة صغيرة وحشية، تظهر كل الأسنان، تسعد بالطريقة التي تسقط بها الدعابة من وجهه.

إنه نصر صغير، لكنه لطيف للغاية، أن تراه يتعثر، ولو للحظة. وفجأة، أصبح قريبًا جدًّا، وصارت رائحة الهواء بينهما مثل شمعة تنطفئ. تفوح منه رائحة ليالي الصيف والأرض والطحلب والعشب الطويل الذي يلوح تحت النجوم. وشيء أكثر قتامة. من الدماء على الصخور والذئاب تنطلق في الغابة.

يميل إلى الداخل حتى يمس خده خدها، وحين يتكلم مرة أخرى، تكون الكلمات أعلى بقليل من همسات على الجلد.

---

25 تتنا yiel: هكذا في الأصل، لم يكمل الكلمة، ومن الواضح أن يقصد yield، أي تتنازلين.

يقول: "تعتقدين أن الأمر سيصبح أسهل. لن يصبح. أنت رائعة مثل الرحيل، وكل عام تعيشينه ستشعرين بالحياة، وفي كل حياة، ستُنسَين. ألمك لا معنى له. حياتك لا معنى لها. ستكون السنوات مثل الأوزان حول كاحليك. تسحقك شيئًا فشيئًا، وحين لا تستطيعين تحملها، تتوسلين لي لأخرجك من بؤسك".

تتراجع آدي للخلف لمواجهة الظلام، لكنه ذهب بالفعل.

تقف وحدها على الطريق الضيق. تستنشق أنفاسًا منخفضة وغير مستقرة، وتجبرها على الخروج مرة أخرى، تسوي تنورتها وتعدلها، وتشق طريقها إلى المنزل المتهالك وسيكون، هذه الليلة على الأقل، بيتها.

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

VIII

المكتبة مشغولة اليوم أكثر.

طفل يلعب الاستغماية مع صديقه الخيالي بينما يتصفح والده التاريخ العسكري. طالب جامعي جاثم، يفحص مختلف طبعات بليك، والصبي الذي قابلته أمس يقف خلف الكاونتر.

تتفحصه، العادة التي تشبه تصفح كتاب.

ينسدل شعره الأسود إلى الأمام على عينيه، جامحًا، غير قابل للترويض. يدفعه للخلف، لكنه سقطت للأمام في ثوانٍ مرة أخرى، مما يجعله يبدو أصغر من حقيقته.

تعتقد أن وجهه ينم عن أنه من النوع الذي لا يمكنه كتمان الأسرار بشكل جيد.

هناك صف قصير، لذا تتأرجح آدي بين الشعر والمذكرات. تقرع أظافرها على الرف، وبعد لحظات قليلة، يبرز رأس برتقالي من الظلام فوق ظهور الكتب. تلمس بوك بلا وعي، وتنتظر الصف الصغير من ثلاثة إلى اثنين إلى واحد.

لاحظها الصبي – هنري – وهو يتجول في الجوار، وشيء يعبر أمام وجهه، بسرعة كبيرة حتى أنها لا تتمكن من قراءته، قبل أن يعود انتباهه إلى المرأة على الكاونتر.

يقول: "نعم، مسز كلاين، لا، شيء طيب. وإذا لم يكن هذا ما يريده، فقد أعاده".

تجلس المرأة وهي تمسك شنطة التسوق، وآدي تتقدم. وتقول بتألق: "مرحبًا".

يقول هنري، وفي صوته نبرة حذر: "مرحبًا، يمكن أن أساعدك؟"

تقول، "أتمنى"، بسحر بارع تمامًا. تضع الأوديسة على الكاونتر بينهما. "اشترى لي صديقي هذا الكتاب، لكنني أمتلكه بالفعل. كنت آمل أن أتمكن من أن أستبدل به شيء آخر".

يتفحصها. يرتفع جبين غامق خلف نظارته. "هل أنت جادة؟"

تقول ضاحكة: "أعرف، من الصعب تصديق أنني أمتلك هذا الكتاب بالفعل باليونانية ولكن –"

يهتز للخلف على كعبيه: "أنت جادة".

تتلعثم آدي، متخلصة من الحدة في صوته: "اعتقدت ببساطة أن الأمر يستحق السؤال..".

يقول: "هذه ليست مكتبة للقراءة، لا يمكنك ببساطة استبدال كتاب بآخر".

تستقيم آدي. وتقول، ساخطة إلى حد ما: "واضح، لكن كما قلْتُ، لم أشتره أنا. اشتراه صديقي، وسمعتك للتو تخبر مسز كلاين أن –"

يقسو وجهه، يغلق بابًا. "نصيحة، في المرة القادمة حين تحاولين إعادة كتاب، لا تعيديه إلى الشخص الذي سرقته منه في المرة الأولى".

تسقط صخرة في صدرها: "ماذا؟"

يهز رأسه: "كنت هنا بالأمس".

"لم أكن –"

"أتذكرك".

كلمة كبيرة بما يكفي لقلب العالم.

أتذكرك.

تترنح آدي وكأنها صعقت، وكانت على وشك السقوط. تحاول أن تصحح وضعها. تقول بحزم: "لا، أنت لا تتذكرني".

تضيق عيناه الخضراوان. "نعم. أتذكرك. أتيت هنا أمس، في سويتر أخضر، وجينز أسود. سرقت هذه النسخة المستخدمة من الأوديسة، وقد أعدتها إليك، لأن من يسرق نسخة مستخدمة من الأوديسة باليونانية على أي حال، وبعد ذلك لديك الجرأة للعودة إلى هنا وتحاولين أن تستبدلي بها شيئًا آخر؟ وأنت لم تشتري الكتاب الأول..".

تغلق آدي عينيها وتسبح في الرؤية.

إنها لا تفهم.

لا تستطيع -

يقول: "انظري الآن، أعتقد أن من الأفضل لك أن تذهبي".

تفتح عينيها وتراه يشير إلى الباب. لن تتحرك قدماها. ترفضان إبعادها عن تلك الكلمة.

أتذكرك.

ثلاثمائة سنة.

ثلاثمائة سنة، ولم يقل أحد هذه الكلمات، ولم يتذكرها أحد قط، قط. تريد أن تمسكه من الكم، وتريد أن تسحبه للأمام، وتريد أن تعرف لماذا، وكيف، ما الذي يميز صبيًّا في محل لبيع الكتب - لكن الرجل الذي كان يتصفح التاريخ العسكري ينتظر أن يدفع، والطفل يتشبث بساقه. الرجل، والصبي الذي يلبس النظارة يحدق فيها، وهذا خطأ تمامًا. إنها تتشبث بالكاونتر، وتشعر وكأنها قد تفقد الوعي. ترق عيناه، بشكل ضئيل فقط.

يقول، بصوت غير مسموع تقريبًا: "من فضلك. اذهبي ببساطة".

تحاول.

لا تستطيع.

تصل آدي إلى الباب المفتوح، الخطوات الأربع القصيرة من المتجر إلى الشارع، قبل أن يتكشف شيء ما بداخلها.

تهبط إلى الحافة أعلى الدرج، وتضع رأسها في يديها، وتشعر وكأنها قد تبكي، أو تضحك، لكنها بدلًا من ذلك، تحدق مرة أخرى من خلال المدخل الزجاجي المائل لباب المتجر. تراقب الصبي كلما دخل إلى الإطار. لا يمكن أن تبعد عينيها.

أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكرك. أتذكر-

"ماذا تفعلين؟"

ترمش، وتراه واقفًا في المدخل المفتوح، وذراعاه متقاطعتان. تهبط الشمس في السماء، والضوء ينحسر.

تقول: "أنتظرك"، تتأرجح بمجرد أن تقول ذلك. وتتابع قائلة: "أردت أن أعتذر. عن كل ما يتعلق بالكتاب".

يقول باقتضاب: "لا بأس".

تقول منتصبة: "لا، ليس كذلك، اسمح لي أن أشتري لك قهوة".

"لسْتِ مضطرة إلى ذلك".

"أصر. كاعتذار".

"أنا أعمل".

"أرجوك".

ولابد أن شيئًا ما في الطريقة التي تتكلم بها، المزيج المطلق من الأمل والحاجة، الحقيقة الواضحة، تعني أكثر من مجرد كتاب، أكثر من مجرد آسف، يجعل الصبي ينظر إليها في عينيها، يجعلها تدرك أنه لم يكن كما يبدو حقًّا، ليس حتى الآن. هناك شيء غريب، يبحث في نظرته، ولكن مهما كان ما يراه حين ينظر إليها، فإنه يغير رأيه.

يقول: "فنجان واحد. وما زلت ممنوعة من دخول المتجر".

تشعر آدي بأن الهواء يندفع إلى رئتيها من جديد: "اتفقنا".

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

IX

تبقى آدي على سلم المكتبة لمدة ساعة حتى تغلق.

يغلقها هنري، ويستدير ليراها جالسة هناك، وتستعد آدي مرة أخرى للخواء في نظرته، والتأكيد على أن لقاءهما السابق مجرد خلل غريب، ورتق تسلل في قرون من لعنتها.

لكن حين ينظر إليها يعرفها. إنها متأكدة من أنه يعرفها.

يرتفع حاجباه تحت خصلات الشعر المتشابك، وكأنه مندهش لأنها لا تزال هناك. لكن انزعاجه أفسح المجال لشـيء آخر - شيء يربكها أكثر. إنه أقل عدائية من الشك، وحذر أكثر مما هو ارتياح، ولا يزال رائعًا، بسبب المعرفة التي فيه. ليس أول لقاء، بل الثاني - أو بالأحرى الثالث - ولمرة لا تكون الوحيدة التي تعرف.

يقول: "حسنا؟" وهو يمد يده، ليس لتأخذها، ولكن لتقوده إلى الطريق، وتقوده. يجتازان بضع بنايات في صمت محرج، تختلس آدي نظرات لا تخبرها إلا بخط أنفه، وزاوية فكه.

نظرته جائعة، نظرة ذئب خاطفة، وبالرغم من أنه ليس طويلًا بشكل غير طبيعي، إلا أنه يحني كتفيه وكأنه يحاول أن يبدو أقصـر وأصغر وأقل اقتحامًا. ربما، بالملابس المناسبة، ربما، بالمزاج المناسب، ربما، ربما؛ ولكن كلما طالت نظرتها إليه، بدا التشابه أضعف مع ذلك الغريب الآخر.

ومع ذلك.

هناك شيء ما فيه يستمر في جذب انتباهها، ويمزقه كما يمزق مسمار سترة.

يضبطها مرتين وهي تنظر إليه ويتجهم.

مرة واحدة تلاحظه وهو يختلس نظرة إليها، ويبتسم.

في المقهى، تطلب منه أن يحجز طاولة وهي تشتري المشروبات، يتردد وكأنه ممزق بين الرغبة في الدفع والخوف من التعرض للتسمم، قبل أن يتراجع إلى مائدة في الركن. طلبت له لاتيه.

تقول الفتاة خلف الكاونتر: "ثلاثة وثمانون".

تنكمش آدي من التكلفة. تسحب بضعة فواتير من جيبها، آخر ما أخذته من جيمس سانت كلير. ليس لديها نقود لمشروبين، ولا يمكنها الخروج بهما ببساطة، لأن هناك صبيًّا ينتظر. ويتذكر.

تلقي آدي نظرة على الطاولة، حيث يجلس، يطوي ذراعيه، ويحدق في النافذة.

تنادي النادلة: "إيف!"

"إيف!"

تجفل آدي، مدركة أنها المقصودة.

يقول الصبي وهي تجلس: هكذا. إيف؟"

تفكر، لا. وتقول: "نعم. وأنت..".

هنري، تفكر قبل أن ينطق.

"هنري". يناسبه، مثل معطف. هنري: ناعم، شاعري. هنري: هادئ، قوي. خصلات الشعر الأسود، العينان الشاحبتان خلف إطار ثقيل. عرفت عشرات باسم هنري في لندن وباريس وبوسطن ولوس أنجلوس، لكنه ليس مثل أي منهم.

يسقط نظرته على الطاولة، وكأسه، ويديها الفارغتين. "لم تحصلي على أي شيء".

تلوح بعيدًا. تكذب: "لست عطشانة حقًّا".

"يبدو غريبًا".

تهز كتفيها: "لماذا؟ وقد قلت إنني سأشتري لك قهوة. بالإضافة إلى ذلك"، تتردد: "فقدت محفظتي. لم يكن معي ما يكفي لشخصين".

يتجهم هنري: "هل هذا ما جعلك تسرقين الكتاب؟"

"لم أسرقه. كنت أرغب في استبداله. وقلت آسفة".

"هل قلْتِ؟"

"بالقهوة".

يقول وهو يقف: "بالحديث عن الموضوع. كيف يمكنك أن تأخذيها؟"

"ماذا؟"

"القهوة. لا أستطيع أن أجلس هنا وأشرب وحدي، فهذا يجعلني أشعر وكأنني أحمق".

تبتسم: "شوكولاتة ساخنة. داكنة".

يرتفع هذان الحاجبان بشكل غريب مرة أخرى. ينهض ليطلب قهوة، ويقول شيئًا يجعل النادلة تضحك ويميل إلى الأمام، كما تميل زهرة باتجاه الشمس. يعود حاملًا فنجانًا ثانيًا وكرواسون، ويضعهما أمامها قبل أن يجلس، والآن أصبحا غير متعادلين مرة أخرى. يميل التوازن، ويستعاد، ويميل مرة أخرى، وهي لعبة لعبتها مائة مرة، مباراة سجال من إيماءات صغيرة، يبتسم الغريب عبر الطاولة.

لكن هذا ليس غريبها، وهو لا يبتسم.

يقول هنري: "إذن، ماذا كان كل ذلك اليوم، مع الكتاب؟"

تلف آدي يديها حول فنجان القهوة: "بصراحة؟ لم أكن أعتقد أنك ستتذكر".

السؤال يخشخش مثل عملات معدنية في صدرها، مثل الحصى في وعاء من الخزف؛ يهتز بداخلها ويهدد بالتسرب.

كيف تتذكر؟ كيف؟ كيف؟

يقول هنري: "ليس لدى الكلمة الأخيرة ذلك العدد الكبير من العملاء. وحتى عدد أقل من الذين يحاولون المغادرة دون أن يدفعوا. أعتقد أنك تركت انطباعًا".

انطباعًا.

انطباعًا مثل علامة.

تمرر أدي أصابعها خلال الرغوة على الشوكولاتة الساخنة، وتراقب الحليب وهو يستوي مرة أخرى في أعقابها. لم يلاحظ هنري، لكنه لاحظها، تذكر.

ماذا يحدث؟

يقول: "هكذا"، لكن الجملة تتوقف.

تقول: "هكذا"، ولأنها لا تستطيع أن تقول ما تريده، تقول: "حدثني عن نفسك".

من أنت؟ لماذا انت؟ ماذا يحدث؟

يعض هنري شفته ويقول، "ليس هناك الكثير يمكن أن يقال".

"هل أردت دائمًا العمل في مكتبة؟"

يغطي الأسى وجه هنري: "لست متأكدًا من أنها الوظيفة التي يحلم بها الناس، لكني أحبها". يرفع اللاتيه إلى فمه حين يمر به شخص ما، ويطرق على كرسيه. يعدل هنري الفنجان في الوقت المناسب، لكن الرجل يبدأ في الاعتذار. ولا يتوقف.

"مرحبًا، آسف جدًّا". يبدو عليه الشعور بالذنب.

"لا بأس".

يسأل الرجل باهتمام حقيقي: "هل جعلتك تسكبه؟"

يقول هنري: "لا، أنت طيب".

إذا سجل حدة الرجل، فإنه لا يعطي أي إشارة. يظل تركيزه ثابتًا على آدي، كما لو كان بإمكانه إبعاد الرجل.

تقول، حين رحل أخيرًا: "كان غريب الأطوار".

يكتفي هنري بهز كتفيه: "الحوادث واردة".

لم تكن تقصد ذلك. لكن الأفكار تيارات عابرة، وهي لا تستطيع أن تنحرف عن مسارها.

تقول: "هكذا، المكتبة. هل هي مكتبك؟"

يهز هنري رأسه: "لا. أعني، قد يكون الأمر كذلك، أنا الموظف الوحيد، لكنها ملك امرأة اسمها ميريديث، تقضي معظم وقتها في الرحلات البحرية. أعمل هناك فقط. وماذا عنك؟ ماذا تفعلين حين لا تسرقين الكتب؟"

تزن آدي السؤال، والإجابات العديدة الممكنة، وكلها أكاذيب، وتكتفي بشيء أقرب إلى الحقيقة.

تقول: "أنا مستكشفة مواهب. في الموسيقى، غالبًا، ولكن في الفن أيضًا".

يقسو وجه هنري: "يجب أن تقابلي أختي".

تسأل آدي، متمنية لو أنها كذبت: "أوه؟ هل هي فنانة؟"

"أعتقد أنها تقول إنها ترعى الفن، ربما نوعًا من الفنانين. إنها تحب أن"- يتأنق - "رعاية الإمكانات الأولية، وتشكيل قصة مستقبل الإبداع".

تعتقد آدي أنها تود مقابلة أخته، لكنها لا تقول ذلك.

يسأل: "هل لديك أخوه؟"

تهز رأسها، ممزقة زاوية من الكرواسون لأنه لم يلمسها، وبطنها تهدر.

يقول: "محظوظة".

ترد: "وحيدة".

"حسنًا، مرحبًا بك أختًا. هناك ديفيد، وهو طبيب، وباحث، أحمق مدعي، وموريل، حسنًا - موريل".

ينظر إليها، وها هي ذي مرة أخرى، تلك الحدة الغريبة، وربما يكون ذلك لأن قلة قليلة من الناس يتواصلون بالعين في المدينة، لكنها لا تستطيع التخلص من الشعور بأنه يبحث عن شيء ما في وجهها.

تسأل: "ما هذا؟" وتبدأ قول شيء، لكن المسار يتغير.

"النمش في وجهك يشبه النجوم".

تبتسم آدي: "سمعْتُ. كوكبتي الصغيرة الخاصة. إنه أول ما يراه الجميع".

يغير هنري وضعه في مقعده. يقول: "ماذا ترين، حين تنظرين إليَّ؟"

صوته خافت بما فيه الكفاية، لكن في السؤال شيء، ثقل، مثل حجر مدفون في كرة ثلجية. كان ينتظر السؤال. الجواب مهم.

"أرى فتى بشعر أسود وعينين لطيفتين ووجه صريح".

يعبس قليلًا: "هل هذا كل شيء؟"

تقول: "بالطبع لا. لكني لا أعرفك بعد".

يردد: "بعد"، وهناك شيء مثل الابتسامة في صوته.

تضم شفتيها، تتأمله مرة أخرى.

للحظة، هما في البقعة الوحيدة الصامتة في المقهى الصاخب.

عش وقتًا كافيًا، تتعلم كيف تقرأ الشخص. لتفتحه بالسهولة التي تفتح بها كتاب، بعض المقاطع تحتها خطوط وأخرى مخفية بين السطور. تفحص آدي وجهه، الأخدود الضحل حيث يدخل حاجباه ويرتفعان، ووضع شفتيه، والطريقة التي يفرك بها راحته وكأنه يعاني من وجع، حتى وهو يميل إلى الأمام، وكل انتباهه مركز عليها.

تقول ببطء: "أرى شخصًا يهتم. ربما أكثر من اللازم. يشعر كثيرًا. أرى شخصًا ضائعًا وجائعًا. شخصًا من النوع الذي يشعر بأنه يذبل في عالم مليء بالطعام، لأنه لا يستطيع تحديد ما يريد".

يحدق هنري فيها، تختفي كل روح الدعابة من وجهه، وهي تعلم أنها اقتربت من الحقيقة.

تضحك آدي بعصبية، والصوت يتراجع من حولها. تقول وهي تهز رأسها: "آسفة، بشدة. ربما كان ينبغي لي أن أقول إنك حسن المظهر".

يتلوى فم هنري، لكن الابتسامة لا تصل إلى عينيه: "على الأقل تعتقدين أنني حسن المظهر".

تسأل في محاولة لكسر التوتر المفاجئ: "ماذا عني؟"

لكن للمرة الأولى، لا ينظر هنري إليها في عينيها. "لم أكن أجيد قراءة الناس قط". دفع الفنجان بعيدًا، ووقف، وتعتقد آدي أنها أفسدته. يغادر.

لكنه بعد ذلك ينظر إليها ويقول، "أنا جائع. هل أنت جائعة؟"

ويندفع الهواء إلى رئتيها مرة أخرى.

تقول: "دائمًا".

وهذه المرة، حين يمد يده، تعلم أنه يدعوها لتأخذها.

باريس، فرنسا

29 يوليو 1719

X

اكتشفت آدي الشوكولاتة.

الحصول عليها أكثر صعوبة من الملح أو الشمبانيا أو الفضة، ومع ذلك تحتفظ الماركيزة بعلبة كاملة من الرقائق الحلوة الداكنة بجانب سريرها. تتساءل آدي، وهي تحتفظ بقطعة صغيرة مذابة على لسانها، إذا كانت المرأة تعد القطع كل ليلة، أو إذا كانت تلاحظ فقط وأصابعها تتحسس الجزء السفلي الفارغ من العلبة. ليست في البيت لتسأل. لو كانت في البيت، لما كانت آدي مستلقية فوق لحافها السفلي.

لكن آدي وسيدة المنزل لم تلتقيا قط. وتتمنى ألا تلتقيا أبدًا.

يحتفظ الماركيز وزوجته بتقويم اجتماعي تمامًا، وعلى مدار السنوات القليلة الماضية، أصبح منزلهما في المدينة أحد الأماكن المفضلة التي تتردد عليها.

مكان تتردد عليه - الوصف الصحيح بالنسبة لشخص يعيش مثل شبح.

يكون لديهما أصدقاء لتناول العشاء في منزلهما في المدينة مرتين في الأسبوع، وكل أسبوعين يستضيفان حفلة أكبر هناك، ومرة واحدة في الشهر، وتصادف أنها الليلة، يأخذان عربة عبر باريس للعب الورق مع عائلات نبيلة أخرى، ولا يعودان حتى الصباح الباكر.

الآن، انسحب الخدم إلى أماكنهم الخاصة، ولا شك في أنهم يشربون ويتذوقون قدرًا من الحرية. يأخذون مناوبات، بحيث يقف حارس في وقت محدد يراقب قاعدة الدرج، والباقون يستمتعون بسلامهم. ربما يلعبون الورق أيضًا. أو ربما يستمتعون ببساطة بهدوء منزل فارغ.

تضع آدي قطعة أخرى من الشوكولاتة على لسانها وتغوص مرة أخرى في سرير الماركيزة، في سحابة من الهواء المنعش. هنا وسائد أكثر مما في فيون كلها، وهي متأكدة، وكل واحدة مليئة بضعف كمية الريش. يبدو أن النبلاء مصنوعون من الزجاج،

ومصممـون للكسـر إذا وضعـوا على سـطح خشـن للغايـة. تفـرد آدي ذراعيها، مثـل طفلة تصنـع ملائكـة في الثلـج، وتتنهـد بسـرور.

أمضت ساعة تقريبًا في التنقيب في فساتين الماركيزة، وهي كثيرة، لكنها لم يكن لديها ما يكفي من الأيدي للدخول في أي منها، لذا لفت نفسها برداء حريري أزرق أرق من أي شيء امتلكته من قبل. فستانها، بلون الصدأ مع تقليم من الدانتيل الكريمي، يقع مهجورًا على الكرسي، وحين تنظر إليه تتذكر ثوب الزفاف، الذي زحف في العشب على طول سارت، وظل الكتان الأبيض الباهت مثل الجلد بجانبها.

تتشبث الذاكرة مثل خيط العنكبوت.

تسحب آدي ثوبها، وتستنشق رائحة الورود على الحافة، وتغمض عينيها، وتتخيل أن هذا سريرها، وحياتها، ولبضع دقائق، كان الأمر ممتعًا بدرجة كافية. لكن الغرفة دافئة جدًا، ولا تزال أيضًا، وتخشى أن تبتلعها إذا بقيت في السـرير. أو ما هو أسوأ من ذلك، قد تغفو، وتجد سيدة المنزل توقظها، ويا له من ألم، لأن غرفة النوم في الطابق الثاني.

يستغرق الأمر دقيقة كاملة للنهوض من السـرير، وتغرق اليدين والركبتين أسفل السرير بينما تتدافع نحو الحافة، وتتعثر بلا رحمة على السجادة. تستند على عمود خشبي، أغصان رقيقة منحوتة في البلوط، تفكر في الأشجار وهي تتفقد الغرفة، وتقرر أن تشغل نفسها. يؤدي الباب الزجاجي إلى البلكونة، ويؤدي الباب الخشبي إلى القاعة. خزانة بأدراج. كرسي. منضدة زينة، فوقها مرآة مصقولة. مكتبة سُر مَن قرأ

تغـرق آدي في كـرسي مبطن أمـام حقيبة مستحضـرات التجميـل، وترقـص أصابعها فوق زجاجـات العطـر وعلـب الكريـم، والريشـة الناعمة لوضـع البـودرة، وعلبة لدبابيس الشـعر الفضية.

من هذه الأخيرة، تأخذ حفنة، وتبدأ لف جدائل الشعر، وتثبيتها إلى الخلف وإلى أعلى حول وجهها وكأنها لديها تعرف ما تفعله. النمط الحالي يذكرنا بعش عصفور، عبارة عن حزمة من خصلات الشعر. على الأقل لم يُتوقع منها بعد أن ترتدي باروكة، واحدة من تلك الأشياء الوحشية المغطاة بالبودرة مثل أبراج الكعك التي تصبح موضة بعد خمسين عامًا من الآن.

أعدت عشًا من الخصلات، لكنه يحتاج إلى لمسة نهائية. ترفع آدي مشطًا من اللؤلؤ على شكل ريشة وتنزلق الأسنان في الخصلات خلف أذنها مباشرةً.

غريبة، الطريقة التي تتراكم بها الاختلافات الصغيرة.

تجلس هناك على مقعد بوسادة، وتحيط بها الفخامة، في ردائها الحريري الأزرق المستعار وشعرها المثبت في خصلات، يمكن أن تنسى آدي نفسها تقريبًا، ويمكن أن تكون شخصًا آخر. عشيقة شابة، سيدة المنزل، قادرة على التحرك بحرية مع الحفاظ على سمعتها.

فقط النمش على خديها يبرز، ويظل تذكيرًا بمن كانت آدي، بمن هي، بمن ستكون دائمًا.

لكن النمش يُغطَّى بسهولة.

ترفع علبة البودرة، وأحمر الخدود إلى منتصف المسافة إلى خدها حين يحرك نسيم خافت الهواء، حاملاً رائحة ليست رائحة باريس، بل رائحة الحقول المفتوحة، وصوت منخفض يقول: "أفضل أن أرى غيومًا تحجب النجوم".

تحدق آدي في المرآة وانعكاس الغرفة خلفها. لا تزال أبواب البلكونة مغلقة، لكن الحجرة لم تعد فارغة. يتكئ الظل على الحائط بالسهولة التي يتكئ بها شخص كان هناك لبعض الوقت. لم تفاجأ برؤيته - جاء سنة بعد سنة - لكنها مضطربة. ستكون مضطربة دائمًا.

يقول الظلام: "مرحبًا، أديلين"، وبالرغم من وجوده عبر الغرفة، فإن الكلمات تتناثر مثل أوراق الشجر على بشرتها.

تستدير في مقعدها ويدها الحرة ترتفع إلى الياقة المفتوحة لردائها: "ابتعدْ".

يطقطق بلسانه: "بعد عام، وهذا كل ما عليك أن تقوليه؟"

"لا".

"ماذا بعد؟"

تقول مرة أخرى: "أعني لا. هذا هو جوابي على سؤالك. السبب الوحيد لوجودك هنا. جئت لتسأل إن كنت سأستسلم، والإجابة لا".

تتموج ابتسامته، تتبدل. ذهب الجنتلمان. مرة أخرى، الذئب.

"عزيزتي أديلين، نمت لك بعض الأسنان".

تقول: "لستُ عزيزتك".

ومضة وينتهي الخطر، يتراجع الذئب، يتظاهر بأنه رجل مرة أخرى وهو يخطو إلى النور. ومع ذلك، تتشبث الظلال به، تلطخ الحواف بالظلام. "أمنحك الخلود. وتقضين أمسياتك في تناول الحلوى في أسرة الآخرين. تخيلت لك أكثر من هذا".

"ومع ذلك، تأمرني بالأقل. أليست شماتة؟"

يحرك يده على العمود الخشبي، متتبعًا الفروع: "مثل هذا السم في ذكرانا السنوية. وأنا هنا فقط لأقدم لك العشاء".

"لا أرى طعامًا. ولا أريد شراكتك".

يتحرك كالدخان، لحظة عبر الغرفة والأخرى بجانبها. يقول، وإصبع طويلة تلمس مشط اللؤلؤ في شعرها: "لن أسارع إلى الازدراء. إنها الشراكة الوحيدة التي ستعرفينها عمومًا".

قبل أن تتمكن من الانسحاب، يكون الهواء فارغًا؛ يعبر الغرفة مرة أخرى، ويده تستريح على باقة بجانب الباب.

تقول: "قف"، وتندفع على قدميها، لكن بعد فوات الأوان. ينسحب، وبعد لحظة يقرع الجرس، قاطعًا صمت المنزل.

تهمس وصوت الخطى على السلم: "اللعنة عليك".

تستدير آدي بالفعل لترتدي فستانها، لتلتقط القليل الذي تستطيع التقاطه قبل أن تهرب – لكن الظلام يمسك ذراعها. يجبرها على البقاء بجانبه مثل طفل يتصرف بشكل سيئ بينما تفتح الخادمة الباب. يجب أن تذهل عند رؤيتهما، وهما غريبان في منزل سيدها، لكن لا توجد صدمة على وجه المرأة. لا مفاجأة ولا غضب ولا خوف. لا شيء على الاطلاق. مجرد فراغ، هدوء يميز الحالم والمذهول. تقف الخادمة، منحنية الرأس ويداها متشابكتان، في انتظار التعليمات، وتدرك آدي برعب شديد وارتياح أن المرأة سحرت.

يقول الظلام: "نتناول العشاء في الصالون الليلة"، وكأن المنزل منزله. في صوته جرس جديد، نبرة، مثل قماش رقيق على الحجر. إنه يتموج في الهواء، ويلتف حول الخادمة، ويمكن لآدي أن تشعر أنه تنزلق على بشرتها، حتى حين تفشل في الإمساك بها.

تقول الخادمة بانحناءة صغيرة: "نعم يا سيدي".

تستدير لتقودهما إلى أسفل الدرج، وينظر الظلام إلى آدي ويبتسم.

يقول والعينان تلمعان ببهجة الغرور: "تعالي، سمعت أن شيف الماركيز أحد أفضل الطهاة في باريس".

يقدم لها ذراعه لكنها لا تأخذها.

"لا تتوقع حقًّا أن أتناول العشاء معك".

يرفع ذقنه. "هل تضيعين مثل هذه الوجبة، ببساطة لأنني على الطاولة؟ أعتقد أن معدتك أعلى صوتًا من كبريائك. لكن افعلي ما يحلو لك، يا عزيزتي. ابقي هنا في غرفتك المستعارة، واستمتعي بالحلويات المسروقة. سوف آكل وحدي".

وبهذا يبتعد، وهي ممزقة بين الرغبة في إغلاق الباب خلفه ومعرفة أن ليلتها فسدت، أكلت معه أو لم تأكل، حتى لو بقيت هنا في هذه الغرفة، فإن عقلها يتبعه أسفل الدرج لتناول العشاء.

وهكذا تذهب.

بعد سبع سنوات من الآن، تشاهد آدي عرضًا للدمى المتحركة في ساحة في باريس. عربة بستائر، خلفها رجل، يداه مرفوعتان لرفع أشكال خشبية صغيرة عاليًا، وأطرافها ترقص لأعلى ولأسفل بخيوط.

وسوف تفكر في هذه الليلة.

في هذا العشاء.

يتحرك خدم المنزل حولها وكأنهم يتحركون على أوتار، بسلاسة وصمت، كل إيماءة تتم بنفس السهولة والاسترخاء. تراجعت الكراسي إلى الوراء، والبياضات ناعمة،

وزجاجات الشمبانيا غير مسدودة وتصب في كؤوس طويلة ورفيعة من الكريستال في الانتظار.

لكن الطعام يأتي بسرعة هائلة، وتصل الدورة الأولى حين تمتلئ الكؤوس. مهما فرض الظلام على خدم هذا البيت، فقد بدأ قبل دخوله في غرفتها المسروقة. بدأ ذلك قبل أن يقرع الجرس، ويدعو الخادمة، ويستدعيها لتناول العشاء.

يجب أن يبدو في غير محله في الغرفة المزركشة. إنه، برغم كل شيء، شيء متوحش، إله ليالي الغابة، شيطان يحده الظلام، لكنه يجلس في هيئة رجل نبيل وكياسته يستمتع بوجبة العشاء.

تلمس آدي أدوات المائدة الفضية، الزخرفة المذهبة للأطباق.

"هل من المفترض أن أنبهر؟"

ينظر الظلام إليها عبر الطاولة. "ألست منبهرة؟" يسأل والخدم ينحنون ويتراجعون إلى الجدران.

الحقيقة أنها خائفة. مضطربة من العرض. تعرف قوته - على الأقل، اعتقدت أنها عرفتها - لكن عقد صفقة شيء، ومشاهدة مثل هذه السيطرة شيء آخر. ماذا يمكن أن يجعلهم يفعلون؟ إلى أي مدى يمكن أن يجعلهم يذهبون؟ هل الأمر سهل بالنسبة له مثل شد الخيوط؟

أول طبق يوضع أمامها حساء كريمة برتقالي شاحب بلون الشفق. رائحته رائعة، والشمبانيا تتألق في الكأس، لكنها لا تسمح لنفسها بمد يدها إلى أي منهما.

يقرأ الظلام الحذر في وجهها.

يقول: "تعالي يا أديلين، أنا لست عفريتًا، هنا لأحاصرك بالطعام والشراب".

"ومع ذلك، يبدو أن لكل شيء ثمن".

يزفر، وعيناه تومضان بظل أخضر شاحب.

يقول وهو يرفع كأسه ويشرب بعمق: "افعلي ما يحلو لك".

بعد لحظة طويلة، تستسلم آدي وترفع الكأس الكريستال إلى شفتيها، وتأخذ أول رشفة من الشمبانيا. لا تشبه أي شيء تذوقته من قبل؛ تتسرب ألف فقاعة هشة عبر لسانها، حلوة وحادة، قد تذوب بهجةً، لو كانت أي طاولة أخرى، أي رجل آخر، في أي ليلة أخرى. بدلًا من تذوق كل رشفة، أفرغت كأسها على الفور، وحين تضعها على الطاولة، يفور رأسها قليلاً، والخادمة بالفعل عند كوعها، وتصب لها كأسًا الثانية.

الظلام يرشف من كأسه ويشاهد، لا يقول شيئًا وهي تأكل. يزداد الصمت في الغرفة ثقلًا، لكنها لا تكسره.

بدلاً من ذلك، تركز أولًا على الحساء، ثم على السمك، ثم على لحم البقر بالمعجنات. إنه أكثر مما أكلته في شهور، في سنوات، وتشعر بالشبع بطريقة تتجاوز معدتها. وهي تبطئ، تفحص الرجل، الذي ليس رجلًا، عبر الطاولة، الطريقة التي تميل بها الظلال في الغرفة خلفه.

هذه أطول مدة قضياها معًا على الإطلاق.

قبل ذلك، لم يكن هناك سوى لحظات في الغابة، ودقائق في غرفة رديئة، نصف ساعة على طول نهر السين. لكن الآن، ولأول مرة، لا يلوح في الأفق خلفها مثل الظل، ولا يطول مثل الشبح على أطراف بصرها. الآن، يجلس أمامها، بكامل هيئته، وبالرغم من أنها تعرف التفاصيل الثابتة لوجهه، بعد أن رسمتها مائة مرة، يبقى أنه لا حيلة لها في أن تفحصه في وضع الحركة.

ويتيح لها ذلك.

لا حياء في سلوكه.

يبدو، إذا كان هناك أي شيء، أنه يستمتع باهتمامها.

وسكينه تقطع عبر الطبق، ويرفع قطعة من اللحم إلى شفتيه، يرتفع حاجباه السوداوان، وينسحب فمه في الزاوية. إنه مجموعة سمات أكثر منه رجل، سمات مرسومة بيد حريصة.

في الوقت المناسب، يتغير ذلك. ينتفخ، يتمدد لملء الفجوات بين خطوط لوحتها، ينتزع الصورة من قبضتها حتى لا تفهم أنها كانت صورتها في وقت من الأوقات.

لكن الآن، الجانب الوحيد الذي يميزه -يميزه تمامًا - هاتان العينان.

تخيلتهما مائة مرة، ونعم، كانتا دائمًا خضراوين، لكنهما كانتا في أحلامها ظلًا واحدًا: الأخضر الثابت لأوراق الشجر في الصيف.

عيناه مختلفتان.

مذهلتان، غير ثابتتين، أدنى تغيير في الدعابة، في المزاج، ينعكس هناك، وهناك فقط.

يستغرق الأمر من آدي سنوات لتتعلم لغة هاتين العينان. لتعرف أن التسلية تجعلهما ظل لبلاب صيفي، في حين أن الانزعاج يخففهما إلى تفاح حامض، والمتعة، تجعلهما أغمق إلى أسود تقريبًا من الغابة في الليل، فقط الحواف لا يزال من الواضح أنها خضراء.

وهما، هذه الليلة، باللون الزلق للأعشاب التي ترى في تيار مجرى مائي.

بنهاية العشاء، يكونان ظلًا آخر تمامًا.

هناك شيء فاتر في وضعه. يجلس هناك، وكوع على مفرش المائدة، انتباهه يتحول، رأسه مائل قليلًا وكأنه يستمع إلى صوت بعيد، وأصابعه الأنيقة تتتبع خط ذقنه وكأنه يستمتع بشكله، وقبل أن تعرف ذلك، كسرت الصمت مرة أخرى.

"ما اسمك؟"

تنزلق عيناه من زاوية الغرفة عائدتين إليها. "لماذا يجب أن يكون لي اسم؟"

تقول: "لكل الأشياء أسماء. للأسماء غرض. للأسماء قوة". تميل كأسها بطريقته. "تعرف ذلك، وإلا لما سرقت اسمي".

ابتسامة في زاوية فمه، ابتسامة ذئب، تنم عن استمتاع. يقول: "إذا كان صحيحًا أن للأسماء قوة، فلماذا أعطيك اسمي؟"

"لأنني يجب أن أناديك بشيء ما، يكون على وجهك وفي رأسي. والآن ليس في رأسي إلا اللعنات".

لا يبدو أن الظلام يهتم. "ناديني كما تحبين، لا فرق. ماذا تسمين الغريب في يومياتك؟ الرجل الذي صنعتني على شاكلته؟"

"صممت نفسك للسخرية مني، وأنا أفضل أن تتخذ أي شكل آخر".

يتأمل وهو يمرر إبهامه على كأسه: "ترين العنف في كل إيماءة، صممْتُ نفسي لأناسبك. لأجعلك تشعرين بالراحة".

يرتفع الغضب في صدرها: "دمرت الشيء الوحيد الذي كان لا يزال لدي".

"كم هو محزن، أن يكون لديك أحلام فقط".

تقاوم الرغبة في رمي الكأس الكريستال عليه، مدركة أن ذلك لن يجدي. وبدلًا من ذلك، تنظر إلى الخادم بالقرب من الحائط، وتمسك الكأس ليملأه. لكن الخادم لا يتحرك - لا أحد منهم يتحرك. إنهم مقيدون بإرادته لا إرادتها. وهكذا تنهض وتحمل الزجاجة بنفسها.

"ما اسمه، غريبك؟"

تعود إلى مقعدها، تعيد ملء كأسها، وتركز على آلاف الفقاعات اللامعة التي ترتفع عبر المركز. تقول: "لم يكن له اسم".

لكنها كذبة بالطبع، والظلام ينظر إليها وكأنه يعرف. الحقيقة أنها جربت عشرات الأسماء على مر السنين - ميشيل وجان ونيكولا وهنري وفنسنت - ولم يكن أي منها مناسبًا. وبعد ذلك، ذات ليلة، كان هناك، ينطلق من لسانها، وهي ملتفة في السرير، ملتفة في صورته بجانبها، أصابع طويلة تتحرك في شعرها. مر الاسم على شفتيها، بسيطًا مثل النفَس، طبيعيًا مثل الهواء.

لوس.

في عقلها، كان اختصار لوسيان، لكن الآن، وهي جالسة على الجانب الآخر من هذا الظل، هذه التمثيلية، السخرية مثل مشروب ساخن جدًا، جمرة تحترق في صدرها.

لوس.

كما في لوسيفر.[26]

يتردّد صدى الكلمات من خلالها كالنسيم.

هل أنا الشيطان أم الظلام؟

ولا تعرف، لن تعرف أبدًا، لكن الاسم فسد بالفعل.

ليأخذه.

تهمهم: "لوس".

يبتسم الظل، في تقليد مبهر وقاس للبهجة، ويرفع كأسه وكأنه نخب.

"إذن فهو لوس".

تنهي آدي كأسها مرة أخرى، متشبثة بالدوار الذي يجلبه. لن تدوم التأثيرات، بالطبع، يمكنها أن تشعر بحواسها تقاوم مع كل كأس فارغة، لكنها تضغط، مصممة على الأفضل، على الأقل لبعض الوقت.

تقول: "أكرهك".

يقول، وهو يضع كأسه: "أوه، أديلين، بدوني أين تكونين؟" وهو يتكلم، يقلب الكأس الكريستال بين أصابعه، وفي انعكاسه، ترى حياة أخرى – حياتها، وليست حياتها – نسخة لم تركض فيها أديلين إلى الغابة مع غروب الشمس وتجمع حفل الزفاف، لم تستدعِ الظلام ليحررها.

في الكأس، ترى نفسها – نفسها القديمة، تلك التي ربما كانت، أطفال روجر إلى جانبها وطفل جديد على وركها ووجهها المألوف شاحب من التعب. ترى آدي نفسها بجانبه في السرير، والمساحة الباردة بين جسديهما، ترى نفسها منحنية على الموقد كما انحنت والدتها دائمًا، وخطوط التجهم نفسها أيضًا، والأصابع تتألم كثيرًا لتخيط الملابس الممزقة، بعيدة جدًّا عن أن تمسك بأقلام رسمها القديمة؛ ترى نفسها تذبل على كرمة الحياة، وتسير في الخطوات القصيرة المألوفة جدًّا لكل شخص في فيون، الطريق الضيق من المهد إلى اللحد – الكنيسة الصغيرة تنتظر، ساكنة ورمادية كشاهد قبر.

---

26 الشيطان.

تـرى آدي ذلـك، وهـي ممتنـة لأنـه لم يسـأل عـما إذا كانـت سـتعود، وتقايض هـذه بتلك، لأنـه بالرغـم مـن كل الحزن والجنـون، والخسـارة، والجـوع، والألم، لا تزال تنفر مـن الصورة في الكأس.

انتهت الوجبة، ووقف خدم المنزل في الظل، في انتظار التعليمات التالية من سيدهم. وبالرغم من انحناء رؤوسهم، وخواء وجوههم، لا يمكن إلا أن تعتبرهم رهائن.

"أتمنى أن تبعدهم".

يقول: "نفدتْ رغباتك". لكن آدي تقابل عينيه، وتحدق فيهما - من الأسهل الآن، بعد أن أصبح له اسم، أن تفكر فيه على أنه رجل، ويمكن تحدي الرجال - وبعد لحظة، يتنهد الظلام، ويلتفت إلى أقرب خادم ويطلب أن يفتحوا زجاجة لأنفسهم وينصـرفوا. وهما الآن وحدهما، والغرفة تبدو أصغر مما كانت عليه من قبل.

يقول لوس: "هناك".

"حين يعود الماركيز وزوجته إلى المنزل ويجدون خدمهم في حالة سكر سيعانون من ذلك".

"وعلى من يلقى اللوم، أتساءل، عن الشوكولاتة المفقودة في غرفة السيدة؟ أو رداء الحرير الأزرق؟ هل تعتقدين أن لا أحد يعاني حين تسرقين؟"

يقف شعر آدي، ترتفع الحرارة إلى خديها: "لم تعطني أي خيار".

"أعطيتك ما طلبْتِ، يا أديلين. زمنًا، بلا حدود. حياة، بلا حدود".

"أصبتني بلعنة أن أُنسَى".

"طلبْتِ الحرية. لا توجد حرية أكبر من ذلك. يمكنك التحرك عبر العالم بلا عوائق. بلا قيود. بلا موانع".

"توقف عن التظاهر بأنك تعاملت معي بلطف بدلًا من القسوة".

"عقدْتُ معك صفقة".

تنزل يده بقوة على الطاولة وهو يقول ذلك، ويومض الانزعاج أصفر في عينيه، فترة قصيرة مثل البرق. "أتيت إلي. توسلت. استجديت. اخترت الكلمات. اخترت الشروط. لا عودة. لكن إذا كنت قد سئمت بالفعل من المضي قدمًا، فما عليك إلا أن تنطقي الكلمات".

وهناك مرة أخرى، الكراهية، من السهل التمسك بها.

"كان من الخطأ أن تلعنني". بدأ لسانها ينطلق، وهي لا تعرف ما إن كان بسبب الشمبانيا، أو ببساطة مدة وجوده، التأقلم الذي يأتي بمرور الوقت، مثل الجسم الذي يتكيف مع حمام شديد الحرارة. "إذا كنت قد أعطيتني فقط ما طلبته، لأنهكت في الوقت المناسب، وكان لدي ما يكفي من العيش، وكنا، كلانا، قد ربحنا. لكن الآن، بغض النظر عن مدى تعبي، لن أعطيك هذه الروح أبدًا".

يبتسم: "أنت عنيدة. ولكن حتى الصخور تبلى بلا سبب".

تميل آدي إلى الأمام. "تعتقد أنك قط، يلعب مع صيده. لكني لست فأرًا، ولن أكون وجبة".

يفرد يديه: "لا آمل. مر وقت طويل منذ أن واجهت التحدي".

لعبة. بالنسبة له، كل شيء لعبة.

" تقلل من شأني".

"أنا؟" يرفع حاجب أسود وهو يشرب من كأسه. "أفترض أننا سنرى".

تقول آدي، وهي تتناول كأسها: "نعم، سنرى".

قدم لها هدية الليلة، بالرغم من أنها تشك في أنه يعرف ذلك. الوقت ليس له وجه، ولا شكل، ولا شيء للقتال. لكن في ابتسامته الساخرة، كلماته المضحكة، أعطاها الظلام الشيء الوحيد الذي تحتاج إليه حقًا: عدوًا.

ومن هنا رُسمت خطوط المعركة.

ربما أطلقت الطلقة الأولى في فيون، حين سرق حياتها مع روحها، لكن هذه بداية الحرب.

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

XI

تتبع هنري إلى حانة مزدحمة للغاية وصاخبة للغاية.

جميع الحانات في بروكلين بهذا الشكل، مساحة صغيرة جدًّا لأجساد كثيرة جدًّا، ويبدو أن الميرشنت ليست استثناءً، حتى يوم الخميس. تحشـر آدي وهنري في فناء ضيق بالخارج، يحشران معًا تحت مظلة، لكن لا يزال عليها الاتكاء لتسمع صوته في الضوضاء.

تبدأ: "من أين أنت؟"

"من الشمال. من مدينة نيوبورج. وأنت؟"

تقول: "فيون سور سارت". الكلام يؤلم حلقها إلى حدٍّ ما.

"فرنسا؟ ليس لك لكنة".

"تحركت".

يتشاركان في طلب من البطاطس المقلية وزجاجتين من بيرة الساعة السعيدة[27] لأنه، كما يوضح، لا يحصل من وظيفة في محل لبيع الكتب على أجر جيد. تتمنى آدي أن تتمكن من العودة وتجلب لهما بعض المشروبات المناسبة، لكنها أخبرته بالفعل بالكذبة بشأن المحفظة، ولا تريد تقديم المزيد من الحيل، ليس بعد الأوديسة.

بالإضافة إلى أنها خائفة.

تخاف أن تتركه يبتعد. تخاف أن تتركه بعيدًا عن الأنظار.

27 وقت ما، في بداية المساء تبيع في الحانات البيرة بسعر بخس.

أيا كان هذا، فهي صورة عابرة، خطأ، حلم جميل، أو قطعة من الحظ المستحيل، تخشى أن تتركها تذهب. أن تتركه يذهب.

خطوة واحدة خاطئة، وتستيقظ. خطوة واحدة خاطئة، وينقطع الخيط، وتعود اللعنة إلى مكانها، وتنتهي، ويذهب هنري، وتكون وحدها مرة أخرى.

تجبر نفسها على العودة إلى الحاضر. تستمتع به بقدر ما يدوم. لا يمكن أن يدوم. لكن هنا، الآن -

ينادي بين الحشد: "ماذا يدور في رأسك".

تبتسم. "لا يمكنني الانتظار حتى الصيف". ليست كذبة. كان ربيعًا طويلًا ورطبًا، وقد سئمتْ من البرودة. الصيف يعني الأيام الحارة والليالي الحارة التي يضيء فيها الضوء. الصيف يعني سنة أخرى على قيد الحياة. عام آخر بدون -

يقاطعها هنري: "إذا كان لديك شيء واحد، فماذا يكون؟"

يفحصها ويحدق فيها كأنها كتاب وليست إنسانًا. شيء يجب قراءته. تحدق به مرة أخرى وكأنه شبح. معجزة. شيء مستحيل.

تفكر، هذا، لكنها ترفع كأسها الفارغة وتقول: "بيرة أخرى".

XII

يمكن لآدي أن تحسب كل ثانية من حياتها، ولكن في تلك الليلة، مع هنري، يبدو أن اللحظات تنزف معًا. يمر الوقت وهما يتنقلان من بار إلى بار، وتفسح ساعة السعادة مكانها للعشاء ثم تناول المشروبات في وقت متأخر من الليل، وكلما وصلا إلى النقطة التي ينقسم فيها المساء، ويقودهما طريق إلى طريقيهما المنفصلين ويحملهما الآخر إلى الأمام يختاران الثاني.

يبقيان معًا، وكل منهما ينتظر أن يقول الآخر "الوقت يتأخر" أو "يجب أن أذهب" أو "أراك قريبًا". هناك بعض الاتفاقات غير المعلنة، عدم الرغبة في قطع هذا كله مهما يكن، وهي تعرف سبب خوفها من قطع الخيط، لكنها تتساءل عن هنري. تتساءل عن الوحدة التي تراها خلف عينيه. تتساءل عن الطريقة التي ينظر بها النادل والسقاة والرواد الآخرون إليه، الدفء الذي لا يلاحظه على ما يبدو.

وبعد ذلك يقترب منتصف الليل، وهما يأكلان بيتزا رخيصة، ويمشيان جنبًا إلى جنب في أول ليلة ربيعية دافئة، حيث تمتد السحب فوق رأسيهما، منخفضة ويسطع القمر.

تنظر إلى أعلى، وكذلك هنري، وللحظة واحدة فقط، يبدو حزينًا حزنًا ساحقًا لا يُحتمَل.

يقول: "أفتقد النجوم".

تقول: "وأنا أيضًا"، ويسقط بصره عليها وهو يبتسم.

"من أنت؟"

صارت عيناه بارقتين، والطريقة التي يقول بها من يجعلها تبدو تقريبًا مثل كيف،[28] ناهيك عن سؤال عما تفعله وسؤال آخر عن حالتها هنا، وهي تريد أن تسأله الأسئلة نفسها، ولكن لديها سبب وجيه، وهو مخمور إلى حد ما.

وببساطة، طبيعي تمامًا.

لكنه لا يمكن أن يكون طبيعيًا.

---

28 الحديث عن التشابه في النطق بين من who وكيف how.

ولأن الناس العاديين لا يتذكرونها.

وصلا إلى مترو الأنفاق. يتوقف هنري.

"هذا طريقي".

تنزلق يده من يدها، وها هو ذلك الخوف القديم المألوف، من النهايات، من شيء يفسح المجال للعدم، من لحظات غير مكتوبة وذكريات تمحى. لا تريد أن ينتهي الليل.

لا تريد كسر التعويذة. لا -

يقول هنري: "أريد أن أراك مرة أخرى".

يملأ الأمل صدرها حتى يؤلمها. سمعت هذه الكلمات مائة مرة، لكنها لأول مرة تشعر بأنها تبدو حقيقية. ربما. "أريد أنا أيضًا أن تراني مرة أخرى".

يبتسم هنري، ابتسامة تغطي وجهه كله.

يخرج تليفونه المحمول ويغرق قلب آدي. تخبره أن تليفونها مكسور، والحقيقة أنها لم تكن بحاجة إلى تليفون من قبل. حتى لو كان هناك شخص ما يمكن أن تتصل به، فهي لا تستطيع الاتصال به. ستنزلق أصابعها بلا فائدة على الشاشة. ليس لديها إيميل، ولا توجد طريقة لإرسال رسالة من أي نوع، وذلك بفضل الجزء الكامل غير المكتوب من لعنتها.

"لم أكن أعرف أنه يمكن أن توجدي هذه الأيام بدون واحد".

تقول: "طراز قديم".

يعرض عليها أن يمر عليها في منزلها في اليوم التالي. أين تعيش؟ ويبدو الأمر وكأن الكون يسخر منها الآن.

تقول: "أقيم في منزل أصدقاء أثناء تواجدهم خارج المدينة. لماذا لا ألتقي بك في المتجر؟"

يومئ هنري برأسه. ويقول وهو يتراجع: "المتجر، إذن".

"السبت؟"

"السبت".

"لا تختفِ".

تضحك آدي، ضحكة صغيرة هشة. وبعد ذلك يبتعد، خطا الخطوة الأولى، والهلع ينتابها.

تقول وهي تناديه ليعود: "انتظر، احتاج إلى أن أخبرك بشيء".

يهمهم هنري: "يا إلهي، أنت مع شخص ما".

الحلقة تحترق في جيبها. "لا".

"أنت في وكالة المخابرات المركزية وتغادرين غدًا في مهمة سرية للغاية".

تضحك آدي. "لا".

"أنت كما قلْتُ-"

"اسمي الحقيقي ليس إيف".

يتراجع مرتبكًا. "... حسنًا".

لا تعرف ما إذا كان يمكن أن تقول ذلك، وما إذا كانت اللعنة ستسمح لها، لكن عليها أن تحاول. "لم أخبرك باسمي الحقيقي لأنه، حسنًا - معقد. لكني معجبة بك، وأريد أن تعرفه - أن تسمعه مني".

يستقيم هنري، ويبدو جادًّا: "حسنًا، ما هو؟"

"إنه أ -" الصوت يستقر، لثانية بالضبط، تتصلب عضلة لم تستخدم منذ فترة طويلة. ترس صدئ. وبعد ذلك - تتحرك العضلة.

تبلع ريقها بصعوبة: "آدي. اسمي آدي".

يعلق في الهواء بينهما.

ثم يبتسم هنري. ويقول "حسنًا، حسنًا. تصبحين على خير، آدي".

بهذه البساطة.

يسقط مقطعان من لسان.

وهـو أفضـل صـوت سـمعته عـلى الإطـلاق. تريـد أن ترمـي ذراعيهـا حولـه، وتريـد أن تسـمعها مـرة أخـرى، ومـرة أخـرى، الكلمـة المسـتحيلة تملأهـا مثل الهـواء، وتجعلها تشـعر بالصلابة.

حقيقة.

تقول آدي: "تصبح على خير، يا هنري"، وتود أن يستدير ويذهب، لأنها لا تعتقد أنها تستطيع أن تبتعد عنه.

تقف هناك، متجذرة في البقعة الموجودة في البقعة العليا من سلالم مترو الأنفاق حتى يغيب عن الأنظار، وتحبس أنفاسها وتنتظر أن تشعر بانقطاع الخيط، والعالم يرتجف ويعود إلى شكله، وتنتظر الخوف والخسارة والمعرفة التي كانت مجرد صدفة، خطأ كوني، غلطة، انتهى الآن، ولن يحدث مرة أخرى أبدًا.

لكنها لا تشعر بأي من هذه الأشياء. كل ما تشعر به البهجة والأمل.

يصدر كعب بوتها إيقاعًا في الشارع، وحتى بعد كل هذه السنوات، تتوقع نصف توقع أن ينزل حذاء ثانٍ على السلم بجوار حذائها. أن تسمع ضباب صوته الناعم والعذب الساخر. لكن لا ظل بجوارها، ليس الليلة.

المساء هادئ، وهي وحيدة، لكن لمرة لا يعني ذلك أنها تشعر بالوحدة.

تصبحين على خير، آدي، قال هنري، وآدي لا يسعها إلا أن تتساءل عما إذا كان قد كسر التعويذة بطريقة ما.

تبتسم وتهمس لنفسها. "تصبحين على خير، آد -"

لكن اللعنة تمسك بحلقها، والاسم يسكن هناك، كما هو الحال دائمًا.

وبعد.

وبعد.

تصبحين على خير، آدي.

ثلاثمائة عام اختبرت حدود صفقتها، ووجدت الأماكن التي تقدمها، الانحناء والانثناء الدقيق حول القضبان، لكنها لم تكن مخرجًا قط.

وبعد.

بطريقة ما، وبصورة مستحيلة، وجد هنري طريقة للدخول. بطريقة ما، يتذكرها.

كيف؟ كيف؟ يدق السؤال على طبلة قلبها، لكن آدي في هذه اللحظة لا تهتم.

في هذه اللحظة، تتمسك بصوت اسمها، اسمها الحقيقي، على لسان شخص آخر، وهذا يكفي، يكفي، يكفي.

باريس، فرنسا

29 يوليو 1720

XIII

المسرح مهيأ والأماكن جاهزة.

تسوي آدي المفرش على الطاولة، وترتب الأطباق الخزفية، والأكواب - ليس الكريستال، بل الزجاج - وتسحب العشاء من سلتها. ليست وجبة من خمسة أطباق، تقدمها أيدٍ براقة، لكنه طعام طازج وشهي. رغيف ما زال دافئًا. قطعة من الجبن. قطعة من لحم الخنزير. زجاجة نبيذ أحمر. إنها فخورة بمجموعتها، وهي لا تزال فخورة بحقيقة أنها لم تجمعها بسحر، باستثناء اللعنة، لم تستطع ببساطة أن تنأى بنظرتها، وتقول كلمة، وتنفذها.

ليست الطاولة فقط.

إنها الغرفة. ليست غرفة مسروقة. ليست كوخ شحاذ. مكان، في الوقت الحالي على الأقل، تسميه مكانها. استغرق الأمر شهرين للعثور عليه، وأسبوعين لإصلاحه، لكنه يستحق. من الخارج لا شيء: زجاج متصدع وخشب معوج. وهذا صحيح، فقد تحولت الطوابق السفلية إلى حالة يرثى لها، وهي موطن الآن فقط للقوارض والقطط الضالة - وفي الشتاء، تزدحم بالأشخاص الذين يبحثون عن أي شكل من أشكال المأوى - ولكنها ذروة الصيف الآن، وفقراء المدينة في الشوارع، واستولت آدي على الطابق العلوي. كانت تصعد الدرج وتنحت طريقًا للدخول والخروج من نافذة علوية، مثل طفل في حصن خشبي. إنه مدخل غير تقليدي، لكن الأمر يستحق العناء من أجل الغرفة التي تقع خلفه، حيث صنعت لنفسها بيتًا.

سرير مكدس بالبطانيات. صندوق مليء بملابس مسروقة. تمتلئ حافة النافذة بالحلي والزجاج والخزف والعظام، حيث تُجمَع وتُرتَّب مثل صف من الطيور المؤقتة.

في منتصف الغرفة الضيقة كرسيان أمام طاولة مغطاة بمفرش باهت. وفي وسطها باقة من الزهور، قُطِفتْ ليلًا من حديقة ملكية وهُرِّبتْ في ثنايا تنورتها. وتعلم آدي أن أيًا منها لن يدوم، لن يدوم أبدًا - ينزع النسيم الطواطم بطريقة ما من على رفها؛ يحدث حريق أو طوفان؛ ينهار الطابق أو يُعثَر على البيت السري ويطالب به شخص ما.

لكنها حرست القطع في الشهر الماضي، وجمعتها ورتبتها واحدة بعد الأخرى لتشبه الحياة، وإذا كانت صادقة، فهذه ليست لها وحدها.

إنها من أجل الظلام.

إنها من أجل لوس.

أو بالأحرى نكاية فيه، لإثبات أنها حية، وأنها حرة. أن آدي لن تمنحه أي سيطرة، ولا توجد طريقة للسخرية منها بصدقته.

كانت الجولة الأولى له، ولكن الثانية ستكون لها.

لذا صنعت بيتها، وأعدته للرفقة، وربطت شعرها وارتدت ملابس من الحرير الخمري، لون أوراق الخريف، وقد ارتدت مشدًا بالرغم من كرهها للمشدات.

كان لديها عام للتخطيط، لتصميم الوضع الذي ستنفذه، وهي تسوي الغرفة، تقلب الانتقادات اللاذعة في عقلها، وتشحذ أسلحة الخطاب. تتخيل دفعاته، ودفاعاتها، الطريقة التي تسطع بها عيناه أو تظلم مع تحول المحادثة.

قال: نمت أسنانك، وستُظهر له آدي مدى حدتها.

غربت الشمس الآن، ولم يبقَ إلا الانتظار. تمر ساعة وبطنها يتذمر من الحاجة والخبز يبرد في القماش، لكنها لا تسمح لنفسها بالأكل. بدلًا من ذلك، تميل من النافذة وتراقب المدينة، وأضواء الفوانيس المتغيرة مضاءة.

وهو لا يأتي.

تصب لنفسها كأسًا من النبيذ، وتخطو، حيث تذوب الشموع المسـروقة، ويتساقط الشمع على مفرش المائدة، ويزداد الليل ثقلًا، الساعات المتأخرة من الليل أولًا، ثم الساعات المبكرة من الصباح.

ولم يأت بعد.

ترتجف الشموع وتنطفئ، وتجلس آدي في الظلام والإدراك يسيطر عليها.

مر الليل، تسللت خيوط ضوء النهار الأولى إلى السماء، ويأتي الغد الآن، وتنتهي ذكراها السنوية، وخمسة أعوام صارت ستة أعوام بدون حضوره، وبدون وجهه، ودون سؤاله عما إذا كانت قد اكتفت، والعالم ينزلق، لأنه غير عادل، إنه غش، إنه خطأ. كان من المفترض أن يأتي، كانت هذه هي طبيعة رقصتهما. لم تكن تريده هناك، لم تكن تريده أبدًا، لكنها توقعته، وهو الذي جعلها تتوقعه. أعطاها عتبة واحدة لتتوازن عليها، حافة ضيقة من الأمل، لأنه شيء كريه، لكن الشيء الكريه يبقى شيئًا ما. الشيء الوحيد الذي لديها.

وهذه هي النقطة بالطبع.

هذا هو سبب الكأس الفارغة، والطبق الخاوي، والكرسي غير المستخدم. تنظر من النافذة، وتتذكر النظرة التي كانت في عينيه حين شربا النخب، وانحناء شفتيه حين أعلنتا الحرب، وأدركت كم هي حمقاء، ومدى السهولة التي تلتقط بها الطعم.

وفجأة، تبدو اللوحة كلها مروعة ومثيرة للشفقة، ولا تتحمل آدي النظر إليها، ولا تستطيع التنفس في حريرها الأحمر. تنزع أربطة المشد، وتسحب الدبابيس من شعرها، وتتحرر من قيود الفستان، وترفع الأشياء عن الطاولة، وتهشم الزجاجة، وقد فرغت الآن، في الحائط.

الزجاج يعض في يدها، والألم حاد وحقيقي، ووهج مفاجئ لحرق بدون ندبة دائمة، وهي لا تهتم. في لحظات، عاد كل شيء إلى ما كان عليه. تستلقي الكؤوس والزجاجة سليمة. ذات مرة اعتقدت أنها نعمة، عدم القدرة على الانهيار، ولكن الآن، العجز جنون.

تدمر كل شيء، فقط لتشاهده يهتز، ويسخر، ويعود سليمًا، ويعود مثل طاقم إلى بداية العرض.

وآدي تصرخ.

الغضب يشتعل بداخلها، حارًّا وساطعًا، الغضب من لوس ومن نفسها، لكنه يفسح المجال للخوف والحزن والرعب، لأنها يجب أن تواجه سنة أخرى بمفردها، سنة أخرى بدون أن تسمع اسمها، بدون أن ترى صورتها في عيني أي شخص، بدون ليلة راحة من هذه اللعنة، سنة، أو خمس، أو عشر، وهي تدرك حينها كم اتكأت على وعد حضوره، لأنها بدونه تسقط.

تغرق على الأرض بين أنقاض ليلتها.

تمر سنوات قبل أن ترى البحر، والأمواج تتصادم مع المنحدرات البيضاء الخشنة، وبعد ذلك تتذكر كلمات لوس المؤثرة.

حتى الصخور تبلى وتصير عدمًا.

تنام آدي بعد الفجر مباشرة، لكنه نوم متقطع وقصير ومليء بالكوابيس، وحين تستيقظ ترى الشمس عالية فوق باريس، لا تستطيع أن تنهض. تنام طول النهار ونصف الليل، وحين تستيقظ يكون ما تحطم بداخلها قد التأم مرة أخرى، مثل عظمة مكسورة بشكل سيئ، تشتد الليونة.

تقول لنفسها وهي تقف على قدميها: "كفى".

تكرر: "كفى"، وهي تتناول الخبز، الذي أصبح الآن قديمًا، والجبن ذاب من الحرارة.

كفى.

ستكون هناك ليالٍ أخرى مظلمة، بالطبع، فجر بائس، ويضعف عزمها دائمًا بعض الشيء والأيام تطول، والذكرى السنوية تقترب، والأمل الغادر ينزلق مثل تيار. لكن الحزن تلاشى وحل محله غضب عنيد، وعقدت العزم على أن تشعله، أن تحمي اللهب وترعاه حتى يستغرق الأمر أكثر من نفس واحد لإطفائه.

مدينة نيويورك

13 مارس 2014

XIV

هنري شتراوس يمشي وحيدًا إلى البيت في الظلام.

يفكر، آدي، مقلّبًا الاسم في فمه.

آدي، التي نظرت إليه ورأت صبيًّا بشعر أسود، وعينين لطيفتين، ووجه صريح.

لا شيء أكثر. ولا شيء آخر.

تهب عاصفة باردة، ويغلق معطفه، وينظر إلى السماء الخالية من النجوم.

ويبتسم.

الجزء الثالث

ثلاثمائة سنة وثلاث كلمات

باريس، فرنسا

29 يوليو 1724

I

الحرية بنطلون ومعطف مزرر.

سترة رجالية وقبعة ثلاثية.[29] لو عرفتْ فقط.

ادعى الظلام أنه منحها حريتها، وفي الحقيقة، لا يوجد شيء من هذا القبيل للمرأة، لا يوجد في عالم تقيد فيه داخل ملابسها، ويُغلَق عليها بيتها، عالم يُمنح فيه الرجال فقط الإذن بأن بالتجول.

تسير آدي في الشارع، وسلة مسروقة معلقة على مرفق معطفها. وبجوارها، تقف امرأة عجوز في مدخل، تنفض سجادة، وعمال يستريحون على سلم مقهى، ولا أحد منهم حتى يرمش، لأنهم لا يرون امرأة تمشي وحدها. يرون شابًا، بالكاد أكثر من شاب، يتضاءل في ضوء شاحب؛ إنهم لا يفكرون كم هو غريب، كم هو فاضح أن يروها تسير. لا يفكرون في أي شيء على الإطلاق.

بالتفكير، ربما أنقذت آدي روحها، وطلبت ببساطة هذه الملابس.

مرت أربع سنوات حتى الآن دون زيارة من الظلام.

أربع سنوات، وفي فجر كل عام، تقسم أنها لن تضيع وقتها في الانتظار. لكنه وعد لا تستطيع الوفاء به تمامًا. بالرغم من كل ما بذلته من جهد، فإن آدي تشبه ساعة تدور أكثر إحكامًا مع اقتراب النهار، زنبرك ملفوف لا يتوقف حتى الفجر. وحتى في هذه الحالة، فهو توقف كئيب، والاستسلام مريح أكثر من معرفة أنها ستبدأ من جديد.

---

29 قبعة بحافة مرفوعة من ثلاث جهات.

أربع سنوات.

أربعة فصول شتاء، أربعة فصول صيف، أربع ليال بدون زيارة.

الليالي الأخرى، على الأقل، لياليها، تقضيها كما تشاء، ولكن بغض النظر عن كيفية محاولتها لتمضية الوقت، فإن هذا الوقت وقت لوس، حتى حين لا يكون هنا.

ومع ذلك، لن تعلن خسارتها، ولن تضحي بالساعات وكأنها ضاعت بالفعل، ساعاته بالفعل.

تمر آدي بمجموعة من الرجال وترفع قبعتها تحية لهم، وتستخدم الإيماءة لسحب القبعة الثلاثية على جبينها. لم يفسح النهار مكانه تمامًا لليل، وفي ضوء الصيف الطويل كانت حريصة على الحفاظ على مسافتها، وهي تعلم أن الوهم سيتعثر بالتدقيق. كان من الممكن أن تنتظر ساعة أطول وتكون بأمان داخل حجاب الليل، لكن الحقيقة أنها لم تستطع تحمل السكون، الثواني الزاحفة للساعة.

ليس الليلة.

الليلة، قررت الاحتفال بحريتها.

أن تصعد إلى قمة نوتردام، وتتنزه هناك، والمدينة تحتها.

السلة تتأرجح من كوعها ممتلئة بالطعام. أصبحت أصابعها خفيفة وسريعة بالممارسة، وقد أمضت عدة أيام في تجميع وليمة - رغيف خبز، جانب من اللحم المقدد، قطعة جبن، وحتى برطمان عسل بحجم الكف.

العسل - حلم لم تعرفه آدي منذ كانت في فيون، حيث كان والد إيزابيل يحتفظ بصف من خلايا النحل وكان يكشط شراب الكهرمان ليبيعه في الأسواق، ويتركهما يمتصان قشور قرص العسل حتى تتلطخ أصابعهما بالحلاوة. الآن تحمل جائزتها إلى الضوء المتضائل، وتسمح لغروب الشمس بتحويل المحتويات إلى الذهب.

يخرج الرجل من حيث لا تدري.

يقرع كتفٌ ذراعها، وتنزلق الجرة الثمينة من يدها وتتحطم في الشارع المرصوف بالحصى، وتعتقد آدي للحظة أنها تتعرض لهجوم أو سرقة، لكن الغريب يتلعثم بالفعل وهو يعتذر.

تهمس: "أيها الأحمق"، الانتباه ينتقل من الشراب الذهبي، الذي يتلألأ الآن بالزجاج، إلى الرجل الذي تسبب في خسارتها. إنه شاب، حسن المظهر، وجميل، بخدين مرتفعين وشعر بلون عسلها الذي تلف.

وهو ليس وحده.

يتراجع رفاقه وهم يصيحون ويهتفون لخطئه - مزاجهم سعيد مثل أولئك الذين بدأوا احتفالاتهم المسائية مرة أخرى في منتصف النهار - لكن الشاب الضال يحمر خجلًا بشدة، ويرتبك ارتباكًا واضحًا.

بدأ قائلًا: "أعتذر حقًّا"، ولكن بعد ذلك يطرأ على وجهه تحول كاسح. دهشة في البداية، ثم التسلية، وهي تدرك، بعد فوات الأوان، مدى قربها، كيف سقط الضوء على وجهها بوضوح. تدرك، بعد فوات الأوان، أنه رأى من خلال وهمها، أن يده لا تزال هناك، على كمها، وهي تخشى للحظة أن يكشفها.

لكن حين دعاه رفاقه ليسرع، طلب منهم أن يمضوا قدمًا، والآن هما وحدهما في الشارع المرصوف بالحصى، وآدي على استعداد للتجول بحرية، والركض، ولكن لا يوجد ظل في وجه الشاب، لا يوجد خطر، فقط بهجة غريبة.

تقول: "دعني أذهب"، خافضة صوتها وهي تتحدث، الأمر الذي يبدو أنه يرضيه أكثر، حتى وهو يحرر ذراعها بسرعة شخص يرعى نارًا.

قال مرة أخرى: "آسف، نسيتُ نفسي". ثم ابتسامة مزعجة. "يبدو أنك نسيتِ نفسك أيضًا".

تقول: "لا على الإطلاق"، وتنجرف الأصابع نحو النصل القصير الذي احتفظت به داخل سلتها. "جئت إلى المكان الخطأ عن قصد".

تتسع الابتسامة بعد ذلك، ويسقط بصره، ويرى العسل الفاسد على الأرض، ويهز رأسه.

يقول: "يجب أن أعوضك عنه". وهي على وشك أن تطلب منه ألا ينزعج، على وشك أن تقول إنه أمر رائع، يرفع رأسه على الطريق، ويقول، "آها" ويضع ذراعه في ذراعها، كما لو كانا صديقين بالفعل.

يقول: "تعالي"، ويقودها نحو المقهى في الزاوية. لم تدخل أحدها قط، ولم تكن قط شجاعة بما يكفي لانتهاز الفرصة، ليس بمفردها، وليس بمثل هذه القبضة الضعيفة على تنكُّرها. لكنه يسحبها وكأنها لا شيء، وفي اللحظة الأخيرة يلف ذراعه حول كتفيها، وزن مفاجئ وحميم جدًّا توشك أن تبعده قبل أن تلتقط حافة ابتسامة، وتدرك أنه اتخذها لعبة، جند نفسه في خدمة سرها.

في الداخل، المقهى مكان زاخر بالطاقة والحياة، أصوات متداخلة ورائحة شيء غني ومدخن.

يقول، العيون تتراقص من الانزعاج: "احذري الآن، ابقي قريبة، وأبقي رأسك منخفضًا، وإلا اكتُشِفنا".

تتبعه إلى الكاونتر، حيث طلب كوبين ضحلين، المحتويات رفيعة وسوداء كالحبر. يقول: "اجلسي هناك، مقابل الحائط، حيث الضوء ليس قويًّا جدًّا".

يجلسان في مقعد في الزاوية، ويضع الكوبين بينهما بتأنق، ويدير المقابض، وهو يقول لها إنها قهوة. سمعت، بالطبع، عن نخب باريس الحالي، لكنها حين ترفع الكوب الصيني إلى شفتيها وترشف منه، تشعر بخيبة أمل إلى حد ما.

إنها قاتمة، وقوية، ومُرَّة، مثل رقائق الشوكولاتة التي تذوقتها أول مرة منذ سنوات، فقط بدون الحلاوة. لكن الصبي يحدق فيها، مثل جرو، فتبلع ريقها، وتبتسم، وتمسك الكأس، وتنظر من تحت حافة قبعتها، فاحصة طاولات الرجال، وبعضهم رؤوسهم منحنية ومتقاربة، بينما يضحك آخرون ويلعبون الورق أو يمررون حزمًا من الورق ذهابًا وإيابًا. تشاهد هؤلاء الرجال وتتساءل من جديد عن مدى انفتاح العالم أمامهم، ومدى سهولة تجاوز العتبات.

يعود انتباهها إلى رفيقها الذي يراقبها بالسحر الجامح نفسه.

يسأل: "بم كنت تفكرين؟ للتو؟"

لا توجد مقدمة ولا تبادل رسمي. إنه ببساطة يغوص في المحادثة، وكأن المعرفة بينهما عمرها سنوات لا دقائق.

تقول: "كنت أفكر في أنه لابد أن يكون من السهل جدًّا أن تكون رجلًا".

"هل لهذا السبب تتنكرين في هذه الملابس؟"

تقول: "لهذا السبب ولأنني أكره المشدات".

يضحك، بصوت منفتح وسهل وتجد آدي ابتسامة ترتفع على شفتيها.

يسأل: "هل لك اسم؟" وهي لا تعرف ما إذا كان يطلب شيئًا خاصًّا بها، أو عن تمويهها، لكنها قررت "توماس"، وتشاهده يقلب الكلمة مثل قطعة من الفاكهة.

يفكر: "توماس، شرف لي مقابلتك. اسمي ريمي لوران".

تردد: "ريمي"، تذوق الرقة، حرف العلة المقلوب. يناسبه أكثر مما يناسب أديلين. إنه شاب وحلو، وسوف يطاردها، كما تفعل كل الأسماء، متمايلًا مثل التفاح في التيار. بغض النظر عن عدد الرجال الذين تلتقي بهم، تستحضر ريمي دائمًا، هذا الفتى اللامع والمبهج - من النوع الذي كان يمكن أن تحبه، ربما، إذا أتيحت لها الفرصة.

تأخذ رشفة أخرى، مع الحرص على عدم حمل الكوب بحذر شديد، ووضع الثقل على كوعها، والجلوس بدون قلق كما يفعل الرجال حين لا يتوقعون أن يفحصهم أحد.

يتعجب: "مذهل، درست جنسي جيدًا".

"هل درسته؟"

"أنت مقلدة رائعة".

يمكن أن تخبره آدي أنه كان لديها الوقت للتدرب، وأن الأمر صار لعبة على مر السنين، وطريقة للترفيه عن نفسها. أضافت عشرات من مختلف الشخصيات حتى الآن، وهي تعرف الفروق الدقيقة بين الدوقة والماركيزة، وعامل تفريغ السفن والتاجر.

لكن بدلًا من ذلك، تكتفي بأن تقول: "نحتاج جميعًا إلى طرق لتمضية الوقت".

يضحك مرة أخرى على ذلك، ويرفع فنجانه، ولكن بعد ذلك، بين رشفة وأخرى، يتجول انتباه ريمي عبر الغرفة، ويهبط على شيء يذهله. يختنق بقهوته، يندفع اللون في وجنتيه.

تسأل: "ماذا؟ هل أنت بخير؟"

يسعل ريمي، كاد أن يسقط الكوب وهو يشير إلى المدخل، حيث دخل الرجل لتوه.

تسأل: "هل تعرفه؟" وريمي يسعل: "ألا تعرفينه؟ الرجل الذي هناك هو مسيو فولتير".

تهز رأسها قليلًا. الاسم لا يعني شيئًا.

ريمي يسحب رزمة من معطفه. كراسة رقيقة مطبوع على غلافها شيء ما. تقطب جبينها في العنوان المكتوب بأحرف متشابكة، وقد تمكنت فقط من قراءة نصف الأحرف وريمي يفتح الكراسة ليظهر جدارًا من الكلمات، مطبوعًا بحبر أسود أنيق. مضى وقت طويل منذ أن حاول والدها تعليمها، وكانت تلك حروف بسيطة؛ نص فضفاض بخط اليد.

رآها ريمي تفحص الصفحة. "هل تستطيعين قراءتها؟"

تعترف: "أعرف الحروف، لكنني لم أتعلم كيف أفهمها كثيرًا. وحين أنجح في قراءة سطر، أخشى أن أكون قد فقدْتُ معناه".

ريمي يهز رأسه. يقول: "إنها جريمة، ألا تُعلَّم النساءُ مثل الرجال. لماذا، عالم بلا قراءة، لا أستطيع أن أفهمه. حياة طويلة بدون قصائد أو مسرحيات أو فلاسفة. بدون شكسبير أو سقراط، ناهيك عن ديكارت!"

تتضايق: "هل هذا كل شيء؟"

يتابع: "وفولتير. بالطبع، فولتير. والمقالات والروايات".

مكتبة
t.me/soramnqraa

لا تعرف الكلمة.

يوضح: "قصة طويلة، مخترعة تمامًا. مليئة بالرومانسية أو الكوميديا أو المغامرة".

تفكر في الحكايات الخيالية التي رواها لها والدها، وهي تكبر، وقصص إستيل التي نسجتها عن الآلهة القديمة. لكن هذه الرواية التي يتحدث عنها ريمي تبدو وكأنها تعني أكثر من ذلك بكثير. تمرر أصابعها على صفحة الكراسة المقدمة، لكن اهتمامها ينصب على ريمي، واهتمامه في تلك اللحظة ينصب على فولتير. "هل تقدم نفسك؟"

تتراجع نظرة ريمي في رعب. "لا، لا، ليس الليلة. الأفضل بهذه الطريقة؛ فكري في القصة". يجلس في مقعده متوهجًا ببهجة. "ترين؟ هذا ما أحبه في باريس".

"لسْتَ من هنا إذن".

"هل يوجد أحد من هنا؟" عاد إليها الآن. "لا، أنا من رين. من عائلة تعمل بالطباعة. لكني الابن الأصغر، وقد ارتكب والدي خطأً فادحًا في إرسالي بعيدًا إلى المدرسة، وكلما قرأت أكثر، كلما فكرت، وكلما فكرت، عرفت أنني يجب أن أكون في باريس".

"لم تمانع عائلتك؟"

"مانعوا بالطبع. لكن كان لابد أن آتي. هنا يوجد المفكرون. هنا يعيش الحالمون. هنا قلب العالم، والرأس، وهو يتغير". تتراقص عيناه بالضوء. "الحياة قصيرة جدًّا، وكل ليلة في رين أذهب إلى الفراش، وأستلقي مستيقظًا، وأفكر في أن يومًا آخر صار خلفي، ومن يدري مدى قلة ما تبقى من أيام في المستقبل".

إنه الخوف نفسه الذي أجبرها على الذهاب إلى الغابة في تلك الليلة، الحاجة نفسها التي دفعتها إلى مصيرها.

يقول بتألق: "لذا ها أنا ذا، ما كان لي أن أكون في أي مكان آخر. أليس هذا رائعًا؟"

تفكر آدي في الزجاج الملون والأبواب المغلقة والحدائق والبوابات من حولها.

تقول: "يمكن أن يكون".

"آه، تعتقدين أنني مثالي".

ترفع آدي القهوة إلى شفتيها. "أعتقد أن الأمر يكون أكثر سهولة بالنسبة للرجال".

"إنه كذلك"، يعترف، قبل أن يهز رأسه في ملابسها. ويقول بابتسامة شريرة: "ومع ذلك، صدمتني كشخص ليس من السهل ضبطه. أن تجد طريقًا أو أن تشق طريقًا[30] وما إلى ذلك".

---

30 أن تجد طريقًا أو أن تشق طريقًا: باللاتينية في الأصل.

وهي لا تعرف اللاتينية بعد، ولا يقدم ترجمة، ولكن بعد عقد من الآن، تبحث عن الكلمات وتعرف معناها.

أن تجد طريقًا أو أن تشق طريقًا.

وسوف تبتسم، حينها، شبح الابتسامة الذي تمكن من الفوز بها الليلة.

يحمر خجلًا: "لابد أنني ممل بالنسبة لك".

تقول: "لا على الإطلاق. قل لي، أن يكون المرء مفكرًا، هل يستحق؟"

ينفجر في الضحك: "لا، ليس جيدًا. لكنني ما زلت ابن والدي". يمد يديه، وراحتاه إلى أعلى، وتلاحظ آثار الحبر على طول خطوط راحة يده، يلطخ تلافيف أصابعه، بالطريقة التي اعتادت أن يلطخ بها الفحم راحتيها. ويقول: "إنه عمل جيد".

لكن تحت كلماته، صوت أكثر رقة، قعقعة معدته.

كادت آدي تنسى الجرة المهشمة، العسل التالف. لكن بقية الوليمة تنتظر عند قدميها.

"هل سبق لك أن زرت نوتردام؟"

مدينة نيويورك

15 مارس 2014

II

بعد سنوات طويلة، اعتقدت آدي أنها تكيفت مع الزمن.

اعتقدت أنها تصالحت معه - أو أنهما وجدا طريقة للتعايش - ليسا صديقين بحال من الأحوال، لكنهما على الأقل لم يعودا عدوين.

ومع ذلك، فإن الوقت بين ليلة الخميس وعصر السبت لا يرحم، كل ثانية تُوزَّع باهتمام امرأة عجوز تعد بنسات لدفع ثمن الخبز. لا يبدو أنه يتسارع مرة، ولا تفقد مساره مرة. لا يبدو أنها تقضيه، أو تضيعه، أو حتى تقضيه خطأ. تنتفخ الدقائق حولها، محيط من الوقت غير صالح للشرب بين الحين والآخر، بين هنا والمكتبة، بينها وبين هنري.

أمضت آخر ليلتين في مكان في بروسبكت بارك، مكان مريح به غرفتا نوم بنافذة كبيرة تخص جيرارد، كاتب كتب للأطفال التقت به ذات شتاء. سرير كبير، كومة من البطانيات، التكتكة الناعمة المنومة للمبرد، لكنها لا تستطيع النوم. لم تستطع فعل شيء غير العد والانتظار، وتمنت لو أنها قالت غدًا، كان عليها أن تتحمل يومًا واحدًا فقط بدلًا من اثنين.

ثلاثمائة عام تمكنت من النجاح في التعامل مع معاناة الزمن، ولكن الآن، يوجد الآن حاضر ومستقبل، والآن هناك شيء ينتظرها، الآن لا يمكنها الانتظار لترى النظرة على وجه هنري، لتسمع اسمها على شفتيه.

تستحم آدي حتى يبرد الماء، وتجفف شعرها وتصففه بثلاث طرق مختلفة، وتجلس في جزيرة المطبخ تقذف حبات الحبوب في الهواء، وتحاول الإمساك بها على لسانها، والساعة على الحائط تتحرك إلى الأمام من 10:13 صباحًا إلى 10:14 صباحًا. تئن آدي. لا يفترض أن تقابل هنري قبل الساعة 5:00 مساءً. والوقت يتباطأ أكثر مع كل دقيقة، وتعتقد أنها قد تفقد عقلها.

مر وقت طويل منذ أن شعرت بهذا النوع من الملل، والعجز عن التركيز بشكل قد يولد الجنون، ويستغرق الأمر منها طول الصباح لتدرك أنها لا تشعر بالملل على الإطلاق.

إنها متوترة.

متوترة، مثل الغد، كلمة لأشياء لم تحدث بعد. كلمة تشير إلى المستقبل، حين يكون كل ما لديها لفترة طويلة حاضرًا.

آدي ليست معتادة على التوتر.

لا يوجد سبب للوجود حين تكون بمفردك دائمًا، حين يمكن لباب مغلق أن يمحو أي لحظة محرجة، وعلى الفور، وكل لقاء بداية جديدة. سجل نظيف.

تصل الساعةُ 11:00 صباحًا، وتقرر أنها لا تستطيع البقاء في الداخل.

ترفع الحبات القليلة المتساقطة من بقايا الحبوب، وتعيد الشقة إلى ما كانت عليه، وتتوجه إلى بروكلين في نهاية فترة الصباح. تتنقل بين البوتيكات، في حاجة ماسة إلى تشتيت الانتباه، وتجميع ملابس جديدة لأن الملابس التي ترتديها لن تكون مناسبة. إنها، رغم كل شيء، الملابس نفسها التي كانت ترتديها من قبل.

قبل - كلمة أخرى فقدت شكلها.

تختار آدي بنطلونًا من الجينز الباهت وحذاء بدون كعب مصنوع من الحرير الأسود، وبلوزة بياقة متدلية، وتلبس السترة الجلدية فوقها، بالرغم من أنها غير متوافقة. إنها لا تزال القطعة الوحيدة التي لا تتحمل تركها.

على عكس الحلقة، لن تعود.

تسمح آدي لفتاة متحمسة في متجر مكياج بالجلوس على كرسي وقضاء ساعة في وضع مختلف أقلام التحديد، والبطانات، والظلال. حين ينتهي الأمر، يكون الوجه في المرآة جميلًا، لكنه خاطئ، اللون البني الدافئ لعينيها يبرد بسبب الظل الدخاني المحيط بهما، بشرتها ناعمة جدًّا، بقع النمش السبع مخفية بكريم أساس غير لامع.

يرتفع صوت لوس مثل ضباب على الصورة.

أفضل رؤية الغيوم تحجب النجوم.

ترسل آدي الفتاة بحثًا عن أحمر الشفاه المرجاني، وفي اللحظة التي تكون فيها بمفردها، تزيل آدي الغيوم.

بطريقة ما، تمكنت من قضاء الوقت حتى الساعة 4:00 مساءً، لكنها الآن خارج المكتبة، مفعمة بالأمل والخوف. لذلك أجبرت نفسها على وضع دائرة حول الكتلة، لحساب حجارة الرصف، وحفظ كل واجهة متجر حتى الساعة 4:45 مساءً ولم تعد تستطيع أن تتحمل.

أربع خطوات قصيرة. باب واحد مفتوح.

وخوف مفرد شاحب.

ماذا لو؟

ماذا لو قضيا وقتًا طويلًا متباعدين؟

ماذا لو امتلأت الشقوق مرة أخرى، وعاودتها اللعنة مرة أخرى؟

ماذا لو كانت مجرد صدفة؟ نكتة قاسية؟

ماذا لو، ماذا لو، ماذا لو-

تحبس آدي أنفاسها، وتفتح الباب، وتدخل.

لكن هنري ليس هناك - بدلًا منه هناك شخص آخر خلف الكاونتر. إنها الفتاة. فتاة ذلك اليوم، التي كانت تجلس مربعة على الكرسي الجلدي، ونادت هنري باسمه حين ركض للقبض على آدي على الرصيف. الآن تميل على درج النقود، وتتصفح كتابًا كبيرًا مليئًا بالصور البراقة.

الفتاة عمل فني، جميلة بشكل لافت، بشرة داكنة مغطاة بخيوط فضية، وسترة تتدلى من كتف واحد. تنظر على صوت الجرس.

"هل يمكن أن أساعدك؟"

تتلعثم آدي، وتفقد التوازن بسبب دوار العوز والخوف. تقول: "آمل ذلك. أنا أبحث عن هنري".

تحدق الفتاة في وجهها وتفحصها –

ثم يأتي صوت مألوف من الخلف.

"بيا، هل تعتقدين أن هذا يبدو..". هنري يدور حول الزاوية، يسوي قميصه، ويخرج حين يرى آدي. للحظة، جزء من جزء من لحظة، تعتقد أن الأمر انتهى. أنه نسي، وهي وحيدة مرة أخرى، أن التعويذة الرقيقة استمرت أيامًا قبل أن تقطع مثل خيط طائش.

لكن هنري يبتسم، ويقول: "جئت مبكرًا".

وتشعر آدي بالدوار من الهواء والأمل والضوء.

تقول وهي تلهث إلى حد ما: "آسفة".

"لا داعي للأسف. أرى أنك قابلت بياتريس. بيا، هذه آدي".

تحب الطريقة التي ينطق بها هنري اسمها.

اعتاد لوس استخدامه سلاحًا، سكينًا تكشط جلدها، لكنه على لسان هنري جرس، شيء خفيف، ومشرق، وجميل. يرن بينهما.

آدي. آدي. آدي.

تقول بيا وهي تهز رأسها: "رأيتها من قبل، تقابل شخصًا ما لأول مرة، لكنك متأكد من أنك رأيته من قبل؟"

تضحك آدي تقريبًا: "نعم".

يقول هنري، وهو يتحدث إلى بيا ويهز معطفه: "أطعمت بوك بالفعل. لا ترشي المزيد من النعناع البري في قسم الرعب". ترفع يديها، تجلجل الأساور. يتحول هنري إلى آدي بابتسامة خجول. "هل أنت مستعد للذهاب؟"

إنهما في منتصف الطريق إلى الباب حين تطرق بيا أصابعها. تقول: "الباروك. أو ربما الكلاسيكية الجديدة".

تحدق آدي خلفها، مرتبكة. "فترات الفن؟"

تومئ الفتاة الأخرى برأسها: "لدي هذه النظرية القائلة بأن كل وجه ينتمي إلى واحد. زمن. مدرسة".

يتدخل هنري: "بيا طالبة دراسات عليا. تدرس تاريخ الفن، في حالة عدم قدرتك على معرفة ذلك".

"من الواضح أن هنري هنا رومانسية خالصة. صديقنا روبي هو ما بعد الحداثة - الطليعة، بالطبع، لا البساطة. لكنك..". تنقر بإصبعها على شفتيها. "هناك شيء خالد فيك".

يقول هنري: "توقفي عن مغازلة رفيقتي".

رفيقتي. الكلمة تهتز خلالها. الرفقة شيء مصنوع، شيء مخطط؛ ليست ما تسمح به الفرصة، ولكنه الوقت المخصص في وقت ما لوقت آخر، لحظة في المستقبل.

تقول بيا بمرح: "استمتعا! لا تبقيا في الخارج لوقت متأخر".

هنري يلف عينيه. ويقول وهو يمسك الباب: "وداعا، بيا".

تضيف: "أنت مدين لي".

"أنا أمنحك حرية الوصول إلى الكتب".

"تقريبا مثل مكتبة عامة!"

"ليست مكتبة عامة!" يصرخ، وتبتسم آدي وهي تتبعه في الشارع. من الواضح أنها مزحة داخلية، شيء مشترك، شيء مألوف، وهي تتألم شوقًا، وتتساءل كيف تبدو معرفة شخص ما معرفة جيدة، أن تكون المعرفة في الاتجاهين كليهما. تتساءل ما إذا كان بإمكانهما أن يمزحا بنكتة كهذه، هي وهنري. إذا تعارفا لفترة كافية.

إنها أمسية باردة، يمشيان جنبًا إلى جنب، ليسا متشابكين ولكن الكوعين يتلامسان، كل منهما يميل قليلًا إلى دفء الآخر. تتعجب آدي من ذلك، هذا الصبي بجانبها، أنفه مدسوس في الوشاح الملتف حول حلقه. تتعجب من الاختلاف الطفيف في أسلوبه، تحول طفيف سهل. منذ أيام، كانت غريبة عنه، والآن ليست كذلك، وهو يتعرف عليها بالمعدل نفسه الذي تتعرف به عليه، وما زالت البداية، ولا تزال جديدة جدًّا، لكنهما تحركا خطوة على طول الطريق بين المجهول والمألوف. خطوة لم يُسمح لها قط باتخاذها مع أي شخص سوى لوس.

وبعد.

ها هي مع هذا الصبي.

من أنت؟ تفكر ونظارة هنري تضبب بالبخار. يدرك نظرتها فجأة، ويغمز.

"إلى أين نحن ذاهبان؟" تسأل حين يصلان إلى مترو الأنفاق، وهنري ينظر إليها ويبتسم، ابتسامة خجول متمايلة.

"مفاجأة"، يرد وهما ينزلان الدرج.

يأخذان القطار جي إلى جرين بوينت، ويتراجعان نصف مبنى إلى واجهة متجر لا توصف، وعلامة الغسيل والطي في النافذة. هنري يمسك الباب، وآدي تخطو خلاله. تنظر حولها إلى الغسالات، أزيز الضوضاء البيضاء لدورة الشطف، اهتزاز الدوران.

تقول: "إنها مغسلة".

لكن عيني هنري تشعان بالانزعاج: "إنه متجر خمور مهربة".

تتراكم ذكرى خلالها عند سماع الكلمة، وهي في شيكاغو، منذ ما يقرب من قرن من الزمان، موسيقى الجاز تدور مثل الدخان في حانة تحت الأرض، الهواء مثقل برائحة الجن والسيجار، قرقعة الكؤوس، السر المفتوح لكل شيء. يجلسان تحت نافذة من الزجاج الملون لملاك يرفع كأسه، والشمبانيا تتكسر على لسانها، والظلام يبتسم على بشرتها، ويسحبها إلى الأرضية لترقص، وهي بداية كل شيء ونهايته.

ترتجف آدي، وتنسحب إلى الخلف. هنري يفتح الباب في الجزء الخلفي من المغسلة، وهي تستعد لغرفة مظلمة، وترجع مرغمة إلى الماضي، لكنها قابلت بدلًا من ذلك بأضواء النيون

والجرس الإلكتروني للعبة أركاد. بنبول، على وجه الدقة. تصطف الآلات على الجدران، مكتظة جنبًا إلى جنب لإفساح المجال للطاولات والمقاعد، العارضة الخشبية.

تحدق آدي حولها، مرتبكة. إنه ليس متجر خمور مهربة على الإطلاق، ليس بالمعنى الدقيق للكلمة. إنه ببساطة شيء مخفي وراء شيء آخر. رق ممسوح مقلوب.

يسأل بابتسامة خجول: "حسنا؟ ما رأيك؟"

تشعر آدي بأنها تبتسم للخلف، وتشعر بالدوار بارتياح. "أحب ذلك".

يقول، "حسنًا" وهو يخرج كيس أرباع من جيب: "هل أنت مستعدة لتخسري؟"

الوقت مبكر، لكن المكان بعيد عن أن يكون فارغًا.

يقودها هنري إلى الزاوية، حيث يطلب آلتين قديمتين، ويوازن برجًا من الأرباع في كل منهما. تحبس أنفاسها وهي تُدخل العملة الأولى، وتستعد لقعقعة لا مفر منها تتدحرج إلى الوراء في الطبق الموجود في القاع. لكنها تدخل، وتنبض اللعبة بالحياة، وينبعث منها نشاز مبهج من الألوان والصوت.

تزفر آدي، في مزيج من البهجة والارتياح.

ربما تكون مجهولة الهوية، عملية بلا وجه مثل سرقة. ربما، لكنها لا تهتم في الوقت الحالي.

تسحب الرافعة للخلف وتلعب.

III

يسأل هنري وهي تجمع النقاط: "كيف تلعبين بنبول بهذه البراعة؟"

آدي غير متأكدة. الحقيقة أنها لم تلعب من قبل، واستغرق الأمر عدة مرات لتتأقلم مع اللعبة، لكنها الآن وجدت طريقها.

تقول، قبل أن تنزلق الكرة بين مضربيها: "أنا سريعة التعلم".

"نتيجة عالية!" تعلن عن اللعبة في طائرة آلية بدون طيار.

يرفع هنري صوته ليتغلب على الضوضاء: "أحسنت، انتصرت بشكل رائع".

تومض الشاشة بانتظار إدخال اسمها. تتردد آدي.

يقول: "مثل هذا"، موضحًا لها كيفية تبديل المربع الأحمر بين الحروف. يتنحى جانبًا، وحين تحاول، لا يتحرك المؤشر. يومض الضوء فقط فوق الحرف آ، سخرية.

تقول وهي تتراجع: "لا يهم"، لكن هنري يتدخل.

"آلات جديدة، مشاكل قديمة". يرجها بفخذه، ويصبح المربع ثابتًا حول آ. "نجحنا".

إنه على وشك الابتعاد، لكن آدي تمسك بذراعه. "أدخل اسمي وأنا آتي بالجولة التالية".

أصبح الأمر أسهل الآن بعد أن امتلأ المكان. تزيل زجاجتين من البيرة من حافة الكاونتر، وتندس مرة أخرى بين الحشد قبل أن يستدير النادل. وحين تعود، والزجاجتان في يدها، يكون أول ما تراه الحروف، التي تومض باللون الأحمر الفاتح على الشاشة.

آ دِ ي.

يقول: "لم أكن أعرف كيف أتهجى اسمك".

وهذا خطأ، لكن لا يهم. لا شيء يهم سوى تلك الحروف الثلاثة، متوهجة في وجهها، تقريبًا مثل ختم، توقيع.

يقول هنري، ويداها على وركيها وهو يوجهها إلى جهازه: "مبادلة، لنرَ ما إذا كنْتُ أستطيع التغلب على هذه النتيجة".

تحبس أنفاسها وتأمل ألا يفعلها أحد.

يلعبان حتى نفاد الأرباع والبيرة، حتى يصبح المكان مزدحمًا جدًّا بشكل يجعله غير مريح، حتى لا يستطيع أي منهما أن يسمع الآخر حقًّا من الحلبة وصدام الألعاب وصيحات الأشخاص الآخرين، ثم يتسللان من الممر المظلم. يعودان عبر المغسلة شديدة السطوع، ثم يخرجان إلى الشارع، ولا يزالان يفيضان بالطاقة.

الجو معتم الآن، السماء فوق رأسيهما مظلة منخفضة من السحب الرمادية الكثيفة، واعدة بأمطار، وهنري يدفع يديه في جيوبه، ويتفحص الشارع. "ماذا الآن؟"

"هل تريدني أن أختار؟"

يقول: "هذا موعد تكافؤ الفرص"، وهو يتأرجح من الكعب إلى أصابع القدمين. "لقد قدمت الفصل الأول. إنه دورك".

تدندن آدي لنفسها، تنظر حولها، وتستدعي صورة ذهنية عن الحي.

تقول وهي تربت على جيبها: "أمر جيد أنني وجدت محفظتي". لم تجدها بالطبع، لكنها أخذت بضع عشرينات من درج مطبخ الرسام قبل أن تغادر في الصباح. انطلاقا من البروفايل الأخير له في التايمز، والحجم المذكور لصفقة كتابه الأخير، لن يلاحظ جيرالد فقدها.

"من هنا". آدي تنزل من على الرصيف.

يسأل بعد خمس عشرة دقيقة، وهما لا يزالان يمشيان: "إلى أي مدى نذهب؟"

تتضايق: "اعتقدت أنك من سكان نيويورك".

لكن خطواته طويلة بما يكفي لتتناسب مع سرعتها، وبعد خمس دقائق اقتربت من الزاوية، وها هي. تضيء سينما نيت هوك الشارع المظلم، وتتبع المصابيح البيضاء أنماطًا على واجهة من الطوب، وكلمة سينما بارزة بضوء النيون الأحمر عبر واجهتها.

ذهبت آدي إلى كل مسرح سينمائي في بروكلين، والمجمعات الضخمة بمقاعدها في الاستاد وأماكن المجموعات الصغيرة بمقاعدها البالية، وشاهدت كل مزيج من الإصدارات الجديدة والحنين إلى الماضي.

ونيت هوك واحدة من دور العرض المفضلة لديها.

تحدق في اللوحة، وتشتري تذكرتين لعرض فيلم شمالًا إلى الشمال الغربي، لأن هنري يقول إنه ليس له مثيل، ثم تأخذ يده ويسيران إلى القاعة في الظلام.

توجد طاولات صغيرة بين كل مقعد مع قوائم بلاستيكية وقسائم ورقية لكتابة طلبك عليها. لم تكن قادرة قط على طلب أي شيء، بالطبع - تتلاشى علامات القلم الرصاص، وينسى النادل أمرها بمجرد أن يبتعد عنها - لذلك تميل لمشاهدة هنري يملأ بطاقته، مبتهجة بالإمكانية البسيطة للفعل.

تستمر المعاينات والمقاعد تمتلئ من حولها، ويأخذ هنري يدها، وأصابعهما متشابكة مثل حلقات في سلسلة. تنظر إليه، رائع في ضوء المسرح الشاحب. خصلات الشعر الأسود. عظام الوجنتين عالية. فمه يشبه قوس كيوبيد. وميض التشابه.

ليست المرة الأولى التي ترى فيها لوس يتردد صداه في وجه إنساني.

يهمس هنري تحت صوت المعاينات: "تحدقين".

ترمش آدي. تهز رأسها: "آسفة. تبدو مثل شخص كنت أعرفه".

"شخص ما أعجبت به، على ما آمل".

"ليس صحيحا". يرمقها بنظرة إهانة زائفة، وآدي تكاد تضحك. "الأمر أكثر تعقيدًا".

"الحب إذن؟"

تهز رأسها. "لا..". لكن إلقاءها أبطأ وأقل تأكيدًا. "لكن كان النظر إليه لطيفًا جدًّا".

يضحك هنري والأضواء تخفت، والفيلم يبدأ.

يظهر نادل مختلف، ينحني وهو يسلم طعامهما، وتلتقط البطاطس المقلية من الطبق قطعة قطعة، وتغرق مستمتعة بالفيلم. تنظر إليه لترى ما إذا كان هنري يستمتع، لكنه لا ينظر حتى إلى الشاشة. وجهه، الذي كان مليئًا بالطاقة والضوء قبل ساعة، تجهم توتر. ركبة تهتز بقلق.

تميل، تهمس: "ألا يعجبك؟"

يبتسم هنري ابتسامة جوفاء. ويقول، وهو يميل في مقعده: "لا بأس، لكنه بطيء بعض الشيء".

تريد أن تقول، إنه هتشكوك، لكنها بدلًا من ذلك تهمس: "إنه يستحق، أعدك".

يلتف هنري تجاهها، وهو يقطب حاجبه: "هل رأيته بالفعل؟"

بالطبع رأته آدي.

أولاً، في عام 1959، في مسرح في لوس أنجلوس، ثم في السبعينيات، عرض مزدوج مع فيلمه الأخير، مؤامرة عائلية، ثم مرة أخرى، قبل بضع سنوات، في قرية جرينتش، خلال إعادة عرضه. هتشكوك له طريقة في الإحياء، وإعادة تغذية نظام السينما على فترات منتظمة.

تهمس: "نعم، لكنني لا أمانع في مشاهدته مرة أخرى".

لم يقل هنري شيئًا، لكن من الواضح أنه لا يهتم. تهتز ركبته مرة أخرى، وبعد بضع دقائق ينهض ويغادر المقعد، ويخرج إلى الردهة.

تنادي في حيرة: "هنري، ما هذا؟ ما الخطأ؟"

تلاحقه وهو يفتح باب المسرح ويخرج إلى الرصيف. يهمهم: "آسف، أحتاج إلى بعض الهواء".

لكن من الواضح أن هذا ليس كل شيء. إنه يسير بخطى سريعة.

"تحدث معي".

تبطئ خطواته. "أتمنى فقط لو أخبرْتِني".

"أخبرْتُكَ بماذا؟"

"بأنك رأيتِه بالفعل".

تقول: "لكنك لم تره. ولم أمانع في رؤيته مرة أخرى. أحب رؤية الأشياء مرة أخرى".

"وأنا لا أحب ذلك"، ينقض، ثم ينكمش. يهز رأسه: "آسف. آسف. ليست مشكلتك". يمرر يديه في شعره. "أنا فقط –" يهز رأسه، ويستدير لينظر إليها، وعيناه الخضراوان تلمعان في الظلام. "هل شعرت يومًا بأنك ليس لديك وقت؟"

ترمش آدي وتعود ثلاثمائة عام، تعود على ركبتيها على أرض الغابة، ويداها تتجهان نحو الأرض المطحونة وأجراس الكنيسة تدق خلفها.

يقول هنري: "لا أعني بهذه الطريقة العادية، الوقت يتبخر. أعني الشعور وكأنه يتدفق بسرعة كبيرة، وتحاولين الوصول إليه والاستيلاء عليه، وتحاولين الصمود، لكنه يواصل الاندفاع. وكل ثانية، يقل الوقت، ويقل الهواء، وحين أجلس أحيانًا، أبدأ التفكير في الأمر، وحين أفكر فيه، لا أستطيع التنفس. لا بد أن أنهض. لابد أن أتحرك".

لف ذراعيه حول نفسه، وأصابعه تحفر في ضلوعه. مر وقت طويل دون أن تشعر آدي بمثل هذا الإلحاح، لكنها تتذكره جيدًا، وتتذكر الخوف، ثقيلًا لدرجة أنها اعتقدت أنه قد يسحقها.

طرفة عين ويمضي نصف حياتك.

لا أريد أن أموت كما عشت.

أولد وأدفن في قطعة الأرض نفسها التي مساحتها عشرة أمتار.

تمد آدي يدها وتمسك بذراعه. تقول وهي تسحبه في الشارع: "تعال، لنذهب".

"أين؟" يسأل ويدها تسقط على يده وتقبض عليها.

"لأجد لك شيئًا جديدًا".

باريس، فرنسا

29 يوليو 1724

IV

ريمي لوران ضحك معبأ في قِرَب. ينسكب منه في كل منعطف.

وهما يشقان طريقهما إلى إيل دي لاسيت،[31] ينقر مقدمة قبعة آدي، وينفض ياقتها، ويرفع ذراعه حول كتفيها، ويميل برأسه، وكأنه يهمس بسرٍّ بغيض. يسعد ريمي بأن يكون جزءًا من تمثيليتها، وهي مسرورة في وجود شخص ما تشاركه فيها.

يصرخ بصوت عالٍ حين يمران بمجموعة من الرجال: "توماس، أيها الأحمق".

ويقول وهما يمران بامرأتين: "توماس، أيها الوغد" - فتاتين حقًّا، بالرغم من أنهما ملفوفتان بدانتيل أحمر رقيق وممزق - عند مدخل الزقاق. وهما، أيضا، تسمعان الكلام.

تردّدان بشكل مثير ولطيف: "توماس، تعال لتكون وغدنا، توماس. توماس، تعال واستمتع ببعض المرح".

يتسللان داخل الكاتدرائية الكبرى، ويتشبثان بالظلال وهما يتسلقان البرج الشمالي. يتوقفان، وأطرافهما تتألم، لاهثين من التسلق والمنظر. يفرد ريمي معطفه على الحجر، ويشير إليها لتجلس.

يقسمان الطعام بينهما، وهما يأكلان، تفحص رفيقها الغريب.

ريمي عكس لوس، من كل النواحي. شعره تاج من الذهب المصقول، وعيناه زرقاوان، والأهم من ذلك أنه على طبيعته: ابتسامته السهلة، وضحكته المفتوحة، وطاقة الشباب النابضة

---

31 إيل دي لاسيت: جزيرة في نهر السين في باريس.

بالحياة. إذا كان أحدهما ظلامًا مثيرًا، يكون الآخر إشعاع منتصف النهار، وإذا لم يكن الصبي بالأناقة نفسها، حسنًا، فهذا فقط لأنه إنسان.

إنه حقيقي.

يراها ريمي تحدق وتضحك. "هل تفحصينني، من أجل فنك؟ يجب أن أقول، أتقنْتِ وضع شباب باريس وأخلاقهم".

تنظر إلى أسفل، وتدرك أنها تجلس وركبتها مرفوعة، وذراعها تلتف متراخية حول ساقها.

يضيف ريمي: "لكن، أخشى أنكِ جميلة جدًّا، حتى في الظلام".

اقترب منها، وتجد يدُه يدَها.

يسأل: "ما اسمك الحقيقي؟" وكم تتمنى لو تستطيع أن تخبره. تحاول، تحاول - تفكر ربما مرة فقط، تخرج الأصوات على لسانها. لكن صوتها يتوقف بعد حرف آ، لذا بدلًا من ذلك غيرت مسارها وتقول: "آنّا".

يردد ريمي وهي تضع قفلًا طائشًا خلف أذنها: "آنا، إنه يناسبك".

تستخدم مئات الأسماء على مر السنين، وفي مرات لا تحصى، تسمع هذه الكلمات، حتى تبدأ في التساؤل عن أهمية الاسم عمومًا. تبدأ الفكرة ذاتها تفقد معناها، كما تفقد الكلمة معناها حين تُقال مرات كثيرة جدًّا، وتنقسم إلى أصوات ومقاطع عديمة الفائدة. تستخدم العبارة المستهلكة دليلًا على أن الاسم لا يهم حقًّا - حتى حين تتوق إلى نطق اسمها والاستماع إليه.

يقول ريمي، الآن: "أخبريني، يا آنا، من أنت؟"

وهكذا تخبره. أو على الأقل، تحاول - أن تعرض الرحلة الغريبة والمتعرجة كلها، وحين لا تصل إلى أذنيه، تبدأ من جديد، وتخبره بنسخة أخرى من الحقيقة، واحدة تتخطى حواف قصتها، تنعِّم الزوايا الخشنة وتحولها إلى شيء أكثر إنسانية.

قصة آنا ظل شاحب لقصة أديلين.

فتاة تهرب من حياة امرأة. تترك وراءها كل ما عرفته، وتهرب إلى المدينة، منفية، وحيدة، لكنها حرة.

يقول: "قصة لا تصدق. هل غادرت ببساطة؟"

تقول، وهي لا تكذب: "كان عليّ أن أغادر، أعترف بذلك، تعتقد أنني مجنونة".

يقول ريمي بابتسامة مرحة: "في الواقع، الأكثر جنونًا. بشكل لا يصدق. يا لها من شجاعة!"

تقول آدي وهي تنزع كسرة خبز: "لم تبدُ شجاعة. بدا أنه ليس لدي خيار آخر. كما لو..". تقف الكلمات في حلقها، لكنها غير متأكدة مما إذا كانت هذه لعنة أم مجرد ذكرى. "بدا أنني سأموت هناك".

يومئ ريمي مفكرًا: "الأماكن الصغيرة لحياة صغيرة. وبعض الناس يكونون فيها على ما يرام. يحبون معرفة المكان الذي يضعون فيه أقدامهم. لكن إذا مشى المرء وراء الآخرين فقط، لا يمكن أن يشق طريقه. لا يمكن أن يترك بصمة".

يضيق حلق آدي.

"هل تعتقد أن الحياة يكون لها أي قيمة إذا لم يترك المرء بصمة في العالم؟"

تعبير ريمي يبكيها، ولابد أنه يقرأ الحزن في صوتها، لأنه يقول، "أعتقد أن هناك العديد من الطرق المهمة". يخرج الكتاب من جيبه. "هذه كلمات رجل - فولتير. لكن أيضًا الأيدي التي تحدد الخط. الحبر الذي جعلها مقروءة، الشجرة التي صنعت الورقة. كل منها مهم، بالرغم من أن الفضل يذهب فقط إلى الاسم الموجود على الغلاف".

أخطأ في تفسير ما قالت، بالطبع، وافترض أن السؤال ينبع من خوف مختلف أكثر شيوعًا. ومع ذلك، لكلماته قيمة - بالرغم من مرور سنوات قبل أن تكتشف آدي مقدار قيمتها.

يسود الصمت بينهما، ثم يكون الهدوء مثقلًا بأفكارهما. انكسرت حرارة الصيف، مما أفسح المجال لارتياح منعش مع أثقل جزء من الليل. الساعة تستقر عليهما مثل الملاءة.

يقول حين نزلا أخيرًا، وعادا إلى الشارع: "الوقت متأخر، دعيني أمشي معك إلى البيت".

تهز رأسها: "لست مضطرًا".

ويحتج: "لكني مضطر. يمكنك أن تتنكري كرجل، لكنني أعرف الحقيقة، وبالتالي لن يسمح لي الشرف أن أتركك. الظلام ليس مكانًا يصح أن تكوني فيه بمفردك".

إنه لا يعرف كم هو على حق. يتألم صدرها من فكرة فقدان خيط هذه الليلة، وسهولة البداية التي تتشكل بينهما، سهولة ميلاد ساعات بدلًا من أيام أو شهور، لكنها شيء هش وجميل.

تقول: "حسنًا"، وتكون ابتسامته، حين ترد، بهجة خالصة.

"أرشديني إلى الطريق".

ليس لديها مكان تأخذه إليه، لكنها تنطلق في اتجاه غامض لمكان مكثت فيه قبل عدة أشهر. يضيق صدرها قليلًا مع كل خطوة، لأن كل خطوة تقربها من النهاية، نهايتها. وحين يستديران إلى الشارع حيث وضعت بيتها المفترض، وتوقفا أمام بابها المتخيل، ينحني ريمي ويقبلها على خدها. حتى في الظلام يمكن أن تراه يحمر خجلًا.

يقول: "أراك مرة أخرى، في وضح النهار أو في الظلام. كامرأة أو رجل. من فضلك، دعيني أراك مرة أخرى".

وينكسر قلبها، بالطبع، ليس هناك غد، الليلة فقط، وآدي ليست مستعدة لتقطيع الخيط، وإنهاء الليلة، وتجيب: "اسمح لي أن أمشي معك إلى بيتك"، وحين يفتح فمه للاحتجاج، تضغط، "الظلام ليس مكانًا يصح أن تكون فيه بمفردك".

يلتقي بنظرتها، وربما يعرف معناها، أو ربما يكره مثلها ترك هذه الليلة وراءه، لأنه سرعان ما يقدم ذراعه ويقول: "يا لها من شهامة"، وانطلقا معًا مرة أخرى، ضاحكين يدركان أنهما يتتبعان خطواتهما، ويعودان من الطريق الذي جاءا منه. وإذا كان المشي إلى بيتها المتخيل مريحًا، فإن المشي إلى بيته يكون ملحًّا ومليئًا بالترقب.

حين يصلان إلى مسكنه، لا يتظاهران بالوداع. يقودها لصعود السلم، والأصابع متشابكة الآن، والخطوات تتعثر والنفس يضيق، وحين يصلان إلى غرفته المستأجرة، لا يبطئان على العتبة.

هناك قبضة خافتة في صدرها من فكرة ما يأتي بعد ذلك.

لم يكن الجنس سوى عبء، وضرورة تحتمها الظروف، وبعض العملات المطلوبة، وكانت حتى الآن على استعداد لدفع الثمن. حتى الآن، مستعدة لأن يدفعها لأسفل، ليبعد تنورتها عن الطريق. مُستعدة للشوق للانفصال، مدفوعة بفعل فظ. لكنه لا يضغط عليها. هناك حاجة ملحة، نعم، لكن ريمي يبقيها مشدودة كالحبل بينهما. يمد يدًا واحدة ثابتة، ويرفع القبعة عن رأسها، ويضعها برفق على المكتب.

ولأول مرة، لا تشعر بأي تردد، ولا خوف، تشعر فقط بنوع من الإثارة العصبية، والتوتر في الهواء ممزوج بجوع لاهث.

يتمتم: "أسهل بكثير من المشدات"،

يتقوس ظهرها لأن هذا الضغط يفسح المجال للمتعة، حرارة عميقة ومتدحرجة. يضغط جسداهما ويتحركان معًا، وتتمنى لو تمكنت من محو هؤلاء الرجال الآخرين، تلك الليالي الأخرى، أنفاسهم الفاسدة وأحجامهم البشعة، الدفعات الباهتة التي انتهت بتشنج مفاجئ، قبل أن ينسحبوا، ويبتعدوا. بالنسبة لها، كانت الرطوبة رطوبة، والدفء دفئًا، ولم تكن سوى إناء لمتعتهم.

لا يمكنها محو ذكرى تلك الليالي الأخرى - لذا تقرر أن تصبح رقًّا ممسوحًا، لتسمح لريمي بالكتابة على الأسطر الأخرى.

هذا ما كان يجب أن يكون.

الاسم الذي يهمسه ريمي في شعرها ليس اسمها، لكن لا يهم. في هذه اللحظة، يمكن أن تكون آنا. يمكن أن تكون أي شخص.

يرتد على الوسادة، ويغرقان في النوم، شحوبه في أعقاب اللذة، وتغفو متألقة، وبلا أحلام.

لم تعد آدي تحلم.

لم تحلم، في الحقيقة، منذ تلك الليلة في الغابة. أو إذا كانت قد حلمت، فهذا هو الشيء الوحيد الذي لا تتذكره أبدًا. ربما لا توجد مساحة داخل رأسها مليئة بالذكريات. ربما يكون

جانبًا آخر من جوانب لعنتها، أن تعيش فقط كما تعيش. أو ربما تكون رحمة بمعنى غريب، كم يكون عدد الكوابيس.

لكنها بقيت بجانبه سعيدة ودافئة، وكادت تنسى لبضع ساعات.

يبتعد ريمي عنها أثناء النوم، تكشف اتساع ظهره، وتضع يدها بين لوحي كتفيه، وتشعر به يتنفس، وتتبع أصابعها ميل عموده الفقري، وتفحص حوافه كما فحص حوافها في خضم الشغف. لمساتها خفيفة كالريشة، ولكنه بعد لحظة، يتحرك، ويتحول، وينقلب باتجاهها.

للحظة قصيرة، كان وجهه واسعًا ومنفتحًا ودافئًا؛ الوجه الذي كان يميل نحوها في الشارع ويبتسم خلال الأسرار المشتركة في المقهى ويضحك وهو يسير معها إلى بيتها أولًا ثم إلى بيته.

ولكن في الوقت الذي يستغرقه للاستيقاظ تمامًا، ينزلق هذا الوجه بعيدًا، وكل ما يعرفه عنه. يكتسح الظل هاتين العينين الزرقاوين الدافئتين، وهذا الفم الجميل. يهتز قليلًا، ينهض على مرفق واحد، محبطًا من منظر هذه الغريبة في سريره.

لأنها، بالطبع، غريبة الآن.

للمرة الأولى منذ التقيا في الليلة السابقة، يعبس، يتلعثم في التحية، الكلمات رسمية للغاية، جافة نتيجة الإحراج، وينكسر قلب آدي إلى حد ما. يحاول أن يكون لطيفًا، لكنها لا تتحمل، فتنهض وترتدي ملابسها بأسرع ما يمكن، وهو عكس صارخ للوقت الذي استغرقه في نزع الملابس. لا تهتم بالأربطة أو الأبازيم. لا تلتفت نحوه مرة أخرى، ليس حتى تشعر بدفء يده على كتفها، اللمسة اللطيفة تقريبًا، وتفكر بيأس، بعنف، أنه ربما - ربما - هناك طريقة لإنقاذ هذا. تستدير، على أمل أن تقابل عينيه، فقط لتجده ينظر إلى أسفل، بعيدًا، وهو يضغط ثلاثة سول في يدها.

ويبرد كل شيء.

مقابل.

تمر سنوات طويلة قبل أن تتمكن من قراءة اليونانية، وسنوات أكثر بكثير قبل أن تسمع عن أسطورة سيزيف، ولكن حين تسمع عنها، تومئ برأسها متفهمة، وكفاها تتألمان من ثقل الأحجار صعودًا، والقلب ثقيل من ثقل مشاهدتها تتدحرج مرة أخرى.

في هذه اللحظة، لا توجد أسطورة للشراكة. فقط هذا الولد الجميل وظهره لها.

فقط ريمي، الذي لا يتحرك ليتبعها حين تسرع إلى الباب. شيء ما يلفت انتباهها، حزمة من الورق مائلة على الأرض. كتيب المقهى. أحدث إصدارات فولتير. لا تعرف آدي ما الذي يدفعها لأخذه - ربما تريد ببساطة رمزًا لليلتهما، شيئًا أكثر من مجرد قطع نحاسية مخيفة في كفها - ولكن في لحظة كان الكتاب على الأرض، وملقى بين الملابس، وفي اليوم التالي يضغط عليه مع باقي أغراضها.

رغم كل شيء، أصبحت يداها خفيفتين، وحتى لو كانت السرقة خرقاء، فلن يلاحظ ريمي، وهو جالس على السرير، واهتمامه في أي شيء غيرها.

مدينة نيويورك

15 مارس 2014

V

تقود آدي هنري إلى الشارع وحول الزاوية إلى باب فولاذي لا يوصف عليه ملصقات قديمة. رجل يتسكع بجانبه، يدخن بشدة ويتنقل بين الصور على هاتفه.

تقول: "جوبيتر"، بدون عوائق، ويستقيم الرجل، ويدفع الباب ليفتحه، ويكشف عن منصة ضيقة، ومجموعة من السلالم التي تنزل بعيدًا عن الأنظار.

"مرحبًا بكم في الخط الرابع".

يلقي هنري عليها نظرة حذرة، لكن آدي تمسك يده وتسحبه. يلتف، ناظرًا للخلف بينما الباب يغلق. يقول: "لا يوجد خط رابع"، وتبتسم له آدي.

"بالضبط".

هذا ما تحبه في مدينة مثل نيويورك. إنها مليئة بغرف خفية، وأبواب لانهائية تؤدي إلى غرف لا نهائية، وإذا كان لديك الوقت، يمكنك العثور على الكثير منها. عثرتْ على بعضها صدفة، وعن أخرى في سياق مغامرة أو أخرى. تبقيها مدسوسة، مثل قصاصات الورق بين صفحات كتابها.

يؤدي بئر السلم إلى الآخر، والثاني أوسع، مبني من الحجر. أقواس السقف فوق الرؤوس، والجص يفسح المجال للصخور، ثم البلاط، النفق مضاء فقط بسلسلة من الفوانيس الكهربائية، لكنها متباعدة بما يكفي بحيث لا تخفف حدة الظلام كثيرًا. مسار التنقل، يكفي فقط لرؤيته، ولهذا تسعد آدي برؤية تعبير هنري حين يدرك أين هما.

في مترو أنفاق مدينة نيويورك ما يقرب من خمسمائة محطة نشطة، لكن عدد الأنفاق المهجورة لا يزال محل خلاف. بعضها مفتوح للجمهور، وهي آثار للماضي وإيماءات إلى المستقبل غير المكتمل. بعضها أكثر بقليل من مسارات مغلقة محشورة بين الخطوط العاملة.

بعضها سري إذن.

"آدي..". يتذمر هنري، لكنها ترفع إصبعها، وتميل برأسها. وتنصت.

تبدأ الموسيقى مثل صدى، وطنين بعيد، بقدر ما تبدو مثل صوت. ترتفع مع كل درجة إلى أسفل، ويبدو أنها تملأ الهواء من حولها، أولًا طنين، ثم نبض، وأخيرًا قرع.

في الأمام، النفق مسدود، ولا يُميَّز إلا بشرطة مائلة بيضاء لسهم إلى اليسار. حول الزاوية، الموسيقى تعلو. طريق مسدود آخر، منعطف آخر و-

تحطم الصوت فوقها.

النفق كله يهتز بقوة الأصوات الجهيرة، وتردد الأوتار على الحجر. تنبض الأضواء الكاشفة بالأزرق والأبيض، صاعقة تقلص الملهى الخفي إلى إطارات ثابتة؛ حشد يتلوى، أجساد تهتز على الإيقاع؛ موسيقيان يستخدمان جيتارين كهربائيين مطابقين على خشبة المسرح؛ يشاهد صفًا من السقاة في منتصف صب.

جدران النفق قرميدية باللونين الرمادي والأبيض، وشرائط عريضة تلتف على شكل أقواس فوقها، وتنحني مرة أخرى مثل الأضلاع، وكأنها في بطن وحش كبير منسي، والإيقاع ينبض في قلبه.

الخط الرابع بدائي، متهور. من نوع الأماكن التي قد يحبها لوس.

لكن هذا؟ هذا مكانها. وجدت آدي النفق بنفسها. عرضته على الموسيقي الذي تبين أنه مدير يبحث عن مكان. في وقت لاحق من تلك الليلة، اقترحت الاسم، ورؤوسهم منحنية فوق منديل كوكتيل. يعلم بقلمه. فكرتها. إنها متأكدة من أنه استيقظ في اليوم التالي بآثار الكحول وأول تحركات الخط الرابع. بعد ستة أشهر، رأت الرجل يقف خارج الأبواب الفولاذية. رأت الشعار الذي صمموه، نسخة مصقولة أكثر، مدسوسة تحت

الملصقات المقشرة، وشعرت بالإثارة المألوفة الآن من الهمس بشيء ما في العالم ومشاهدته يصبح حقيقيًا.

تسحب آدي هنري نحو البار المؤقت.

إنه بسيط، جدار النفق مقسم إلى ثلاثة خلف لوح عريض من الحجر الباهت يعمل سطحًا للصب. الخيارات هي الفودكا أو البوربون أو التكيلا، ويقف نادل، ينتظر، أمام كل منها.

تطلب آدي كأسين من الفودكا.

تحدث الصفقة في صمت - فلا فائدة من محاولة الصراخ فوق جدار الصوت. سلسلة من الأصابع مرفوعة، عشرة في البار. النادل - رجل أسود نحيل بلون فضي على عينيه - يصب كأسين، ويفرد يديه مثل تاجر يسلم بطاقات.

يرفع هنري كأسه وترفع آدي كأسها أيضًا ويتحرك الفمان معًا (تعتقد أنه يقول في صحتك بينما تجيب في صحتك)، لكن الأصوات تبتلع، طقطقة كأسيهما ليست سوى ذبذبة ضئيلة خلال أصابعها.

الفودكا تضرب بطنها مثل عود ثقاب، والحرارة تتوهج خلف ضلوعها. وضعا الكأسين الفارغتين مرة أخرى في البار، وآدي تسحب هنري بالفعل نحو حشد من الأشخاص على خشبة المسرح والرجل خلف البار يمد يده ويقبض على معصم هنري.

يبتسم النادل، ويصب كأسًا ثالثة، ويصب مرة أخرى. يضغط يديه على صدره في إيماءة عالمية تعني على حسابي.

يشربان، وتشعر بالحرارة مرة أخرى، تنتشر من صدرها إلى أطرافها، ويد هنري في يدها، وهما يتجهان إلى الحشد. تنظر آدي إلى الوراء، وترى النادل يحدق وراءهما، وهناك شعور غريب، يرتفع مثل آخر بقايا حلم، وهي تريد أن تقول شيئًا، لكن الموسيقى جدار، والفودكا تنعم حواف أفكارها حتى تنزلق بعيدًا، ثم يندفعان وسط الحشد.

فوقها ربما أوائل الربيع، ولكن هنا أواخر الصيف، الجو رطب وثقيل. الموسيقى متدفقة، والهواء سميك مثل شراب وهما يندسان بين الأطراف المتشابكة. النفق مشيد خلف خشبة

المسرح، مما يخلق عالمًا من الصدى، مكانًا ينحني فيه الصوت للخلف، يتضاعف، كل نغمة تحمل، تضعف، بدون أن تتلاشى تمامًا. يعزف عازفو الجيتار نغمة معقدة في انسجام تام، مما يزيد من تأثير غرفة الصدى، مما يؤدي إلى تحريك مياه الحشد.

ثم تدخل الفتاة في دائرة الضوء.

شبح مراهق - عفريتة، كما قد يقول لوس - في فستان أسود من فساتين الدمى وبوت عسكري. شعرها الأشقر الأبيض ملموم على رأسها، مربوط في كعكات متماثلة، وأطرافه مثبتة مثل تاج. اللون الوحيد هو الخط المائل لشفتيها الحمراء، وقوس قزح مرسوم على عينيها مثل قناع. يسرع عازفا الجيتار، والأصابع تطير فوق الأوتار. يهتز الهواء، يضرب الخفقان الجلد والعضلات والعظام.

وتبدأ الفتاة الغناء.

صوتها عويل، نداء شبح إذا صرخ شبح بصوت متناغم. المقاطع تنزف معًا، والحروف الساكنة غير واضحة، وتجد آدي نفسها تميل إلى الداخل، حريصة على سماع الكلمات. لكنها تتراجع، وتنزلق تحت الإيقاع، وتنطوي في الطاقة الوحشية للخط الرابع.

يعزف الجيتاران جوقتها المنوِّمة.

تبدو المغنية وكأنها دمية، تسحبها أوتار.

وتعتقد آدي أن لوس سيحبها، وتتساءل للحظة إذا كان هنا منذ أن وجدت المكان. تتنفس وكأنها تستطيع أن تشم الظلام، مثل الدخان، في الهواء. لكن آدي تريد أن تتوقف، وتفرغ رأسها منه، وتفسح المجال للصبي الذي بجانبها، وترتد في الوقت المناسب مع الإيقاع.

هنري، رأسه مائل للخلف، نظارته رمادية، والعرق ينزلق على خديه مثل الدموع. للحظة بدا حزينًا بشكل لا نظير له، وتتذكر الألم في صوته حين تحدث عن ضياع الوقت.

لكنه حينها ينظر إليها ويبتسم، وتختفي خدعة الأضواء، وهي تتساءل من وكيف ومن أين أتى، تعرف أنه أمر رائع بحيث لا يمكن أن يكون حقيقيًا، لكنها في هذه اللحظة، ببساطة سعيدة بوجوده.

تغلق عينيها، وتسمح لنفسها بالوقوع في إيقاع القرع، وهي في برلين، ومكسيكو سيتي، ومدريد، وهي هنا، الآن، معه.

يرقصان حتى تتألم أطرافهما.

حتى يلون العرق جلدهما، ويصبح الهواء كثيفًا جدًّا بحيث لا يمكن تنفسه. حتى يكون هناك هدوء في الإيقاع وقد مرت محادثة صامتة أخرى بينهما مثل شرارة.

حتى يسحبها إلى الخلف نحو الحانة والنفق، إلى الخلف كما جاءا، لكن تدفق حركة المرور في شارع باتجاه واحد، والسلالم والباب الفولاذي يؤديان فقط إلى الداخل.

حتى تدير رأسها في الاتجاه الآخر، إلى قوس مظلم مثبت في جدار النفق قرب المسرح، تقوده إلى صعود السلالم الضيقة، والموسيقى تتلاشى أكثر مع كل خطوة صعود، وتطن الأذنان مع الضوضاء المتناغمة المتبقية في أعقابها.

حتى يخرجا في ليلة مارس الباردة، ويملآن رئتيهما بالهواء النقي.

وضحكته أول صوت واضح تسمعه آدي.

يستدير هنري نحوها، وعيناه ساطعتان، ووجنتاه متوردتان، وهو سكران بطريقة لا علاقة لها بالفودكا بقدر ما لها علاقة بقوة الخط الرابع.

لا يزال يضحك حين تبدأ العاصفة.

صوت رعد، وبعد ثوانٍ ينهمر المطر. ليس رذاذًا - ولا حتى قطرات التحذير المتفرقة التي سرعان ما تفسح المجال لمطر ثابت - لكنه انهيار مفاجئ يتدفق. هذا النوع من المطر الذي يضربك مثل جدار، يغرقك في ثوان.

تلهث آدي من صدمة البرد المفاجئ.

إنهما على بعد عشرة أقدام من أقرب مظلة، لكن لا أحد منهما يركض ليستظل بها.

تبتسم في المطر، وتترك الماء يقبِّل بشرتها.

ينظر هنري إليها، وتنظر آدي إلى الوراء، ثم مد ذراعيه وكأنه يرحب بالعاصفة، وصدره يرتفع. يتشبث الماء بجلده الأسود، ينزلق على وجهه، يشطف ملابسه من آثار الملهى، وتدرك آدي فجأة أنه بالرغم من لحظات الشبه، لم يبد لوس هكذا ولو مرة واحدة.

شاب.

إنسان.

حي.

تسحب هنري نحوها، تستمتع بضغط جسده، دافئًا أمام البرد. تمرر يدها عبر شعره وللمرة الأولى تبقى في الخلف، لتكشف الخطوط الحادة لوجهه، التجاويف الجائعة لفكه، عينيه، ظل أخضر أكثر إشراقًا مما رأته عمومًا.

يتنفس: "آدي"، ويبعث الصوت شرارات عبر جلدها، وحين يقبّلها، تكون القبلة بطعم الملح، والصيف. لكنها تبدو مثل علامة ترقيم، وهي ليست مستعدة لانتهاء الليل، لذا تقبله بدورها، بشكل أعمق، وتحول الفترة إلى سؤال، إلى إجابة.

وبعد ذلك يركضان، ليس بحثًا عن مأوى، ولكن عن القطار.

يتعثران في شقته، وملابسهما المبتلة تتشبث بجلدهما.

إنهما كتلة من الأطراف المتشابكة في الردهة، عاجزان عن الاقتراب بدرجة كافية. تسحب النظارة من على وجهه، تقذفها على كرسي قريب،

وبعد ذلك يكونان على السرير، وللحظة، فقط للحظة، تكون في مكان آخر، في وقت آخر، الظلام يلتف حولها. اسم يهمس على الجلد العاري.

لكن بالنسبة له كانت أديلين، أديلين فقط. أديلين التي تخصه. أديلين التي تخصني. هنا، الآن، إنها آدي في النهاية.

تتوسل: "قُلْه مرة أخرى".

يتذمر: "أقول ماذا؟"

"اسمي".

يبتسم هنري.

يهمس في حلقها: "آدي".

"آدي". القبلات تتأرجح فوق طوقها.

"آدي". معدتها.

"آدي". وركاها.

لا يتناسبان معًا تمامًا. لم يتعامل معها كما تعامل لوس - لكن هذا أفضل، لأنه حقيقي، ولطيف، وبشري، ويتذكر.

حين ينتهي الأمر، تنهار، لاهثة، على الملاءات بجانبه، والعرق والمطر يزحفان على جلدها. يلتف هنري حولها، ويسحبها مرة أخرى إلى دائرة دفئه، ويمكن أن تشعر أن قلبه يتباطأ عبر ضلوعه، بندول يعود إلى إيقاعه.

تهدأ الغرفة، ولا يميزها سوى المطر المستمر وراء النوافذ، ووخم ما بعد العشق، وسرعان ما تشعر به وهو يغرق في النوم.

تنظر آدي إلى السقف.

تقول بهدوء: "لا تنسَ" والكلمتان شبه دعاء، شبه توسل.

تشد ذراعي هنري، وينهض من النوم. يهمهم: "أنسى ماذا؟" ويغرق بالفعل مرة أخرى.

وتنتظر آدي أن يهدأ نفسه قبل أن تهمس بالكلمة في الظلام.

"أنا".

باريس، فرنسا

29 يوليو 1724

VI

تندفع آدي إلى الخارج في الليل، وهي تمسح الدموع من على خديها.

تغلق سترتها رغم دفء الصيف، وتشق طريقها وحيدة عبر المدينة النائمة. لا تتجه نحو الكوخ الذي دعته بيتها هذا الموسم. تمضـي ببساطة، لأنها لا تتحمل فكرة أن تقف ساكنة.

هكذا تمشي آدي.

وفي مرحلة ما، تدرك أنها لم تعد وحيدة. هناك تغيير في الهواء، نسيم رقيق، يحمل رائحة أوراق غابات الريف، ثم يكون هناك، يسير بجانبها، يخطو خطوة بخطوة. ظل أنيق، يرتدي قمة الموضة الباريسية، والياقة والأساور مزينة بالحرير.

فقط خصلاته السوداء تتموج حول وجهه، وحشية وحرة.

يقول: "أديلين، أديلين"، وصوته مفعم باللذة، تعود إلى السـرير، وصوت ريمي يقول آنا، آنا في شعرها.

مرت أربع سنوات بدون زيارة.

أربع سنوات وهي تحبس أنفاسها، بالرغم من أنها لن تعترف بذلك أبدًا، أن رؤيته تشبه الخروج بحثًا عن الهواء. ارتياح رهيب لفتح الصدر. بقدر ما تكره هذا الظل، هذا الإله، هذا الوحش بجسده المسروق، فهو لا يزال الوحيد الذي يتذكرها عمومًا.

وهذا لا يقلل من كراهيتها له. إذا كان هناك أي شيء، فهي تكرهه أكثر.

تندفع: "أين كنت؟"

تسطع اللذة المتعجرفة مثل ضوء النجوم في عينيه: "لماذا؟ هل اشتقت لي؟" وآدي لا تثق بنفسها لتتكلم. يضغط لوس: "تعالي الآن، لم تعتقدي أنني سأجعل الأمر سهلاً".

تقول: "مرت أربع سنوات"، وهي تتأرجح من الغضب في صوتها، وهي قريبة جدًّا بحيث لا تحتاج إلى ذلك.

"أربع سنوات لا شيء. نفس. طرفة عين".

"ومع ذلك، أتيت الليلة".

"أعرف قلبك يا عزيزتي. أشعر به حين يترنح".

أصابع ريمي مطوية على العملات المعدنية، ثقل الحزن المفاجئ، والظلام، ينجذب إلى الألم كما ينجذب ذئب إلى الدم.

ينظر لوس إلى بنطلونها المعلق أسفل الركبة، سترة الرجل المفتوحة عند الحلق. ويقول: "يجب أن أقول، إنني فضلتك باللون الأحمر".

ينقبض قلبها عند ذكر تلك الليلة قبل أربع سنوات، وهي المرة الأولى التي لم يأت فيها. يتذوق مشهد دهشتها.

تقول: "رأيْتَ".

"أنا الليل نفسه. أرى كل شيء". يقترب أكثر، حاملًا رائحة عواصف الصيف، لمسة أوراق الغابة. "لكنه كان ثوبًا جميلًا كنت ترتدينه نيابة عني".

ينزلق العار مثل دفقة تحت جلدها، تتبعه حرارة الغضب، حين تعرف أنه كان يراقب. شاهد أملها وهو يرتجف مع الشموع على حافة الشباك، شاهدها وهي تتحطم، وحيدة في الظلام.

تكرهه، ترتدي ذلك المعطف البغيض مثله، وتلفه بإحكام حولها وهي تبتسم.

"كنت تعتقد أنني سأذبل بدون انتباهك. لكنني لم أذبل".

يهمهم الظلام. يتأمل: "مرت أربع سنوات فقط. ربما في المرة القادمة أنتظر فترة أطول. أو ربما..". يده تخدش ذقنها ويميل وجهها ليواجه وجهه. "أتخلى عن هذه الزيارات، وأتركك تجولين في الأرض حتى تنتهي".

إنها فكرة تقشعر لها الأبدان، بالرغم من أنها لا تسمح له برؤية ذلك.

تقول بحياد: "إذا فعلت ذلك، فلن تحصل على روحي أبدًا".

يهز كتفيه. "لدي ألف آخرون ينتظرون الحصاد، وأنت مجرد واحدة". إنه الآن أقرب، قريب جدًّا، إبهامه يتتبع فكها، أصابعه تنزلق على طول قفاها. "من السهل أن أنساك. كل الآخرين نسوك بالفعل". تحاول الابتعاد، لكن يده حجر، يمسكها بسرعة. يلحُّ: "سأكون لطيفًا. سيكون الأمر سريعًا. قولي نعم الآن، قبل أن أغير رأيي".

للحظة عصيبة، لا تثق في نفسها للإجابة. لا يزال وزن العملات المعدنية في راحة يدها طازجًا للغاية، وآلام الليل تمزقها، والنصر يرقص مثل الضوء في عيني لوس. يكفي أن تجبرها على أن تعود إلى رشدها.

تقول: "لا"، والكلمة زمجرة.

وهناك، مثل الهدية، وميض من الغضب على ذلك الوجه المكتمل.

يده تبعد، ويختفي وزنه مثل الدخان، وتُترك آدي وحدها مرة أخرى في الظلام.

هناك نقطة ينتهي عندها الليل.

حين يبدأ الظلام يضعف في النهاية، ويفقد سيطرته على السماء. إنه بطيء، بطيء جدًّا، حتى أنها لا تلاحظ أن الضوء يتسلل بالفعل، حتى يختفي القمر والنجوم، ويزول ثقل انتباه لوس من على كتفيها.

تتسلق آدي درجات القلب المقدس،[32] وتجلس في الأعلى، والكنيسة في ظهرها وباريس مترامية الأطراف عند قدميها، وتشاهد التاسع والعشرين من يوليو يصبح الثلاثين، وتشاهد شروق الشمس فوق المدينة.

---

32 القلب المقدس: بالفرنسية في الأصل.

كادت تنسى الكتاب الذي أخذته من أرضية شقة ريمي.

أمسكت به بقوة، وأصابعها تؤلمها. الآن، في ضوء الصباح المائي، يحيرها العنوان، وتسمع الكلمة بصمت. هنرياد. إنها جديدة، كلمة جديدة، بالرغم أنها لا تعرفها بعد. تتجاوز آدي الغلاف، وتحاول قراءة الصفحة الأولى، وتنجح فقط في قراءة سطر قبل أن تنهار الكلمات إلى أحرف، وتتحول الأحرف إلى ضبابية، وعليها أن تقاوم الرغبة في التخلص من الكتاب الملعون بعيدًا، وتقذفه أسفل السلم.

بدلًا من ذلك، تغلق عينيها، وتتنفس بعمق، وتفكر في ريمي، ليس في كلماته، بل اللذة اللطيفة في صوته حين يتحدث عن القراءة، والبهجة في عينيه، والفرح، والأمل.

ستكون رحلة شاقة، مليئة بالبدايات والتوقفات وإحباطات لا تعد ولا تحصى.

يستغرق فك رموز هذه الرواية الأولى، ما يقرب من عام - أمضت عامًا مملًا في كل سطر، في محاولة لفهم جملة، ثم صفحة، ثم فصل. ومع ذلك، يمر عقد من الزمان قبل أن يأتي الفعل بشكل طبيعي، قبل أن تنتهي المهمة نفسها، وتجد المتعة الخفية للقصة.

يستغرق الأمر وقتًا، لكن الوقت هو الشيء الوحيد الذي تملك آدي منه الكثير.

وهكذا تفتح عينيها وتبدأ من جديد.

مدينة نيويورك

16 مارس 2014

VII

تستيقظ آدي على رائحة تحمير الخبز المحمص، وأزيز الزبدة تضرب مقلاة ساخنة. السرير خالٍ بجانبها، والباب مغلق تقريبًا، لكنها تسمع هنري يتحرك في المطبخ تحت طقطقة هادئة لحديث في الراديو. الغرفة باردة، والسرير دافئ، وهي تحبس أنفاسها وتحاول الاحتفاظ باللحظة، كما فعلت ألف مرة، رابطة الماضي بالحاضر، ومتجنبة المستقبل، السقوط.

لكن اليوم مختلف.

لأن هناك شخص ما يتذكر.

تتخلص من البطانيات وتنظف أرضية غرفة النوم وتبحث عن ملابسها، لكن لا توجد علامة على الجينز أو القميص المبلل بالمطر، فقط سترة جلدية مألوفة ملفوفة فوق كرسي. تجد آدي رداء تحته وتلفه حولها وتدس أنفها في الياقة. إنه بالٍ وناعم، ورائحته مثل القطن النظيف ومنعم الأقمشة والأثر الباهت لشامبو جوز الهند، وهي رائحة ستعرف أنها رائحته.

تدخل حافية إلى المطبخ وهنري يصب القهوة من آلة ضغط فرنسية.

ينظر إلى أعلى ويبتسم: "صباح الخير".

كلمتان صغيرتان تحرك العالم.

ليس أنا آسف. ليس أنا لا أتذكر. ليس لا يجب أن أكون في حالة سكر.

فقط صباح الخير.

يقول: "أضع ملابسك في المجفف. ينتهي الأمر بسرعة. خذي كوبًا لك".

معظم الناس لديهم رف من الأكواب. هنري لديه جدار. تتدلى من خطافات على رف مثبت، خمسة فوق وسبعة تحت. بعضها مزخرف وبعضها عادي ولا يوجد اثنان متماثلان.

"لست متأكدًا من أن لديك أكواب كافية".

ينظر هنري إليها بطرف عينه. لديه طريقة للابتسام غالبًا. مثل ضوء خلف ستارة، حافة الشمس خلف الغيوم، وعد أكثر مما هو شيء حقيقي، لكن الدفء يسطع من خلالها.

يقول: "كان في عائلتي شيء. بغض النظر عمن يأتي لتناول القهوة، يمكنهم اختيار الشخص الذي يتحدث إليهم في ذلك اليوم".

كوبه على الكاونتر، رمادي، الداخل مغطى بما يشبه الفضة السائلة. سحابة عاصفة وبطانته. تفحص آدي الجدار وتحاول أن تختار. تمد يدها لكوب خزفي كبير بأوراق زرقاء صغيرة، تزنه في راحة يدها قبل أن تلاحظ آخر. وهي على وشك إعادته يوقفها هنري.

يقول: "أخشى أن تكون جميع الاختيارات نهائية"، وهو يفرد الزبدة على الخبز المحمص. "عليك المحاولة مرة أخرى غدًا".

غدًا. تتضخم الكلمة في صدرها إلى حد ما.

هنري يصب، وآدي تضع مرفقيها على الكاونتر، تلف يديها حول الكوب الذي يتصاعد منه البخار، وتستنشق الرائحة الحلوة والمرة. لثانية، لثانية واحدة، تكون في باريس، قبعة منزوعة في زاوية المقهى بينما يدفع ريمي الكأس نحوها ويقول: اشربي. هذه هي الذكريات بالنسبة لها، من الماضي إلى الحاضر، رق ممسوح مرفوع إلى النور.

يقول هنري، وهو يناديها: "أوه، مرحبًا، وجدت هذا على الأرض. هل هذا لك؟"

تتطلع وترى الحلقة الخشبية.

"لا تلمسها". تخطفها آدي من يده بسرعة كبيرة. داخل الحلقة يلمس طرف إصبعها، ويلتف حول الظفر مثل عملة معدنية على وشك الاستقرار، بالسهولة التي تتجه بها البوصلة إلى الشمال.

"قرف". ترتجف آدي وتسقط الشريط. يسقط على الأرض، ويتدحرج عدة أقدام قبل أن يرتفع على حافة السجادة. تمسكه بأصابعها كما لو كانت محترقة، والقلب ينبض.

لم تلبسه.

وحتى لو لبسته- نظرها يخترق النافذة، لكن الوقت في الصباح، يتدفق ضوء الشمس عبر الستائر. الظلام لا يمكن أن يجد آدي هنا.

يسأل هنري، مرتبكًا بوضوح: "ماذا حدث؟"

تقول وهي تهز يدها: "لا شيء. مجرد شظية. شيء غبي". تجثو على ركبتيها ببطء لاستعادته، حريصة على أن تلمس فقط الجزء الخارجي من الشريط.

تقول وهي تنهض: "آسفة". تضع الحلقة على الكاونتر بينهما، فاردة يديها على الجانبين. في الضوء الاصطناعي، الخشب الباهت يبدو رماديًا تقريبًا. وآدي تحدق في الشريط.

"هل سبق لك أن حصلت على شيء تحبه وتكرهه، ولكن لا يمكن أن تتحمل فكرة التخلص منه؟ شيء ما كنت تتمنى تقريبًا أن تضيعه، لأنه لن يكون هناك، ولن تكون غلطتك..". تحاول أن تجعل الكلمات خفيفة وعفوية تقريبًا.

يقول بهدوء: "نعم. يحدث معي". يفتح درج المطبخ ويسحب شيئًا صغيرًا وذهبيًا. نجمة داود. قلادة بدون سلسلتها.

"هل أنت يهودي؟"

"لقد كنت". كلمتان، وكل ما يقصد أن يقوله. ينجرف انتباهه إلى حلقتها: "تبدو قديمة".

"إنها قديمة". قديمة مثلها بالضبط.

كان يجب أن يبليا كلاهما تمامًا منذ فترة طويلة.

تضغط بيدها على الحلقة، وتشعر بالحافة الخشبية الناعمة تنغرس في كفها. تقول: "إنها تخص والدي"، وهي ليست كذبة، بالرغم من أنها بداية الحقيقة فقط. تغلق يدها حول الحلقة وتضعها في جيبها. الحلقة بلا وزن، لكنها تشعر بها. تستطيع دائما أن تشعر بها.

تقول بابتسامة مشرقة للغاية: "على أي حال، ماذا هناك على الإفطار؟"

كم مرة حلمت آدي بهذا؟

بالقهوة الساخنة والخبز المحمص بالزبدة، وأشعة الشمس المتدفقة عبر النوافذ، والأيام الجديدة التي لم تكن بدايات منعشة، ولا شيء من الصمت المربك للغرباء، لصبي أو فتاة، لمرفقين على الكاونتر المقابل لها، الارتياح البسيط لليلة تُذكَر.

يقول هنري: "لابد أنك تحبين الإفطار حقًّا"، وتدرك أنها تبتهج بطعامها.

تجيب: "وجبتي المفضلة"، وهي تقضم بعض البيض. ولكن الأمل يضعف وهي تأكل.

آدي ليست حمقاء. مهما كان هذا، فهي تعلم أنه لن يدوم. عاشت زمنًا طويلًا لدرجة أنها لا تعتقد أنها فرصة، وقد لُعنت زمنًا طويلاً لدرجة أنها لا تعتقد أنها مصير.

بدأت تتساءل عما إذا كان هذا فخًّا.

طريقة جديدة لتعذيبها. لفتح الطريق المسدود، لإجبار يدها على العودة إلى اللعب. ولكن حتى بعد كل هذه السنوات، فإن صوت لوس يلتف حولها، رقيقًا ومنخفضًا وشامتًا.

أنا كل ما لديك. كل ما سيكون لديك دائمًا. الوحيد الذي سيتذكر.

كانت البطاقة الوحيدة التي يحملها دائمًا، سلاح اهتمامه، وهي لا تعتقد أنه سيتنازل عنها. ولكن إذا لم يكن فخًّا، فماذا يكون؟ حادث؟ ضربة حظ؟ ربما أصيبت بالجنون. لن تكون المرة الأولى. ربما تجمدت على سطح سام، ووقعت في فخ حلم.

ربما لا شيء من هذا حقيقي.

ومع ذلك، هناك يده على يدها، ورائحته الناعمة على ردائها، وهناك صوت اسمها، يسحبها إلى الخلف.

يسأل: "أين ذهبت؟" وهي تقطع لقمة أخرى من الطعام وترفعها بينهما.

تقول: "إذا كنت تستطيع أن تأكل شيئًا واحدًا فقط بقية حياتك، فماذا يكون؟"

يجيب هنري دون أن يفوت أي شيء: "شوكولاتة، داكنة لدرجة المرارة تقريبًا. وأنت؟"

تفكر آدي. الحياة وقت طويل جدًا. تجيب بيقظة: "الجبن"، ويومئ هنري برأسه، ويستقر الصمت بينهما، خجلًا أكثر منه حرجًا. ضحك عصبي بين النظرات المسروقة، غريبان لم يعودا غريبين لكن لا يعرف كل منهما سوى القليل عن الآخر.

يسأل هنري: "إذا كان بإمكانك العيش في مكان ما موسمًا واحدًا فقط، ماذا يكون؟"

تقول: "الربيع حين يكون كل شيء جديدًا".

يقول: "الخريف، حين يشحب كل شيء".

اختارا شقوقًا، تلك الخطوط الممزقة حيث الأشياء ليست هنا ولا هناك، ولكنها متوازنة على حافة الهاوية. وتتساءل آدي، وكأنها تسأل نفسها: "هل تفضل ألا تشعر بأي شيء أو أن تشعر بكل شيء؟"

يعبر ظل وجه هنري، ويتلعثم، وينظر لأسفل إلى طعامه غير المكتمل ثم إلى الساعة على الحائط.

"قرف. يجب أن أصل إلى المتجر". ينهض، ويسقط طبقه في الحوض. السؤال الأخير يذهب بدون إجابة.

تقول آدي وهي تنهض أيضًا: "يجب أن أذهب إلى البيت. أغير الملابس. وأقوم ببعض الأعمال".

لا يوجد بيت، بالطبع، لا ملابس ولا عمل. لكنها تلعب دور فتاة عادية، فتاة حياتها حياة طبيعية، تنام مع صبي وتستيقظ على صباح الخير بدلًا من أنت.

ينهي هنري قهوته في رشفة واحدة. يسأل: "كيف يمكن أن تبحثي عن موهبة؟" وتتذكر آدي أنها أخبرته أنها كانت كشافة.

تقول وهي تدور حول الكاونتر: "تبقي عينيك مفتوحتين".

لكنه يمسك بيدها.

"أريد أن أراك مرة أخرى".

تردد: "أريد أن تراني مرة أخرى".

"ما زلت بدون تليفون؟"

تهز رأسها، وهو ينقر بأصابعه لحظة، ويفكر: "هناك تجمع لعربات الطعام في بروسبكت بارك. نلتقي هناك في السادسة؟ "

تبتسم آدي: "إنه موعد". تسحب الروب. "هل تمانع في أن أستحم قبل أن أذهب؟"

يقبلها هنري. "بالطبع. فقط اخرجي وحدك".

تضحك. "سوف أخرج".

هنري يغادر، يغلق الباب الأمامي خلفه، ولكن لمرة، الصوت لا يزعجها. إنه مجرد باب. ليست فترة. ليس انتقالًا مفاجئًا. إنها استمرار.

تأخذ حمامًا ساخنًا طويلًا، وتلف شعرها بفوطة، وتتجول في الشقة، وتلاحظ كل ما لم تره الليلة الماضية.

شقة هنري مجرد فوضى، مزدحمة مثل الكثير من أماكن نيويورك، مساحة صغيرة جدًّا للعيش والتنفس. وهي مليئة أيضًا ببقايا الهوايات المهجورة. خزانة من الدهانات الزيتية، صارت الفُرَش قديمة وقاسية في كوب ملطخ. دفاتر الملاحظات والمجلات، معظمها فارغ. بضع كتل من الخشب وسكين منحنية - في مكان ما، في الفضاء الباهت قبل ذاكرتها الخالية من العيوب، تسمع همهمة والدها، وتتحرك مبتعدة، وتتباطأ فقط حين تصل إلى الكاميرات.

صف منها يحدق بها من على الرف، عدساتها كبيرة وعريضة وسوداء.

تفكر، ممتاز، بالرغم من أن الكلمة لم يكن لها وزن كبير.

كانت هناك والكاميرات تكتسح الوحوش ثلاثية القوائم، والمصور مختبئ تحت ستارة ثقيلة. كانت هناك عند اختراع فيلم أبيض وأسود، ثم بالألوان، هناك حين أصبحت

الأطـر الثابتـة مقاطـع فيديـو، حين أصبـح الأنالـوج رقميًا، ويمكـن تخزين قصـص كاملة في راحـة اليد.

تمرر أصابعها عبر أجسام الكاميرات، مثل قشـر دروع السلاحف، تشعر بغبار تحت لمستها. لكن الصور في كل مكان.

على الجدران، مسنودة على طاولات جانبية، وتجلس في الزاوية، في انتظار التعليق. هناك واحدة لبياتريس في معرض فني، صورة ظلية والخلفية فضاء ساطع. واحدة لبياتريس وهنري، متشابكين معًا، ونظرتها إلى أعلى ورأسه إلى أسفل، وكل منهما صور في بداية ضحكة. وصورة لفتي تخمن آدي أنه لابد أن يكون روبي. كانت بيا على حق؛ يبدو أنه خرج من حفلة في شرفة آندي وارهول. الحشد الذي يقف خلفه أجساد ضبابية، لكن روبي في بؤرة التركيز، وسط ضحكة، بريق أرجواني يتتبع عظام وجنتيه، أعمدة خضراء على أنفه، ذهبية على صدغيه.

صورة أخرى في القاعة. هنا، يجلس الثلاثة على أريكة، بيا في المنتصف، ساقا روبي ممدودتان عبر حضنها، وهنري على الجانب الآخر، ذقنه يستريح على يده بتكاسل.

وعبر القاعة، عكسها. بورتريه عائلي، على خلفية بيضاء. مرة أخرى، يجلس هنري على حافة الأريكة، لكنه أكثر استقامة، وهذه المرة بجانب شخصين من الواضح أنهما أخوه وأخته. الفتاة، زوبعة من الخصلات، وعيناها ترقصان خلف نظارة بإطار عين القطة، نموذج الأم التي تضع يدها على كتفها. الولد الأكبر، الأكثر صرامة، صدى للأب خلف الأريكة. والابن الأصغر، نحيف، حذر، يبتسم ابتسامة لا تصل إلى عينيه.

هنري يحدق في آدي، من الصور الموجودة فيه، والصور التي التقطها بوضوح. يمكنها أن تشعر به، الفنان في الإطار. يمكنها البقاء هناك، تدرس هذه الصور، وتحاول أن تجد حقيقته فيها، والسر، والإجابة على السؤال الذي يدور في رأسها.

لكن كل ما تراه شخص حزين، تائه، صارم. تحول انتباهها إلى الكتب.

مجموعة هنري الخاصة انتقائية، تنتشـر عبر الأسطح في كل غرفة. رف في غرفة المعيشة، رف أضيق في الصالة، كومة بجانب سريره، وأخرى على طاولة القهوة. رسوم هزلية مكدسة فوق كومة من الكتب المدرسية بعناوين مثل مراجعة العهد، واللاهوت اليهودي لعصـر ما بعد

الحداثة. هناك روايات وسير ذاتية وأغلفة ورقية وأغلفة مختلطة معًا، بعضها قديم ومتآكل، والبعض الآخر جديد تمامًا. تظهر علامات التوقف من الصفحات، مما يشير إلى عشرات القراءات غير المكتملة.

تنجرف أصابعها إلى كعوب الكتب، وتحوم على كتاب ذهبي صغير وسميك. تاريخ العالم في 100 موضوع. تتساءل عما إذا كان بإمكان المرء أن يقلص حياة أي شخص، ناهيك عن الحضارة الإنسانية، إلى قائمة أشياء، وتتساءل عما إذا كانت هذه طريقة صالحة لقياس القيمة عمومًا، ليس من خلال الحيوات الملموسة، ولكن بالأشياء التي تُركت خلفها. تحاول بناء قائمتها. تاريخ آدي لارو.

ضاع طائر والدها بين الأجساد في باريس.

الساحة الملكية، سُرقت من غرفة ريمي.

الحلقة الخشبية.



لكن هذه الأشياء بصماتها عليها. ماذا عن إرث آدي؟ وجهها مظلل في مائة عمل فني. ألحانها في قلب مائة أغنية. الأفكار تتجذر، وتزداد وحشية، والبذور غير مرئية.

تواصل آدي طريقها في الشقة، ففضول الخمول يفسح المجال لمزيد من البحث الهادف. تبحث عن أدلة، تبحث عن شيء، أي شيء، يفسر هنري شتراوس.

لابتوب على طاولة القهوة. يعمل بدون مطالبة بكلمة مرور، ولكن حين تمرر آدي إبهامها عبر لوحة التعقب، لا يتحرك المؤشر. تنقر على المفاتيح بهدوء، لكن لا شيء يحدث.

التكنولوجيا تتغير.

واللعنة تبقى كما هي.

إلا هي لا تتغير.

لا تتغير – لا تتغير أبدًا.

لذلك تنتقل من غرفة إلى أخرى، بحثًا عن أدلة على السؤال الذي يبدو أنها لا تستطيع الإجابة عليه.

من أنت يا هنري شتراوس؟

في خزانة الأدوية، حفنة من الوصفات الطبية على الرف، وأسماؤها مثقلة بحروف ساكنة. بجانبها، قارورة من الحبوب الوردية عليها ملصق فقط - مظلة صغيرة مرسومة باليد.

في غرفة النوم، رف كتب آخر، كومة من الكراريس بأشكال وأحجام مختلفة.

تتصفحها، لكنها فارغة كلها.

بجانب السرير، ساعة قديمة على الطاولة الجانبية. ليس لها عقرب دقائق، وتشير الساعة إلا بعد السادسة، بالرغم من أن التوقيت في ساعة الحائط 9:32. تقربها من أذنها، لكن البطارية ميتة.

وبعد ذلك، في الدرج العلوي، منديل ملطخ بالدماء. حين تلتقطه، يقع خاتم. ماس صغير مرصع في سوار بلاتيني. تحدق آدي في خاتم الخطوبة، وتتساءل لمن كان، تتساءل من كان هنري قبل أن يقابلها، ما الذي حدث ليوضع في طريقها.

"من أنت؟" تهمس في الغرفة الفارغة.

تلف الخاتم بالمنديل الملطخ وتعيده إلى مكانه، وتغلق الدرج.

VIII

تقول: "أعيدها. إذا كنت أستطيع تناول شيء واحد فقط بقية حياتي، تكون هذه البطاطس المقلية".

يضحك هنري ويسـرق القليل من العبوة في يدها وهما ينتظران في طابور الجيرو.[33] تشكل عربات الطعام شريطًا ملونًا على طول فلاتبوش، حيث تصطف حشود من الناس للحصول على لفائف جراد البحر والجبن المشوي وبان مي والكباب. حتى أن هناك طابورًا لسندويشات الآيس كريم، بالرغم من أن الدفء انخفض في هواء شهر مارس، مما يعد بليلة باردة ومنعشة. آدي سعيدة لأنها التقطت قبعة ووشاحًا، واستبدلت بحذائها البالي المسطح حذاء يصل إلى ربلة الساق، حتى حين تنحني إلى دفء ذراعي هنري، حتى يكون هناك مكان في قائمة انتظار الفلافل، ويبتعد للوقوف في الصف.

تشاهده آدي وهو يصعد إلى نافذة الكاونتر ويطلب، يشاهد المرأة في منتصف العمر وهي تعمل في العربة وهي تميل إلى الأمام، والمرفقان على الحافة، تراقبهما وهما يتحدثان، وهنري يومئ باتزان. الصف ينمو خلفه، لكن يبدو أن المرأة لا تلاحظ. إنها لا تبتسم بالضبط. إذا كان هناك أي شيء، فإنها تبدو على حافة البكاء وهي تمد يدها وتمسك بيده، وتضغط عليها.

"التالي!"

ترمش آدي، تصل إلى مقدمة صفها، تنفق آخر نقودها المسـروقة على جيرو الضأن وصودا عنبية، تجد نفسها تتمنى لأول مرة منذ فترة أن يكون لديها بطاقة ائتمان، أو أكثر باسمها من الثياب التي على ظهرها والفكة في جيبها. تتمنى ألا يبدو أن الأشياء تنزلق من بين أصابعها مثل الرمل، وأن يكون لديها شيء بدون أن تسرقه أولًا.

"تنظرين إلى تلك الشطيرة وكأنها حطمت قلبك".

تنظر آدي إلى هنري وتبتسم. تقول: "إنها تبدو جيدة جدًا. أفكر فقط في مدى حزني حين تنتهي".

---

33 الجيرو: سندوتش من لحم الضأن ولحم البقر والطماطم والبصل وصلصة الزبادي.

يتنهد في رثاء ساخر: "أسوأ جزء من كل وجبة هو حين تنتهي".

يأخذان غنائمهما ويخرجان من منحدر من العشب داخل الحديقة، بركة من الضوء الذي يشحب بسرعة. يضيف هنري الفلافل وطلب الزلابية إلى الجيرو والبطاطس المقلية، ويتشاركان في تبادل اللقيمات مثل الورق في لعبة الجن.

يبحث هنري عن الفلافل، وتتذكر آدي المرأة التي كانت في النافذة.

تسأل: "ماذا كان هذا؟ هناك في الشاحنة، المرأة العاملة، التي بدت وكأنها على وشك البكاء. هل تعرفها؟"

يهز هنري رأسه: "قالت إنني ذكرتها بابنها".

تحدق آدي فيه. ليست كذبة، فهي لا تعتقد ذلك، لكنها ليست الحقيقة تمامًا أيضًا. هناك شيء لا يقوله، لكنها لا تعرف كيف تسأل. تقطع زلابية وتضعها في فمها.

يعد الطعام أحد أفضل الأشياء في الحياة.

ليس مجرد الطعام. الطعام الجيد. هناك فجوة بين القوت والرضا، وبينما قضت الجزء الأكبر من ثلاثمائة عام في الأكل لدرء آلام الجوع، أمضت الخمسين الماضية مبتهجة باكتشاف النكهة. الكثير من الحياة يصبح روتينيًا، لكن الطعام مثل الموسيقى، مثل الفن، مليء بالوعد بشيء جديد.

تمسح الشحوم من أصابعها وتستلقي على العشب بجانب هنري، وتشعر بالشبع بشكل رائع. تعلم أنه لن يدوم. هذا الامتلاء مثل كل شيء آخر في حياتها. دائمًا ما يتلاشى بسرعة هائلة. لكنها تشعر هنا والآن... بأنها في أحسن الاحوال.

تغلق عينيها، وتبتسم، وتعتقد أنها يمكن أن تبقى هنا طوال الليل، بالرغم من البرد المتزايد، والغسق يفسح المجال للظلام، تختبئ بجوار هنري وتأمل في النجوم.

يصدر صوت رنين في جيب معطفه.

يرد هنري. يبدأ: "مرحبًا، بيا"، ثم يعتدل فجأة. يمكن أن تسمع آدي نصف المكالمة فقط، لكنها تستطيع تخمين الباقي.

"لا، بالطبع لم أنس. أعلم، تأخرت، آسف. أنا في الطريق. نعم، أتذكر".

ينهي هنري المكالمة ويضع رأسه في يديه.

"بيا تقيم حفل عشاء. وكان من المفترض أن أحضر الحلوى".

ينظر إلى شاحنات الطعام، وكأن إحداها تحمل الإجابة، ينظر إلى السماء، التي انتقلت من الغسق إلى الظلام، ويمرر يديه خلال شعره، ويطلق تيارًا ناعمًا ومغمغمًا من الشتائم. لكن لا وقت للانغماس الآن، لا وقت له حين يتأخر.

تقول آدي: "تعال"، وتجذبه ليقف. "أعرف مكانا".

أفضل مخبز فرنسي في بروكلين ليس له يافطة.

يميز فقط بمظلة صفراء، نافذة زجاجية ضيقة بين واجهتين عريضتين من الطوب، وهو ملك رجل اسمه ميشيل. يصل كل صباح قبل الفجر ويبدأ في التجميع البطيء لفنه. فطائر التفاح، الفاكهة المقطعة إلى شرائح رقيقة كالورق، وكعك الأوبرا، وقممه مغطاة بالكاكاو، والبيتي فور المغطى بالمرزبان والمزين بالورود الصغيرة.

المحل مغلق الآن، لكنها تستطيع رؤية ظل صاحبه وهو يتحرك في المطبخ في الخلف، وتطرق آدي بعقل أصابعها على الباب الزجاجي وتنتظر.

يسأل هنري والشخص يتحرك للأمام، ويوارب الباب: "هل أنت متأكدة من هذا؟"

يقول بلهجة ثقيلة: "نحن مغلقون"، وتنتقل آدي من الإنجليزية إلى الفرنسية وهي تشرح أنها صديقة دلفين، ويرق الرجل عند ذكر اسم ابنته، ويرق أكثر مع سماع صوت لغته الأصلية، وتفهم. إنها تستطيع أن تتحدث بالألمانية والإيطالية والإسبانية والسويسرية، ولكن الفرنسية مختلفة، الفرنسية خَبْز الخُبْز في فرن أمها، والفرنسية يدا أبيها تنحتان الخشب، والفرنسية همهمة إستيل في حديقتها.

الفرنسية عودة للبيت.

يرد وهو يفتح الباب: "من أجل دلفين، أي شيء".

داخل المتجر الصغير، تبعد نيويورك، إنها باريس النقية، ولا يزال طعم السكر والزبدة في الهواء. معظم العلب فارغة الآن، فقط حفنة من الإبداعات الجميلة باقية على الرفوف، متألقة ومتفرقة مثل الزهور البرية في حقل قاحل.

إنها تعرف دلفين، بالرغم من أن الشابة لا تعرفها بالطبع. إنها تعرف ميشيل أيضًا، وتزور هذا المتجر بالطريقة التي قد يزور بها شخص آخر صورة فوتوغرافية، وتبقى في الذاكرة.

يتأخر هنري بضع خطوات وآدي وميشيل يجريان محادثة قصيرة، كل منهما راضٍ عن المهلة القصيرة للغة الآخر، ويضع الفران كل المعجنات المتبقية في علبة وردية، ويعطيها لها. وحين تعرض الدفع، متسائلة عما إذا كانت تستطيع تحمل التكلفة، يهز ميشيل رأسه، ويشكرها على رائحة الوطن، وتتمنى له ليلة سعيدة، وحين تعود إلى الرصيف، يحدق فيها هنري وكأنها أدت عملًا سحريًا، عملًا غريبًا وعجيبًا.

يأخذها بين ذراعيه.

يقول: "أنت رائعة"، ويحمر وجهها خجلًا لأنها لم يكن لها جمهور من قبل.

تقول، وهي تضغط علبة المعجنات في يديه: "خذ، استمتع".

تتلاشى ابتسامة هنري. ويتجعد جبينه مثل سجادة. "لماذا لا تأتين معي؟"

وهي لا تعرف كيف تقول إنني لا أستطيع حين لا يكون هناك تفسير، حين كانت مستعدة لقضاء طول الليل معه. وبالتالي تقول: "لا يجب"، ويقول: "من فضلك"، وهي تعلم أنها فكرة مروعة، ألا تستطيع إخفاء سر لعنتها أمام رؤوس كثيرة، وتعلم أنها لا تستطيع الاحتفاظ به هي نفسها، إن هذا كله لعبة زمن مستعار.

لكن هذه هي الطريقة التي تمشي بها حتى نهاية العالم.

هذه هي الطريقة التي يعيش المرء بها إلى الأبد.

هنا يوم، وهنا اليوم التالي، والتالي، وتأخذ ما تستطيع، تذوق كل ثانية مسروقة، متمسكة بكل لحظة، حتى تختفي.

وبالتالي تقول نعم.

يمشيان، وذراع كل منهما في ذراع الآخر، والمساء يتحول من منعش إلى بارد.

تقول: "هل هنالك أي شيء يجب أن أعرفه؟ عن أصدقائك؟"

يعبس هنري، ويفكر: "حسنًا، روبي فنان. إنه جيد حقًّا، لكنه قد يكون صعبًا... إلى حد ما؟"

"ثم هناك بيا، قابلْتِها. إنها رائعة. إنها تعد رسالة الدكتوراه، وتعيش مع رجل يدعى جوش".

"هل يتواعدان؟"

يزمجر هنري: "لا... على ما أعتقد. لا أعرف حقًّا، كان موضوع تكهنات. إن أوه، ولا تسألي عن البروفيسور". تنظر إليه آدي متسائلة، فيشرح: "كانت بيا على علاقة ما، قبل بضع سنوات، مع أستاذ جامعي في جامعة كولومبيا. كانت بيا واقعة في الحب، لكنه كان متزوج، وانهار كل شيء".

تكرر آدي الأسماء لنفسها، ويبتسم هنري.

يقول: "إنه ليس اختبارًا. لا يمكن أن تفشلي".

تتمنى آدي لو كان على حق.

يتوتر هنري إلى حد ما بجانبها. يتردد ويزفر. ويقول أخيرًا: "هناك شيء آخر يجب أن تعرفيه عني".

يتأرجح قلبها في صدرها وهي تستعد لاعتراف، حقيقة مترددة، بعض التفسير له، لها. لكن هنري ينظر فقط إلى الليل الخالي من النجوم ويقول: "كانت هناك فتاة".

فتاة. ليست ردًّا على أي شيء.

يقول: "كان اسمها تابيثا"، ويمكن أن تشعر بالألم في كل مقطع لفظي. تفكر في الخاتم الموجود في درجه، والمنديل المعقود حوله والملطخ بالدماء.

"ماذا حدث؟"

"تقدمت لها، وقالت لا".

إنها تعتقد أن هذا صحيح، نسخة منه. لكن آدي تبدأ تدرك مدى براعة هنري في تجنب الأكاذيب وهو يترك الحقائق نصف مروية.

تقول: "لدينا جميعًا ندوب معركة. "الناس في ماضينا".

يسأل: "وأنت أيضا؟" وهي للحظة، في نيو أورلينز، الغرفة التي تعم فيها الفوضى، تلكما العينان الخضراوان سوداوان من الغضب والمبنى يبدأ في الاحتراق.

تقول بهدوء: "نعم". وبعد ذلك، تنقب برفق: "ولدينا جميعًا أسرار أيضًا".

ينظر إليها، ويمكنها أن ترى ما في عينيه، ما لن يقوله، لكنه ليس لوس، والأخضر لا يبوح بشيء.

تفكر، قل لي. مهما يكن. لكنه لم يقل.

وصلوا إلى مبنى بيا في صمت، وأدخلتها، وهم يصعدون السلالم تتحول أفكارها إلى الحفلة، وتفكر، ربما، يكون الأمر على ما يرام.

ربما يتذكرونها في نهاية هذا المساء.

ربما، إذا كان –ها

ربما–

ولكن بعد ذلك ينفتح الباب، وتقف بيا هناك، وقفاز الفرن على الوركين، والأصوات تتدفق عبر الشقة خلفها وهي تقول: "هنري شتراوس، تأخرت جدًّا، ومن الأفضل أن تكون حلوى". يمسك هنري علبة المعجنات كما لو كانت درعًا، لكن حين تنزع بيا العلبة من يديه، تنظر خلفه: "ومن هذه؟"

يقول: "إنها آدي. التقيْتِ بها في المتجر".

تقلب بيا عينيها: "هنري، ليس لديك ما يكفي من الأصدقاء ليختلط الأمر علينا. وإلى جانب ذلك"، تقول، وهي ترسل ابتسامة معوجة لآدي: "لن أنسى وجهًا مثل وجهك. هناك شيء ما... خالد فيه".

يزداد عبوس هنري: "التقيْتِ بها، وهذا ما قلته بالضبط". يتطلع إلى آدي: "تتذكرينها، أليس كذلك؟"

تتردد، عالقة بين الحقيقة المستحيلة والكذبة الأسهل، تبدأ في هز رأسها. "آسفة، أنا –"

لكن ينقذ آدي وصول فتاة ترتدي فستانًا أصفر خفيفًا، تحدٍّ جريء للبرودة خلف النوافذ، ويهمس هنري في أذنها بأنها إليز. تقبل الفتاة بيا وتأخذ العلبة من يديها، وتقول إنها لا تستطيع العثور على فتاحة النبيذ، ويظهر جوش ليأخذ معطفيهما ويقودهما.

الشقة عبارة عن سندرة تحولتْ، أحد مخططات الطوابق المفتوحة حيث تمتد القاعة إلى غرفة المعيشة وتصل غرفة المعيشة إلى المطبخ، وكلها بلا جدران وأبواب.

يرن الجرس مرة أخرى، وبعد لحظات يصل صبي مثل مذنب يتحطم في الغلاف الجوي، وزجاجة نبيذ في يد ووشاح في الأخرى. وبالرغم من أن آدي لم تره إلا في الصور على حائط هنري، إلا أنها تعرف على الفور أنه روبي.

كان يفحص المدخل الأمامي، ويقبل بيا على الخد، ويلوح لجوش ويحضن إليز، ويستدير نحو هنري، ليلاحظها.

يقول: "من أنت؟"

يجيب هنري: "لا تكن وقحًا. إنها آدي".

تضيف بيا: "صاحبة هنري"،

يأخذ هنري يدها ويقول: "آدي كشافة موهوبة".

يسأل روبي، وهو ينشط قليلًا: "أوه؟ أي نوع؟"

"الفن. الموسيقى. كل الأنواع".

يعبس: "ألا يتخصص الكشافة عادة في شيء ما؟"

تضربه بيا بكوعها. تقول وهي تمد يدها إلى النبيذ: "كن لطيفًا".

يقول، وهو يتابعها إلى المطبخ: "ألم يعرف أنه كان من المفترض أن أحضر صاحبتي".

تربت على كتفه. "يمكن أن تستعير اليز".

تقع مائدة الطعام بين الأريكة وطاولة المطبخ، وتضع بيا مكانًا إضافيًا حيث يفتح هنري أول زجاجتين من النبيذ، ويصب روبي، ويحمل جوش سلطة إلى الطاولة، وتتفقد إليز المكرونة في الفرن وتظل آدي بعيدة.

إنها معتادة على أن تحظى بكل الاهتمام، أو لا تحظى بأي اهتمام. أن تكون مركزًا قصيرًا ولكن مضاء بنور الشمس لعالم غريب، أو ظل على أطرافه. هذا الوضع مختلف. إنه جديد.

تقول بيا وهي تضع المكرونة وخبز الثوم وسط المائدة: "أتمنى أن تكونوا جائعين جميعًا".

يتجهم هنري قليلاً عند رؤية المكرونة، وآدي تضحك تقريبًا، متذكرة وليمة شاحنة طعامهما. إنها دائمًا جائعة، الوجبة الأخيرة لا شيء سوى ذكرى الآن، وهي تقبل طبقًا بامتنان.

باريس، فرنسا

29 يوليو 1751

IX

المرأة بمفردها مشهد فاضح.

ومع ذلك، فقد جاءت آدي للاستمتاع بالهمسات. تجلس في حديقة التويلري، والتنورة مفرودة حولها على الدكة، تتصفح كتابها، وهي تعلم أنها مراقَبة. أو بالأحرى، موضع تحديق. لكن ما فائدة القلق؟ جلوس امرأة بمفردها في الشمس ليس جريمة، ولا يبدو أن الشائعات سوف تنتشر خارج المتنزه. ربما يذهل المارة، ويلاحظون الغرابة، لكنهم جميعًا سينسونها قبل أن تتاح لهم فرصة النميمة.

تقلب الصفحة، وتترك عينيها تنتقلان عبر الكلمات المطبوعة. في هذه الأيام، تسرق آدي الكتب بشغف مثل الطعام، وهي جزء حيوي من الغذاء اليومي. وبينما تفضل الروايات على الفلاسفة - المغامرات والهروب - هذه الرواية بالذات دعامة، ومفتاح، مصممة لتدخلها إلى باب معين. حددت وقت وجودها في الحديقة، وجلست على حافة الحديقة على طول الطريق التي تعرف أن مدام جيفرين تميل إلى تفضيلها. وحين تأتي المرأة لتتمشى في الممر، تعرف بالضبط ما يجب أن تفعله.

تقلب الصفحة متظاهرة بأنها منشغلة.

من زاوية عينها، تستطيع آدي أن ترى المرأة قادمة، وخادمتها خلفها بخطوة، وذراعاها مليئتان بالزهور، وتنهض على قدميها، وعيناها لا تزالان على كتابها، وتستدير، وتقطع خطوتين قبل الاصطدام المحتوم، تحرص على ألا تسقط المرأة أرضًا، ولكن ببساطة تذهلها، والكتاب يقع على الممر بينهما.

تزمجر مدام جيفرين: "حماقة".

تقول آدي في الوقت نفسه: "آسفة جدًّا. هل تأذيت؟"

تقول المرأة، وهي ترفع بصرها عن المعتدية وتنظر إلى الكتاب: "لا، وماذا شتت انتباهك؟"

تقوم الخادمة بالتقاط الكتاب الساقط وتعطيه لسيدتها. تتأمل جوفرين العنوان.

أفكار فلسفية.[34]

تلاحظ: "ديدرو. ومن علمك قراءة مثل هذه الأشياء النبيلة؟"

"علمني أبي".

"بنفسه؟ أنت فتاة محظوظة".

ترد آدي: "كانت بداية، لكن يجب على المرأة أن تتحمل مسؤولية تعليمها، لأن أي رجل لن يفعل ذلك حقًّا".

تقول جيفرين: "صحيح تمامًا".

إنها تؤديان سيناريو، بالرغم من أن المرأة الأخرى لا تعرفه. معظم الناس لديهم فرصة واحدة فقط لترك انطباع أول، لكن لحسن الحظ، أصبح لدى آدي الآن انطباعات عديدة.

تعبس المرأة الأكبر: "لكنك في الحديقة بدون خادمة؟ ولا مرافق؟ ألا تقلقين من كلام الناس؟"

تومض ابتسامة جريئة على شفتي آدي: "أعتقد أنني أفضل حريتي على سمعتي".

مدام جوفرين تضحك، صوت قصير، دهشة أكثر منها متعة: "عزيزتي، هناك طرق لكسر النظام وطرق لاتباعه. ما اسمك؟"

ترد آدي: "ماري كريستين"، وتضيف: "لاتريمويل"، مستمتعة بالطريقة التي اتسعت بها عينا المرأة ردًّا عليها. أمضت شهرًا في التعرف على أسماء العائلات النبيلة، وقربها من باريس، وتقليم تلك التي قد تستدعي الكثير من الأسئلة، وإيجاد شجرة عريضة الأطراف بما يكفي بحيث لا يلاحظها ابن عم. ولحسن الحظ، بينما تفتخر صاحبة الصالون بمعرفتها للجميع، فإنها لا تستطيع أن تعرفهم جميعًا بالقدر نفسه.

---

34 بالفرنسية في الأصل.

تقول مدام جوفرين: "لاتريموبل. لكن لا!"[35] لكن الكلمات لا تحمل عدم تصديق، دهشة فقط: "لابد أن أعاقب تشارلز لإبقائك سرًّا".

تقول آدي بابتسامة خجول: "لابد"، مدركة أن ذلك لن يتحقق أبدًا. وتابعت: "حسنًا، سيدتي"، وهي تمد يدها للكتاب. "يجب أن أذهب. لا أريد أن أضر بسمعتك أيضًا".

تقول جيفرين، وعيناها تتألقان بهجة: "هراء، أنا محصنة تمامًا من الفضيحة". تعيد لآدي كتابها، لكن الإيماءة ليست فراقًا. "يجب أن تأتي إلى صالوني. سيكون ديدرو هناك".

تتردد آدي، أقل جزء من الثانية. أخطأتْ، آخر مرة عبروا فيها الممرات، حين استقرت في جو من التواضع الزائف. لكنها علمت منذ ذلك الحين أن صاحبة الصالون تفضل النساء اللواتي يقفن على أرضهن، ولذا تبتسم هذه المرة بسرور. "أود ذلك كثيرًا".

تقول مدام جوفرين: "رائع، تعالي في غضون ساعة".

وهنا، يجب أن تكون حياكتها دقيقة. غرزة واحدة انزلقت، وسوف تنهار.

تنظر آدي إلى نفسها. وتقول تاركة خيبة الأمل تكتسح وجهها: "أوه، أخشى ألا يكون لدي وقت للعودة إلى المنزل والتغيير، لكن بالتأكيد هذا لن يكون مناسبًا".

تحبس أنفاسها، في انتظار رد المرأة الأخرى، وحين ترد، تمد ذراعها. وتقول: "لا تهتمي. أنا متأكدة من أن سيداتي سيجدن شيئًا يناسبك".

يمشيان معًا في الحديقة، والخادمة وراءهما.

"لماذا لم نتقابل من قبل؟ نحن نعلم أن الكل ملاحَظ".

تعترض آدي: "أنا لا ألاحَظ، وبعد ذلك زيارتي تقتصر على الصيف فقط".

"لهجتك باريسية نقية".

ترد: "الوقت والممارسة"، وهذا بالطبع صحيح.

---

35 بالفرنسية في الأصل.

"ومع ذلك، أنت غير متزوجة؟"

منعطف آخر، اختبار آخر. مرات قبل أن تصبح آدي أرملة، تزوجت، لكنها تقرر اليوم أنها غير متزوجة.

تقول: "لا، أعترف، لا أريد سيدًا، ولم أجد نظيرًا له بعد".

هذا يستدعي ابتسامة من مضيفتها.

يستمر الاستجواب على طول الطريق إلى ما بعد المنتزه وحتى شارع سانت أونوريه، حين تشق المرأة طريقها أخيرًا للاستعداد لصالونها.

تشاهد آدي صاحبة الصالون تذهب ببعض الأسف. من هنا، إنها وحدها.

تقودها الخادمة إلى الطابق العلوي وتضع فستانًا من أقرب خزانة ملابس على السرير. إنه من الحرير المزركش، قميص منقوش، طبقة من الدانتيل حول الياقة. لا شيء تختاره بنفسها، لكنه جيد جدًا. شاهدت آدي قطعة لحم مخلوطة بالأعشاب وجاهزة للفرن، وهي تذكرها بالموضة الفرنسية الحالية.

تجلس آدي أمام المرآة وتسوي شعرها، وتستمع إلى الأبواب تفتح وتغلق في الطابق الأرضي، ويتأرجح المنزل بحركات الضيوف القادمين. يجب أن تنتظر حتى يمتلأ الصالون، وتزدحم الغرف بما يكفي لتندمج فيها.

تسوي آدي شعرها للمرة الأخيرة، وتعدل تنورتها، وحين يستقر الصوت في الدور الأرضي بدرجة كافية، الأصوات تتداخل مع قرع الأواني الزجاجية، تنزل السلم إلى الغرفة الرئيسية.

كانت المرة الأولى التي انتهى فيها المطاف بآدي في الصالون بالحظ، وليس الإعداد. اندهشت حين وجدت مكانًا يُسمح فيه للمرأة بالتحدث، أو على الأقل الاستماع، حيث يمكن أن تتحرك بمفردها بدون إصدار أحكام أو تنازل. استمتعت بالطعام والشراب والمحادثة والشراكة. يمكن أن تتظاهر بأنها من الأصدقاء وليس الغرباء.

حتى التفت إلى الزاوية ورأت ريمي لوران.

كان هناك، جالسًا على كرسي منخفض بين فولتير وروسو، يلوح بيديه وهو يتكلم، والأصابع ما زالت ملطخة بالحبر.

كانت رؤيته أشبه بخطوة خطأ، مثل تعلق نسيج في ظفر. لحظة فقدت فيها التوازن.

تيبس حبيبها مع تقدم العمر، وكان الفرق بين ثلاثة وعشرين وواحد وخمسين ملحوظًا في خطوط وجهه. تجعد الجبين من القراءة لساعات، والنظارة الآن متوازنة على أنفه. ولكن بعد ذلك قد يجعل موضوع ما عينيه تتألقان، فترى الصبي كما عرفته، الشاب الشغوف الذي جاء إلى باريس ليجد هذه العقول العظيمة بأفكارها الرائعة.

لا يوجد أثر له اليوم.

ترفع آدي كأسًا من النبيذ من على طاولة منخفضة، وتتنقل من غرفة إلى أخرى مثل ظل ملقى على الحائط، بدون أن تلاحَظ، وبسهولة. تستمع وتجري محادثة ممتعة وتشعر بنفسها بين ثنايا التاريخ. تلتقي بعالم طبيعة مغرم بالحياة البحرية، وحين تعترف بأنها لم تذهب إلى البحر قط، يقضي نصف ساعة في إمتاعها بحكايات عن حياة القشريات، وهي طريقة ممتعة للغاية لقضاء بعد الظهيرة، وفي الواقع الليل - هذه الليلة، أكثر من غيرها، في حاجة إلى مثل هذا الإلهاء.

مرت ست سنوات - لكنها لا تريد التفكير في الموضوع، أو فيه.

حين تغرب الشمس، ويستبدل البورت بالنبيذ، تقضي وقتًا رائعًا، وتستمتع بصحبة العلماء، ورجال الأدب.

كان يجب أن تعلم حينها أنه سوف يفسد الصحبة.

يدخل لوس إلى الغرفة مثل هبّة رياح باردة، مرتديًا ظلالًا من الرمادي والأسود، من حذائه إلى ربطة عنق. العينان الخضراوان، قطرة اللون الوحيدة عليه.

ست سنوات، والارتياح الكلمة الخطأ لما تشعر به آدي عند رؤيته، ومع ذلك فهي الكلمة الأقرب. الإحساس بثقل تتخفف منه، بنفَس يخرج، بجسد يتنهد بارتياح. ليست هناك متعة في ذلك، بخلاف التحرر المادي البسيط - ارتياح مقايضة المجهول بالمؤكد.

كانت تنتظر، وهي الآن لا تنتظر.

لا، إنها الآن مستعدة للمشاكل والأسى.

تقول مدام جوفرين: "مسيو ليبوا"، مرحبة بضيفها، وتتساءل آدي للحظة، إذا كان التقاؤهما مجرد صدفة، إذا كان ظلها يفضل الصالون، العقول التي تتغذى بداخله - لكن الرجال الذين يتوافدون هنا يعبدون التقدم لا الآلهة. وبالفعل، انصب انتباه لوس عليها مباشرة، ووجهه مليء بنور خجول وخطر.

يقول بصوت عالٍ بما يكفي لتسمعه: "مدام، أخشى أنك فتحت أبوابك على مصراعيها".

ترتبك آدي، وتتراجع مدام جوفرين قليلًا، حيث يبدو أن المحادثة في الغرفة تتلاشى، تهدأ: "ماذا تقصد؟"

تحاول التراجع، لكن الصالون مزدحم، والطريق مضطرب بالسيقان والكراسي.

"تلك المرأة هناك". تبدأ الرؤوس في الدوران في اتجاه آدي. "هل تعرفينها؟" مدام جوفرين لا تعرفها، بالطبع، لم تعد تعرفها، لكنها مهذبة بدرجة لا تجعلها تعترف بمثل هذه الخطوة الخاطئة.

"صالوني مفتوح للكثيرين يا مسيو".

يقول لوس: "كنت كريمة جدًّا هذه المرة. تلك المرأة محتالة ولصة. مخلوق بائس حقًّا. انظري"، يشير، "حتى أنها ترتدي إحدى عباءاتك. من الأفضل فحص الجيوب، والتأكد من أنها لم تسرق أكثر من العباءة من على ظهرك".

وبهذه الطريقة، حوَّل لعبتها إلى لعبته.

تبدأ آدي تتجه نحو الباب، لكن هناك رجال حولها، في وضع الاستعداد. تعلن جوفرين: "أوقفوها"، وليس لديها خيار سوى أن تتخلى عن كل هذا، وتندفع نحو الباب، وتتجاوزهم، خارج الصالون إلى الليل. مكتبة سُر مَن قرأ

لا أحد يتابعها بالطبع. باستثناء لوس.

الظلام يلاحق كعبيها، يضحك بصوت منخفض.

تلتفت إليه. "اعتقدت أن لديك أشياء تفعلها أفضل من أن تزعجني".

"ومع ذلك أجد المهمة مسلية للغاية".

تهز رأسها: "هذا لا شيء. أفسدت لحظة واحدة، وحطمت ليلة واحدة، ولكن بسبب هديتي، لدي مليون آخر؛ فرص لا حصر لها لإعادة ابتكار نفسي. يمكن أن أعود إلى الداخل الآن، وتكون إهاناتك منسية مثل وجهي".

يلمع الأذى في العينين الخضراوين. "أعتقد أنك ستجد أن كلمتي لن تتلاشى بسرعة مثل كلمتك". يهز كتفيه. "لن يتذكروك بالطبع. لكن الأفكار أكثر وحشية من الذكريات، وأسرع بكثير في التجذر".

سوف يمر خمسون عامًا قبل أن تدرك أنه على حق.

الأفكار أكثر وحشية من الذكريات.

ويمكن لها أن تغرسها أيضًا.

مدينة نيويورك

16 مارس 2014

X

لهذا المساء سحر.

متعة التحدي في فعل بسيط.

تقضـي آدي الساعة الأولى وهي تحبس أنفاسها، وتستعد لوقوع كارثة، ولكن في لحظة ما بين السَّلَطة والطبق الرئيسـي، بين الكأس الأولى والثانية، تزفر. تجلس هناك، بين هنري وإليز، بين الدفء والضحك، وتكاد تصدق أنها حقيقية، أنها تنتمي لها، فتاة عادية بجانب صبي عادي في حفل عشاء عادي. تتحدث هي وبيا عن الفن، وتتحدث هي وجوش عن باريس، وتتحدث هي وإليز عن النبيذ، وتجد يد هنري ركبتها تحت الطاولة، وكل ذلك بسيط جدًّا ودافئ. إنها تريد أن تقضي الليل مثل الشوكولاتة على لسانها، وتتذوق كل ثانية قبل أن تذوب.

روبي وحده يبدو غير سعيد، ينتقل في مقعده، مؤدٍّ يبحث عن بقعة ضوء. يشـرب كثيرًا، بسـرعة كبيرة، لا يجلس أكثر من بضع دقائق. إنها نفس الطاقة المضطربة التي رأتها آدي في هنري، لكن الليلة، يبدو مرتاحًا تمامًا.

ذات مرة، تذهب إليز إلى الحمام، وتعتقد آدي أن هذا كل شيء، الدومينو الذي يقلب البقية. وبالتأكيد، حين تعود إلى الطاولة، تستطيع آدي أن ترى الارتباك على وجه الفتاة، لكنه نوع من الإحراج الذي تغطيه بدل أن تظهره، وهي لا تقول شيئًا، فقط تهز رأسها وكأنها تفكر، وتبتسم، وتتخيلها آدي وهي تتساءل عما إذا كان لديها الكثير لتشـربه، وتتخيلها وهي تسحب بياتريس جانبًا قبل الحلوى وتهمس بأنها لا تستطيع أن تتذكر اسمها.

في غضون ذلك، يخوض روبي ومضيفتهما حوارًا عميقًا. يئن: "بيا، ألا يمكننا فقط –"

"حفلتي، قواعدي. حين كان عيد ميلادك، ذهبنا إلى نادٍ للجنس في بوشويك".

يقلب روبي عينيه. "كان مكانًا موسيقيًا استعراضيًا".

يقول هنري وبيا في وقت واحد: "كان ناديًا جنسيًّا".

تميل آدي إلى الأمام في مقعدها: "انتظري. هل هو عيد ميلادك؟"

تقول بيا بشكل قاطع. "لا".

يوضح هنري: "بياتريس تكره أعياد الميلاد، لن تخبرنا حين يأتي عيد ميلادها. أقرب ما وصلنا إليه هو أنه في أبريل. أو مارس. أو مايو. لذلك يمكن تصور أن أي حفل عشاء في الربيع يكون أقرب حفل لعيد ميلادها".

ترشف بيا النبيذ وتتجاهل: "لا أرى له معنى. إنه مجرد يوم. لماذا نؤكد عليه بهذا الشكل؟"

يقول روبي: "من الواضح أنك يمكن أن تحصلي على هدايا".

تقول آدي: "أفهم. أجمل الأيام دائمًا هي تلك التي لا نخطط لها".

يتألق روبي: "قلْتِ ما اسمك؟ آندي؟ "

وتحاول أن تصحح له، فقط لتشعر بالحروف في حلقها.

تلتف اللعنة بقوة، وتخنق الكلمة.

يقول هنري: "إنها آدي. وأنت حمار".

يمر تيار عصبي عبر الطاولة، وإليز، التي تتطلع بوضوح إلى تهدئة الطاقة، تقطع بيتي فور وتقول: "هذه الحلوى رائعة يا هنري".

ويقول: "كله من عمل آدي".

وهذا كافٍ لقلب روبي مثل كأس، وسكبه.

يندفع من على الطاولة مع اندفاع في التنفس: "أحتاج إلى دخان".

تقول بيا: "ليس هنا، دخن على السطح".

وتعرف آدي أن هذه نهاية هذه الليلة الجميلة، أغلق الباب، لأنها لا تستطيع منعهم، وتصبح فجأة بعيدة عن الأنظار -

ينهض جوش: "يمكن أن أدخن واحدة أيضًا".

تقول بيا: "أنت ترغب فقط في التهرب من غسل الأطباق"، لكن الاثنين يتجهان بالفعل إلى الباب، بعيدًا عن النظر وبعيدًا عن الذهن، وتعتقد أنه منتصف الليل، هكذا ينتهي السحر، هذه هي الطريقة التي تعود بها إلى البيت.

تقول: "يجب أن أذهب".

تحاول بيا إقناعها بالبقاء، وتقول إنها لن تسمح لروبي بالنيل منها، وتقول آدي إنها ليست غلطته، كان يومًا طويلًا، وتقول شكرًا على الوجبة الرائعة، شكرًا على الشراكة؛ وبالفعل، كانت محظوظة للوصول إلى هذا الحد، وكانت محظوظة لقضاء هذا الوقت، هذه الليلة، هذه اللمحة الصغيرة الطبيعية.

يقول هنري: "آدي، انتظري"، لكنها قبلته بسرعة، وتسللت بعيدًا، خارج الشقة، وهبطت الدرج إلى الظلام.

تتنهد، وتبطئ، وتؤلمها رئتاها من البرد المفاجئ. وبالرغم من الأبواب والجدران التي بينهم، يمكنها أن تشعر بثقل ما تركته وراءها، وتتمنى لو بقيت، تتمنى لو قالت تعال معي، حين قال هنري انتظري، لكنها تعلم أنه ليس من العدل أن تجعله يختار. إنه مفعم بالجذور، وليس لديها إلا فروع.

ثم تسمع الخطوات خلفها وتبطئ وترتجف، حتى الآن، بعد كل هذا الوقت، تتوقع لوس.

لوس، الذي كان يعرف دائمًا متى تكون هشة.

لكنه ليس الظلام، فقط صبي يلبس نظارة مضببة ومعطفًا مفتوحًا.

يقول هنري: "غادرت بسرعة كبيرة".

تقول آدي: "أدركتني".

وربما يجب أن تشعر بالذنب، لكنها ممتنة فقط. نجحت في خسارة الأشياء.

لكن هنري لا يزال هنا.

"الأصدقاء فوضويون أحيانًا، أليس كذلك؟"

تقول: "نعم"، رغم أنها لا تعرف.

تنظر آدي إلى هنري، وتلتقي عينها بعينه: "هل هناك أي شيء آخر تريد أن تخبرني به؟"

لا تعرف ما تتوقع أن يقوله، وما الحقيقة التي يمكن أن تفسر وجوده الدائم، ولكن للحظة، حين ينظر إليها مرة أخرى، كان هناك حزن قصير ورهيب.

لكنه يقربها ويتأوه، ويقول بصوت خافت ومهزوم: "أنا ممتلئ جدًّا".

وآدي لا تملك إلا أن تضحك.

الجو بارد جدًّا بحيث لا يمكن الوقوف، ولذا يمشيان معًا في الظلام، ولا تلاحظ حتى أنهما وصلا إلى مكانه حتى ترى الباب الأزرق. إنها متعبة جدًّا، وهو دافئ جدًّا. لا تريد الذهاب ولا يطلب منها ذلك.

مدينة نيويورك

17 مارس 2014

XI

استيقظت آدي بهائة طريقة.

والصقيع يتشكل على جلدها، والشمس الساخنة جدًّا تحرقه. في أماكن فارغة، وأخرى كان يجب أن تكون فارغة. على حروب مستعرة في الأجواء، والمحيط يرج السفينة. على صفارات الإنذار، وضجيج المدينة، والصمت، وذات مرة، على ثعبان يلتف قرب رأسها.

لكن هنري شتراوس يوقظها بقبلات.

يغرسها قبلة بعد أخرى، مثل بصيلات الزهور، فتتفتح على جلدها. تبتسم آدي، وتتدحرج نحوه، وتسحب ذراعيه حولها مثل عباءة.

يهمس الظلام في رأسها، بدوني ستكونين وحيدة دائمًا.

ولكن بدلًا من ذلك، تستمع إلى صوت قلب هنري، إلى الهمهمة الرقيقة لصوته في شعرها وهو يسأل إن كانت جائعة.

الوقت متأخر، ويجب أن يكون في العمل، لكنه أخبرها أن محل الكلمة الأخيرة يغلق يوم الاثنين. ربما لا يستطيع أن يعرف أنها تتذكر اللافتة الخشبية الصغيرة، الساعات بجانب كل يوم. المحل مغلق أيام الخميس فقط.

لا تصحح له.

يرتديان الملابس، ويتجهان إلى متجر الزاوية، حيث يشتري هنري سندوتشات البيض والجبن من الكاونتر وتمضي آدي إلى الخزانة بحثًا عن العصير.

وحينها تسمع الجرس.

حينها ترى رأسًا أسمر، ووجهًا مألوفًا، وروبي يتعثر وهو يدخل. ذلك حين يسقط قلبها، كما يسقط حين تزل خطوتها، والارتجاف المفاجئ لفقدان توازن الجسم.

برعت آدي في الخسارة –

لكنها ليست مستعدة.

وتريد أن توقف الوقت، أن تختبئ، أن تختفي.

لكن لمرة، لا تستطيع. روبي يرى هنري، وهنري يراها، وهما في مثلث من شوارع باتجاه واحد. كوميديا الذاكرة والغياب والحظ الرهيب وهنري يلف ذراعًا حول خصرها، وينظر روبي إلى آدي والثلج في عينيه ويقول: "من هذه؟"

يقول هنري: "الأمر ليس هزليًّا. هل ما زلت سكران؟"

يتراجع روبي ساخطًا. "أنا ماذا؟ لا. لم أر هذه الفتاة من قبل. لم تقل قط أنك قابلت شخصًا ما".

إنه حادث سيارة بحركة بطيئة، وعرفت آدي أنه لا بد أن يحدث، الاصطدام الحتمي بين الناس والمكان، الزمان والظروف.

هنري مستحيل، واحتها الغريبة والجميلة. لكنه أيضًا إنسان، والبشر لهم أصدقاء، ولهم عائلات، وهناك آلاف الخيوط تربطهم بأشخاص آخرين. على عكسها، لم ينفصل قط، ولم يوجد في الفراغ قط.

لذا كان الأمر حتميًّا.

لكنها ما زالت غير مستعدة.

"اللعنة، يا روب، قابلْتَها للتو".

عينا روبي داكنتان: "متأكد من أنني سأتذكر. ولكن مرة أخرى، هذه الأيام، صعب أن يبقيا في وضع مستقيم".

تنهار المسافة بينهما حين يدخل هنري. تصل آدي إلى هناك أولًا، تمسك بيده وهي ترتفع، وتسحبه للخلف. "يا هنري، توقف".

كانت جرة جميلة احتفظت بما فيها. لكن الكأس يتحطم الآن. الماء يتسرب منه.

ينظر روبي إلى هنري بذهول وشعور بالخيانة. وتفهم. ليس عدلًا. ليس عدلاً أبدًا.

تقول وهي تضغط على يده: "تعال".

يتجه انتباه هنري نحوها أخيرًا. تقول: "أرجوك. تعال معي".

خرجا إلى الشارع، ونسي سلام الصباح، وتركهم وراءه مع الجريدة الرسمية والسندويتشات.

يرتجف هنري غضبًا. ويقول: "آسف. يمكن أن يكون روبي حمارًا ولكن ذلك كان -"

تغلق آدي عينيها، وظهرها للحائط. " ليست غلطته". يمكنها أن تنقذ الموقف، أن تمسك البرطمان المكسور، وتبقي أصابعها فوق الشقوق. لكن إلى متى؟ إلى متى يمكن أن تحتفظ بهنري لنفسها؟ إلى متى تستطيع منعه من ملاحظة اللعنة؟

"لا أعتقد أنه تذكرني".

يحدق هنري في حيرة واضحة: "كيف لا يتذكرك؟"

تتردد آدي.

من السهل أن نكون صادقين حين لا تكون هناك كلمات خاطئة، لأن الكلمات لا تلتصق. حين يكون كل ما تقوله يخصك وحدك.

لكن هنري مختلف، إنه يسمعها، إنه يتذكر، وفجأة تكون كل كلمة مليئة بالثقل، والصدق شيء ثقيل جدًا.

لديها فرصة واحدة فقط.

يمكنهـا أن تكـذب عليـه، كما تفعـل مع أي شـخص آخر، ولكـن إذا بدأت، فلـن تتمكن أبـدًا مـن التوقـف، بـل وأكثـر مـن ذلـك - لا تريـد أن تكذب عليـه. انتظـرت طويـلًا حتى تُسـمَع وتُرى.

لذا ترمي آدي بنفسها في الحقيقة.

"هل تعرف كيف يعاني بعض الناس من عمى الوجه؟ إنهم ينظرون إلى الأصدقاء والعائلة والأشخاص الذين عرفوهم طول حياتهم، ولا يتعرفون عليهم؟"

يعبس هنري. "من الناحية النظرية، بالتأكيد..".

"حسنًا، لدي العكس".

"هل تتذكرين الجميع؟"

تقول آدي: "لا، أعني نعم، أنا أفعل، لكن هذا ليس ما أتحدث عنه. الأمر هو - الناس ينسونني. حتى لو التقينا مائة مرة. ينسون".

"هذا هراء".

ليس هراء. بالطبع ليس هراء.

تقول: "أعرف، لكن هذه هي الحقيقة. إذا عدنا إلى هذا المتجر الآن، لن يتذكر روبي. يمكن أن تقدمني، لكن في اللحظة التي أغادر فيها، في اللحظة التي أبعد فيها عن نظره، ينسى مرة أخرى".

يهز هنري رأسه. "كيف؟ لماذا؟"

أصغر سؤال. أكبر إجابة.

لأنني كنت حمقاء.

لأنني كنت خائفة.

لأنني لم أكن حذرة.

تقول، وهي تتراجع إلى الحائط الخرساني: "لأنني ملعونة".

يحدق هنري فيها، وقد تجعد جبينه خلف نظارته: "لا أفهم".

تأخذ آدي نفسًا عميقًا في محاولة لتهدئة أعصابها. وبعد ذلك، لأنها قررت أن تقول الحقيقة، هذا ما تفعله.

"اسمي آدي لارو. ولدت في فيون عام 1691، وكان والداي جان ومارت، وكنا نعيش في منزل حجري خلف شجرة الطقسوس القديمة..".

فيون سور سارت، فرنسا

29 يوليو 1764

XII

العربة تقعقع وتتوقف بجوار النهر.

قال الحوزي وهو يمسك باللجام: "يمكن أن آخذك أبعد. ما زلنا على بعد ميل".

تقول: "هذا جيد. أعرف الطريق".

قد تلفت عربة وسائق غير معروف الانتباه، وتفضل آدي العودة بالطريقة التي غادرت بها، بالطريقة التي تعلمت بها كل شبر من هذا المكان: سيرًا على الأقدام.

تدفع للرجل وتنزل، وحافة عباءتها الرمادية تكشط التراب. لم تهتم بالأمتعة، وتعلمت السفر بخفة؛ أو بالأحرى، تترك الأشياء بالسهولة التي تحصل بها عليها. الأمر أبسط بهذه الطريقة. من الصعب أن تتمسك بالأشياء.

يسأل: "أنت من هنا، إذن؟" وتحدق آدي في الشمس.

تقول: "نعم. لكني رحلت منذ وقت طويل".

ينظر إليها السائق من أعلى إلى أسفل: "ليس طويلًا جدًّا".

تقول: "مدهش"، ثم يضرب بالسوط، وتنطلق العربة، وتعود وحيدة مرة أخرى في أرض تعرفها، حتى النخاع. مكان غابت عنه منذ خمسين عامًا.

غريبة – ابتعدت ضعف الوقت الذي قضته هنا، ولا تزال تشعر وكأنها في البيت. لا تعرف متى اتخذت قرار العودة، أو حتى كيف، فقط كان يتراكم فيها مثل عاصفة، من الوقت الذي بدأ فيه الربيع يبدو وكأنه صيف، الثقل يتدحرج مثل الوعد بالمطر، حتى تتمكن من رؤية الغيوم الداكنة في الأفق، وتسمع الرعد في رأسها، يحثها على الذهاب.

ربما نوع من الطقوس، هذه العودة. طريقة لتطهير نفسها، لوضع فيون بقوة في الماضي. ربما تحاول تركها. أو ربما تحاول التمسك بها.

لن تبقى، تعرف ذلك جيدًا.

يلمع ضوء الشمس على سطح نهر سارت، وللحظة، تفكر في الصلاة، وتغرق يديها في التيار الضحل، لكن ليس لديها ما تقدمه لآلهة النهر الآن، ولا شيء تقوله لهم. لم يجيبوا حين كان الأمر مهمًّا.

حول المنعطف، وخلف مجموعة من الأشجار، ترتفع فيون وسط التلال المنخفضة، منازل حجرية رمادية تقع في حوض الوادي. نمت قليلًا، واتسعت مثل رجل في منتصف العمر، متقدمة ببطء إلى الخارج، لكنها لا تزال فيون. هناك الكنيسة وساحة البلدة وهناك، خلف وسط المدينة، الخط الأخضر الغامق للغابات.

لا تمر عبر المدينة، وبدلًا من ذلك تميل حولها إلى الجنوب.

نحو البيت.

لا تزال شجرة الطقسوس القديمة واقفة في نهاية الممر. أضافت خمسون عامًا بضع زوايا معقودة إلى أطرافها، وهو مقياس للعرض حول قاعدتها، ولكن بخلاف ذلك، تبقى كما كانت. وللحظة، حين يكون كل ما تستطيع رؤيته حافة المنزل، يتلعثم الوقت، وينزلق، وتكون في الثالثة والعشرين من العمر مرة أخرى، تمشي إلى البيت من المدينة، أو النهر، أو إيزابيل، تغسل وركها، أو لوحة الرسم تحت ذراعها، وفي أي لحظة سترى أمها في المدخل المفتوح، والدقيق على معصميها، وتسمع القطع الثابت لفأس والدها، السكون الهادئ لفرسهم، مكسيم، يمسح ذيله ويمضغ العشب.

لكنها تقترب من المنزل، وينهار الوهم مرة أخرى في الذاكرة. ذهب الحصان، بالطبع، وفي الفناء، تميل ورشة والدها الآن بإرهاق إلى جانب واحد، بينما عبر العشب، يقبع كوخ والديها، مظلمًا وساكنًا.

ماذا كانت تتوقع؟

خمسون سنة. عرفت آدي أنهم لن يكونوا هناك، لكن مشهد هذا المكان، المتحلل، المهجور، لا يزال يثير أعصابها. تتحرك قدماها تلقائيًا، وتحملها عبر الممر الترابي، عبر الفناء إلى الأنقاض المنحدرة لمتجر والدها.

تفتح الباب - الخشب فاسد ومتفتت - وتدخل إلى السقيفة.

تتدفق أشعة الشمس عبر الألواح المكسورة، وتجرد الظلام، وتفوح رائحة العفن في الهواء بدلًا من رائحة الخشب المقطوع الطازج، الترابي والحلو؛ كل الأسطح مغطاة بالعفن والرطوبة والغبار. الأدوات التي شحذها والدها كل يوم أصبحت الآن مهجورة، صدئة بنية وحمراء. الرفوف فارغة غالبًا؛ ولت الطيور الخشبية، ولكن وعاء كبيرًا شبه مكتمل يجلس تحت ستارة من أنسجة العنكبوت والأوساخ.

تمرر يدها عبر الغبار، وتشاهده يتجمع مرة أخرى في أعقابها. منذ متى رحل؟

تجبر نفسها على العودة إلى الفناء وتتوقف.

عاد المنزل للحياة، أو على الأقل بدأت الحركة تدب فيه. شريط رفيع من الدخان يرتفع من المدخنة. نافذة مفتوحة، والستائر الرفيعة تتموج بهدوء في تيار الهواء.

لا يزال شخص ما هنا.

يجب أن تذهب، تعلم أنها يجب أن تذهب، هذا المكان ليس مكانها، لم يعد، لكنها بالفعل تعبر الفناء، وتمد يدها لتطرق. تتباطأ أصابعها وتتذكر تلك الليلة الأخيرة في حياة أخرى.

تحوم هناك، على الدرج، وترغب في أن تختار يدُها - لكنها أعلنت عن نفسها بالفعل. ترفرف الستارة، ويعبر الظل النافذة، ولا تستطيع آدي التراجع إلا درجتين، ثلاثًا، قبل أن يوارب الباب. فقط ما يكفي للكشف عن قطعة من الخد المجعد، عين زرقاء عابسة.

"من هناك؟"

صوت المرأة هش، رقيق، لكنه لا يزال مثل الحجر في صدر آدي، يطرد الهواء بعيدًا، وهي متأكدة أنها حتى لو كانت هالكة، فإن عقلها خف بمرور الوقت، إنها لا تزال تتذكر هذا- صوت أمها.

يفتح الباب، وها هي ذابلة مثل نبتة في الشتاء، أصابعها متشابكة ممسكة بشال رث. إنها عجوز، عتيقة جدًّا، لكنها على قيد الحياة.

تسأل أمُّها: "هل أعرفك؟" لكن ليس هناك ما يدل على التعرف في صوتها، سوى شك العجائز وعدم يقينهم.

تهز آدي رأسها.

بعد ذلك، تتساءل عما إذا كان يجب أن تجيب بنعم، إذا كان عقل أمها، خاليًا من الذاكرة، كان يمكن أن يفسح المجال لهذه الحقيقة الوحيدة. إذا دعت ابنتها للجلوس بجانب الموقد ومشاركتها وجبة بسيطة، بحيث حين تغادر آدي، يكون لديها شيء تتمسك به إلى جانب نسخة والدتها التي تتركها في الخارج.

لكنها لا تفعل ذلك.

تحاول أن تقول لنفسها إن هذه المرأة لم تعد أمها حين لم تعد ابنتها، لكن بالطبع، لا تسير الأمور على هذا النحو. ومع ذلك، لا بد من ذلك. حزنت بالفعل، وبالرغم من أن صدمة وجه المرأة حادة، إلا أن الألم سطحي.

تسأل مارت لارو: "ماذا تريدين؟"

وهذا سؤال آخر لا تستطيع الإجابة عليه، لأنها لا تعرف. تنظر خلف المرأة العجوز، إلى القاعة المعتمة التي كانت بيتها، وعندها فقط يرتفع أمل غريب في صدرها. إذا كانت أمها على قيد الحياة، فربما، ربما - لكنها تعرف. تعرف من خيوط العنكبوت في باب الورشة، الغبار على الوعاء نصف النهائي. تعرف من النظرة المرهقة على وجه أمها، والظلمة وفوضى الكوخ خلفها.

تقول وهي تتراجع: "آسفة".

والمرأة لا تسأل عن أي شيء، تحدق فقط، لا ترمش وهي تمضي.

يغلق الباب، وتدرك آدي وهي تبتعد أنها لن ترى أمها مرة أخرى.

مدينة نيويورك

17 مارس 2014

XIII

الكلام سهل.

رغم كل شيء، لم تكن القصة الجزء الصعب قط.

إنه سر حاولت مشاركته مرات عديدة، مع إيزابيل وريمي، مع الأصدقاء والغرباء وأي شخص قد يستمع، وفي كل مرة، كانت تشاهد تعابيرهم تتسطح، ووجوههم فارغة، وتشاهد الكلمات معلقة. الهواء أمامها مثل الدخان قبل أن يثار.

لكن هنري ينظر إليها ويستمع.

يستمع لها وهي تخبره عن العرس والصلوات التي لم تستجب والقرابين عند الفجر والغسق. عن الظلام في الغابة، يتجول في هيئة رجل، أمنيتها، ورفضه، وغلطتها.

يمكن أن تحصلي على روحي حين لا أريدها.

تستمع كما تخبره عن العيش إلى الأبد والنسيان والاستسلام. وحين تنتهي، تحبس أنفاسها، وتتوقع أن يبعد هنري الضباب عن عينيه، ليسأل عما كانت على وشك قوله. وبدلًا من ذلك، تضيق عيناه بمثل هذا التركيز الغريب، وتدرك، ودقات القلب تسرع، أنه سمع كل كلمة.

يقول "هل عقدت صفقة؟" وفي صوته حياد، وهدوء مقلق.

وبالطبع، يبدو الأمر وكأنه جنون.

وبالطبع، لا يصدقها.

هكذا تخسره. لا بسبب الذاكرة، بل بسبب عدم الثقة.

ثم يضحك هنري فجأة.

ينحني على رف دراجة، ورأسه في يده، ويضحك، وتعتقد أنه أصيب بالجنون، وتعتقد أنها كسرت شيئًا بداخله، وتعتقد، حتى، أنه يسخر منها.

لكن ليس هذا النوع من الضحك الذي يتبع مزحة.

إنه مهووس للغاية، يلهث بشدة.

يقول مرة أخرى: "عقدْتِ صفقة".

تبلع ريقها. "انظر، أعرف كيف يبدو الأمر ولكن -"

"أصدقك".

ترمش، مرتبكة فجأة. "ماذا؟"

يقول مرة أخرى: "أصدقك".

ثلاث كلمات صغيرة،[36] نادرة بقدر ندرة أتذكرك، ويجب أن تكون كافية - لكنها ليست كذلك. لا شيء منطقي، لا هنري، ولا هذا؛ لم يكن منذ البداية وكانت خائفة جدًّا من أن تسأل، أن تعرف، وكأن المعرفة ستؤدي إلى انهيار الحلم كله، لكنها تستطيع رؤية التشققات في كتفيه، ويمكن أن تشعر بها في صدرها.

تريد أن تسأل: من أنت؟ لماذا أنت مختلف كيف تتذكر حين لا يستطيع أحد آخر؟ لماذا تعتقد أنني عقدت صفقة؟

في النهاية، قالت شيئًا واحدًا فقط: "لماذا؟"

وتبتعد يدا هنري عن وجهه وينظر إليها، وعيناه الخضراوان تشعان بالحمى، ويقول -

"لأنني عقدْتُ صفقة أيضًا".

---

36 أصدقك: في الأصل I believe you، ومن هنا الإشارة إلى ثلاث كلمات.

الجزء الرابع

الرجل الذي قضى يوما في المطر

مدينة نيويورك

4 سبتمبر 2013

I

يولد ولدٌ بقلب مكسور.

يفتح الأطباء، ويعالجونه، ويجعلونه كاملًا، ويرسل الطفل إلى المنزل، محظوظًا لأنه على قيد الحياة. يقولون إنه أفضل الآن، ويمكنه أن يعيش حياة طبيعية، ومع ذلك، حين يكبر، يقتنع بأن شيئًا ما لا يزال خطأ في الداخل.

مضخات الدم، والصمامات تفتح وتغلق، وفي الفحص والشاشات، كل شيء يعمل كما ينبغي. لكن شيئًا ما ليس صحيحًا.

تركوا قلبه مفتوحًا جدًّا.

نسوا أن يعيدوا غلق درع صدره. والآن يشعر... بالكثير جدًّا.

قد يصفه الآخرون بأنه حساس، لكن الأمر أكثر من ذلك. قرص التشغيل مكسور، ومستوى الصوت أعلى ما يكون. لحظات الفرح تسجل على أنها قصيرة ولكنها نشوة. تمتد لحظات الألم لفترة طويلة وبصوت عالٍ لا يطاق.

حين يموت كلبه الأول، يبكي هنري أسبوعًا. وحين يتجادل والداه، ولا يستطيع تحمل العنف في كلامهما، يهرب من البيت. يستغرق الأمر أكثر من يوم لإعادته. حين يلقي ديفيد دب طفولته بعيدًا، حين توقفه صديقته الأولى، أبيجيل، في الرقص، حين كان عليهم تشريح خنزير في الصف، حين يفقد البطاقة التي أعطاها له جده قبل وفاته، حين يجد ليز تغشه خلال رحلة التخرج، في كل مرة، بغض النظر عن صغر الأمر، أو كبره، يشعر وكأن قلبه ينكسر مرة أخرى داخل صدره. وهنري في الرابعة عشرة يسرق للمرة الأولى جرعة كبيرة من خمور والده، فقط لخفض مستوى الصوت. وفي السادسة عشرة حين يأخذ حبتين من خزانة والدته،

فقط لتخفيف الألم. وهو في العشـرين يتفاقم الأمر حتى أنه يعتقد أنه يستطيع رؤية الشقوق على طول جلده، الأماكن التي ينهار فيها.

في قلبه تيار هوائي.

يسمح للضوء.

يسمح للعواصف.

يسمح بدخول كل شيء.

الوقت يمر بسرعة رهيبة.

طرفة عين، وتكون في منتصف الطريق في المدرسة، مشلول بفكرة أنه مهما اخترت أن تفعل، فهذا يعني اختيار **ألا** تفعل مئات الأشياء الأخرى، لذا تغير تخصصك ست مرات قبل أن ينتهي بك المطاف في علم اللاهوت، ولبعض الوقت يبدو أنه الطريق الصحيح، ولكنه في الحقيقة مجرد رد فعل للفخر على وجهي والديك، لأنهما يفترضان أن لديهما حاخامًا ناشئًا، ولكن الحقيقة أنك لا ترغب في التدرب، كما ترى النصوص المقدسة قصصًا وملاحم شاملة وكلما درست أكثر قل إيمانك بأي منها.

طرفة عين، وتكون في الرابعة والعشرين، وأنت تسافر عبر أوروبا، وتفكر – على أمل – أن يثير التغيير شيئًا ما بداخلك، وأن لمحة عن العالم الأكبر والأوسع تجعلك تركز على نفسك. ولفترة قصيرة، يكون الأمر كذلك. لكن لا توجد وظيفة، ولا مستقبل، فقط فترة فاصلة، وحين تنتهي، يكون حسابك المصرفي جافًا، ولا تكون قريبًا من أي شيء.

طرفة عين، وتكون في السادسة والعشـرين، وقد استدعيت إلى مكتب العميد لأنه يستطيع أن يقول إن قلبك لم يعد في الداخل، وينصحك بإيجاد طريق آخر، ويؤكد لك أنك ستعثر على مبتغاك، لكن هذه هي المشكلة برمتها، لم تشعر قط بأنك مدعو إلى شيء واحد. لا يوجد دفع عنيف في اتجاه واحد، ولكن هناك دفع أكثر ليونة في مئات الطرق المختلفة، والآن تبدو جميعًا بعيدة عن متناول اليد.

طرفة عين، وتكون في الثامنة والعشـرين، والجميع الآن على بعد ميل واحد على الطريق، وأنت ما زلت تحاول العثور عليه، ولا تعدم السخرية من أنك تريد أن تعيش، وأن تتعلم، وأن تجد نفسك، ضعْتَ.

طرفة عين، وتلتقي بفتاة.

في المرة الأولى التي رأى فيها هنري تابيثا ماسترز، كانت ترقص.

يجب أن يكون هناك عشـرة منهم على خشبة المسـرح. كان هنري هناك ليرى روبي وهو يؤدي، لكن أطرافها كانت مشدودة، وشكلها يمثل نوعًا من الجاذبية. استمرت نظرته تسقط نحوها. كانت من النوع الذي يسـرق أنفاسك، النوع الذي لا يمكن التقاطه حقًّا في الصورة، لأن السحر يكمن في الحركة. طريقة تحركها، كانت قصة رويت بلا شيء سوى اللحن وانحناء عمودها الفقري، ويد ممدودة، وهبوط بطيء إلى الأرضية المظلمة.

كانت المرة الأولى التي التقيا فيها بعد حفلة.

على خشبة المسـرح، كانت ملامحها قناعًا، لوحة لفن الآخرين. ولكن هناك، في الغرفة المزدحمة، كان كل ما يمكن أن يراه هنري ابتسامتها. احتلت وجهها كله، من ذقنها المدبب إلى خط شعرها، بهجة لا يستطيع أن يبعد عينه عنها. كانت تضحك على شيء - لم يكتشفه - وكأن شخصًا ما ذهب وأضاء كل الأنوار في الغرفة.

وحينها، بدأ قلبه يتألم.

استغرق الأمر من هنري ثلاثين دقيقة وثلاثة مشروبات ليتشجع ويقول مرحبًا، ولكن منذ تلك اللحظة فصاعدًا، كان الأمر سهلًا. إيقاع وتدفق الترددات متزامنة. وبحلول نهاية الليل، كان قد وقع في الحب.

وقع فيه من قبل.

صوفيا في المدرسة الثانوية.

سارة، إيتان، جينا - لكن الأمر كان دائمًا صعبًا، فوضويًّا. مليئًا بالبدايات والتوقفات، المنعطفات الخاطئة والطرق المسدودة. لكن مع تابيثا، كان الأمر سهلًا.

سنتان.

هذه هي المدة التي قضياها معًا.

سنتان من تناول العشاء، والإفطار، والآيس كريم في الحديقة، وبروفات الرقص وباقات الورد، والنوم في مكان أي منهما، والغداء في نهاية الأسبوع والعروض التليفزيونية المفعمة بالحيوية، والرحلات إلى الشمال للقاء والديه.

سنتان من تقليص الشرب من أجلها، والبقاء نظيفًا من أجلها، وارتداء ملابس من أجلها، وشراء أشياء لا يستطيع تحمل تكلفتها، لأنه أراد أن يجعلها تبتسم، وأراد إسعادها.

سنتان، بدون مشاجرة واحدة، والآن يعتقد أن هذا ربما لم يكن شيئًا جيدًا رغم كل شيء.

سنتان - وفي مكان ما بين السؤال والجواب، انهار.

على ركبة واحدة بحلقة في منتصف الحديقة، وهنري غبي سخيف، لأنها قالت لا.

قالت لا، ولم تكن تلك أسوأ كلمة.

قالت: "أنت رائع. رائع حقًّا. ولكنك لستَ..".

لا تكمل، وليس عليها أن تكمل، لأنه يعرف ما يحدث بعد ذلك.

أنت لست على حق.

أنت لا تكفي.

"اعتقدت أنك تريدين الزواج".

"أريد. ذات يوم".

الكلمات، واضحة وضوح الشمس، على الرغم من عدم نطقها.

لكن ليس منك.

ثم ابتعدت، والآن هنري هنا في الحانة سكران، لكنه ليس سكرانًا بدرجة كافية تقريبًا.

إنه يعلم، لأن العالم لا يزال موجودًا، لأن الليل كله ما زال يبدو حقيقيًّا جدًّا، لأن كل شيء ما زال مؤلمًا. انحنى إلى الأمام، وذقنه يستريح على ذراعيه المطويتين، محدقًا في مجموعة الزجاجات الفارغة على الطاولة. ينظر إلى الوراء من نصف دستة من الانعكاسات المشوهة.

الميرشنت ممتلئ بالأشخاص، جدار من الضوضاء الثابتة، لذا على روبي أن يصرخ ليتغلب على الضجيج.

"عليها اللعنة".

ولسبب ما، قادمًا من عند صديقه، لا يشعر هنري بتحسن كبير. يقول: "أنا بخير"، بهذه الطريقة التلقائية التي يرد بها الناس دائمًا حين تسألهم عن حالهم، بالرغم من أن قلبه مفتوح على آخره.

تضيف بيا: "إنها الأفضل"، وإذا قال ذلك أي شخص آخر، لطردته إلى ركن البار لأنه مبتذل. عشر دقائق مهلة للتفاهات. لكن هذا كل ما لدى أي شخص الليلة.

ينهي هنري الكأس الذي أمامه ويمد يده إلى كأس أخرى.

تقول بيا، وهي تفرك رقبته: "تمهل، يا بني".

يقول مرة أخرى: "أنا بخير".

وكل منهما يعرف جيدًا بما يكفي ليعرف أنها كذبة. يعرفان ما يتعلق بقلبه المكسور. تمكنا كلاهما من إقناعه خلال عواصفه. إنهما أفضل شخصين في حياته، الشخصين اللذين يحافظان على توازنه، أو على الأقل اللذين يمنعانه من الانهيار. لكن حاليًا، هناك الكثير من الشقوق. الآن، هناك فجوة بين كلماتهما وأذنيه وأيديهما وجلده.

إنهما قريبان، لكنهما يبدوان بعيدين جدًّا.

ينظر إلى أعلى، ويفحص تعبيراتهما، بكل شفقة، لا دهشة، ويستقر الإدراك عليه مثل البَرَد.

"كنت تعلم أنها ستقول لا".

يجعل الصمت اللحظة تبدو طويلة جدًّا. تتبادل بيا وروبي نظرة، كما لو كانا يحاولان تحديد من يتولى القيادة، ثم يمد روبي يده إلى يده: "هنري –"

يتلوى مرة أخرى: "علمْتَ".

يقف على قدميه الآن، يتعثر تقريبًا في الطاولة خلفه.

يتغضن وجه بيا. "هيا. اجلس مرة أخرى".

"لا. لا. لا".

يقول روبي: "هاي. سأسير معك إلى البيت".

لكن هنري يكره الطريقة التي ينظر بها روبي إليه، وبالتالي يهز رأسه، بالرغم من أن ذلك يجعل الغرفة ضبابية.

يقول: "لا. أريد فقط أن أبقى لوحدي".

أكبر كذبة قالها على الإطلاق.

لكن يد روبي تسقط بعيدًا، وتهز بيا رأسها له، ويتركان هنري يرحل.

هنري ليس سكرانًا بدرجة كافية.

يذهب إلى متجر الخمور ويشتري زجاجة فودكا من رجل ينظر إليه وكأنه تناول بالفعل ما يكفي، ولكن أيضًا وكأن من الواضح أنه يحتاج إليها. يلف الغطاء بأسنانه حين يبدأ المطر.

يرن تليفونه في جيبه.

بيا، على الأرجح. أو روبي. لا أحد آخر قد يتصل.

يتركه ترن، ويحبس أنفاسه حتى يتوقف. يقول لنفسه إذا اتصلا مرة أخرى، فسوف يرد. إذا اتصلا مرة أخرى، فسيخبرهما أنه ليس بخير. لكن التليفون لا يرن مرة أخرى.

لا يلومهما على ذلك، ليس الآن، ولا بعد ذلك. إنه يعلم أنه ليس صديقًا سهلًا، ويعرف أنه كان يجب أن يرى أن الأمر آتٍ، ويجب أن يأتي –

تنزلق الزجاجة من بين أصابعه، وتتحطم على الرصيف، ويجب أن يتركها هناك، لكنه لا يفعل. يمد يده ليلتقطها، لكنه يفقد توازنه. تنزل يده على زجاج مكسور وهو يندفع للخلف. يتألم، يتألم بالطبع، لكن الألم يخمد قليلًا بالفودكا، بئر الحزن، بقلبه المدمر، بكل شيء آخر.

يتحسس هنري جيبه بحثًا عن منديل، والحرير الأبيض مُحيط بحرف ت باللون الفضي. لم يكن يريد صندوقًا - ذلك الغلاف الكلاسيكي المحايد الذي يتخلى عن السؤال دائمًا - ولكن الآن، وهو يسحب المنديل للخارج، تنهار الحلقة بحرية، وتقفز على الرصيف الرطب.

صدى الكلمات في رأسه.

أنت رائع يا هنري. أنت رائع حقًّا. ولكنك لست-

يضغط المنديل على يده المصابة. في ثوان، الحرير ملطخ باللون الأحمر. مدمر.

أنت لا تكفي.

الأيدي كالرؤوس. تنزف بغزارة دائمًا.

كان أخوه ديفيد هو الذي أخبره بذلك. ديفيد، الطبيب، الذي عرف ماذا يريد أن يكون منذ أن كان في العاشرة.

من السهل البقاء على المسار حين يكون الطريق مستقيمًا والخطوات مرقمة.

يشاهد هنري المنديل وهو يتحول إلى اللون الأحمر، ويحدق في الماس في الشارع ويفكر في تركه، لكنه لا يستطيع تحمل ذلك، لذلك يجبر نفسه على الانحناء والتقاطه.



اشرب مشروبًا كلما سمعْتَ أنك لست كافيًا.

لست الشخص المناسب.

لست بالمظهر المناسب.

لست البؤرة المناسبة.

لست المحرك المناسب.

ليس الوقت المناسب.

ليست الوظيفة المناسبة.

ليس الطريق المناسب.

ليس المستقبل المناسب.

ليس الحاضر المناسب.

لست المناسب.

ليس أنت.

(ليس أنا؟)

هناك شيء مفقود فقط.

(مفقود..).

منا.

ماذا كان يمكن أن أفعل؟

لا شيء. انه فقط...

(من أنت).

لم أكن أعتقد أننا كنا جادين. (أنت أيضًا....

... حلو.

... لين.

. . . حساس).

لا أرى فقط نهاية المطاف معًا.

قابلت شخصًا ما.

أنا آسفة.

ليس أنت.

ابتلعها.

لسنا في الصفحة نفسها.

لسنا في المكان نفسه.

ليس أنت.

لا حيلة لنا فيمن نقع في حبهم.

(ومن لا نقع).

يا لك من صديق جيد.

ستجعل الفتاة المناسبة سعيدة.

تستحق الافضل.

لنبقَ صديقين.

لا أريد أن أفقدك.

ليس أنت.

آسفة.

II

والآن يعرف أن لديه مبررات كثيرة للشرب.

كان يحاول الوصول إلى مكان لا يشعر فيه، لكنه يعتقد أنه ربما يكون قد تجاوزه، وتجول في مكان أسوأ. يدور رأسه، والإحساس اللطيف منذ فترة طويلة. وجد حبتين في جيبه الخلفي، وضعتهما أخته موريل في زيارتها الأخيرة. قالت له مظلات وردية صغيرة. يبتلعهما بدون ماء والرذاذ يتحول إلى مطر غزير.

يقطر الماء على شعره، ويغسل نظارته وينقع قميصه.

لا يهتم.

ربما يشطف المطر القميص.

ربما يغسله هو نفسه.

وصل هنري إلى مبناه، لكنه لا يستطيع أن يصعد بنفسه الدرجات الست إلى الباب، والأربع والعشرين الأخرى إلى شقته، التي تنتمي إلى ماضٍ كان فيه مستقبل، وبالتالي يغوص في المنحدر، ويميل للخلف، وينظر إلى المكان الذي يلتقي فيه السطح بالسماء، ويتساءل عن عدد الخطوات اللازمة للوصول إلى الحافة. يجبر نفسه على التوقف، ويضغط راحة يده على عينيه، ويقول لنفسه إنها مجرد عاصفة.

استعد للصعاب وانتظر.

إنها مجرد عاصفة.

إنها مجرد عاصفة.

إنها مجرد...

لا يعرف متى يجلس الرجل بجانبه على الدرج.

ثانية، هنري وحده، والتالية، ليس وحده.

يسمع طقطقة ولاعة، شعلة صغيرة ترقص على حافة بصره. ثم صوت. لثانية، يبدو أنه يأتي من كل مكان، ثم من بجانبه مباشرة.

"ليلة سيئة". سؤال بدون علامة استفهام.

ينظر هنري ويرى رجلًا يرتدي بدلة أنيقة بلون الفحم في خندق أسود مفتوح، ولثانية مروعة، يعتقد أنه شقيقه، ديفيد. جاء لتذكير هنري بكل الطرق التي يشعر بها بخيبة أمل.

لهما الشعر الأسود نفسه، والفك الحاد نفسه، لكن ديفيد لا يدخن، ولن يوجد في مثل هذا الجزء من بروكلين، ليس شبه وسيم بالقدر نفسه. كلما طال نظر هنري إلى الشخص الغريب، تلاشى التشابه – وحل محله إدراك بأن الرجل لا يبتل.

حتى بالرغم من أن المطر لا يزال يتساقط بشدة، ولا تزال سترة هنري الصوفية منقوعة، وقميصه القطني، يضغط بيديه الباردتين على جلده. لا يبذل الغريب في البدلة الأنيقة أي جهد لإخفاء الشعلة الصغيرة للولاعة أو السيجارة نفسها. يسحب نفسًا طويلًا ويميل بمرفقيه إلى الوراء على الدرجات المغمورة بالمياه، ويرفع ذقنه لأعلى، وكأنه يرحب بالمطر.

لا يمسه أبدًا.

يسقط في كل مكان حوله، لكنه يظل جافًا.

يعتقد هنري إذن أن الرجل شبح. أو ساحر. أو على الأرجح هلوسة.

يسأل الغريب: "ماذا تريد؟" وهو لا يزال يفحص السماء، وهنري يتأرجح، بفطرة، لكن لا غضب في صوت الرجل. إذا كان هناك أي شيء، فهو شيء مثير للفضول والتساؤل. ينجرف رأسه إلى أسفل، وينظر إلى هنري بأكثر اخضرار رآه في عينين مشرقتين جدًا تتلألأن في الظلام.

يقول الغريب: "الآن، في هذه اللحظة. ماذا تريد؟"

يرد هنري: "أن أكون سعيدًا".

يقول الغريب، والدخان ينزلق بين شفتيه: "آه، لا أحد يستطيع أن يمنح لك السعادة".

ليس أنت.

هنري ليس لديه أي فكرة عن حقيقة هذا الرجل، أو ما إذا كان حقيقيًّا، وهو يعلم، حتى من خلال ضباب الخمر والمخدرات، أن عليه أن ينهض ويدخل. لكنه لا يستطيع أن يحرك ساقيه، والعالم ثقيل للغاية، والكلمات تأتي الآن، تتسرب منه.

يقول: "لا أعرف ماذا يريدون مني. لا أعرف ماذا يريدون أن أكون. يقولون كن على طبيعتك، لكنهم لا يقصدون ذلك، وأنا متعب فقط..". يتكسر صوته. "تعبت من التقصير. تعبت من أن أكون... ليس لأنني وحدي. لا أمانع في أن أكون وحدي. لكن هذا -" تعقد أصابعه قميصه. "الأمر مؤلم".

ترتفع يد تحت ذقنه.

يقول الغريب الذي لم يسأل عن اسمه قط: "انظر إليَّ يا هنري".

ينظر هنري إلى أعلى، ويلتقي بالعينين المضيئتين. يرى شيئًا يتجعد فيهما، مثل الدخان. الغريب جميل، مثل ذئب. جائع وحاد. تنزلق تلك النظرة الزمردية فوقه.

يتمتم الرجل: "أنت مثالي"، ويملس بإبهامه على خد هنري.

صوته حريري، وهنري يميل إليه، بلمسة واحدة، يفقد توازنه تقريبًا حين تبتعد يد الرجل.

يقول وهو ينفث سحابة من الدخان: "يمكن أن يكون الألم جميلًا، يمكن أن يتحول. يمكن أن يبدع".

يقول هنري بصوت أجش: "لكن لا أريد أن أتألم، أريد -"

"تريد أن تكون محبوبًا".

صوت صغير فارغ، نصف سعال، نصف بكاء. "نعم".

"تكون محبوبًا".

"تجعل الأمر يبدو بسيطًا".

يقول الغريب: "وهو كذلك. إذا كنت على استعداد للدفع".

يغص هنري بالضحك: "لا أبحث عن هذا النوع من الحب".

وميض داكن لابتسامة تظهر على وجه الغريب: "وأنا لا أتحدث عن المال".

"ماذا هناك أيضًا؟"

يمد الغريب يده على عظمة صدر هنري: "الشيء الوحيد الذي على كل إنسان أن يعطيه".

للحظة، يعتقد هنري أن الغريب يريد قلبه، مكسورًا كما هو - ثم يفهم. يعمل في محل لبيع الكتب، وقد قرأ ما يكفي من الملاحم، والْتَهَمَ الرموز والأساطير. الجحيم، قضى هنري ثلثي حياته في دراسة الكتاب المقدس، ونشأ على نظام غذائي ثابت من أعمال بليك وميلتون وفاوست. لكن مر وقت طويل منذ أن بدا أي منها أكثر من مجرد قصص.

يسأل: "من أنت؟"

"أنا من يرى المواد الملتهبة ويحولها إلى شعلة. راعي كل إمكانات البشر".

يحدق في الغريب، الذي لا يزال جافًا رغم العاصفة، جمال شيطان في وجه مألوف، وهاتان العينان، فجأة أكثر أفعوانية، وهنري يعرف هذا على حقيقته: حلم يقظة. جربه مرة أو مرتين من قبل، نتيجة العلاج الذاتي العدواني.

يقول وهو يقف: "لا أؤمن بالشياطين. ولا أؤمن بالأرواح".

يرفع الغريب رأسه: "إذن ليس لديك ما تخسره".

الحزن العميق، الذي ظل دفينًا في الدقائق القليلة الماضية برفقة الغريب السهلة، يندفع الآن إلى الوراء. الضغط على الكأس المكسورة. يتأرجح قليلًا، لكن الغريب يسنده.

لا يتذكر هنري رؤية الرجل الآخر واقفًا، لكنهما الآن عينًا في عين. وحين يتكلم الشيطان مرة أخرى، يكون في صوته عمق جديد، دفء ثابت، وكأن بطانية ملفوفة حول كتفيه. يشعر هنري بأنه يميل إليه.

يقول الغريب: "تريد أن تكون محبوبًا منهم جميعًا. تريد أن تكون كافيًا بالنسبة لهم جميعا. يمكن أن أعطيك ذلك، مقابل شيء لن تفتقده حتى". يمد الغريب يده. "حسنًا، هنري؟ ماذا تقول؟"

وهو لا يعتقد أن أيًا من هذا حقيقي.

وبالتالي لا يهم.

أو ربما يكون الرجل تحت المطر على حق.

لم يبق لديه ما يخسره.

في النهاية، الأمر سهل.

بنفس سهولة الخروج من الحافة.

والسقوط.

يأخذ هنري يده، والغريب يضغط بقوة كافية لإعادة فتح الجروح على طول راحة يده. لكنه في النهاية، لا يشعر بذلك. لا يشعر بشيء والظلام يبتسم ويقول كلمة واحدة.

"صفقة".

مدينة نيويورك

17 مارس 2014

III

هناك مائة نوع من الصمت.

هناك الصمت السميك في الأماكن المغلقة منذ فترة طويلة، والصمت المكتوم في الأذن المسدودة. صمت الموتى الفارغ، وصمت الاحتضار الثقيل.

هناك الصمت الأجوف لرجل توقف عن الصلاة، والصمت المنعش في كنيس فارغ، وصمت النفَس المحبوس لشخص يختبئ من نفسه.

هناك صمت الإحراج الذي يملأ الفراغ بين من لا يعرف ماذا يقول. وصمت التوتر الذي يسقط على من يعرف، لكنه لا يعرف من أين يبدأ أو كيف يبدأ.

لا يعرف هنري أي نوع من الصمت هذا، لكنه يقتله.

بدأ يتحدث خارج متجر الزاوية، واستمر في الحديث أثناء سيرهما، لأنه كان من الأسهل عليه التحدث حين كان لديه مكان لينظر إلى جانب وجهها. تسربت الكلمات منه حين وصلا إلى الباب الأزرق لمبناه، وهما يصعدان السلالم، وهما يتنقلان عبر الشقة، والآن الحقيقة تملأ الهواء بينهما، كثيفة كالدخان، وآدي لا تقول شيئًا.

تجلس على الأريكة وذقنها في يدها.

خارج النافذة، يستمر اليوم وكأن شيئًا لم يتغير، لكن يبدو أن كل شيء قد تغير، لأن آدي لارو خالدة، وهنري شتراوس ملعون.

يقول، حين لم يعد يتحمل: "آدي، أرجوك قولي شيئا".

وهي تنظر إليه، وعيناها تلمعان، ليس بتعويذة، بل بالدموع، ولا يعرف في البداية ما إذا كانت حزينة أم سعيدة.

تقول: "لم أفهم. لم يتذكر أحد من قبل. اعتقدت أنها صدفة. اعتقدت أنه فخ. لكنك لست صدفة يا هنري. لست فخ. إنك تتذكرني لأنك عقدت صفقة". تهز رأسها. "ثلاثمائة عام قضيتها في محاولة كسر هذه اللعنة، وفعل لوس الشيء الوحيد الذي لم أتوقعه قط". تمسح الدموع، وتبتسم.

"ارتكب **غلطة**".

في عينيها انتصار. لكن هنري لا يفهم.

"إذن صفقتانا تلغيان؟ هل هذا هو السبب في أننا محصنان ضدهما؟"

تهز آدي رأسها: "أنا لست **محصنة** يا هنري".

يتأرجح مرة أخرى، وكأنه صُدِم: "لكن صفقتي لا تناسبك".

تلين آدي، وتأخذ يده: "إنها كذلك بالطبع. صفقتك وصفقتي تعششان مثل الدمى الروسية معًا في قوقعة. إنني أنظر إليك، وأرى ما أريده **بالضبط**. كل ما أريده لا علاقة له تمامًا بالمظهر أو السحر أو النجاح. قد يبدو الأمر مروِّعًا، في حياة أخرى، لكن ما أريده أكثر – ما **أحتاج** إليه – لا علاقة له بك على الإطلاق. ما أريده، ما أردته دائمًا حقًّا، أن يتذكرني شخص ما. لهذا يمكن أن تنطق اسمي. لهذا يمكن أن تغادر وتعود وأنت لا تزال تعرف من أنا. ولهذا يمكن أن أنظر **إليك** وأراك كما أنت. وهذا كافٍ. كافٍ دائمًا".

كافٍ. تتحلل الكلمة بينهما، وتتفتح في حلقه. وتسمح بدخول قدر كبير من الهواء.

كافٍ.

يغرق على الأريكة بجانبها. وتنزلق يدها خلال يده، وأصابعهما متشابكة.

يتأمل: "قلت إنك ولدت عام 1691، مما يجعل عمرك..".

تقول: "ثلاثمائة وثلاثة وعشرون".

يصفر هنري: "لم أعرف امرأة أكبر من قبل". تضحك آدي. "تبدين جيدة جدًّا جدًّا بالنسبة لعمرك".

"شكرًا".

يقول: "أخبريني عن ذلك".

"عن ماذا؟"

"لا أعرف. كل شيء. ثلاثمائة عام وقت طويل. عاصرت حروبًا وثورات. رأيت قطارات وسيارات وطائرات وأجهزة تلفزيون. شاهدت التاريخ وهو يحدث".

تقطب آدي، وتقول: "أعتقد ذلك، لكن لا أعرف؛ التاريخ شيء تنظر إليه في الماضي، وليس شيئًا تشعر به حقًّا في هذا الوقت. في هذه اللحظة، أنت فقط... تعيش. لم أكن أريد أن أعيش إلى الأبد. أردت فقط أن أعيش".

تتكوم في حضنه، ويستلقيان، يلتفان معًا على الأريكة، متشابكين مثل عاشقين في حكاية، ويخيم عليهما صمت جديد، خفيف مثل ملاءة الصيف.

ثم تقول: "إلى متى؟"

يتدحرج رأسه تجاه رأسها: "ماذا؟"

تقول بصوت حذر وخفيف، مثل قدم تختبر أرضًا جليدية: "حين أبرمت صفقتك، ما الأجل الذي حددته لها؟"

يتردد هنري وينظر إلى السقف بدل أن ينظر إليها.

يقول: "طول العمر"، وهذه ليست كذبة، لكن ظلًّا يعبر وجه آدي.

"ووافق؟"

يومئ هنري برأسه ويشدها إليه، منهكًا بكل ما قاله، وكل ما لم يقله.

تهمس: "طول العمر".

الكلمات معلقة بينهما في الظلام.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

IV

يفكر هنري، آدي لا توصف. لكنها لا تُنسَى.

كيف يمكن لأي شخص أن ينسى هذه الفتاة وهي تشغل مساحة كبيرة؟ تملأ الغرفة بالقصص، بالضحك، بالدفء والنور.

جعلها تعمل، أو بالأحرى، وضعت نفسها في العمل، تعيد تخزين الكتب وتعيد ترتيب الرفوف بينما يساعد العملاء.

أطلقت على نفسها اسم شبح، وقد تكون شبحًا بالنسبة للآخرين، لكن هنري لا ينظر إلا إليها.

تتنقل بين الكتب وكأنها أصدقاء. وربما تكون كذلك بطريقة ما. إنها، كما يفترض، جزء من قصتها، وشيء آخر لمسته. تقول، هنا كاتب التقت به ذات يوم، وهنا فكرة راودتها، هنا كتاب قرأته حين ظهر أول مرة. بين الحين والآخر، يلمح هنري الحزن، ولمحات الشوق، لكنها مجرد ومضات، ثم تتضاعف، وتتألق، وتنطلق في قصة أخرى.

يسأل: "هل تعرفين همنجواي؟"

تقول مبتسمة: "التقينا مرة أو مرتين، لكن كوليت[37] كانت أكثر مهارة".

يتابع بوك آدي مثل ظلها. لم يسبق له أن رأى القط مرتبطًا بإنسان آخر، وحين يسأل، تسحب حفنة من المكافآت من جيبها بابتسامة خجولة.

---

37 سيدوني جابريل كوليت (1873-1954): كاتبة وممثلة وصحفية فرنسية.

تلتقي عيونهما الآن عبر المتجر، وهو يعلم أنها قالت إنها ليست محصنة، وأن صفقتيهما تعملان معًا ببساطة، ولكن تظل الحقيقة أنه لا يوجد وميض في هاتين العينين البنيتين. نظرتها صافية. منارة عبر الضباب.

تبتسم، ويصبح عالم هنري أكثر إشراقًا. تستدير مبتعدة، ويكون الظلام هناك مرة أخرى.

تقترب امرأة من مكتب الدفع، وينسحب هنري إلى الخلف.

"وجدت كل ما تحتاجين إليه؟" عيناها بالفعل لبنيتان وفيهما لمعان.

تقول المرأة بابتسامة دافئة: "أوه، نعم"، ويتساءل عما تراه بدلًا من هنري. هل هو ابن أم عاشق أم أخ أم صديق؟

تميل آدي بمرفقيها على الكاونتر.

تنقر على الكتاب الذي يقلبه بين العملاء. مجموعة من الصور الفوتوغرافية الحديثة في نيويورك.

تقول: "لاحظت وجود الكاميرات في شقتك. والصور. إنها صورك، أليس كذلك؟"

يومئ هنري، ويقاوم الرغبة في قول **إنها مجرد هواية**، أو بالأحرى، **كانت هواية ذات يوم**.

تقول: "أنت رائع جدًّا"، وهو كلام لطيف، خاصة إذا ما جاء منها.

يعرف أنه بخير. ربما أفضل قليلًا من الخير، أحيانًا.

أخذ صورًا لرأس لروبي وهما في الكلية، ولكن هذا بسبب عدم قدرة روبي على تحمل تكاليف مصور فوتوغرافي حقيقي. ووصفت موريل صوره بأنها **لطيفة**. مدمرة بتقليديتها.

لكن هنري لم يكن يحاول تدمير أي شيء. لم يكن يريد إلا أن يلتقط شيئا ما.

ينظر إلى الكتاب.

يقول: "هذه صورة عائلية، ليست الموجودة في القاعة، إنها صورة أخرى، من الخلف وأنا في السادسة أو السابعة. كان يومًا فظيعًا. وضعت موريل اللبان في كتاب ديفيد وكنت مصابًا

بنزلة برد، وكان والداي يتقاتلان حتى انطفأ الفلاش. وفي الصورة، نبدو جميعًا... سعداء. أتذكر أنني رأيت هذه الصورة وأدركت أن الصور لم تكن حقيقية. لا يوجد سياق، فقط الوهم بأنك تعرض لقطة لحياة، لكن الحياة ليست لقطات سريعة، إنها سلسة. لذا الصور مثل الخيال. أحببت ذلك فيها. يعتقد الجميع أن التصوير الفوتوغرافي حقيقة، لكنه مجرد كذبة مُقْنعة جدًّا".

"لماذا توقفت؟"

لأن الوقت لا يعمل كالصور.

انقري، وتبقى ثابتة.

طرفة عين، يقفز إلى الأمام.

كان يفكر دائمًا في التقاط الصور كهواية، رصيد طبقة فنية، وحين اكتشف أنه شيء يمكن القيام به، كان الأوان قد فات. أو على الأقل، بدا أنه فات.

كان متأخرًا بأميال كثيرة.

استسلم بالتالي. وضع الكاميرات على الرف مع باقي الهوايات المهجورة. لكن شيئًا ما يتعلق بآدي يجعله يرغب في التقاط صورة مرة أخرى.

ليس معه كاميرا، بالطبع، تليفونه فقط، لكنه، في هذه الأيام، جيد بما فيه الكفاية. يرفعه، يضع آدي في وضع مريح، وأرفف الكتب ترتفع خلفها.

تقول: "لن تنجح"، تمامًا وهنري يلتقط الصورة. أو يحاول. ينقر على الشاشة، لكن لا نقرة، ولا التقاط. يحاول مرة أخرى، وهذه المرة يلتقط التليفون الصورة، لكنها ضبابية.

تقول بهدوء: "قلت لك".

يقول: "لا أفهم. كان ذلك منذ زمن بعيد. كيف تنبأ بفيلم أو تليفونات؟"

تبتسم آدي ابتسامة حزينة. "لم يعبث بالتكنولوجيا. إنها أنا".

يصور هنري الغريب وهو يبتسم في الظلام.

ويغلق التليفون.

مدينة نيويورك

5 سبتمبر 2013

V

يستيقظ هنري على ضجيج حركة المرور في الصباح.

ينتصر على صوت أبواق السيارات، وأشعة الشمس المتدفقة عبر النافذة. يبحث عن ذكريات الليلة الماضية، ولثانية لا يخرج بشيء، لوح أسود مسطح، صمت تام. لكن حين يغمض عينيه، يتشقق الظلام، ويفسح المجال لموجة من الألم والحزن، ومزيج من الزجاجات المكسورة والأمطار الغزيرة، وشخص غريب يرتدي حلة سوداء، محادثة لابد أنها كانت حلمًا.

يعرف هنري أن تابيثا قالت لا - هذا الجزء كان حقيقيًّا، والذاكرة مؤلمة للغاية بحيث لا يمكن أن تكون إلا حقيقة. هذا هو السبب في أنه بدأ الشرب. والشرب قاده إلى البيت خلال المطر، ليستريح على المنحدر قبل الدخول، وهذا مكان الغريب - لكن لا، لم يحدث هذا الجزء.

الغريب ومحادثاتها، تلك كانت مادة القصص، تعليق واضح للعقل الباطن، عبثت شياطينه حتى النهاية في اليأس العقلي.

يهدر صداع في جمجمة هنري بقوة، وهو يحك عينيه بظهر إحدى يديه. ثقل معدني ينقر خده. يحدق ويرى شريطًا جلديًّا داكنًا حول معصمه. ساعة أنالوج أنيقة، بأرقام ذهبية على أرضية من العقيق اليماني. على وجهها عقرب ذهبي واحد يشير إلى منتصف الليل.

لم يلبس هنري ساعة قط.

منظرها، الثقيل وغير المألوف على معصمه، يذكر هنري بالقيد. يجلس، يمسك بالإبزيم، وقد أنهكه الخوف المفاجئ من أن تلازمه، ولا تخلع - ولكن عند أدنى ضغط، يفتح الإبزيم، وتسقط الساعة على اللحاف الملتف.

تهبط ووجهها لأسفل، وهناك، على العكس، يرى هنري كلمتين محفورتين بخط شعري.

عش جيدًا.

يندفع من السرير، بعيدًا عن الساعة، يحدق في الساعة وكأنه يتوقع أن تهاجمه. لكنها تكمن هناك فقط، صامتة. ينبض قلبه فيصدره، عاليًا حتى أنه يمكن أن يسمعه، وعاد في الظلام، والمطر يتساقط خلال شعره والغريب يبتسم ويمد يده.

صفقة.

لكن ذلك لم يحدث.

ينظر هنري إلى كفه ويرى الجروح السطحية، عليها دم متجلط. يلاحظ قطرات حمراء بنية منقطة على الملاءات. الزجاجة المكسورة. كان هذا حقيقيًّا، إذن، أيضًا. لكن يد الشيطان في يده حلم نتيجة حمى. يمكن للألم أن يفعل ذلك، يتسلل من ساعات اليقظة إلى النوم. ذات مرة، أصيب هنري، وهو في التاسعة أو العاشرة، بالتهاب في الحلق، وكان الألم شديدًا لدرجة أنه في كلما دخل في النوم، حلم بابتلاع جمر، وبأنه محاصر في مبانٍ تحترق، والدخان يتصاعد من حلقه. العقل يحاول أن يفهم المعاناة.

لكن الساعة –

يسمع هنري طرق إيقاعي منخفض وهو يقربها من أذنه. لا تصدر أي صوت آخر (في إحدى الليالي، قريبًا، يفككها، ويجد الهيكل خاليًا من التروس، خاليًا من أي شيء يفسر حركة الزحف للأمام).

ومع ذلك فهي صلبة وثقيلة في يده. تبدو حقيقية.

يرتفع صوت الطرقات، ويدرك أنها لا تصدر عن الساعة إطلاقًا. إنها مجرد طرقة صلبة من مفاصل الأصابع على الخشب، شخص ما على بابه. يحبس هنري أنفاسه، وينتظر ليرى إن كان سيتوقف، لكنه لا يتوقف. يتراجع عن الساعة، والسرير، يلتقط قميصًا نظيفًا من ظهر كرسي.

يتمتم: "أنا قادم"، ويسحبه فوق رأسه. تعلق الياقة بنظارته، ويمسك كتفه بإطار الباب، وهو يحلف بهدوء، آملًا على طول الطريق من غرفة النوم إلى الباب الأمامي أن يستسلم الشخص الآخر، ويرحل. لم يفعل ذلك، وبالتالي يفتح هنري الباب، متوقعًا رؤية بيا أو روبي أو ربما هيلين في القاعة، تبحث مرة أخرى عن قطتها.

لكنها أخته موريل.

موريل، التي زارت هنري مرتين بالضبط في السنوات الخمس الماضية. مرة منهما لأنها تناولت كمية كبيرة من شاي الأعشاب في اجتماع غداء ولم تستطع العودة إلى تشيلسي.

يسأل: "ماذا تفعلين هنا؟" لكنها تتخطاه بالفعل، وتزيل وشاحًا زينة أكثر منه عمليًّا.

"هل حضور فرد من الأسرة بحاجة إلى سبب؟" السؤال بلاغي بوضوح.

تستدير، عيناها تجتاحانه، بالطريقة التي يتخيل أنها تكتسح معروضات، وينتظر تقييمها المعتاد، يبدو بعض الاختلاف فيك مثل القرف.

بدلًا من ذلك، تقول أخته: "تبدو جيدًا"، وهو أمر غريب، لأن موريل لم تكن تكذب (فهي "لا تحب تشجيع الغلط في عالم مليء بالكلام الفارغ") ونظرة عابرة في مرآة القاعة كافية لتأكيد أن هنري في الواقع يبدو فظًّا بقدر ما يشعر. وتتابع قائلة: "راسلتني بياتريس ليلة أمس حين لم ترد على تليفونك. أخبرتني عن تابيثا، واستحالة كل شيء. آسفة، يا هنري". موريل تعانقه، وهنري لا يعرف أين يضع يديه. ينتهي بهما الأمر وهما تحلقان في الهواء حول كتفيها حتى تتركه.

"ماذا حدث؟ هل كانت تغشك؟" ويتمنى هنري أن تكون الإجابة بنعم، لأن الحقيقة أسوأ، والحقيقة أنه ببساطة لم يكن جذابًا بدرجة كافية. تتابع موريل: "لا يهم. عليها اللعنة، أنت تستحق أفضل منها".

كاد يضحك، لأنه لا يستطيع حساب عدد المرات التي أشارت فيها موريل إلى أن تابيثا ليست في مستواه.

تحدق في الشقة.

"هل جددت الديكور؟ إنها مريحة حقًا".

يتفقد هنري غرفة المعيشة المليئة بالشموع والأعمال الفنية وبقايا تابيثا الأخرى. الفوضى فوضاه. والأسلوب أسلوبها. "لا".

أخته لا تزال واقفة. لا تجلس موريل أبدًا، ولا تستقر أبدًا، ولا تقبع أبدًا.

تقول: "حسنًا، أرى أنك بخير، ولكن في المرة القادمة، رد على تليفونك". وتضيف، وهي تستعيد وشاحها، في منتصف الطريق بالفعل إلى الباب: "سنه جديدة سعيدة".

يستغرق لحظة ليتذكر.

عيد رأس السنة اليهودية.

ترى موريل الارتباك على وجهه وابتسامته: "كنت ستكون ذلك الحاخام السيئ".

لا يختلف. يعود هنري عادة إلى البيت - وكلاهما يفعل ذلك - لكن ديفيد لم يتمكن من الابتعاد عن مناوبته في المستشفى هذا العام، لذلك وضع والداهم خططًا أخرى.

يسأل الآن: "هل ستذهبون إلى المعبد؟"

تقول موريل: "لا. ولكن هناك عرض في المدينة الليلة، هجين هزلي غريب، وأنا متأكدة من أنه سيكون هناك بعض الألعاب النارية. سأشعل شمعة لشخص ما".

يقول بجفاف: "أمي وأبي سيكونان فخورين للغاية"، لكنه في الحقيقة يشك في أنهما سيفخران بذلك. موريل شتراوس لا تخطئ.

تهز كتفيها: "كل منا يحتفل بطريقتنا الخاصة". تعيد لف الوشاح في مكانه بزخرفته. "أراك في يوم الغفران".

تصل موريل إلى الباب، ثم تستدير نحوه مرة أخرى، وتمد يدها لتنكش شعر هنري. وتقول: "سحابتي العاصفة الصغيرة. لا تدع الأمر يظلم جدًا هناك".

وبعد ذلك ذهبت، وهنري يتراجع على الباب، في حالة ذهول، متعب، ومرتبك تمامًا.

سمع هنري أن الأسى مراحل.

يتساءل إذا كان ذلك يصح بالنسبة للحب.

إذا كان من الطبيعي أن تشعر بالضياع والغضب والحزن والفراغ والارتياح بشكل مرعب إلى حد ما. ربما يخلط هدير الآثار السيئة كل ما يجب أن يشعر به، ويحوله إلى ما يفعله.

يتوقف عند الرواست، المقهى الصاخب المتواضع. لديه فطائر جيدة، ومشروبات لائقة إلى حد ما، وخدمة رهيبة، وهو إلى حد كبير يتسق مع هذا الجزء من بروكلين، ويرى فانيسا تعمل في الخزانة.

تمتلئ نيويورك بالأشخاص الجميلين والممثلين وعارضات الأزياء الذين يعملون في إعداد المشروبات الكحولية والقهوة، يصنعون المشروبات لتغطية الإيجار حتى أول استراحة كبيرة لهم. كان يفترض دائمًا أن فانيسا واحدة من هؤلاء، شقراء بائسة مع رمز صغير لا متناهي موشوم على معصم. يفترض أيضًا أن اسمها فانيسا - هذا هو الاسم الموجود على العلامة المثبتة على مئزرها - لكنها لم تخبره بذلك مطلقًا. لم تقل له أي شيء بهذا الشأن، بالإضافة إلى "ماذا يمكن أن أحضر لك؟"

سوف يقف هنري عند الكاونتر، وتسأله عن طلبه واسمه (بالرغم من أنه كان يأتي إلى هنا ستة أيام في الأسبوع في السنوات الثلاث الماضية، وكانت هناك لمدة يومين من هذه الأيام)، ومن الوقت الذي تضرب فيه قهوته البيضاء المسطحة إلى الوقت الذي تكتب فيه اسمه على الكوب وتنادي على الطلب التالي، لن تنظر إليه أبدًا. سيتحرك بصرها من قميصه إلى الكمبيوتر إلى ذقنه، وسيشعر هنري أنه لا يوجد حتى.

هكذا تسير الأمور دائمًا.

فقط، اليوم، ليس كذلك.

اليوم، حين تأخذ طلبه، تتطلع إليه.

هناك تغير طفيف، بفارق بوصتين، ربما ثلاث بوصات، لكن الآن يمكن أن يرى عينيها، وهما زرقاوان مذهلتان، والنادلة تنظر إليه، وليس لذقنه. تلاحظ نظرته وتبتسم.

تقول: "مرحبًا، ماذا يمكن أن أحضر لك؟"

يطلب قهوة بيضاء مسطحة، ويقول اسمه، وهنا يتوقف. ثم لا ينطق.

تسأل: "يوم ممتع مخطط؟" وتتحدث حديثًا قصيرًا وهي تكتب اسمه على الكوب.

لم تتحدث فانيسا معه حديثًا قصيرًا قط.

يقول: "اعملي فقط"، ويعود انتباهها إلى وجهه. في هذه المرة يلاحظ وميضًا خافتًا - **خطأ** - في عينيها. لا بد أنها خدعة الضوء، لكن لثانية، تبدو مثل صقيع أو ضباب.

تسأل: "ماذا تفعل؟" تبدو مهتمة حقًّا، ويحكي لها عن **الكلمة الأخيرة**، فتسطع عيناها قليلًا. كانت قارئة دائمًا، ولا يمكنها التفكير في مكان أفضل من محل لبيع الكتب. وهو يدفع ثمن الطلب، تتلامس أصابعهما، وتلقي عليه نظرة أخرى: "أراك غدًا، يا هنري".

تنطق النادلة اسمه وكأنها سرقته، ويبدو الأذى في ابتسامتها.

ولا يمكنه معرفة ما إذا كانت تغازله حتى يتناول مشـروبه، ويرى السهم الأسود الصغير الذي رسمته، يشير إلى الأسفل، وحين يقلبه ليرى، يصدر قلبه صوتًا بسيطًا مثل محرك ينقلب.

كتبت اسمها ورقمها في قاع الكوب.

في **الكلمة الأخيرة**، يفتح هنري الحاجز والباب وهو ينهي قهوته. يدير اللافتة ويتحرك لتقديم الطعام لبوك وفتح المتجر ووضع مخزون جديد على الرف حتى يدق الجرس، معلنًا عن زبونه الأول.

يتنقل هنري عبر الأكوام ليجد امرأة كبيرة، تتنقل بين الممرات، من كتب التاريخ إلى الألغاز إلى الرومانسية وتعود مرة أخرى. يمنحها بضع دقائق، ولكن حين تقوم بالدورة الثالثة، يتدخل.

"هل يمكن أن أساعدك؟"

تتمتم: "لا أعرف، لا أعرف"، وكأنها تكلم نفسها، لكنها بعد ذلك تستدير لتنظر إليه، ويتغير شيء في وجهها. "أعني، نعم، من فضلك، آمل ذلك". هناك لمعان باهت جدًّا في عينيها، وهج غير صافٍ، وهي توضح أنها تبحث عن كتاب قرأته بالفعل.

توضح وهي تهز رأسها: "في هذه الأيام، لا أتذكر ما قرأته، وما لم أقرأه، كل شيء يبدو مألوفًا. كل الأغلفة تبدو متشابهة. لماذا يفعلون ذلك؟ لماذا يصنعون كل الأشياء متشابهة؟"

يفترض هنري أن الأمر يتعلق بالتسويق والاتجاهات، لكنه يعلم أن هذا ربما لا يكون مفيدًا. بدلا من ذلك يسأل عما إذا كانت تتذكر أي شيء عنه.

"أوه، لنرَ. كان كتابًا كبيرًا عن الحياة والموت، والتاريخ".

هذا لا يضيق نطاق البحث، لكن هنري معتاد على نقص التفاصيل. عدد الأشخاص الذين حضروا، بحثًا عن شيء رأوه، ولم يتمكنوا من توفير أي شيء بخلاف "كان الغلاف أحمر" أو "أعتقد أنه كان في العنوان كلمة فتاة".

توضح المرأة العجوز: "كان محزنًا وجميلًا. أنا متأكدة من أنه صدر في إنجلترا. يا للهول. عقلي. أعتقد أن الغلاف كان عليه وردة".

تنظر حولها إلى الرفوف، وتلتصق بيديها النحيلتين معًا. ومن الواضح أنها لن تقرر، لذلك عليه أن يقرر. غير مرتاح للغاية، يسحب كتاب تاريخ سميك من أقرب رف للقصص.

يسأل: "هل كان هذا؟" ويعرض عليها **وولف هول**. لكنه يعرف في اللحظة التي يكون فيها في يده أنه ليس الكتاب المقصود. على الغلاف نبات الخشخاش، وليس وردة، ولا يوجد شيء محزن أو جميل بشكل خاص في حياة توماس كرومويل،[38] حتى لو كانت الكتابة جميلة ومؤثرة. يقول: "لا تهتمي"، وهو يحاول بالفعل إعادته حين يضيء وجه المرأة العجوز سرورًا.

تمسك ذراعه بأصابع عظمية: "هذا كل شيء! هذا بالضبط ما كنت أبحث عنه". يواجه هنري صعوبة في تصديق ذلك، لكن فرحة المرأة واضحة جدًّا حتى أنه يبدأ الشك في نفسه.

وهو على وشك تسجيل الثمن. أتكينسون. **الحياة بعد الحياة**. كتاب عن الحياة والموت والتاريخ، حزين ورائع، تدور أحداثه في إنجلترا، مع وردة توأم على الغلاف.

---

38 الشخصية التي يدور حولها كتاب وولف هول، وهي رواية تاريخية صدرت في 2009 للكاتبة البريطانية هيلاري مانتل، وتدور أحداثها في الفترة من 1500 إلى 1535.

يقول: "انتظري"، وهو يتجول حول الزاوية وفي ممر الرواية الأخير لاستعادة الكتاب.

"هل هذا هو؟"

يضيء وجه المرأة، تمامًا كما كان من قبل. تقول، بنفس القناعة: "نعم! أنت ماهر، إنه هو بالضبط".

يقول: "سعيد لأنني أستطيع المساعدة"، غير متأكد مما إذا كان قد ساعد.

تقرر أن تأخذ الكتابين، وتقول إنها واثقة من أنها ستحبهما. ما تبقى من الصباح غريب بالقدر نفسه.

يأتي رجل في منتصف العمر للبحث عن قصة إثارة، ويغادر بكل العناوين الخمسة التي يوصي بها هنري. تأتي طالبة جامعية بحثًا عن كتاب عن الأساطير اليابانية، وحين يعتذر هنري عن عدم وجوده، تتعثر عمليًا لتقول إن هذا ليس خطأه، وتصر على السماح له بطلب الكتاب من أجلها، بالرغم من أنها ليست متأكدة من الفصل الدراسي. تأتي امرأة ببنية عارضة أزياء وفكها أكثر حدة من مطواة للاطلاع على قسم الفانتازيا، وتكتب بريدها الإلكتروني على الإيصال أسفل توقيعها حين تدفع.

يشعر هنري بعدم التوازن، كما شعر حين أخبرته موريل بأنه يبدو جيدًا. الأمر يشبه **رؤية من قبل**، ولا يشبه **رؤية من قبل**،[39] لأن الشعور جديد تمامًا. إنه يشبه كذبة أبريل، حين تتغير القواعد، ويصبح كل شيء لعبة، يشارك فيها الجميع، ولا يزال يتعجب من المواجهة الأخيرة، بوجه على بعض حمرة الخجل، حين يقتحم روبي من الباب، والرنين في أعقابه.

يقول: "يا إلهي"، وهو يلقي بذراعيه حول هنري، وللحظة، يعتقد أن شيئًا فظيعًا حدث، قبل أن يدرك أنه حدث له بالفعل.

يقول هنري: "على ما يرام"، والأمر بالطبع ليس كذلك، لكن اليوم كان غريبًا جدًا حتى أن كل ما حدث من قبل يبدو وكأنه حلم إلى حد ما. أو ربما هذا هو الحلم؟ إذا كان الأمر كذلك، فهو ليس حريصًا على الاستيقاظ. يقول مرة أخرى: "على ما يرام".

39 رؤية من قبل، في الأصل بالفرنسية، في المرتين.

يقول روبي: "لا يجب أن يكون الأمر على ما يرام. أريد فقط أن تعرف أنني هنا، كان ينبغي أن أكون هناك ليلة أمس أيضًا - أردت القدوم حين لم ترد على تليفونك، لكن بيا قالت إنه يجب أن نمنحك مساحة، وأنا لا أعرف لماذا استمعْتُ إليها، أنا آسف".

في عيني روبي لمعان غريب، نظرة تخلو من التعبير يعرفها هنري جيدًا، ويتساءل عما إن كان روبي مهتمًا بشيء ما، أو ما إن كان قد مضى بعض الوقت بدون نوم. بالعودة إلى الكلية، كان روبي ينهمك في المخدرات أو الأحلام أو الأفكار الكبيرة حتى أنه كان يضطر إلى حرق كل طاقته أجهزته، ثم ينهار.

يرن الباب.

تعلن بيا وهي تضرب حقيبتها على الكاونتر: "ابن العاهرة، سافل بعقلية نعامة".

يقول هنري محذرًا: "العملاء"، بالرغم من أن الشخص الوحيد القريب حاليًا عجوز أصم، اسمه مايكل يتردد على قسم الرعب. يسأل روبي بمرح: "لماذا نحن مدينون بهذه نوبة الغضب؟" الدراما تضعه دائمًا في مزاج جيد.

تقول: "مشرفي الأحمق"، وهي تمر بهما نحو قسم الفن وتاريخ الفن. يتشاركان في نظرة ويتبعانها.

يسأل هنري: "لم يعجبه الاقتراح؟"

تحاول بيا الحصول على الموافقة على موضوع أطروحة في الجزء الأكبر من العام.

"رفضه!" تندفع في ممر، كادت أن تسقط كومة من المجلات. يتبعها هنري، ويبذل قصارى جهده لتصحيح الدمار الذي خلفته.

"قال إنه خاص جدًا. كما لو كان عليه أن يعرف معنى الكلمة إذا عصفت به".

يسأل روبي: "تستخدمينها في جملة؟" لكنها تتجاهله، مدت يدها لتسحب كتابًا.

"هذا المنغلق -"

وآخر.

"- عقل قديم -"

مكتبة
t.me/soramnqraa

وآخر.

"-جيفة".

يقول هنري: "هذه ليست مكتبة عامة"، وهي تحمل الكومة إلى الكرسي الجلدي المنخفض في الزاوية وتجلس عليه، كتلة برتقالية من الفراء بين وسادتين باليتين.

تتمتم قائلة: "آسفة، يا بوك"، وهي ترفع القط بحذر شديد على ظهر الكرسي القديم، حيث يعطي أفضل انطباع له عن رغيف خبز غير ملائم. تستمر بيا في بث سيل منخفض من اللعنات وهي تقلب الصفحات.

يقول روبي، وهو يستدير نحو المخزن: "أعرف ما نحتاج إليه تمامًا. ألا تحتفظ ميريديث برصيد من الويسكي في الخلف؟"

وبالرغم من أن الساعة لم تتجاوز الثالثة عصرًا، لا يحتج هنري. يغرق على الأرض، ويجلس وظهره إلى أقرب رف، ورجلاه ممدودتان، ويشعر فجأة بتعب لا يطاق.

تنظر بيا إليه وتتنهد. تبدأ: "آسفة"، لكن هنري يلوح لها بأن تبتعد.

"من فضلك، تخلصي من مشرفك الفني وقسم تاريخ الفن في مكتبتي. يجب على المرء أن يتصرف بشكل طبيعي".

لكنها تغلق الكتاب وتعيده إلى الكومة وتنضم إلى هنري على الأرض.

"هل أستطيع إخبارك بشيء؟" يرتفع صوتها في النهاية، لكنه يعلم أنه ليس سؤالًا. "أنا سعيدة لأنك قطعت علاقتك مع تابيثا".

رمح من الألم مثل الجرح في راحة يده: "هي التي قطعت علاقتها معي".

تلوح بيا بيدها وكأن تلك التفاصيل الصغيرة لا تهم. "إنك تستحق شخصًا يحبك كما أنت. الخير والشر والجنون".

تريد أن تكون محبوبًا. تريد أن تكون كافيًا.

يبلع هنري ريقه: "نعم، حسنًا، لأنني لم أنجح بشكل جيد".

تميل بيا نحوه. "لكن هذا هو المهم، يا هنري، لم تكن أنت. إنك تضيع وقتًا طويلًا على من لا يستحقونك. على من لا يعرفونك، لأنك لا تجعلهم يعرفونك". تحيط بيا وجهه بيديها، ذلك اللمعان الغريب في عينيها. "هنري، أنت ذكي ولطيف ومثير للغضب. أنت تكره الزيتون ومن يتحدثون أثناء الأفلام. تحب الأشياء المصنوعة من اللبن المخفوق من يضحكون حتى البكاء. تعتقد أن التقدم إلى نهاية كتاب جريمة. حين تغضب تصمت، وحين تحزن ترفع صوتك، وتهمهم حين تكون سعيدًا".

"و؟"

تبتعد يداها: "وأنا لم أسمع صوتك منذ سنوات. لكني رأيتك تأكل طنًّا من الزيتون".

عاد روبي ممسكًا بزجاجة وثلاثة أكواب. يخرج العميل الوحيد في الكلمة الأخيرة، ثم يغلق روبي الباب خلفه، ويغلق اللافتة. يأتي ويجلس بين هنري وبيا على الأرض ويفتح الزجاجة بأسنانه.

يسأل هنري: "ماذا نشرب؟"

يقول روبي: "إلى بدايات جديدة"، وما زالت عيناه تلمعان وهو يملأ الأكواب.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

VI

يدق الجرس وتدخل بيا.

تقول: "روبي يريد أن يعرف ما إذا كنت تتجنبه"، بدلًا من أهلًا. يغرق قلب هنري. الجواب نعم، بالطبع، ولا. لا يستطيع هز نظرة الألم في عيني روبي، لكنه ليس اعتذارًا عن الطريقة التي تصرف بها، أو ربما يكون اعتذارًا.

تقول بيا: "سأعتبر الإجابة نعم. وأين كنت مختبئًا؟"

يريد هنري أن يقول، **رأيْتُكِ في حفل العشاء**، لكنه يتساءل عما إذا كانت قد نسيت الليلة كلها، أو الأجزاء التي تتعلق بآدي فقط.

يتحدث: "بيا، هذه آدي".

تستدير بياتريس نحوها، ولثانية، ثانية واحدة فقط، يعتقد هنري أنها تتذكر. الطريقة التي تنظر بها إلى آدي، وكأنها قطعة فنية، لكنها قطعة رأتها من قبل. ورغم كل شيء، يتوقع هنري منها أن تومئ، أن تقول: "أوه، رائع أن أراك مرة أخرى" – وبدلاً من ذلك، تبتسم بيا. تقول: "كما تعلمين، هناك شيء خالد في وجهك"، وقد هزته غرابة الصدى، قوة **الرؤية من قبل**.[40]

لكن آدي تبتسم فقط، وتقول: "سمعت ذلك من قبل". وبيا تواصل فحص آدي، يفحصها هنري.

كانت مصقولة دائمًا بلا رحمة، ولكن اليوم هناك طلاء نيون على أصابعها، لمسة ذهبية في صدغها، ما يشبه مسحوق السكر على جعبتها.

---

40 بالفرنسية في الأصل.

تسأل: "ماذا كنتم **تفعلون**؟"

تنظر إلى أسفل، وتقول: "أوه، كنت في الآرتيفاكت!" وكأن من المفترض أن يعني ذلك شيئًا ما. وهي ترى حيرته، توضح. الآرتيفاكت، وفقًا لبياتريس، كرنفال من ناحية ومعرض فني من ناحية أخرى، مزيج تفاعلي من الإعداد على الهاي لاين.

وبيا تتحدث عن غرف المرايا والقباب الزجاجية المليئة بالنجوم، والغيوم السكرية، والريش من معارك الوسائد، والجداريات المصنوعة من ملاحظات آلاف الغرباء، تتألق آدي، ويعتقد هنري أن من الصعب مفاجأة الفتاة التي عاشت ثلاثمائة سنة.

وبالتالي حين تلتفت إليه، تشرق عيناها وتقول: "علينا أن نذهب"، لا يوجد شيء يفعله. هناك بالطبع مسألة المتجر، حقيقة أنه الموظف الوحيد، وما زالت هناك أربع ساعات على الإغلاق. لكن لديه فكرة.

يمسك هنري بعلامة من علامات الكتب، وهي العلامة الوحيدة من البضائع في المتجر، ويبدأ الكتابة على الجانب الخلفي. ويقول: "مرحبًا يا بيا"، وهو يدفع البطاقة المؤقتة عبر الكاونتر. "هل يمكن أن تغلقي؟"

تقول: "لديَّ حياة"، لكنها بعد ذلك تنظر إلى نص هنري الضيق والمائل.

مكتبة الكلمة الأخيرة.

تبتسم بيا، وتضع البطاقة في جيبها. وتقول وهي تلوح لهما: "استمتعا".

مدينة نيويورك

5 سبتمبر 2013

VII

في بعض الأحيان يتمنى هنري أن يكون لديه قط.

يفترض أنه يمكنه فقط تبني بوك، لكن القط المخطط يبدو أنه لا يمكن أن ينفصل عن **الكلمة الأخيرة**، ولا يمكنه التخلص من الاعتقاد الخرافي بأنه إذا حاول إخراج القط العجوز من متجر الكتب المستعملة، فسوف يتحول إلى غبار قبل أن يصل به إلى البيت.

وهو يعرف أنها طريقة تفكير مزعجة في الأشخاص والأماكن، أو في هذه الحالة في الحيوانات الأليفة والأماكن، ولكنه الغسق، وقد شرب الكثير من الويسكي، وكان على بيا الذهاب لتعليم فصل دراسي وكان لدى روبي عرض لصديق، لذا يكون وحده مرة أخرى، متجهًا إلى شقة فارغة، متمنيًا أن يكون لديه قط أو شيء ما في انتظاره حين يعود إلى البيت.

يختبر العبارة أثناء دخوله.

يقول: "مرحبًا، كيتي، عدت إلى البيت"، قبل أن يدرك أن ذلك يجعله أعزب في الثامنة والعشرين يتحدث إلى حيوان أليف خيالي، وهذا يبدو أسوأ بكثير.

يأخذ بيرة من الثلاجة، يحدق في فتاحة الزجاجات، ويدرك أنها تخص تابيثا. شيء وردي وأخضر على شكل **مصارعة**[41] من رحلة قامت بها إلى مكسيكو سيتي الشهر الماضي. يقذفها جانبًا، ويفتح درج مطبخ بحثًا عن أخرى، ويجد ملعقة خشبية، ومغناطيس فرقة رقص، وحفنة من المصاصات المنحنية السخيفة، ثم ينظر حوله، ويرى عشرات الأشياء الأخرى متناثرة حول الشقة، وكلها تخصها. ينقب في صندوق من الكتب ويخرجها، ويبدأ في ملئه مرة أخرى

41 مصارعة: بالإسبانية في الأصل.

بالصور الفوتوغرافية، والبطاقات، والأغلفة الورقية، وحذاء بالٍ، وكوب، وسوار، وفرشاة شعر، وصورة فوتوغرافية.

ينهي البيرة الأولى، ويفتح الثانية على حافة الكاونتر، ويستمر في الحركة، متنقلًا من غرفة إلى أخرى، موكب منهجي أقل مما هو تجول تائه. بعد ساعة، الصندوق نصف ممتلئ فقط، لكن هنري يفقد قوته. لا يريد أن يفعل هذا بعد الآن، ولا يريد أن يكون هناك، في شقة يشعر بطريقة ما أنها فارغة وفوضوية. مساحة أكبر من أن تسمح بالتفكير. لا يوجد ما يكفي للتنفس.

يجلس هنري بين زجاجات البيرة الفارغة والصندوق نصف الممتلئ لعدة دقائق، وهو وركبتاه ترتجفان، ثم ينهض على قدميه ويخرج.



الميرشنت ممتلئة.

إنها ممتلئة دائمًا - إحدى الحانات المجاورة التي يرجع نجاحها إلى قربها التام أكثر من جودة مشروباتها. مؤسسة محلية. يشير معظم الذين يترددون على الميرشنت إليها ب "الحانة" ببساطة.

يندس هنري بين الحشد، ويمسك كرسيًّا على حافة الكاونتر، على أمل أن تقلل الضوضاء المحيطة بالمكان من شعوره بالوحدة.

مارك في وردية الليلة، بضع وخمسون عامًا بسوالف رمادية وابتسامة رضا. عادة ما يستغرق الأمر عشر دقائق لإبلاغه، ولكن في هذه الليلة، يأتي النادل مباشرة إليه متجاهلًا قائمة الانتظار. يطلب هنري التكيلا، ويعود مارك بزجاجة وكأسين.

يقول وهو يصب كأسًا مطابقًا لنفسه: "على حساب صاحب المحل".

يبتسم هنري ابتسامة باهتة. "هل أبدو بهذه الخشونة؟"

لكن لا توجد شفقة في نظرة مارك، فقط ضوء غريب وخفيف.

يقول، مثل موريل بالضبط: "تبدو رائعًا"، وهذه هي المرة الأولى التي يقول فيها أكثر من سطر واحد، وتقتصر إجاباته عادة على طلبات الشرب والإيماءات. يقرعان كأسيهما معًا، ويطلب هنري كأسًا ثانية وثالثة. إنه يعلم أنه يشرب كثيرًا بسرعة كبيرة، مراكمًا الخمور فوق البيرة من البيت، والويسكي الذي صبه في العمل.

تأتي فتاة إلى الحانة، وتحدق في هنري.

تنأى ببصرها، ثم تحدق فيه مرة أخرى، وكأنها تراه لأول مرة. وهناك مرة أخرى، هذا اللمعان، وشعاع من النور على عينيها وهي تميل إلى الداخل، ويبدو أنه لا يستطيع التقاط اسمها، لكن لا يهم.

يبذلان قصارى جهدهما ليسمع صوتها في هذه الضوضاء، ويدها تستريح في البداية على ساعده، ثم كتفه، قبل أن تنزلق إلى شعره.

تقول: "تعال إلى المنزل معي"، وقد أسره الشوق في صوتها، والرغبة الصريحة. ولكن بعد ذلك يأتي أصدقاؤها ويبعدونها، وأعينهم تلمع وتقول **آسفون**، وتقول **إنك رجل طيب**، وتقول **نتمنى لك ليلة سعيدة**.

ينزلق هنري من على كرسيه ويتجه إلى الحمام، وهذه المرة، يشعر بالتموج، بالرؤوس تتجه نحوه.

يمسك رجل بذراعه ويقول شيئًا عن مشروع للتصوير الفوتوغرافي، كيف يكون مثاليًّا تمامًا، قبل أن يعطيه بطاقته.

تحاول امرأتان جذبه إلى دائرة محادثتهما. وتقول إحداهما: "أتمنى لو أنجبت ابنًا مثلك".

"ابن؟" تقول الأخرى بضحكة صاخبة وهو يفلت ويهرب من القاعة إلى دورات المياه.

يستند على الكاونتر.

ليس لديه فكرة عما يحدث.

يعود تفكيره إلى المقهى ذلك الصباح، رقم فانيسا في قاع الكوب. للعملاء في المتجر، كلهم حريصون على مساعدته. إلى موريل، التي أخبرته بأنه يبدو رائعًا. إلى الضباب الباهت، مثل دخان الشمعة، في أعينهم جميعًا.

ينظر إلى الساعة على معصمه، تتلألأ في ضوء الحمام، وللمرة الأولى، يتأكد أنها حقيقية.

كان الرجل تحت المطر حقيقيًا.

كانت الصفقة حقيقية.

"هاي".

يتطلع ويرى رجلًا بعينين لامعتين يبتسم لهنري وكأنهما أفضل صديقين.

"يبدو أنك تستطيع استخدام البمب".[42]

يمسك برطمانًا زجاجيًا صغيرًا، ويحدق هنري في عمود المسحوق الصغير بالداخل.

كان في الثانية عشرة حين انتشى أول مرة.

أعطاه شخص سيجارة بها حشيش خلف المدرجات، فأحرق الدخان رئتيه، وكاد يتقيأ، وبعد ذلك صار كل شيء لطيفًا... إلى حد ما. أتاح العشب مساحة في جمجمته، وخفف الرعب العصبي في قلبه. لكنه لم يستطع السيطرة على الأماكن التي يؤثر فيها على رأسه. كان الفاليوم والزنكس أفضل، حيث يخففان وطأة كل شيء في وقت واحد، لكنه ظل دائمًا بعيدًا عن الأشياء الصعبة، بدافع الخوف - ليس الخوف من حدوث خطأ ما. على العكس تمامًا: الخوف من أن يبدو على ما يرام. الخوف من الانزلاق، من معرفة أنه لن يكون قويًا بما يكفي للتوقف.

لم يكن قط الانتشاء يتوق إليه، على أي حال، ليس بالضبط.

إنه مجرد الهدوء.

هذا التأثير الجانبي المبهج.

حاول أن يكون أفضل، من أجل تابيثا.

لكن تابيثا ذهبت، ولم يعد الأمر مهمًا على أي حال.

لم يعد.

الآن لا يريد هنري سوى أن يشعر بالرضا.

---

42 البمب bump: كمية صغيرة من عقار محظور تستنشق في صورة مسحوق.

ينقر المسحوق على إبهامه، وليس لديه أي فكرة عما إذا كان يفعل ذلك بشكل صحيح، لكنه يستنشق، ويبدو مثل رجفة برد مفاجئ، وبعد ذلك - ينفتح العالم. التفاصيل واضحة، والألوان ساطعة، وبطريقة ما يصبح كل شيء حادًّا وضبابيًّا في الوقت نفسه.

لابدَّ أن هنري قال شيئًا ما، لأن الرجل يضحك. ثم يمد يده ويمسح بقعة من خد هنري، ويكون التماس مثل صدمة ساكنة، شرارة طاقة حيث يلتقي الجلد بالجلد.

يقول الغريب: "أنت مثالي"،

يقول وهو يتراجع إلى القاعة: "آسف".

ينزلق على الحائط المظلمة، ينتظر حتى يستقر العالم.

مدينة نيويورك

7 سبتمبر 2013

VIII

يا الله، رائع أن يكون المرء مرغوبًا.

في كل مكان يذهب إليه يشعر بالحركة والانتباه يتحول نحوه. يميل هنري إلى الانتباه والابتسامات والدفء والنور. لأول مرة يفهم حقًّا مفهوم انتشاء المرء بالقوة.

إنه مثل إنزال وزن ثقيل بعد فترة طويلة من تعب الذراعين. هناك هذه الخفة الكاسحة المفاجئة، مثل الهواء في الصدر، مثل ضوء الشمس بعد المطر.

رائع أن تكون المستخدِم بدل المستخدَم.

أن تكون من ينال بدل من يخسر.

شعور جيد. إنه لا ينبغي أن يكون كذلك، كما يعلم، ولكنه كذلك.

يقف في طابور مقهى الرواست، في حاجة ماسة إلى القهوة.

كانت الأيام القليلة الماضية ضبابية، في وقت متأخر من الليالي تفسح المجال لصباح غريب، كل لحظة تغذيها المتعة الشديدة لأنك مرغوب، بمعرفة أنهم مهما يروا، يرونه جيدًا، يرونه رائعًا، يرونه مثاليًّا.

إنه مثالي.

وهي ليست مجرد جاذبية مباشرة للشهوة، ليست دائمًا. ينجرف الناس نحوه الآن، كل واحد منهم ينسحب في مداره، لكن السبب مختلف دائمًا. أحيانًا تكون مجرد رغبة بسيطة، لكنها في أحيان أخرى أكثر تحديدًا. أحيانًا تكون هناك حاجة واضحة، وفي أحيان أخرى، لا يستطيع تخمين ما يرونه حين ينظرون إليه.

هذا هو الجزء الوحيد المقلق حقًّا - عيونهم. الضباب الذي يمر من خلالها، يتحول إلى صقيع، ويتحول إلى جليد. تذكير دائم بأن هذه الحياة الجديدة ليست طبيعية تمامًا، وليست حقيقية تمامًا.

لكنها كافية.

"التالي!"

يتقدم للأمام وينظر لأعلى ويرى فانيسا.

يقول: "أوه، مرحبا".

"لم تتصل".

لكنها لا تبدو غاضبة أو منزعجة. إذا كان هناك أي شيء، فإنها تبدو متألقة للغاية، ومتضايقة، لكنه الضيق المستخدم لتغطية الإحراج. يجب أن يعرف - استخدم تلك النغمة عشرات المرات لإخفاء جرحه.

يقول وهو يحمر خجلًا: "آسف. لم أكن متأكدًا مما إذا كان ينبغي عليَّ أن أتصل".

تبتسم فانيسا ابتسامة ماكرة. "هل كان الاسم بالكامل والرقم دقيقين للغاية؟"

يضحك هنري ويسلم تليفونه عبر الطاولة. يقول: "اتصلي بي"، وتنقر رقمها وتضرب على اتصال. يقول هنري، وهو يستعيد التليفون: "هناك، الآن ليس لدي أي عذر".

يشعر أنه أحمق، حتى كما يقول، مثل طفل يتلو سطورًا من الأفلام، لكن فانيسا تحمر خجلًا وتعض شفتها السفلى، ويتساءل عما يحدث إذا طلب منها الخروج معه، في هذه الحالة، إذا كانت تخلع مئزرها وتضعه تحت الكاونتر، لكنه لا يحاول، فقط يقول: "سأتصل".

وهي تقول: "أنت أفضل".

يبتسم هنري، ويستدير ليذهب. يكون قد اقترب من الباب حين يسمع اسمه.

"مستر شتراوس".

تسقط معدة هنري. إنه يعرف الصوت، ويمكنه أن يتخيل الجاكت التويد الذي يرتديه الرجل الأكبر، وشعره الخليط من الأسود والرمادي، ونظرة خيبة الأمل على وجهه حين نصح هنري بالابتعاد عن القسم، والمدرسة، ومحاولة اكتشاف مكان شغفه. كان، لأنه من الواضح لم يكن هناك.

يحاول هنري حشد ابتسامة، ويشعر بأنه يفشل.

يقول: "العميد ميلروز" مستديرًا ليواجه الرجل الذي دفعه بعيدًا عن الطريق.

وها هو لحم وعظم وتويد. ولكن بدلًا من الازدراء الذي اعتاد هنري على رؤيته، بدا العميد سعيدًا. ابتسامة تقسم لحيته الرمادية المشذبة.

يقول: "يا له من حظ. أنت وحده الرجل الذي أردت أن أراه".

يجد هنري صعوبة في تصديق ذلك، حتى يلاحظ الدخان الشاحب يتلوى في عيني الرجل. وهو يعلم أنه يجب أن يكون مهذبًا، لكن ما يريد فعله أن يطلب من العميد أن يلعن نفسه، وبالتالي يأخذ الموقف الوسط ويسأل ببساطة: "لماذا؟"

"في مدرسة اللاهوت منصب شاغر، وأعتقد أنك ستكون مثاليًا له".

كاد هنري يضحك: "لا بد أنك تمزح".

"لا، إطلاقًا".

"لم أكمل دراستي لنيل درجة الدكتوراه مطلقًا. خذلتني".

العميد يرفع إصبعه: "لم أخذلك".

يقف شعر هنري: "هددْتَ، إذا لم أغادر".

قال وهو يبدو آسفًا بصدق: "أعلم، كنْتُ مخطئًا".

ثلاث كلمات متأكد من أن هذا الرجل لم ينطقها قط. يريد هنري تذوقها، لكنه لا يستطيع.

يقول: "لا، كنت على حق. لم أكن مناسبًا. لم أكن سعيدًا هناك. ولا أرغب في العودة".

إنها كذبة. إنه يفتقد البنية، يفتقد المسار، ويفتقد الغرض. وربما لم يكن مناسبًا تمامًا، لكن لا شيء مناسب.

يقول العميد ميلروز ممسكًا بطاقته: "تعال لإجراء مقابلة. اسمح لي بأن أغير رأيك".

"تأخرْتَ".

بيا تنتظر على سلم المكتبة.

يقول وهو يفتح الباب: "آسف"، ويضيف: "ليست مكتبة عامة حتى الآن" وهي تضع فاتورة قيمتها خمسة دولارات على الكاونتر وتختفي في قسم الفنون. إنها تصدر استجابة غير ملزمة، ويمكنه سماعها وهي تسحب الكتب من الرفوف.

بيا الوحيدة التي لم تتغير، الوحيدة التي لا يبدو أنها تعامله بشكل مختلف.

يقول وهو يتبعها في الممر: "هاي، هل أبدو غريبًا بالنسبة لك؟"

تقول: "لا"، وهي تفحص الرفوف.

"بيا، انظري إليَّ".

تستدير، وتنظر إليه نظرة طويلة لأعلى ولأسفل.

"تقصد بجانب أحمر الشفاه على رقبتك؟"

يحمر هنري خجلًا ويمسح بشرته. يقول: "نعم، إلى جانب ذلك".

تهز كتفيها: "لا شيء حقًّا".

ولكن هناك، في عينيها، هذا الوميض الواضح، لمسة خافتة وقزحية الألوان يبدو أنه ينتشر وهي تفحصه. "حقًّا؟ لا شيء؟"

تسحب كتابًا من الرف. تسأل باحثة لثانية: "هنري، ماذا تريد أن أقول؟ تبدو كما أنت".

تسأل: "ما الأمر؟"

عقدت صفقة مع الشيطان والآن كلما نظر إليَّ أي شخص، لا يرى إلا ما يريده. يهز رأسه: "لا شيء. لا تهتمي أبدًا".

تقول، مضيفةً كتابًا آخر إلى مجموعتها: "حسنًا، أعتقد أنني وجدت أطروحة جديدة".

تحمل الكتب إلى الكاونتر، وتفردها فوق دفاتر الحسابات والإيصالات. يراقبها هنري وهي تقلب الصفحات حتى تجد ما تبحث عنه في كل منها، ثم تتراجع، وبالتالي يستطيع أن يرى ما عثرت عليه.

ثلاثة بورتريهات، جميعها أداء فني لشابة، بالرغم من أنها جاءت بوضوح من أوقات مختلفة ومدارس مختلفة. يسأل: "ماذا أرى؟"

"أسميها الشبح في الصورة".

أحدهما رسم بالقلم الرصاص، والحواف خشنة وغير مكتملة. المرأة فيها مستلقية على بطنها، متشابكة في ملاءات. يتجمع الشعر من حولها، ووجهها ليس أكثر من أجزاء من الظل، يتناثر النمش بشكل خافت على خديها. كتب عنوان القطعة باللغة الإيطالية.

Ho Portato le Stelle a Letto

والترجمة الإنجليزية تحتها.

أخذتُ النجوم إلى السرير.

القطعة الثانية فرنسية، وهي صورة تجريدية أكثر، رسمت بالأزرق والأخضر المشرقين المميزين للانطباعية. المرأة تجلس على الشاطئ، بجانبها كتاب مقلوب على الرمال. تنظر بحذر إلى الفنانة، وحافة وجهها فقط مرئية، ونمشها أكثر بقليل من لطخات من الضوء، مع غياب اللون.

هذه الصورة تسمي La Sirène.

صفارة الإنذار.

القطعة الأخيرة نحت ضحل، نحت صورة ظلية التقط من خلال أنفاق ضوئية محددة حفرت على لوح من خشب الكرز.

كوكبة.

تسأل بيا: "هل تراها؟"

"إنها بورتريهات".

تقول: "لا، إنها بورتريهات للمرأة نفسها".

يرفع هنري حاجبه: "هذا امتداد".

"انظر إلى زاوية فكها وخط أنفها والنمش. عدها".

يعدها هنري. وفي كل صورة سبعة بالضبط.

تلمس بيا الأولى والثانية. "الصورة الإيطالية من مطلع القرن التاسع عشر. والفرنسية بعد خمسين عاما. وهذه"، تقول، وهي تنقر على صورة التمثال، "هذه من الستينيات".

يقول هنري: "ربما كانت إحداها مستوحاة من الأخرى. ألم يكن هناك تقليد - نسيت ماذا كان يسمى، ولكن بشكل أساسي التليفون المرئي؟ فنان فصل شيئًا ما، ثم فنان آخر فصل ذلك الفنان، إلخ؟ مثل القالب".

لكن بيا تبعده بيدها بالفعل: "بالتأكيد، في المعاجم والحيوانات، ولكن ليس في المدارس الرسمية للفنون. هذا يشبه وضع فتاة ذات قرط من اللؤلؤ في وارهول، وديجا، دون أن ترى فيرمير أبدًا. وحتى لو أصبحت قالبًا، فإن الحقيقة هي أن هذا 'القالب' أثر على قرون من الفن. إنها قطعة من النسيج الضام بين العصور. وبالتالي..".

يردد هنري: "وبالتالي..".

"إذن، من كانت؟" عينا بيا ساطعتان، بالطريقة التي تسطع بها عينا روبي أحيانًا حين يثبت أداةً للتو، أو يقوم بضربات من فحم الكوك، وهنري لا يريد أن يحبطها، لكنها تنتظر بوضوح أن يقول شيئًا.

يبدأ برفق: "حسنًا. لكن يا بيا، ماذا لو لم تكن واحدة؟ حتى لو كانت هذه تعتمد على المرأة نفسها، فماذا لو كانت من ابتكار الفنان الأول؟" تتجهم بيا، وهي تهز رأسها بالفعل. يقول: "انظري، لا أحد يريد أن تجدي موضوع أطروحتك أكثر مني. من أجل هذا المتجر، بقدر سلامتك العقلية. وهذا كله يبدو رائعًا. لكن ألم يرفض اقتراحك الأخير لأنه غريب أكثر من اللازم؟"

"خاص جدًّا".

يقول هنري: "صحيح، وإذا كان موضوعًا مثل 'ما بعد الحداثة وتأثيراتها على الهندسة المعمارية في نيويورك' خاص جدًّا، فكيف تعتقدين أن يكون شعور العميد باريش حيال هذا؟"

يشير إلى النصوص المفتوحة، والوجوه المنمشة تحدق من كل صفحة.

تنظر بيا إليه في صمت لبرهة طويلة، ثم إلى الكتب.

تصرخ: "اللعنة!" وتلتقط أحد الكتب الضخمة وتغادر المتجر.

يراقبها هنري وهي تذهب وتتنهد. ينادي خلفها: "ليست مكتبة عامة"، ويعيد باقي الكتب إلى رفوفها.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

IX

يهدأ هنري والإدراك يبزغ.

نسي محاولة بيا العثور على أطروحة جديدة، تفاصيل هادئة تختلط بموسم صاخب للغاية، لكن الأمر واضح الآن.

الفتاة في الرسم، اللوحة، التمثال، تتكئ على سياج بجانبه، ووجهها مفتوح ببهجة.

إنهما يسيران عبر تشيلسي في الطريق إلى الهاي لاين، ويتوقف في منتصف الطريق عبر ممر المشاة، مدركًا الحقيقة الواضحة، وميض الضوء، مثل دمعة، في قصته.

يقول: "كانت أنت".

تبتسم آدي ابتسامة رائعة. "كانت".

ينطلق بوق سيارة، وانطفأت الإشارة الوامضة للتحذير، ويركضان إلى الجانب الآخر.

تقول وهما يتسلقان السلالم الحديدية: "إنه أمر مضحك، بالرغم من ذلك، لم أعلم بالثانية. أتذكر أني كنت أجلس على ذلك الشاطئ، أتذكر الرجل مع حامله على الرصيف، لكني لم أجد الصورة المكتملة قط".

يهز هنري رأسه. "اعتقدت أنك لا يمكن أن تتركي علامة".

تقول وهي تنظر إلى أعلى: "لا يمكن. لا يمكن أن أحمل قلمًا. لا يمكن أن أحكي قصة. لا يمكن أن أستخدم سلاحًا أو أجعل شخصًا ما يتذكر. لكن الفن"، تقول بابتسامة أهدأ: "الفن يدور حول الأفكار. والأفكار أخطر من الذكريات. إنها مثل الحشائش، تجد طريقها دائمًا".

"لكن لا توجد صور فوتوغرافية. لا يوجد فيلم".

يتلعثم تعبيرها، مجرد تلعثم بسيط. تقول: "لا"، الكلمة شكل على شفتيها. وينزعج لأنه سأل، لأنه أرجعها إلى قضبان لعنتها، بدلًا من الفجوات التي وجدتها بينها. ولكن بعد ذلك تستقيم آدي، وترفع ذقنها، وتبتسم ببهجة تشبه التحدي.

تقول: "لكن أليس من الرائع أن تكون فكرة؟"

يصلان إلى الهاي لاين والرياح تهب عبره، بالضبط ولا يزال الهواء يحمل لمسات الشتاء، لكن بدلاً من الانطواء أمامه، للاحتماء من النسيم، تنحني آدي للعاصفة البرية، والخدين يحمران من البرد، والشعر يتلاطم حول وجهها، وفي تلك اللحظة، يمكن أن يرى ما رآه كل فنان، وما جذبه إلى أقلام الرصاص وألوانه، هذه الفتاة المستحيلة التي لا يمكن الإمساك بها.

وبالرغم من أن هنري آمن، وقدماه على الأرض بثبات، يشعر بأنه يبدأ في السقوط.

مدينة نيويورك

13 سبتمبر 2013

X

يتحدث الناس كثيرًا عن الوطن.

يقولون إن الوطن حيث يكون القلب. لا يوجد مكان مثل الوطن. إنه بعيد جد وأنت تشعر بالحنين إلى الوطن.

الحنين إلى الوطن - يعرف هنري أنه يفترض أن يعني أن المرء مريض **من أجل** الوطن، وليس بسببه، لكنه لا يزال يبدو صحيحًا. إنه يحب عائلته، يحبها. إنهم فقط لا يعجبونه دائمًا. لا تعجبه نظرتهم له.

ومع ذلك، ها هو، يقود سيارته تسعين دقيقة باتجاه الشمال، تغرق المدينة خلفه وسيارة مستأجرة تطن تحت يديه. يعرف هنري أنه يمكن أن يركب القطار، وهو أرخص بالتأكيد، لكنه في الحقيقة يحب القيادة. أو بالأحرى، يحب الضوضاء الثابتة التي تأتي مع القيادة، الإحساس المستقر بالانتقال من هنا إلى هناك، والاتجاهات، والتحكم. والأهم من ذلك كله، أنه يحب عدم القدرة على فعل أي شيء آخر غير القيادة، اليدان على عجلة القيادة، والعينان على الطريق، والموسيقى تنطلق من مكبرات الصوت.

عرض على موريل أن تركب معه، شعر بالارتياح سرًّا حين قالت إنها في القطار بالفعل، وأن ديفيد وصل في ذلك الصباح وسيأخذها من المحطة، مما يعني أن هنري سيكون آخر من يصل.

هنري دائمًا هو الأخير هناك بطريقة ما.

كلما اقترب من نيوبورج، يتغير الطقس أكثر في رأسه، دمدمة تحذير في الأفق، عاصفة تتدفق. يأخذ نفسًا عميقًا، استعدادًا لعشاء عائلة شتراوس.

يمكنه أن يتخيل، الخمسة يجلسون حول طاولة مغطاة بمفرش مثل تقليد أشكنازي محرج للوحة روكويل،[43] تابلوه صلب، والدته من جهة، ووالده من جهة أخرى، وأخواه جالسان جنبًا إلى جنب في الجانب الآخر من الطاولة.

ديفيد، الدعامة، بعينين صارمتين ووضع ثابت.

موريل، الإعصار، بخصلات شعرها الداكن الجامح وطاقتها الدائمة.

وهنري، الشبح (حتى اسمه لا يناسب - ليس يهوديًا على الإطلاق، ولكنه إشارة إلى أحد أقدم أصدقاء والده).

على الأقل يبدون جزءًا من العائلة - فحص سريع للطاولة، ويمكن للمرء بسهولة التقاط صدى الخد والفك والحاجب. يلبس ديفيد نظارته تمامًا مثل الأب، وتوضع في نهاية أنفه حتى يقطع الخط العلوي من الإطار نظرته. تبتسم موريل مثل الأم، منفتحة وسهلة، تضحك مثلها أيضًا، رأسها متراجع، الصوت مبتهج وممتلئ.

لهنري خصلات الشعر الأسود الفضفاض لوالده، وعينا والدته الخضـراوان الرماديتان، لكن شيئًا ما فقد في الترتيب. يفتقر إلى ثبات أحدهما وبهجة الآخر. وضع كتفيه، خط فمه - هذه الأشياء الدقيقة التي تجعله يبدو دائمًا وكأنه ضيف في منزل شخص آخر. هكذا سيمر العشاء: أبوه وأخوه يتحدثان في الطب، وأمه وأخته تتحدثان في الفن، وهنري يخشى اللحظة التي تتجه فيها الأسئلة نحوه. حين تعرب أمه عن قلقها بشأن كل شيء، ويجد والده عذرًا لاستخدام كلمة منفلت، ويذكره ديفيد بأنه في الثلاثين تقريبًا، وتنصحه موريل بالالتزام، الالتزام حقًا - وكأن الوالدين لا يدفعان فواتير تليفونها.

يترك هنري الطريق السـريع ويشعر بالريح تتصاعد في أذنيه. يمر في وسط البلدة ويسمع رعدًا في جمجمته.

الطاقة الساكنة للتوتر.

إنه يعلم أنه متأخر.

إنه متأخر دائمًا.

---

43 نورمان روكويل (1894-1978): رسام أمريكي.

كانت بداية مشاجرات كثيرة، وكان هناك وقت اعتقد فيه أنه إهمال من جانبه، قبل أن يدرك أنها محاولة غريبة للحفاظ على الذات، تباطؤ متعمد، وإن كان لا شعوريًا، وتأخير لا مفر منه، ضرورة غير مريحة للظهور. يجلس على تلك الطاولة، محاصرًا من أخويه، وعلى الجانب الآخر من والديه وكأنه مجرم أمام فرقة إعدام.

لذلك يتأخر هنري، وحين يرد والده على الباب، يستعد لذكر التوقيت، وعبوس التأنيب، والملاحظة القاطعة حول كيف يتمكن أخوه وأخته دائمًا من الوصول مبكرًا خمس دقائق -

لكن والده يبتسم فقط.

يقول بعينين مشرقتين ودافئتين: "ها أنت ذا!"

ومسحة من ضباب.

ربما لن يكون هذا مثل أي عشاء آخر لعائلة شتراوس.

"انظر من هنا!" يعلن والد هنري، وهو يقوده إلى المكتب.

يقول ديفيد، وهو يصافحه: "لم أرك منذ وقت طويل"، لأنه بالرغم من أنهما يعيشان في نفس المدينة - الجحيم، على نفس خط مترو الأنفاق - آخر مرة رأى هنري شقيقه هنا، في الليلة الأولى من عيد الشموع.

"هنري!" لطخة من الخصلات الداكنة، ثم ألقت موريل ذراعيها حول رقبته. قبلت خده، تاركة لطخة من أحمر الشفاه المرجاني، ينظفها بعد ذلك في مرآة القاعة.

ولا يعلق أي شخص في أي مكان بين المكتب وغرفة الطعام على طول شعره، الذي يكون طويلًا إلى حد ما دائمًا، أو حالة السترة التي يرتديها، وهي مهترئة، ولكنها أيضًا أكثر شيء مريح يمتلكه.

لم يخبره أحد أنه نحيف للغاية، أو أنه يحتاج إلى مزيد من أشعة الشمس، أو أنه يبدو متعبًا، بالرغم من أنها كلها تسبق عادة الملاحظات الغليظة حول أنه لا يمكن أن يكون قويًا بما يكفي لإدارة مكتبة في بروكلين.

تخرج والدته من المطبخ وهي تخلع قفاز الفرن. تحيط وجهه بيديها وتبتسم وتقول له إنها سعيدة للغاية بوجوده.

يصدقها هنري.

يشرب نخب والده حين يجلسون لتناول الطعام. "في صحة العائلة، معًا من جديد".

يشعر وكأنه دخل في نسخة أخرى من حياته – ليست إلى الأمام أو الخلف، ولكنها نسخة جانبية. نسخة تنظر فيها أخته إليه ولا ينظر أخوه إلى أسفل، حيث يفخر به والداه، وقد تلاشت كل الأحكام في الهواء مثل دخان ينبعث من حريق. لم يدرك مقدار القوة التي شكلت الشعور بالذنب. بدون ثقله يشعر بالدوار والدوخة.

مبهج.

لا يوجد ذكر لتابيثا، أو العرض الفاشل، بالرغم من انتشار المعرفة بانفصالهما بالطبع، فإن النتيجة التي وضحت من خلال الكرسي الفارغ لا يحاول أحد حتى حسمها كتقليد عائلي.

في الشهر الماضي على التليفون، حين حكى هنري لديفيد عن الخاتم، تساءل شقيقه، شبه غائب، عما إذا كان يعتقد أنها ستوافق بالفعل. لم تعجبْ موريل قط، لكن موريل لم تعجبها قط أي شريكة لهنري. ليس لأنهن جميعًا رائعات جدًّا بالنسبة له، بالرغم من أنها كانت تقول ذلك أيضًا – ولكن ببساطة لأنها وجدت أنهن **مملات**، وهو امتداد لما شعرت به تجاه هنري نفسه.

كابل تلفزيون،[44] هكذا كانت تصفهن أحيانًا. أفضل من الضجر، بالتأكيد، لكن أفضل بقليل من إعادة العرض.

العشاء كله مقلق جدًّا.

ديفيد دافئ وفضولي.

موريل يقظة ولطيفة.

44 نظام يتم فيه إرسال البرامج التلفزيونية إلى مجموعات المشتركين عن طريق الكبل بدلًا من إشارة البث.

يستمع والده إلى كل ما يقوله ويبدو أنه مهتم حقًّا.

تخبره والدته بأنها فخورة.

يسأل مرتبكًا حقًّا: "بماذا؟" وتضحك وكأن السؤال سخيف.

"بك".

إن غياب الأحكام أمر مزعج، نوع من الدوار الوجودي.

يخبرهم عن لقائه بالعميد ميلروز، وينتظر ديفيد ليشير إلى ما هو واضح، إلى أنه غير مؤهل، وينتظر والده أن يسأله عن السبب الحقيقي. تصمت والدته بينما ترفع أخته صوتها، وتصرخ أنه غير اتجاهاته لسبب ما، وتطلب معرفة الهدف من كل ذلك إذا عاد للتو.

لكن لا شيء من ذلك يحدث.

يقول أبوه: "جيد".

تقول أمه: "سيكونون محظوظين بوجودك".

يقول ديفيد: "ستكون معلمًا جيدًا".

موريل وحدها تقدم ظلال المعارضة. "لم تكن سعيدًا هناك قط..". لكن لا يوجد حكم في الكلمات، فقط حماية شرسة.

بعد العشاء، يتراجع كل منهم إلى زاويته، أمه إلى المطبخ، وأبوه وأخوه إلى المكتب، وأخته تخرج في الليل للنظر إلى النجوم والشعور بالثبات، وهو أمر يكون عادة رمزًا للشعور بالنشوة.

يذهب هنري إلى المطبخ لمساعدة أمه في الأطباق.

تقول وهي تعطيه فوطه: "أغسل، وأنت تجفف". يجدان إيقاعًا لطيفًا، ثم تسلك أمه حلقها.

تقول بصوت منخفض، وكأنها تعرف أن الموضوع من المحرمات: "آسفة على تابيثا، آسفة لأنك ضيعت وقتًا طويلًا عليها".

يقول: "لم يكن الأمر مضيعة للوقت"، بالرغم من الشعور بأنه كان كذلك إلى حد ما.

تشطف طبقًا: "أريد فقط أن تكون سعيدًا. تستحق أن تكون سعيدًا". تلمع عيناها، وهو غير متأكد مما إذا كان الصقيع الغريب أمْ دموعَ أمٍّ ببساطة: "أنت قوي وذكي وناجح".

يقول هنري وهو يجفف طبقًا: "لا أعرف شيئًا عن ذلك. ما زلت أشعر بخيبة أمل".

تقول أمه: "لا تتكلم بهذا الشكل"، ويبدو أنها مجروحة حقًا. تحيط خده بيدها: "أحبك يا هنري، كما أنت بالضبط". تسقط يدها على الطبق. تقول: "اسمح لي أن أنهيه. اذهب وابحث عن أختك".

هنري يعرف مكانها بالضبط.

يخرج إلى الشرفة الخلفية، ويرى موريل تجلس على أرجوحة الشرفة، وتدخن سيجارة بها حشيش وتنظر إلى الأشجار، وتبدو في حالة تأمل. تجلس هكذا دائمًا، وكأنها تنتظر شخصًا لالتقاط صورة. التقطها، مرة أو مرتين، لكنها بدت دائمًا متيبسة للغاية، ومؤطرة جدًّا. ثق في موريل لإلقاء نظرة صريحة على خشبة المسرح.

تصر الألواح قليلًا تحت قدميه الآن، وهي تبتسم بدون أن تنظر. "هاي، هنري".

يسأل وهو يغطس بجانبها: "كيف عرفت أنه أنا؟"

تقول، وتمرر له السيجارة: "خطوتك أخف خطوة".

يسحب هنري نفسًا طويلًا، ويحبس الدخان في صدره حتى يشعر به في رأسه. شعور ضبابي ناعم وصاخب. يمرران السيجارة ذهابًا وإيابًا، ويفحصان والديهما من خلال الزجاج. حسنًا، والداهما وديفيد، الذي يتخلف وراء والدهما، يأخذان الوضع نفسه بالضبط.

تتمتم موريل: "زاحف جدًّا".

"غريب حقًّا".

تضحك ضحكة مكتومة: "لماذا لا نتسكع أكثر؟"

يقول: "أنت مشغولة"، لأنه ألطف من تذكيرها بأنهما ليسا صديقين حقًّا.

تميل برأسها على كتفه: "لدي وقت لك دائمًا".

يدخنان في صمت حتى لا يتبقى شيء للتدخين، وتصرخ والدتها بأن وقت الحلوى قد حان. يقف هنري ورأسه يسبح بطريقة لطيفة.

تسأل: "نعناع؟" وهي تمسك بعلبة، لكن حين يفتحها، يرى كومة من الحبوب الوردية الصغيرة. مظلات. إنه يفكر في هطول المطر، والغريب بجانبه، جاف تمامًا، ويغلق العلبة.

"لا شكرًا".

يعودان إلى الداخل لتناول الحلوى، ويقضيان الساعة التالية يتحدثان عن كل شيء ولا شيء، وكل ذلك جميل جدًّا، وممتع للغاية، وخالٍ تمامًا من الملاحظات الدنيئة، والمشاجرات التافهة، والرفض السلبي، حتى أن هنري يشعر وكأنه ما زال يحبس أنفاسه، ما زال منتشيًا، رئتاه تؤلمانه لكن قلبه سعيد.

ينهض ويضع قهوته جانبًا: "يجب أن أذهب".

تعرض والدته: "يمكنك البقاء"، ولأول مرة منذ عشر سنوات، يُغرَى فعلًا، ويتساءل كيف يكون الأمر حين يستيقظ على هذا، الدفء، والراحة، والشعور بالعائلة، لكن الأمسية كانت مثالية للغاية حقًّا. إنه يشعر وكأنه يسير في هذا الخط الضيق بين ضجة كبيرة وليلة على أرضية الحمام، ولا يريد أن يقلب التوازن أي شيء.

يقول: "يجب أن أعود، المحل يفتح في العاشرة".

"تعمل بجد" شيء لم تقل والدته قط. شيء تقوله الآن على ما يبدو.

يمسك ديفيد بكتفه وينظر إليه بالعينين الداكنتين برحمة ويقول: "أحبك يا هنري. سعيد لأنك تسير بشكل طيب".

موريل تلف ذراعيها حول خصره: "لا تكن مثل غريب".

يتبعه والده إلى السيارة، وحين يمد هنري يده، يجذبه والده ليعانقه، ويقول: "أنا فخور بك، يا بني".

وجزء منه يريد أن يسأل لماذا، ليقدم الطُّعْم، ليختبر حدود هذه التعويذة، للضغط على والده ليتلعثم، لكنه لا يستطيع أن يجبر نفسه على ذلك. إنه يعلم أنها ليست حقيقية، ليست بالمعنى الدقيق للكلمة، لكنه لا يهتم.

لا تزال الأمور تبدو جيدة.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

XI

يتدفق الضحك من الهاي لاين.

أقيمت الحديقة المرتفعة على طول سكة حديدية منتهية الصلاحية، وتمتد أسفل الحافة الغربية لمنهاتن من شارع الثلاثين إلى الشارع الثاني عشر. وهو عادة مكان لطيف، حيث توجد عربات طعام وحدائق وأنفاق ومقاعد ومسارات متعرجة ومشاهد المدينة.

والحديقة، اليوم، شيء مختلف تمامًا.

استهلكت الآرتيفاكت جزءًا من السكة المرتفعة، وحولتها إلى صالة ألعاب رياضية في الغابة بألوان وأضواء تشبه الحلم. منظر طبيعي ثلاثي الأبعاد غريب ومدهش.

عند المدخل، يعطيهم أحد المتطوعين شرائط مطاطية ملونة لارتدائها حول معصميهما. كل شريط يتيح الوصول إلى جزء مختلفة من المعرض.

تقول: "هذا يأخذك إلى السماء"، وكأن الأعمال الفنية عبارة عن جولات في مدينة ملاهي.

"هذا ينقلك إلى الصوت".

"هذا يوصلك إلى الذاكرة".

تبتسم لهنري وهي تتحدث، وعيناها زرقاوان كالحليب. لكن وهما ينتقلان عبر كرنفال المعارض المجانية، يلجأ الفنانون جميعًا لإلقاء نظرة على آدي. قد يكون شمسًا، لكنها مذنب ساطع، يسحب تركيزه مثل نيازك تحترق في أعقابها.

في الجوار، يشكل رجل قطعًا من حلوى شعر البنات على شكل بالونات، ثم يوزع الأعمال الفنية الصالحة للأكل. بعضها أشكال يمكن التعرف عليها - هذا كلب، هذه زرافة، هذا تنين - بينما بعض الأشكال الأخرى مجردة - هذا غروب الشمس، هذا حلم، هذا حنين إلى الماضي.

بالنسبة لهنري، مذاقها كلها مثل السكر.

تقبله آدي، ومذاقها مثل السكر أيضًا.

يدخلهما الشريط الأخضر إلى **الذاكرة**، وتبين أنها مشكال[45] ثلاثي الأبعاد، مصنوع من الزجاج الملون - تمثال يرتفع من كل جانب، ويتحول مع كل خطوة.

يتشبث كل منهما بالآخر والعالم ينحني وينحني من حولهما، ولا يقول أي منهما ذلك، لكنهما، كما يعتقد، يسعدان بالنزهة.

يتدفق الفن في الفراغ بين المعروضات. حقل من أشعة الشمس المعدنية - زهور. مجموعة من أقلام التلوين المذابة. ستارة من الماء، رقيقة كالورق، لا تترك سوى ضباب على نظارته، لمعان قزحي الألوان على جلد آدي.

تبين أن **السماء** تعيش داخل نفق.

من صنع فنان ضوء، إنها سلسلة من الغرف المتشابكة. من الخارج، لا تبدو كثيرًا، الهياكل الخشبية بناء عارٍ، أكثر بقليل من مسمار ومسمار، ولكن من الداخل - كل شيء من الداخل.

يتحركان يدا بيد حتى لا يتوه أحدهما عن الآخر. إحدى المساحات ساطعة بشكل صارخ، والثانية مظلمة للغاية يبدو أن العالم يغرق، وترتجف آدي بجانبه، وأصابعها تتشبث أكثر في ذراع هنري. والتالية شاحبة مع الضباب، مثل أعماق سحابة، وفي التالية، خيوط رفيعة مثل المطر ترتفع وتنخفض على كل جانب. يدير هنري أصابعه في حقل القطرات الفضية، التي تصدر رنينًا مثل الأجراس.

الغرفة الأخيرة مليئة بالنجوم.

---

45 المشكال: لعبة تتكون من أنبوب يحتوي على مرايا وقطع من الزجاج أو الورق الملون، ينتج عن انعكاساته أنماط متغيرة يمكن رؤيتها من خلال فتحة العين عند تدوير الأنبوب.

إنها غرفة سوداء، مماثلة للغرفة التي قبلها، ولكن هذه المرة فقط، تخترق آلاف الأضواء الضئيلة الظلمة، وتقطع مجرة درب التبانة قريبة بما يكفي للمسها – روعة الأبراج. وحتى في الظلام تقريبًا، يستطيع هنري رؤية وجه آدي المقلوب، وحواف ابتسامتها.

تهمس: "ثلاثمائة سنة. ولا يزال بإمكانك العثور على شيء جديد".

حين يخرجان من الجانب الآخر، ويرمشان في ضوء العصر، تسحبه بالفعل، من السماء وإلى الممر التالي، مجموعة الأبواب التالية، حريصة على اكتشاف ما يأتي بعد ذلك.

مدينة نيويورك

19 سبتمبر 2013



XII

مرة يصل هنري مبكرًا.

وهو، كما يظن، أفضل من التأخير، لكنه لا يريد أن يكون مبكرًا جدًّا لأنه أسوأ، بل أغرب - ويحتاج إلى التوقف عن التفكير في الأمر كثيرًا.

يعدل قميصه ويفحص شعره في جانب سيارة متوقفة ويدخل.

إن التكويري[46] منير وصاخب، كهف خرساني في مكان ما، به نوافذ بأبواب كبيرة وشاحنة طعام متوقفة في زاوية الغرفة، ولا يهم إذا كان مبكرًا، لأن فانيسا في الداخل بالفعل.

استبدلت بمريلة النادلة طماقًا وفستانًا مطبوعًا، وشعرها الأشقر، الذي لم يراه إلا مرفوعًا، يتدلى في موجات فضفاضة حول وجهها، وحين تراه، تبتسم.

تقول: "أنا سعيدة أنك اتصلت".

ويبتسم هنري: "وأنا أيضًا".

طلبا الطلبات باستخدام قصاصات من الورق وأقلام رصاص صغيرة لم يرها هنري منذ أن لعب لعبة الجولف المصغر ذات مرة وهو في العاشرة، والأصابع تنظف وهي تشير إلى التاكو وهو يملأها. تتلامس أيديهما مرة أخرى على رقائق البطاطس والسيقان تهتز أسفل الطاولة المعدنية، وفي كل مرة يكون ذلك بمثابة دفقة خفيفة من الضوء داخل صدره.

---

46 التكويري taqueria: مطعم مكسيكي متخصص في التاكو. والتاكو طبق مكسيكي يتكون من التورتيلا المقلية، المطوية عادة، ومليئة بخلطات مختلفة، مثل اللحم المتبل والفاصوليا والخس والطماطم.

ولمرة، لا يتحدث عن نفسه في كل سطر وخارجه، ولا يوبخ نفسه في كل خطوة، ولا يقنع نفسه بأنه يجب أن يقول الصح - ليست هناك حاجة للعثور على الكلمات الصحيحة حين لا يوجد خطأ. ليس عليه أن يكذب، ولا يجب أن يحاول، ولا يجب أن يكون إلا نفسه، لأنه كافٍ.

الطعام رائع، لكن المكان صاخب، والأصوات تتردد في السقوف العالية، وهنري يتأرجح حين يحك شخص كرسيه في الأرض الخرسانية. يقول: "آسف. أعلم أنها ليست هواية".

اختار المكان، ويعرف أنه ربما كان يجب أن يذهبا للتو لتناول المشـروبات، لكنها نيويورك، وتكلفة الكوكتيلات ضعف تكلفة الطعام، وبالكاد يستطيع تحمل هذا حتى بأجر بائع الكتب.

تقول وهي تحرك مياهًا عذبة:[47] "يا صاح، أنا أعمل في مقهى".

"على الأقل تحصلين على بقشيش".

فانيسا تتظاهر بالصدمة: "ماذا، لا بقشيش لبائعي الكتب؟"

"لا".

"ولا حتى حين توصي بكتاب جيد؟"

يهز رأسه.

تقول: "هذه جريمة. يجب أن تضع برطمانًا على الكاونتر".

يضرب بأصابعه على الطاولة: "ماذا أقول؟ **الكتب تغذي العقول الجائعة. البقشيش يغذي القط؟**"

تضحك فانيسا فجأة بتألق. "أنت مضحك جدًّا".

"أنا؟"

تخرج لسانها. "نحاول الحصول على مجاملات، ألسنا كذلك؟"

يقول: "لا. "فضولي فقط. ماذا ترين فيَّ؟"

---

47 مياهًا عذبة agua fresca: بالإسبانية في الأصل. تعني "المياه الباردة" أو "المياه العذبة" حرفيًا، وهي مشروبات خفيفة غير كحولية مصنوعة من فاكهة أو أكثر أو حبوب أو أزهار أو بذور ممزوجة بالسكر والماء.

تبتسم فانيسا، خجولة فجأة: "أنت... حسنًا، يبدو الأمر تافهًا، لكنك بالضبط ما كنت أبحث عنه".

يسأل: "وعم كنت تبحثين؟"

إذا قالت حقيقي، وحساس، ورصين، فربما وافقها. لكنها لا تقول ذلك.

تستخدم كلمات مثل منفتح، مرح، طموح، وكلما تحدثت عنه، زاد الصقيع في عينيها، زاد انتشاره حتى يتمكن بالكاد من تمييز اللون تحته. وهنري يتساءل كيف ترى، لكنها بالطبع لا ترى.

هذا هو الهدف.

وصلوا إلى الميرشنت بعد أسبوع، هو وبيا وروبي، وثلاث بيرة وسلة من البطاطس المقلية بينهم.

تسأل: "كيف حال فانيسا؟"

يقول هنري: "إنها بخير".

وهي بخير. وهو بخير. وهما بخير.

"تراها كثيرًا".

يعبس هنري: "أنت من طلبت مني إخراج تابيثا من حياتي".

ترفع بيا يديها. "أعرف، أعرف".

"إنها جديدة. أنت تعرفين كيف تسير الأمور. إنها – "

يهمهم روبي: "نسخة كربونية".

يلتفت هنري إليه. يسأل منزعجًا: "ما هذا؟ تكلم. أعلم أنهم علموك الإسقاط".

يأخذ روبي رشفة طويلة من البيرة ويبدو بائسًا: "أقول فقط، إنها نسخة كربونية من تابي. هزيلة، شقراء – "

يقول هنري: "لم أطارد فانيسا. اختارتني. إنها معجبة بي".

تسأل بيا: "هل أنت معجب بها؟"

يقول: "بالطبع"، بسرعة كبيرة إلى حد ما. إنه معجب بها. ومن المؤكد أنه معجب أيضًا بأنها معجبة به (**هو** الذي تراه) ويوجد مخطط فن[48] بين الاثنين، مكان يتداخلان فيه. إنه متأكد تمامًا من أنه بأمان في المنطقة المظللة. إنه لا يستخدمها حقًا، أليس كذلك؟ على الأقل، إنه ليس الكائن الوحيد الضحل - إنها تستخدمه أيضًا، ترسم شخصًا آخر على لوحة حياتها. وإذا كان الأمر متبادلًا، حسنًا، فهي ليست غلطته... أليس كذلك؟

تقول بيا: "نريد فقط أن تكون سعيدًا. بعد كل ما حدث، فقط... لا تسرع كثيرًا".

لكن لمرة، ليس هو الشخص الذي يحتاج إلى التمهل.

استيقظ هنري في ذلك الصباح لتناول فطائر برقائق الشوكولاتة وكوب من عصير البرتقال، ملاحظة صغيرة مكتوبة بخط اليد على المنضدة بجانب الطبق عليها قلب وحرف ف. نامت آخر ثلاث ليالٍ، وفي كل مرة، تركت شيئًا وراءها. بلوزة. حذاء. فرشاة أسنان في الحامل بجانب الحوض.

يحدق فيه صديقاه، ولا يزال الضباب الباهت يحوم في أعينهما، وهو يعلم أنهما يهتمان به، ويعرف أنهما يحبانه، ويعرف أنهما يريدان له الأفضل فقط. لابد أن يفعلا ذلك الآن، بفضل الصفقة.

يقول وهو يشرب البيرة: "لا تقلقي، سآخذ الأمر ببطء".

"هنري..".

إنه شبه نائم حين يشعر بها تركض ظفرًا ملونًا على ظهره.

ينسكب الضوء الرمادي الضعيف خلال النوافذ.

يقول، وهو يتقلب: "حسنًا؟"

فانيسا تضع رأسها على يد، والشعر الأشقر يتساقط على الوسادة، ويتساءل كم من الوقت كانت تميل بهذه الطريقة، في انتظار أن يستيقظ، قبل أن تتدخل في النهاية.

---

48 مخطط فن Venn: رسم تخطيطي يمثل المجموعات الرياضية أو المنطقية بشكل تصويري كدوائر أو منحنيات مغلقة داخل مستطيل (المجموعة الشاملة)، تمثل العناصر المشتركة للمجموعات بمناطق التداخل بين الدوائر.

تحدق فيه: وعيناها متجمدتان بهذا الضوء اللبني: "أريد أن أخبرك بشيء ما". بدأ يخشى أن ذلك اللمعان، الدخان الباهت الذي يتبعه من وجه لوجه.

يسأل وهو ينهض على مرفق: "ماذا؟ ما الخطأ؟"

تبتسم: "لا شيء. أنا فقط... أنا أحبك".

والمخيف أنها تبدو وكأنها تعني ذلك.

"ليس عليك أن ترد على ذلك. أعلم أن الأمر سريع. فقط أردت أن تعرف".

تتمايل عليه.

يسأل: "هل أنت متأكدة؟ أعني، مر أسبوع فقط".

تقول: "وماذا في ذلك؟ حين تعلم، تعلم. وأنا أعلم".

يبتلع هنري ريقه ويقبلها من صدغها: "سأستحم".

يقف تحت الماء الساخن أطول فترة ممكنة، متسائلًا عما يفترض أن يقوله ردًّا عليها، وكيف يمكن إقناع فانيسا بأنه ليس حبًّا، إنه مجرد هوس، لكن، بالطبع، ليس هذا أيضًا صحيحًا حقًّا. عقد الصفقة. وضع الشروط. وهذا ما أراده.

أليس كذلك؟

يغلق الماء ويلف الفوطة حول خصره ويشم رائحة دخان. ليست رائحة عود ثقاب يشعل شمعة، أو شيء يغلي على الموقد، ولكن رائحة فحم تحترق عليه أشياء لا يفترض أن تكون على النار، وهي تحترق الآن.

اندفع هنري إلى القاعة، ورأى فانيسا في المطبخ، واقفة على المنضدة، وعلبة أعواد ثقاب في يد، وصندوق من الورق المقوى لأشياء تابيثا يحترق في الحوض.

يسأل: "ماذا تفعلين؟"

تقول وهي تحك عود ثقاب آخر وتلقيه في الصندوق: "تتمسك بالماضي، تتمسك حرفيًّا. كان لديك هذا الصندوق طول الوقت الذي كنا فيه معًا".

يصرخ، لكنها تسرع: "عرفتك لأسبوع فقط!"

"وأنت تستحق الأفضل. تستحق أن تكون سعيدًا. تستحق أن تعيش في الحاضر. هذا أمر جيد. هذه نهاية. هذه -"

ينزع الثقاب من يدها ويدفعها جانبًا، ويمد يده إلى الحنفية.

يئز الماء في الصندوق، ويطلق عمودًا من الدخان بينما يطفئ اللهب.

يقول وهو يصر على أسنانه: "فانيسا، أريد أن تذهبي".

"إلى البيت؟"

"أعني، اذهبي".

تقول وهي تلمس ذراعه: "هنري، أي خطأ ارتكبت؟"

ويمكنه أن يشير إلى البقايا المشتعلة في حوض مطبخه، أو حقيقة أن كل شيء يسير بسرعة كبيرة، أو حقيقة أنها حين تنظر إليه، ترى شخصًا آخر تمامًا. لكن بدلًا من ذلك، قال فقط: "لم ترتكبي أنت خطأ. إنه أنا".

تقول والدموع تنهمر على وجهها. "لا، ليس كذلك".

"أحتاج إلى مساحة، حسنًا؟"

تتنهد، وهي تتشبث به: "آسفة، آسفة. أحبك".

تلتف أطرافها حول خصره، ورأسها مدفون في جانبه، ولثانية، يعتقد أنه قد يضطر إلى إبعادها جسديًا بالقوة.

"فانيسا، لنذهب".

يقودها بعيدًا، وتبدو محطمة ومدمرة. تبدو كما بدا في الليلة التي أبرم فيها الصفقة، ويتحطم قلبه فكرة أنها ستخرج وهي تشعر بذلك الضياع، بتلك الوحدة.

قال وهو يمسك بكتفيها: "أهتم بك. أهتم بك، أهتم".

تشرق إلى حد ما. نبات ذابل يغذيه الماء. "إذن أنت لست مجنونًا؟"

إنه مجنون بالطبع.

"لا لست مجنونًا".

تدفن وجهها في جبهته ويمسد شعرها: "أنت تهتم بي".

"نعم". يفك نفسه. "سوف اتصل بك. أعدك".

"وعدت"، تتردد أصداؤها وهو يساعدها في جمع أغراضها.

"أعدك"، يقولها وهو يقودها إلى القاعة، إلى الخارج.

يُغلق الباب بينهما، ويرجع هنري إلى الخلف بينما يبدأ جرس إنذار الدخان في الرنين أخيرًا.

مدينة نيويورك

23 أكتوبر 2013

XIII

"ليلة الأفلام!"

يقذف روبي بنفسه عبر أريكة هنري مثل نجم البحر، وأطرافه الطويلة تتدلى من الخلف والجانبين. تدحرج بيا عينيها وتدفعه: "وسِّعْ".

يخرج هنري الكيس من الميكروويف، ويثبته من يد إلى أخرى لتجنب البخار. يرمي الفشار في الوعاء.

يسأل، متحركًا حول الكاونتر. "ما الفيلم؟"

"اللمعان".

يزمجر هنري. لم يعجب قط بأفلام الرعب، لكن روبي يحب وجود سبب للصراخ، ويعامل الأمر برمته على أنه نوع آخر من الأداء، وهو أسبوعه للاختيار.

يدافع روبي: "إنه عيد الهالوين!"

يقول هنري: "إنه اليوم الثالث والعشرون"، لكن روبي يعامل العطلات كما يعامل أعياد الميلاد، ويمددها من أيام إلى أسابيع، وأحيانًا إلى مواسم.

تقول بيا: "قراءة قائمة الملابس".

إنه يعتقد أن ارتداء الملابس مثل مشاهدة الرسوم المتحركة، شيء استمتعت به وأنت طفل، قبل أن يمر عبر الأرض الحرام لقلق المراهقين، العصر الساخر في أوائل العشرينيات. وبعد ذلك، بطريقة ما، بأعجوبة، يعود إلى عالم الحقيقة، الحنين إلى الماضي. مكان مخصص للدهشة.

يتخذ روبي وضعًا على الأريكة. يقول: "زيجي ستاردست"،[49] وهذا أمر منطقي. لقد أمضى السنوات العديدة الماضية في العمل من خلال مختلف أشكال تجسيد بوي. العام الماضي كان **الدوق الأبيض النحيف**.

تعلن بيا أنه مثل القرصان المخيف روبرتس، وكان روبي يمد يده ويلتقط كاميرا من طاولة قهوة هنري، وهي كاميرا نيكون عتيقة تستخدم حاليًا ثقالة للورق. يرفع رأسه للخلف، وينظر إلى هنري من عدسة الكاميرا رأسًا على عقب.

"ماذا عنك؟"

أحب هنري عيد الهالوين دائمًا - ليس الجزء المرعب، مبرر التغيير فقط، أن يكون شخصًا آخر. يقول روبي إنه كان يجب أن يصبح ممثلًا، وأن يتنكر على مدار العام، لكن التفكير في الحياة على المسرح يجعله يشعر بالغثيان. كان فريدي ميركوري، وماد هاتر، وتوكسيدو ماسك، وجوكر.

لكنه يشعر، حاليًا، أنه شخص آخر.

يقول، مشيرًا إلى بنطلونه الجينز المعتاد، وقميصه الضيق: "أرتدي زيًّا بالفعل. ألا يمكن أن تعرف من أنا؟"

تغامر بيا: "بيتر باركر؟"

"بائع كتب؟"

"هاري بوتر يعاني من أزمة ربع العمر؟"

هنري يضحك ويهز رأسه.

تضيق بيا عينيها. "لم تختر أي شيء بعد، أليس كذلك؟"

يعترف: "لم أختر، لكنني سأفعل".

---

49 شخصية خيالية من ابتكار الموسيقي الإنجليزي ديفيد بوي وكانت شخصية بوي المسرحية خلال عامي 1972، 1973.

لا يزال روبي يعبث بالكاميرا. يلفها، ويضم شفتيه، ويلتقط صورة. تصدر الكاميرا نقرة فارغة. لا يوجد فيلم. تنزعها بيا من يديه.

تسأل: "لماذا لا تلتقط المزيد من الصور؟ أنت رائع حقًّا".

يهز هنري كتفيه، غير متأكد مما إذا كانت تعني ذلك. يقول: "ربما في حياة أخرى"، وهو يقدم بيرة لكل منهما.

تقول: "لا يزال بإمكانك، كما تعلم. لم يفت الوقت بعد".

ربما، ولكن إذا بدأ الآن، فهل تقف الصور بمفردها، ويصدر حكم بجودتها أو رداءتها بناء على مزاياها الخاصة؟ أم أن كل صورة ستدفع أمنيته إلى الأمام؟ هل يرى كل شخص الصورة التي يريد أن يراها، بدلًا من الصورة التي صنعها؟ هل يثق بهم لو فعلوا ذلك؟

يبدأ الفيلم، ويصر روبي على إطفاء جميع الأضواء، والثلاثة محشورون معًا على الأريكة. إنهما يجبران روبي على ترك وعاء الفشار **على الطاولة** حتى لا يتمكن من رميها في أول لحظة رعب، ولا يضطر هنري إلى التقاط الحبوب بعد ذهابهم، ويقضي الساعة التالية في تفادي عينيه كلما صدر تحذير.

حين دحرج الصبي دراجته ثلاثية العجلات إلى القاعة، تتمتم بيا: "لا، لا، لا"، ويجلس روبي إلى الأمام، مائلًا إلى الذعر، ويدفن هنري وجهه في يديه. تظهر الفتاتان التوأم، يدا بيد،

وحين تمر اللحظة

ينهض هنري ويأخذ وعاء الفشار الفارغ ويتجه إلى المطبخ.

روبي يرفع ساقه على ظهر الأريكة: "سوف أساعد".

يقول هنري بحذر وهو يدور حول الزاوية. يمزق الغلاف البلاستيكي ويهز الكيس: "إنه فشار. أنا متأكد من أنني وضعت الكيس في الميكروويف وضغطت على الزر".

يقول روبي، من خلفه مباشرة: "دائمًا ما تتركه أكثر من اللازم".

يرمي هنري الكيس في الميكروويف ويغلق الباب. يضغط للتشغيل، ويعود نحو الباب: "إذن أنت الآن شرطي الفشار -"

"تصيح بيا: "كم من الوقت يستغرق صنع الفشار؟"

تنبعث رائحة احتراق من الميكروويف، ويدفع هنري روبي إلى المطبخ، ويضغط على زر الإيقاف، ويسحب الكيس للخارج.

لكن فات الأوان.

احترق الفشار بشكل لا رجعة فيه.

مدينة نيويورك

14 نوفمبر 2013

XIV

نشكر الرب، في بروكلين مقاهٍ كثيرة.

لم يعد هنري إلى الرواست منذ الحريق الكبير في عام 2013، كما وصف روبي حادثة فانيسا كلها (بمزيد من المرح إلى حد ما). وصل إلى مقدمة الصف وطلب قهوة لاتيه من رجل لطيف جدًّا يُدعى باتريك، يتطلع إليه بعينين غائمتين ولكن يبدو أنه يرى فقط زبونًا مثاليًّا، شخصًا ودودًا، ومقتضبًا، و-

"هنري؟"

يفزع. لأنه يعرف هذا الصوت العالي والعذب، يعرف كيف ينحني حول اسمه، وهذه الليلة مرة أخرى، وهو يركع على ركبة واحدة مثل الأحمق وهي تقول لا.

أنت رائع. أنت رائع حقًّا. ولكنك لا...

يستدير، وها هي.

"تابيثا".

شعرها أطول قليلًا، وتحول شعر المقدمة إلى امتداد أشقر عبر جبهتها، وجديلة على خدها، وهي تقف بحركة سهلة لراقصة بين أكثر من وضع. لم يرها هنري منذ تلك الليلة، وتمكن حتى الآن من تجنبها وتجنب ذلك. ويريد أن يتراجع، أن يضع أكبر مسافة ممكنة بينهما. لكن ساقيه ترفضان الحركة.

تبتسم له، مشرقة ودافئة. يتذكر أنه كان يحب تلك الابتسامة، وكان يشعر بانتصار كلما لمحها. الآن تمنحها له ببساطة، بعينين بنيتين يكسوهما ضباب.

تقول: "اشتقت إليك. اشتقت إليك بشدة".

يقول: "اشتقت إليك أيضًا"، لأنها الحقيقة. سنتان من الحياة معًا، تحل محلها حياة منفصلة، وتكون هناك دائمًا مساحة فارغة في شكلها. يقول: "كان لدي صندوق من أشيائك، لكن حدث حريق".

تلمس ذراعه: "يا إلهي. هل أنت بخير؟ هل تعرض أحد للأذى؟"

يهز رأسه، مفكرًا في فانيسا تقف عند الحوض: "لا، لا. كان... على ما يحتوي".

تتأرجح تابيثا نحوه: "أوه، جيد".

عن قرب، تنبعث منها رائحة تشبه الليلك. استغرق الأمر أسبوعًا حتى تتلاشى تلك الرائحة من فراشه، وأخرى حتى تختفي من وسائد الأريكة، وفوط الحمام. تميل إليه، ويكون الاستلقاء سهلًا جدًا، والاستسلام للجاذبية الخطيرة، الجاذبية المألوفة لشيء محبوب، ضاع، ثم عاد.

لكن الأمر ليس حقيقيًا.

ليس حقيقيًا.

يقول، وهو يصدها: "تابيثا، أنت التي أنهيت الأمر".

تهز رأسها: "لا. لم أكن مستعدة لاتخاذ الخطوة التالية. لكني لم أرغب قط في أن ينتهي. إنني أحبك يا هنري".

وبالرغم من هذا كله، يتلعثم. لأنه يصدقها. أو على الأقل، يعتقد أنها تصدق نفسها، وهذا أسوأ، لأنه لا يجعل الأمر حقيقيًا.

تسأل: "ألا يمكن أن نحاول مرة أخرى؟"

يبلع هنري ريقه ويهز رأسه.

يريد أن يسألها عما تراه، ليفهم الفجوة بين ما كان عليه وما كانت تريده. لكنه لا يسأل.

لأن الأمر في النهاية لا يهم.

يطمس الضباب رؤيتها. وهو يعلم أنه ليس هو بصرف النظر عمن تراه.

لم يكن قط.

لن يكون أبدًا.

لذا يتركها تمضي.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

XV

يقدم هنري وآدي الأشرطة المطاطية الخاصة بهم إلى الآرتيفاكت، ويضحيان بلون في كل مرة.

بالنسبة للشريط الأرجواني، يمشيان عبر البرك، وهي برك سُمْكها بوصة تتموج حول أقدامهما. تحت الماء، تتكون الأرض من مرايا متلألئة تعكس كل شخص وكل شيء. تحدق آدي في شرائط الحركة، والتموجات تتلاشى، وإذا انتهت حركتها قبل حركته، من الصعب أن تعرف.

بالنسبة إلى اللون الأصفر، يُوجَّهان إلى مكعبات عازلة للصوت بحجم الخزائن، وتلك التي تضخم الضوضاء، وأخرى يبدو أنها تبتلع كل نفس. وهي عبارة عن قاعة مرايا، أسطحها المقوسة تفسد الصوت بدل أن تعكسه.

الرسالة الأولى تطلب منهما أن يهمسا، الكلمة المطبوعة على الحائط بخط صغير أسود، وحين تهمس آدي "لدي سر"، تنطوي الكلمات وتلتف حولها.

في المرة التالية تطلب منهما أن يصيحا، هذه الكلمة المرسومة بحجم الجدار المكتوبة عليه. لا يستطيع هنري أن يطلق صيحة صغيرة حذرة، لكن آدي تسحب نفسًا وتزأر، وكأنها قطار يمر تحت جسر، وشيء ما في حريته التي لا تعرف الخوف يمنحه الهواء وفجأة يفرغ رئتيه، وينطلق الصوت الحلقي وينكسر، وحشيًا مثل صرخة.

وآدي لا تنكمش. ترفع صوتها ببساطة، ويصيحان معًا لاهثين، ويصرخان بصوت أجش، ويتركان المكعبات وهما يشعران بدوار ودوخة. تؤلمه رئتاه في اليوم التالي، والأمر يستحق ذلك.

حين يحين وقت الخروج، يندفع الصوت عائدًا إلى آذانهما، الشمس تغرب، والغيوم تتوهج، إحدى ليالي الربيع الغريبة التي تلقي ضوءًا برتقاليًا على كل شيء.

يمشيان إلى أقرب سياج وينظران إلى المدينة، والضوء ينعكس على المباني، ويظهر غروب الشمس عبر الفولاذ، ويضمها هنري، ويقبل انحناء رقبتها، ويبتسم في طوقها.

إنه نشط وسكران إلى حد ما، وأسعد مما كان في أي وقت.

وآدي أفضل من أي مظلة وردية صغيرة.

إنها أفضل من الويسكي القوي في ليلة باردة.

أفضل من أي شيء شعر به في عصور.

حين يكون هنري معها، يسرع الوقت ولا يخيفه.

حين يكون مع آدي، يشعر بأنه على قيد الحياة، ولا تؤلمه.

تتكئ عليه، وكأنه المظلة، وهي في حاجة إلى مأوى. وهنري يحبس أنفاسه، وكأن ذلك يبقي السماء مرتفعة. كأن ذلك يمنع الأيام من أن تمضي.

وكأن ذلك يمنع كل شيء من السقوط.

مدينة نيويورك

9 ديسمبر 2013

XVI

تقول بيا دائمًا إن العودة إلى الحرم الجامعي تشبه العودة إلى البيت.

لكن لا يبدو الأمر كذلك بالنسبة لهنري. ومرة أخرى، لم يشعر قط في **البيت** بأنه في البيت، مجرد إحساس غامض بالرهبة، المشي على قشر البيض لشخص معرض باستمرار لخطر الإحباط. وهذا إلى حد كبير ما يشعر به الآن، لذا ربما تكون على حق، بالرغم من كل شيء.

يقول العميد مادًّا يده عبر المكتب: "مستر شتراوس، أنا سعيد للغاية لنجاحك".

يتصافحان، ويجلس هنري على كرسي المكتب. الكرسي نفسه الذي جلس عليه قبل ثلاث سنوات حين هدده العميد ميلروز بالرسوب إذا لم يكن لديه الحس بالمغادرة. والآن–

تريد أن تكون كافيًا.

يقول: "آسف، استغرق الأمر مني وقتًا طويلًا"، لكن العميد يلوح بالاعتذار.

"أنا متأكد من أنك رجل مشغول".

يقول هنري: "صحيح"، وهو يغير وضعه في مقعده. تزعجه بدلته؛ مكثت شهورًا طويلة جدًّا بين النفتالين في الجزء الخلفي من الخزانة. لا يعرف ماذا يفعل بيديه.

يقول بحرج: "هكذا، قلت إن هناك منصبًا شاغرًا، في مدرسة اللاهوت، لكنك لم تقل ما إذا كان أستاذًا مساعدًا أم مدرسًا مساعدًا".

"إنه منصب".

يحدق هنري في الرجل الأشيب عبر الطاولة، ويضطر إلى مقاومة الرغبة في الضحك في وجهه. إن مسار المنصب ليس مرغوبًا فيه فحسب، بل إنه عنيف. يقضـي الناس سنوات يتنافسون على تلك المناصب.

"وفكرْتَ فيَّ".

قال العميد بابتسامة جمع التبرعات: "في اللحظة التي رأيتك فيها في ذلك المقهى".

تريد أن تكون ما يريدون.

يجلس العميد على كرسيه: "السؤال، مستر شتراوس، بسيط. ماذا تريد لنفسك؟"

يتردد صدى الكلمات في رأسه، يتردد في تناسق رهيب.

إنه السؤال نفسه الذي طرحه ميلروز في ذلك اليوم الخريفي حين اتصل بهنري في مكتبه، بعد ثلاث سنوات من الدكتوراه، وأخبره أن الأمر انتهى. على مستوى ما، كان هنري يعلم أن ذلك آت. وقد انتقل بالفعل من المدرسة اللاهوتية إلى برنامج الدراسات الدينية الأوسع، حيث كان التركيز يتراوح بين الموضوعات التي اكتشفها بالفعل مائة شخص، غير قادرين على إيجاد أرضية جديدة، وغير قادرين على تصديقها.

سأل: "ماذا تريد لنفسك؟" وفكر هنري في قول **فخر والديَّ**، لكنها لم تكن إجابة جيدة، لذلك قال الشـيء التالي الأصدق - إنه بصراحة لم يكن متأكدًا. مرت سنوات بطريقة ما في غمضة عين، وحفر الجميع خنادقهم، ومهدوا طرقهم، وهو لا يزال يقف في حقل، غير متأكد من المكان الذي يجب أن يحفر فيه.

استمع العميد واتكأ بمرفقيه على الطاولة وقال له إنه جيد.

لكن الجيد لم يكن كافيًا.

مما يعني بالطبع أنه لم يكن كافيًا.

"ماذا تريد لنفسك؟" يسأل العميد الآن. وهنري ليست لديه أي إجابة أخرى.

"لا أعرف".

وهذا هو الجزء الذي يهز فيه العميد رأسه، حيث يدرك أن هنري شتراوس لا يزال ضائعًا كما كان دائمًا. فقط لا يعرف، بالطبع. يبتسم ويقول: "رائع. رائع أن تكون منفتحًا. لكنك تريد العودة، أليس كذلك؟"

هنري صامت. يفكر في السؤال.

كان يحب التعلم دائمًا. أحبه حقًّا. إذا استطاع قضاء حياته كلها جالسًا في قاعة محاضرات، يدون الملاحظات، لكان من الممكن أن ينتقل من قسم إلى آخر، ويتابع الدراسات المختلفة، ويستوعب اللغة والتاريخ والفن، ربما شعر بالامتلاء والسعادة.

هكذا أمضى أول عامين.

وأول عامين، كان سعيدًا. كان لديه بيا وروبي، وكل ما كان عليه فعله هو التعلم. بناء الأساس. كان المنزل، الذي من المفترض أن يبنيه فوق ذلك السطح الأملس، كانت هذه هي المشكلة.

كانت كذلك بالضبط... دائمة.

أصبح اختيار الفصل اختيار تخصص، وأصبح اختيار التخصص اختيار مهنة، وأصبح اختيار مهنة اختيار حياة، وكيف يفترض أن يفعل أي شخص ذلك، حين كان لديه حياة واحدة فقط؟

لكن التدريس والتعليم قد يكون وسيلة للحصول على ما يريد. التدريس امتداد للتعلم، وطريقة لتكون طالبًا دائمًا.

ومع ذلك: "لسْتُ مؤهلًا يا سيدي".

يعترف العميد قائلاً: "أنت اختيار غير تقليدي، لكن هذا لا يعني أنك الاختيار الخطأ".

باستثناء هذه الحالة، هذا بالضبط ما تعنيه.

"لم أحصل على الدكتوراه".

ينتشر الصقيع في لمعان من الجليد عبر رؤية العميد: "لديك منظور جديد".

"أليست هناك متطلبات؟"

"هناك، ولكن هناك مقياسًا لحرية التفكير، لحساب مختلف الخلفيات".

"أنا لا أؤمن بالله".

تتساقط الكلمات مثل الحجارة، وتهبط ثقيلة على المكتب بينهما.

ويدرك هنري، الآن بعد أن خرجت، أنها ليست حقيقية تمامًا. إنه لا يعرف ما يؤمن به، لم يعرف منذ فترة طويلة، ولكن من الصعب أن يستبعد تمامًا وجود قوة أعلى حين باع روحه مؤخرًا لروح أدنى.

يدرك هنري أن الغرفة لا تزال هادئة.

ينظر إليه العميد لحظة طويلة، ويعتقد أنه فعلها، لقد نجح.

لكن ميلروز يميل إلى الأمام، ويقول بنبرة محسوبة: "ولا أنا أيضًا". يرجع إلى الخلف في جلسته. "مستر شتراوس، إننا مؤسسة أكاديمية، ولسنا كنيسة. الاختلاف جوهر الانتشار".

لكن هذه هي المشكلة. لا أحد يعارض. ينظر هنري إلى العميد ميلروز، ويتخيل رؤية القبول الأعمى نفسه على وجه كل عضو هيئة تدريس، وكل معلم، وكل طالب، ويشعر بالانزعاج. سينظرون إليه ويرون بالضبط ما يريدون. من يريدون. وحتى لو صادف شخصًا يريد الجدال، ويستمتع بالصراع أو الجدل، فلن يكون ذلك حقيقيًا.

لن يكون أي من ذلك حقيقيًا مرة أخرى.

على الجانب الآخر من الطاولة، تبدو عينا العميد بلون رمادي حليبي: "يمكنك الحصول على أي شيء تريده، مستر شتراوس. كن أي شخص تريد. ونود أن تكون هنا". يقف ويمد يده: "فكر في الأمر".

يقول هنري: "سأفكر".

ويفكر.

يفكر فيه في الطريق عبر الحرم الجامعي، وفي مترو الأنفاق، كل محطة تنقله بعيدًا عن تلك الحياة. ما كان وما لم يكن. يفكر في الأمر وهو يفتح المتجر، ويتجاهل المعطف غير المناسب

ويقذفه على أقرب رف ويفك ربطة العنق عند حلقه. يفكر في الأمر وهو يطعم القط، ويفرغ أحدث صندوق من الكتب، ويمسكها حتى تتألم أصابعه، لكنها على الأقل صلبة، وهي حقيقية، ويمكنه أن يشعر بسحب العاصفة تتشكل في رأسه، لذا يذهب إلى الغرفة الخلفية، ليجد زجاجة ويسكي ميريديث، وهي كمية قليلة متبقية من اليوم التالي لصفقته، ويحملها إلى مقدمة المتجر.

إنها ليست حتى الظهيرة، لكن هنري لا يهتم.

يسحب الفلين ويملأ فنجان القهوة بينما يتدفق العملاء، في انتظار شخص ما يلقي عليه نظرة قذرة، أو يهز رأسه في رفض، أو يتمتم بشيء، أو حتى يغادر. لكنهم جميعًا يواصلون التسوق ويبتسمون ويواصلون النظر إلى هنري وكأنه لا يمكن أن يقترف أي خطأ.

في النهاية، يدخل شرطي خارج الخدمة، ولا يحاول هنري حتى إخفاء الزجاجة من الخزانة. بدلًا من ذلك، ينظر مباشرة إلى الرجل ويرشف رشفة طويلة من كوبه، واثقًا من أنه يخالف بعض القوانين، إما بسبب الحاوية المفتوحة، أو السكر على الملأ.

لكن الشرطي يبتسم فقط ويرفع كأسًا وهمية. ويقول: "في صحتك"، وتتجمد عيناه وهو يتكلم.



اشرب كلما سمعت كذبة.

أنت طباخ رائع.

(يقولون وأنت تحرق الخبز المحمص).

أنت مضحك جدًّا.

(لم تمزح قط).

أنت...

... وسيم.

... طموح.

... ناجح.

... قوي جدًّا.

(هل تشرب مع ذلك؟)

أنت جدا...

... ساحر.

.. ماهر.

. . . جذاب.

(يشرب).

واثق جدًّا.

خجول جدًّا.

غامض جدًّا.

منفتح جدًّا.

أنت مستحيل، مفارقة، مجموعة متناقضة.

أنت كل شيء للجميع.

الابن الذي لم ينجبوه قط.

الصديق الذي طالما أرادوه.

غريب كريم.

ابن ناجح.

رجل مثالي.

شريك مثالي.

ممتاز...

ممتاز ...

(يشرب).

يحبون جسدك.

قيمك المطلقة.

ضحكتك.

رائحتك.

نبرة صوتك.

يريدونك.

(ليس أنت).

إنهم بحاجة إليك.

(ليس أنت).

إنهم يحبونك.

(ليس انت).

•

أنت من يريدون أن تكون.

أنت أكثر من كافٍ، لأنك لست حقيقيًا.

أنت مثالي، لأنك غير موجود.

(ليس أنت).

(لم تكن قط).

ينظرون إليك ويرون ما يريدون...

لأنهم لا يرونك على الإطلاق.

مدينة نيويورك

31 ديسمبر 2013

XVII

الساعة تدق، تمر الدقائق الأخيرة من العام. يقول كل شخص إنه يعيش الآن، يستمتع باللحظة، ولكن من الصعب حين تتضمن هذه اللحظة حشر مائة شخص في شقة محددة الإيجار في بيد ستاي[50] يتقاسمها روبي مع ممثلين آخرين. هنري محاصر في زاوية القاعة، حيث يلتقي رف المعاطف بخزانة. معه بيرة معلقة من يده واليد الأخرى متشابكة في قميص المرأة التي يقبلها، امرأة خارج رابطة هنري بالتأكيد، أو يبدو كذلك، إذا كان هنري لا يزال لديه رابطة.

يعتقد أن اسمها ماريا، لكن كان من الصعب أن يسمع في كل هذه الضوضاء. هنري لا يعرف. ويريد أن يقول إنها أول شخص يقبله الليلة، لكنه في الحقيقة غير متأكد من ذلك أيضًا. ليس متأكدًا من عدد المشروبات التي تناولها، أو ما إذا كان طعم السكر الذي يذوب على لسانه الآن سكر أو أي شيء آخر.

كان هنري يشرب كثيرًا جدًّا، وبسرعة كبيرة، يحاول أن ينسى، والقلعة فيها عدد كبير.

القلعة، هكذا كانوا يسمون مكان روبي، بالرغم من أن هنري لا يتذكر بالضبط متى عمدوه بهذا الاسم، أو لماذا. يبحث عن بيا، التي لم يرها منذ أن توغل بين الحشد في المطبخ قبل ساعة، رآها قابعة على الكاونتر، تلعب دور ساقي الحانة وتهتم بمجموعة من النساء و–

فجأة تتحسس ماريا حزام هنري.

يقول "انتظري"، لكن الموسيقى عالية بما يكفي فيضطر إلى الصراخ، ويضطر إلى أن يسحب أذن ماريا؟ ناحية فمه، الأمر الذي تعتبره ماريا إشارة إلى أن تواصل تقبيله.

---

50 بيد ستاي Bed-Stuy: اختصار بيدفورد ستايفسانت، حي في نيويورك.

يصيح، ويدفعها للخلف: "انتظري، هل تريدين هذا حتى؟"

يا له من سؤال غبي. أو خطأ على الأقل.

الدخان الشاحب يتموج في عيني الغريبة. تسأل: "لماذا لا؟" وهي تنزل على ركبتيها. لكن هنري يمسك بكوعها.

يوقفها: "قفي. توقفي. ماذا ترين فيَّ؟"

سؤال كان عليه أن يطرحه على الجميع، على أمل سماع شيء يشبه الحقيقة. لكن ماريا تنظر إليه، وعيناها مغمورتان بالصقيع، وتقذف بالكلمات: "أنت رائع. مثير. ذكي".

يصرخ هنري ليتغلب على صوت الموسيقى: "كيف عرفتي؟"

تصرخ بدورها: "ماذا؟"

"كيف تعرفين أنني ذكي؟ لم نتحدث تقريبًا".

لكن ماريا؟ تبتسم فقط ابتسامة قذرة بعينين مغلقتين، وفمها أحمر، وتقول: "أعرف فقط"، ولم يعد ذلك كافيًا، لم يعد الأمر مقبولًا، وهنري يخلص نفسه

تبدأ الغرفة في الدوران، ويتمتم هنري بشيء عن الاضطرار إلى التبول، لكنه يمشي مباشرة عبر المرحاض إلى غرفة روبي، ويغلق الباب خلفه. يذهب إلى النافذة، ويفتح الزجاج، ليصفع وجهه كله تيار من البرد الجليدي. يلدغ جلده وهو يتسلق سلم الطوارئ هروبًا من النار.

يمتص نفسًا من الهواء البارد، ويتركه يحرق رئتيه، ويضطر إلى أن يميل على النافذة ليغلقها مرة أخرى، ولكن في اللحظة التي يغلق فيها الزجاج، يسكت العالم.

ليس **هادئًا** - نيويورك لا تهدأ أبدًا – وقد أرسلت السنة الجديدة تيارًا من التموجات عبر المدينة، ولكن على الأقل يمكنه أن يتنفس، ويمكن أن يفكر، يمكنه أن يزيل الليل - السنة - بهدوء نسبي.

يذهب لأخذ جرعة كبيرة من البيرة، لكن الزجاجة فارغة.

يتمتم: "اللعنة"، لا لأحد سوى نفسه.

يتجمد، معطفه مدفون في مكان ما في كومة على سرير روبي، لكنه لا يجرؤ على العودة إلى

الداخل للحصول على جاكت أو مشروب. لا يستطيع تحمل موجة دوران الرؤوس، والدخان يملأ عيونهم، ولا يريد أن يتحمل عبء انتباههم. ويمكن أن يرى المفارقة في ذلك، يمكنه حقًّا. الآن، يمكن أن يقدم أي شيء مقابل إحدى مظلات موريل الوردية الصغيرة، لكنه يخرج ركضًا، ويغرق على درجات السلم المعدنية المتجمدة، يقول لنفسه إنه سعيد، يقول لنفسه إن هذا ما أراده.

يضع الزجاجة الفارغة بجانب إناء كان يستخدم لغرس النبات.

الآن، لا يوجد سوى جبل صغير من أعقاب السجائر.

في بعض الأحيان يتمنى هنري أن يدخن، فقط للحصول على بعض الهواء.

حاول مرة أو مرتين، لكنه لم يستطع التغلب على طعم القطران، رائحة العفونة التي تركها على ملابسه. كانت له خالة كبرت وهي تدخن حتى اصفرت أظافرها وتشققت بشرتها مثل الجلد القديم، حتى بدت كل سعلة وكأن في صدرها عملات معدنية تخشخش. كلما سحب نفسًا، كان يفكر فيها، ويشعر بالتوعك، ولم يكن يعرف ما إذا كانت الذاكرة أم المذاق، فقط عرف أن الأمر لم يكن يستحق. مكتبة سُر مَن قرأ

كانت هناك مرجوانا، بالطبع، لكن من المفترض أنها شيء تشاركه مع أشخاص آخرين، لا أن تتسلل بعيدًا لتدخن بمفرده، وعلى أي حال، فقد جعلته يشعر دائمًا بالجوع والحزن. أو حقًّا، أكثر حزنًا. لم يسوِّ أي تجاعيد في دماغه، بعد أن حولتها ضربات كثيرة إلى أشكال لولبية، وتدور الأفكار في داخلها وتدور حول نفسها إلى الأبد.

لديه ذكرى حية لرجمه بالحجارة في السنة النهائية، كان هو وبيا وروبي مستلقين والأطراف متشابكة في ساحة كولومبيا في الساعة الثالثة صباحًا، يحلِّقون مثل طائرات ورقية ويحدقون في السماء. وبالرغم من أنهم اضطروا إلى التحديق لرؤية أي نجوم، وربما كانت أعينهم تكافح من أجل صفقة في الامتداد الأسود، استمرت بيا وروبي في الحديث عن حجم كل شيء، وكم كان رائعًا، ومدى الهدوء حين جعلهم يشعرون بأنهم صغار جدًا، ولم يقل هنري أي شيء لأنه كان مشغولًا جدًا في حبس أنفاسه حتى لا يتمكن من الصراخ.

"ماذا تفعل هنا في الخارج؟"

تنحني من النافذة. تتأرجح ساقها فوق الحافة، وتنضم إليه على الدرج، وتصدر صوت هسهسة حين يلتقي بنطلونها الضيق بالمعدن البارد. يجلسان في صمت لبضع لحظات. هنري يحدق في المباني. الغيوم منخفضة، وأضواء ميدان التايمز تسطع أمامهما.

يقول وهو يهز رأسه: "أريد أن أتغير، ولم أتغير، و-"

تستدير لتنظر إليه، والصقيع يحوم في بصرها. "لماذا يجب أن تتغير؟ أنت مثالي، كما أنت".

يبلع هنري ريقه.

يسأل: "وما هذا؟ كيف أبدو؟"

خاف أن يسأل، وخاف أن يعرف معنى اللمعان في عينيها، وما تراه حين تنظر إليه. حتى الآن، يتمنى أن يتمكن من معرفته. لكن بيا تبتسم وتقول، "أنت أفضل أصدقائي يا هنري".

يسترخي صدره، قليلًا. لأن هذا حقيقي.

إنه حقيقي.

ولكنها تواصل بعد ذلك.

"أنت لطيف، وحساس، ومستمع رائع".

وهذا الجزء الأخير يزعجه، لأن هنري لم يكن أبدًا مستمعًا جيدًا. نسي عدد المعارك التي خاضوها - لأنه لم يكن ينتبه.

تتابع: "أجدك دائمًا حين أحتاج إليك"، فيشعر بألم في صدره، لأنه يعلم أنه لم يكن كذلك، وهذه الكذبة ليست مثل كل الأكاذيب الأخرى، هذه ليست عضلات البطن، أو فك محفور أو صوت عميق، هذه ليست سحرًا بارعًا، أو الابن الذي طالما تمنيته، أو الأخ الذي تفتقده، هذه ليست أي شيء يراه الآخرون حين ينظرون إليه، شيء خارج سيطرته.

"أتمنى أن ترى نفسك كما أراك".

ما تراه بيا صديق جيد.

وهنري ليس لديه أي مبرر حتى لا يكون كذلك بالفعل.

يضع رأسه بين يديه، ويضغط راحتيه على عينيه حتى يرى نجومًا، ويتساءل عما إذا كان يستطيع إصلاح هذا، هذا فقط، إذا كان يستطيع أن يصبح نسخة هنري التي تراها بيا، إذا كان سيجعل الصقيع في عينيها يختفي مرة أخرى، إذا كانت، على الأقل، ستراه بوضوح.

يهمس في الفراغ بين ركبتيه وصدره: "آسف".

يشعر أنها تمرر أصابعها في شعره: "لماذا؟"

وماذا يفترض أن يقول؟

يطلق هنري نفسًا مرتعشًا، وينظر إلى أعلى. ويقول: "إذا كان من الممكن أن تحصلي على أي شيء، فماذا تطلبين؟"

تقول: "هذا يعتمد على التكلفة. ما التكلفة؟"

"كيف تعرفين أن هناك تكلفة؟"

"هناك دائمًا أخذ وعطاء".

يقول هنري: "حسنًا، إذا بعت روحك مقابل شيء واحد، فماذا يكون؟"

تمضغ بيا شفتها: "السعادة".

يسأل: "ما هي؟ أعني، هل هو مجرد الشعور بالسعادة بدون سبب؟ أم أن تسعدي الآخرين؟ هل تسعدين بوظيفتك، أم بحياتك، أم -"

تضحك بيا: "تفكر دائما في أشياء غريبة يا هنري". تنظر إلى سلم الطوارئ. "لا أعرف، أعتقد أنني أعني فقط أنني أريد أن أكون سعيدة مع نفسي. راضية. ماذا عنك؟"

يفكر في كذبة، لا يستطيع: "أعتقد أنني أريد أن أكون محبوبًا".

تنظر بيا إليه، بعد ذلك، وعيناها تموجان بالصقيع، وتبدو حتى من خلال الضباب حزينة بشكل لا حدود له. "لا يمكن أن تجعل الناس يحبونك، يا هنري. إذا لم يكن اختيارًا، لا يكون حقيقيًا".

يشعر هنري بجفاف في فمه.

إنها محقة. بالطبع، محقة.

وهو أحمق، محاصر في عالم لا يوجد فيه شيء حقيقي.

تقرع بيا كتفها في وجهه. وتقول: "ادخل. ابحث عن شخص تقبله قبل منتصف الليل. حظ سعيد".

تنهض منتظرة، لكن هنري لا يستطيع الوقوف. يقول: "لا بأس. اذهبي أنت".

وهو يعلم أن هذه هي الصفقة التي أبرمها، ويعرف أنها ما تراه ليس ما هو عليه - لكنه لا يزال مرتاحًا حين تجلس بيا مرة أخرى، وتميل عليه، أفضل صديقة تبقى معه في الظلام. وسرعان ما تخفت الموسيقى وترتفع الأصوات، ويسمع هنري العد التنازلي خلفهما.

عشرة، تسعة، ثمانية.

يا إلهي.

سبعة، ستة، خمسة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ماذا فعل؟

أربعة، ثلاثة، اثنان.

إنه يسير بسرعة هائلة.

واحد.

يمتلئ الهواء بالصفارات والهتافات والتمنيات وتضغط بيا على شفتيها في لحظة من الدفء ضد البرد. تمامًا بهذا الشكل، مر العام، وأعيد ضبط الساعات، وحلت أربعة محل ثلاثة، ويعلم هنري أنه ارتكب خطأ فادحًا.

طلب الشيء الخطأ من الإله الخطأ، وهو الآن كافٍ لأنه لا شيء. إنه مثالي لأنه غير موجود.

تقول بيا: "ستكون سنة جيدة. أشعر بذلك". تتنهد سحابة من الضباب في الهواء بينهما. تقف وتفرك يديها: "اللعنة، الجو جليدي. هيا ندخل".

يقول: "تقدمي، سألحق بك سريعًا".

وتصدقه، كانت خطواتها تقعقع وهي تعبر مخرج الطوارئ وتنزلق مرة أخرى عبر النافذة، تاركة المجال مفتوحًا له ليتبعها.

يجلس هنري هناك وحيدًا في الظلام، حتى لم يعد يتحمل البرد.

مدينة نيويورك

شتاء 2014

XVIII

هنري يستسلم.

يستسلم لمنظور صفقته التي بات يعتبرها لعنة. يحاول - أن يكون صديقًا أفضل، وأخًا أفضل، وابنًا أفضل، ويحاول أن ينسى معنى الضباب في عيون الناس، ويحاول التظاهر بأن الأمر حقيقي، أنه حقيقي.

ثم يلتقي بفتاة ذات يوم.

تدخل إلى المتجر وتسرق كتابًا، وحين يمسك بها في الشارع، وتستدير لتنظر إليه، لا يوجد صقيع، ولا مسحة، ولا جدار من الجليد. فقط عينان بنيتان صافيتان في وجه على شكل قلب، وسبع بقع من النمش متناثرة على خديها مثل النجوم.

ويظن هنري أنها خدعة ضوء، لكنها تعود في اليوم التالي، وها هي هناك مرة أخرى. الغياب. ليس مجرد غياب، أيضًا، بل شيء ما في مكانه.

حضور، وزن صلب، أول سَحْب ثابت يشعر به منذ شهور. قوة جاذبية شخص آخر.

مدار آخر.

وحين تنظر إليه الفتاة، لا ترى الكمال. ترى شخصًا يهتم كثيرًا، ويشعر كثيرًا، شخصًا تائهًا، وجائعًا، يتبدد في لعنته.

ترى الحقيقة، وهو لا يعرف كيف أو لماذا، يعرف فقط أنه لا يريد أن ينتهي الأمر.

لأن هنري للمرة الأولى منذ شهور، منذ سنوات، في حياته كلها، ربما لا يشعر بأي لعنة.

لأول مرة، يشعر بأنه مرئي.

مدينة نيويورك

18 مارس 2014

XIX

لم يتبق سوى عرض واحد.

حين يخفت الضوء، يسلم هنري وآدي شرائطهما المطاطية الزرقاء ويدخلان إلى مساحة مكونة فقط من زجاج شبكي. ترتفع الجدران الصافية في صفوف. تذكره بالأكوام الموجودة في المكتبة أو في المتجر، لكن لا توجد كتب، فقط لافتة مثبتة في الهواء فوق الرأس تقول:

أنت الفن

في كل ممر آنية بها طلاء ساطع، ومن المؤكد أن الجدران مغطاة بعلامات. توقيعات وخربشات وبصمات أيد وأنماط.

بعضها يمتد بطول الجدار، والبعض الآخر متداخل، مثل الأسرار، داخل علامات أكبر. تغمس آدي إصبعها في طلاء أخضر وتضعه على الحائط. ترسم دوامة، علامة واحدة ممتدة. لكن حين تصل إلى الحلقة الرابعة، تكون الأولى قد تلاشت بالفعل، وتسقط مثل حصاة في المياه العميقة.

مستحيل، مميت.

وجهها لا يتأرجح ولا يسقط، لكنه يستطيع أن يرى الحزن قبل أن يسقط أيضًا، ويغرق بعيدًا عن الأنظار.

يريد أن يسأل، **كيف تواصلين؟** بدلا من ذلك، يغمس يده في الطلاء الأخضر، ويتجاوز رسمها، لكنه لا يرسم أي شيء. بدلا من ذلك، ينتظر، محوِّمًا فوق الزجاج.

يقول: "ضعي يدك على يدي"، وتتردد لحظة فقط قبل أن تضغط راحة يدها على مؤخرة يده، وتظلل أصابعها أصابعه. يقول: "ها، يمكن الآن أن نرسم".

تطبق يدها على يده، وتوجه إصبعه السبابة إلى الزجاج، وتترك علامة، خطًّا أخضر. يمكن أن يشعر بدخول الهواء في صدرها، ويمكن أن يشعر بالتيبس المفاجئ في أطرافها، وهي تنتظر أن تختفي العلامة.

لكنها لا تختفي.

تبقى، محدقة فيهما في ذلك الظل الجريء.

ينكسر إذن شيء داخل آدي.

تضع علامة ثانية، وثالثة، تضحك لاهثة، ثم ويدها على يده، ويده على الزجاج، تبدأ آدي ترسم. لأول مرة منذ ثلاثمائة عام، ترسم الطيور والأشجار وترسم حديقة وترسم ورشة وترسم مدينة وترسم عينين. تتدفق الصور منها ومن خلاله على الحائط برغبة مسعورة خرقاء. وتضحك، والدموع تنهمر على خديها، ويريد أن يمسحها، لكن يديه يداها، وهي ترسم.

ثم تغمس إصبعها في الطلاء، وتضعه على لوح الزجاج، وهذه المرة، تكتب بخط متصل متقطع، حرفًا واحدًا في كل مرة.

اسمها.

يبقى، متداخلًا بين لوحات كثيرة.

آدي لارو

عشرة حروف، كلمتان.[51] وهو يعتقد أنه لا يختلف عن مئات العلامات الأخرى التي صنعاها – لكنه مختلف. يعرف أنه مختلف.

تسقط يدها بعيدًا عن يده، وتمد يدها، وتمرر أصابعها عبر الحروف، وللحظة، يفسد الاسم، وخطوط خضراء على الزجاج. لكن حين تسقط أصابعها، يعود الاسم، غير مشوه، بدون تغيير.

---

51 الاسم في الأصل عشرة حروف، Addie LaRue.

يتغير فيها شيء ما، إذن. شيء يتدحرج فوقها، كما تتدحرج العواصف عليه، لكنه شيء مختلف، ليس مظلمًا، لكنه مبهر، حدة مفاجئة خارقة.

وبعد ذلك تسحبه بعيدًا. بعيدًا عن المتاهة، بعيدًا عن الناس الممددين تحت الليل الخالي من النجوم، بعيدًا عن كرنفال الفن والجزيرة، وهو يدرك أنها لا تسحبه بعيدًا عمومًا، بل نحو شيء ما.

نحو العبَّارة.

نحو مترو الأنفاق.

نحو بروكلين.

نحو البيت.

طوال الطريق، تلتصق بهنري بشدة، وأصابعهما متشابكة، والطلاء الأخضر يلطخ أيديهما، وهما يصعدان الدرج، وهو يفتح الباب، وبعد ذلك، تتركه، وتتخطاه، عبر الشقة. يجدها في غرفة النوم، تسحب كراسة زرقاء من الرف، وتسحب قلمًا من الطاولة. تضغطهما في يديه، ويغرق هنري على حافة السرير، ويطوي غلاف الكراسة، واحدة من دستة لم يستخدمها قط، على ركبتيها بجانبه، لاهثة.

تقول: "افعلها مرة أخرى".

ويضع القلم الحبر الجاف على الصفحة الفارغة ويكتب اسمها بخط متشابك ودقيق.

آدي لارو.

لا يذوب، لا يتلاشى، إنه هناك، وحده وسط الصفحة. وينظر هنري إلى آدي، في انتظار أن تستمر، أن تملي ما يأتي بعد ذلك، وهي تنظر أمامه، إلى الكلمتين.

تسلك آدي حلقها.

تقول: "هكذا تبدأ الأمور".

ويبدأ الكتابة.

الجزء الخامس

الظل الذي ابتسم والفتاة التي ردت الابتسامة

فيون سور سارت

29 يوليو 1764

I

تشق آدي طريقها إلى الكنيسة.

تقع وسط فيون تقريبًا، رابضة ورمادية، لم تتغير، والحقل المجاور يحده جدار حجري منخفض.

لا يستغرق الأمر وقتًا طويلاً للعثور على قبر أبيها.

جان لارو.

شاهد قبر أبيها مقتضب- اسم وتاريخان وآية من الكتاب المقدس - كل من يدعو باسم الرب يخلص.[52] لا ذكر للرجل الذي كان أباها، ولا ذكر لمهنته، ولا حتى للطفه.

اختزلت حياة إلى كتلة من الحجر، رقعة من العشب.

على طول الطريق، التقطت آدي حفنة من الزهور، أشياء برية تنمو على حافة الطريق، أزهار الأعشاب، الأصفر والأبيض. تجثو على ركبتيها لتضعها على الأرض، وتتوقف حين ترى التاريخين تحت اسم والدها.

.1714-1670

السنة التي غادرت فيها.

تبحث في ذاكرتها وتحاول أن تتذكر أي علامات للمرض. السعال الذي ظل في صدره، وظِلٌّ من الضعف في أطرافه. ذكريات حياتها الثانية محاصرة في العنبر، ومحفوظة تمامًا. لكن

52 من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية، 10: 13؛ والترجمة عن الترجمة العربية للكتاب المقدس.

تلك التي كانت من قبل، حين كانت أديلين لارو - ذكريات عجن الخبز على كرسي بجانب أمها، ومشاهدة أبيها يحفر الوجوه في كتل من الخشب، متتبعة إستيل عبر المياه الضحلة في سارت - تلك الذكريات التي تتلاشى. السنوات الثلاث والعشرون التي عاشتها قبل الغابة، قبل الصفقة، تآكلت إلى أكثر بقليل من الحواف.

تتمكن آدي لاحقًا من تذكر ما يقرب من ثلاثمائة عام بتفاصيل مثالية، وتحتفظ بكل لحظة من كل يوم.

لكنها تفقد بالفعل صوت ضحكة أبيها. لا تستطيع تذكر اللون الدقيق لعيني أمها. لا يمكن تذكر شكل فك إستيل.

لسنوات، تظل مستيقظة وتروي لنفسها قصصًا عن الفتاة التي كانت، على أمل التمسك بكل جزء عابر، لكن تأثيره معاكس - ذكريات مثل التعويذات، تلمس كثيرًا جدًّا؛ مثل عملات القديسين، النقش الباهت على طبق فضي وانطباعات شاحبة.

وبالنسبة لمرض أبيها، فيجب أن يكون قد ظهر فجأة بين موسم وآخر، ولأول مرة، تشعر آدي بالامتنان لطبيعة لعنتها التطهيرية، لأنها أبرمت الصفقة عمومًا - ليس من أجلها، ولكن من أجل أمها. كان على مارت لارو أن تحزن لخسارة واحدة فقط، بدلًا من خسارتين.

يدفن جان بين أفراد أسرتهم الآخرين. أخت رضيعة لم تعش سوى عامين. أم وأب، رحلا قبل أن تبلغ آدي نفسها العاشرة. انتهى الصف، والديها وإخوتها غير المتزوجين. قطعة الأرض بجانبه فارغة، في انتظار زوجته.

لا مكان لها بالطبع. لكن سلسلة القبور هذه، مثل جدول زمني، رسم بياني من الماضي إلى المستقبل، هذا ما دفعها إلى الغابة في تلك الليلة، الخوف من حياة كهذه، التي تؤدي إلى بقعة العشب الصغيرة نفسها.

تحدق آدي في قبر والدها، وتشعر بالحزن الشديد للنهاية، وثقل شيء ما يهدأ. جاء الأسى وذهب - فقدت هذا الرجل قبل خمسين عامًا، حزنت بالفعل، وبالرغم من أن الأمر مؤلم، لكن الألم ليس جديدًا. منذ زمن بعيد خفت حدة الألم، وأفسح الجرح مكانًا للندبة.

تضع الزهور على قبر أبيها، وتنهض، وتتحرك أعمق بين المقابر، راجعة بالزمن مع كل خطوة، حتى لم تعد آدي، بل أديلين؛ لم تعد شبحًا بل لحمًا ودمًا وفانية. لا تزال مرتبطة بهذا المكان، والجذور تتألم مثل الأطراف الشبحية.

تفحص الأسماء على شواهد القبور، وتعرف كل واحد منهم، لكن الاختلاف هو أن أصحاب الأسماء كانوا، ذات يوم، يعرفونها أيضًا.

هنا روجر، مدفون بجانب زوجته الأولى والوحيدة، بولين. هنا إيزابيل، وصغيرتها، سارة، ماتا في عام واحد.

وهنا، وسط الفناء تقريبًا، الاسم الأكثر أهمية. اسم من أمسكت بيدها مرات كثيرة، وأظهرت لها أن هناك المزيد في الحياة.

تقرأ شاهد قبرها: إستيل ماجريت، 1642-1719.

نُحِت التاريخان على صليب بسيط، ويمكن لآدي أن تسمع صوت المرأة العجوز وهي تهسهس من بين أسنانها.

إستيل، مدفونة في ظل منزل لم تعبده.

إستيل، التي كانت تقول إن الروح مجرد بذرة عادت إلى التربة، ولم ترغب في شيء سوى شجرة فوق عظامها. كان يجب أن تدفن على حافة الغابة أو وسط الخضار في حديقتها. كان ينبغي على الأقل دفنها في قطعة أرض جانبية، حيث تصل أغصان شجرة الطقسوس القديمة إلى الحائط المنخفض لتظلل القبور.

تعبر آدي إلى السقيفة الصغيرة على حافة فناء الكنيسة، وتجد مجرفة وسط الأدوات، وتنطلق إلى الغابة.

إنه ذروة الصيف، لكن الهواء بارد تحت غطاء الأشجار. منتصف النهار، لكن رائحة الليل لا تزال باقية على الأوراق. رائحة هذا المكان عامة جدًّا ومحددة. مع كل نفس تذوق طعم التراب على لسانها، ذكرى اليأس، فتاة تغوص يديها في التراب وهي تصلي.

الآن، تغوص المجرفة بدلًا من يديها، تخلع شتلة من التربة. إنها هشة، من المحتمل أن تسقط مع العاصفة القوية التالية، لكنها تحملها مرة أخرى إلى باحة الكنيسة، وهي تحتضنها مثل رضيع في يديها، وإذا وجد أي شخص ذلك غريبًا، فسوف ينسى المشهد قبل التفكير في إخبار أي شخص بوقت طويل. وإذا لاحظ أن الشجرة تنمو فوق قبر المرأة العجوز، فربما يتوقف ويفكر في الآلهة الأقدم مرة أخرى.

وآدي تترك الكنيسة خلفها، تبدأ الأجراس في القرع، داعية القرويين إلى القداس.

تمشي على الطريق وهم يتدفقون من منازلهم، ويتشبث الأطفال بأيدي أمهاتهم، والرجال والنساء جنبًا إلى جنب. بعض الوجوه جديدة بالنسبة لها، وتعرف البعض الآخر.

هناك جورج ثيرولت، وابنة روجر الكبرى، وابنا إيزابيل، وفي المرة القادمة التي تأتي فيها آدي، يموتون جميعًا، آخر حياتها القديمة - حياتها الأولى - ويدفنون في قطعة الأرض نفسها التي تبلغ مساحتها عشرة أمتار.

يقبع الكوخ مهجورًا على حافة الغابة.

انهار السياج المنخفض، ونمت الأعشاب في حديقة إستيل، والمنزل نفسه ينهار ببطء، ويتدهور بتقدم الزمن والإهمال. يُغلق الباب بسرعة، لكن المصاريع معلقة على مفاصل مكسورة، كاشفة زجاج نافذة، مواربة مثل العين المتعبة.

في المرة التالية التي تأتي فيها آدي، يختفي إطار المنزل تحت اللون الأخضر، وفي المرة التالية، تزحف الغابة إلى الأمام وتبتلعه كله.

لكنه اليوم، لا يزال قائمًا، وهي تشق طريقها في ممر عشبي، الفانوس المسروق في يد. وهي لا تزال تتوقع أن تخرج المرأة العجوز من الغابة، وذراعها مجعدتان ممتلئتان بالحصاد، لكن الحفيف الوحيد يأتي من غربان العقعق وصوت قدميها.

في الداخل، الكوخ رطب وفارغ، والمساحة المظلمة مليئة بالحطام - شظايا فخار كوب مكسور، وطاولة متهالكة - لكن اختفت الأوعية التي خلطت فيها المرهم، والعصا التي استخدمتها حين كان الطقس رطب، وحزم الأعشاب التي تتدلى من العوارض الخشبية، والوعاء الحديدي الذي كان جالسًا في الموقد.

آدي على يقين من أن أغراض إستيل أخذت بعد وفاتها، ووزعت عبر القرية، تمامًا كما كانت حياتها، اعتبرت ملكية عامة لمجرد أنها لم تتزوج. فيون، حاميتها، لأن إستيل لم يكن لها أبناء.

تذهب إلى الحديقة، وتحصد ما تستطيع من الأرض البرية، وتحمل كمية من الجزر والفاصوليا الطويلة في الداخل وتضعها على الطاولة. تفتح النافذة وتجد نفسها وجهًا لوجه مع الغابة.

تقف الأشجار في خط مظلم، وتتشابك الأغصان في السماء. جذورها تتقدم ببطء، تزحف إلى الحديقة وعبر العشب. تتقدم ببطء وصبر.

تغرق الشمس الآن، وبالرغم من أنه الصيف، زحفت رطوبة من فجوات في السقف المسقوف بالقش، بين الحجارة وتحت الباب، وتخيم قشعريرة فوق هيكل الكوخ الصغير.

تحمل آدي فانوسًا مسروقًا إلى الموقد. كان شهرًا ممطرًا، والخشب رطب، لكنها صبورة، تصبر على لهب المصباح حتى يشتعل الخشب.

خمسون عاما وما زالت تتعرف على شكل لعنتها.

لا تستطيع أن تصنع شيء، لكنها تستطيع استخدامه.

لا تستطيع أن تكسر شيئًا، لكنها تستطيع سرقته.

لا تستطيع أن تشعل نارًا، لكنها تستطيع الحفاظ عليها.

لا تعرف ما إذا كان هذا نوعًا من الرحمة، أو مجرد صدع في بنية لعنتها، أحد الصدوع القليلة التي وجدتها في جدران هذه الحياة الجديدة. ربما لم يلاحظها لوس. أو ربما وضعها متعمدًا، ليشجعها على التعبير عن نفسها، ويكون لها أمل.

تسحب آدي غصينًا محترقًا من المدفأة وتجلبه بإهمال إلى السجادة الرثة. إنها جافة بدرجة كافية بحيث تلتقط النار وتحترق، لكن لا يحدث شيء من ذلك. ترتجف النار، وتبرد بسرعة هائلة، بمجرد خروجها من الموقد.

تجلس على الأرض، تطن بهدوء وهي تضع عصا بعد الأخرى في النار حتى تقضي على قشعريرة المكان كما يبدد النَّفَس الغبار.

تشعر به وكأنه تيار من الهواء.

لا يطرق.

لا يطرق أبدًا.

لحظة تكون وحيدة، وفي التالية، لا تكون وحيدة.

"أديلين".

إنها تكره ما تشعر بها حين تسمعه ينطق اسمها، وتكره الطريقة التي تميل بها للكلمة مثل جسد يبحث عن مأوى من عاصفة.

"لوس".

استدارت، متوقعة أن تراه كما كان في باريس، مرتديًا أزياء الصالون الراقية، لكنه بدلًا من ذلك، بالضبط كما كان في الليلة التي التقيا بها، في مهب الريح وحواف الظل، في سترة داكنة بسيطة، والأربطة مفتوحة عند الياقة. يرقص ضوء النار على وجهه، ويظلل حواف فكه وخده وجبينه مثل الفحم.

تنزلق عيناه على الكومة الضئيلة على العتبة قبل أن يعود إليها. "تعودين إلى حيث بدأتِ..".

تنهض آدي على قدميها، لذا لا يستطيع أن ينظر إليها إلى أسفل.

يقول: "خمسون عامًا. مرت بسرعة رهيبة".

لم تمر بسرعة على الإطلاق، لم تمر بسرعة عليها، وهو يعرف ذلك. إنه يبحث عن الجلد العاري، والأماكن اللينة التي ينزلق فيها السكين، لكنها لن تمنحه مثل هذا الهدف السهل. تردد ببرود: "لا وقت على الإطلاق. التفكير في أن حياة واحدة كافية دائمًا".

يبتسم لوس ابتسامة شاحبة.

"يا لها من صورة تصنعينها، وأنت تعتنين بهذه النار. يمكن أن تكوني إستيل تقريبًا".

إنها المرة الأولى التي تسمع فيها هذا الاسم على شفتيه، وهناك شيء ما في الطريقة التي ينطق بها، يكاد يكون حزينًا. يعبر لوس إلى النافذة وينظر إلى صف الأشجار. "ك[illegible]له وقفتُ هنا، وهمستْ في الغابة".

يلقي نظرة حذرة، وتظهر ابتسامة خجولة على شفتيه. "برغم كل حديثها عن الحرية، كانت وحيدة جدًّا في النهاية".

تهز آدي رأسها: "لا".

يقول: "كان يجب أن تكوني هنا معها. كان ينبغي أن تخففي من آلامها حين كانت مريضة. كان يجب أن تدفنيها. أنت مدينة لها بذلك".

تتراجع آدي إلى الخلف وكأنها صعقت.

"كنْتِ أنانية جدًّا، يا أديلين. وبسببك ماتت وحيدة".

كلنا نموت وحيدين. هذا ما كانت لتقوله إستيل — على الأقل، كما تعتقد. تأمل. ذات مرة، كانت متأكدة، لكن الثقة تلاشت مع ذكرى صوت المرأة.

عبر الغرفة، يتحرك الظلام. في لحظة يكون عند النافذة، وفي التالية، يكون خلفها، وصوته يخترق شعرها.

يقول لوس: "كانت مستعدة جدًّا للموت. تواقة للغاية لتلك البقعة في الظل. وقفت عند تلك النافذة وتوسلت، وتوسلت. كنت أستطيع أن أحقق رغبتها".

ذكرى، أصابع عجوز مشدودة حول معصمها.

لا تصلي أبدًا للآلهة التي تستجيب بعد حلول الظلام.

تلتفت آدي إليه: "لم تكن لتصلّي **لك** أبدًا".

ابتسامة خافتة. يسخر: "لا. لكن فكري في مدى حزنها إذا عرفت أنك فعلت ذلك".

يتأجج مزاج آدي. تطير يدها قبل أن تفكر في إيقافها، وحتى ذلك الحين، تتوقع نصف توقع ألا تجد أي صفقة، فقط الهواء والدخان. لكن لوس يذهل، وهكذا تصطدم راحة يدها بالجلد، أو شيء من هذا القبيل. يدور رأسه لحظة بقوة الضربة. لا يوجد دم على تلك الشفاه المثالية، بالطبع، لا توجد حرارة على ذلك الجلد البارد، لكنها على الأقل مسحت الابتسامة من وجهه.

أو هكذا تعتقد.

حتى يبدأ في الضحك.

الصوت مخيف وغير واقعي، وحين يدير وجهه نحوها، تظل ساكنة. لا يوجد شيء بشري فيه الآن. العظام حادة للغاية، والظلال عميقة للغاية، والعينان ساطعتان للغاية.

يقول، وصوته يذوب في دخان الحطب: "تنسين نفسك، تنسينني".

يندفع الألم في قدمي آدي، بشكل مفاجئ وحاد. تنظر إلى أسفل، تبحث عن جرح، لكن الألم يحرقها من الداخل. وجع داخلي عميق، قوة كل خطوة قطعتها.

"ربما كنْتُ رحيمًا جدًّا".

الألم يتسلق عبر أطرافها ويصيب الركبة والورك والمعصم والكتف. تنقبض ساقاها تحتها، وكل ما يمكن أن تفعله حتى لا تصرخ.

ينظر الظلام إلى أسفل بابتسامة: "جعلْتُ هذا الأمر سهلًا جدًّا".

تشاهد آدي في رعب حيث تبدأ يداها في التجعد وتبرز عروق زرقاء رفيعة تحت الجلد النحيل.

"طلبْتِ حياة فقط. وأعطيتك الصحة، والشباب أيضًا".

ينحل شعرها من كعكته ويتدلى خشنًا أمام عينيها، وتجف الخصلات وتضعف وتصبح رمادية.

"وقد جعلك هذا متعجرفة".

يضعف بصرها، وتشوش الرؤية حتى تصبح الغرفة مجرد لطخات وأشكال غامضة.

"ربما تحتاجين إلى المعاناة".

تغمض آدي عينيها، والقلب يرفرف هلعًا.

تقول وهي أقرب ما يكون للتوسل على الإطلاق: "لا".

يمكن أن تشعر به، وهي تقترب أكثر. يمكن أن تشعر بظلاله تنتشر فوقها.

"سوف أزيل هذه الآلام. سوف أتركك ترتاحين. حتى أنني سأرفع شجرة فوق عظامك. وكل ما عليك فعله "- يتسرب الصوت عبر الظلام -" هو الاستسلام".

تلك الكلمة مثل شق في الحجاب. ومع كل الألم والرعب في هذه اللحظة، تعرف آدي أنها لن تستسلم.

نجت من الأسوأ. سوف تنجو من الأسوأ. هذا ليس سوى مزاج إله فاسد.

حين تجد قدرة على الكلام، تخرج الكلمات بصوت خشن. "اذهب إلى الجحيم".

تستجمع قواها، وتتساءل عما إذا كان سيؤذيها للنهاية، ويحول جسدها إلى جثة، ويتركها هناك، قشرة مكسورة على أرضية المرأة العجوز. ولكن لا يوجد سوى المزيد من الضحك، منخفضًا وهادئًا، ثم لا شيء، ويسكن الليل.

تخشى آدي أن تفتح عينيها، لكنها حين تفتحهما، تجد نفسها وحيدة.

تلاشى الألم من عظامها. استعاد شعرها المنساب لونه الكستنائي. يداها، التي تلفت، صارت مرة أخرى شابة، ناعمة، وقوية.

تنهض وترتجف وتستدير نحو الموقد. لكن النار، التي اعتنت بها انطفأت.

في تلك الليلة، تتكوم آدي على فراش من القش، تحت بطانية رثة تركت دون أن يطالب بها أحد، وتفكر في إستيل.

تغلق عينيها وتستنشق حتى تكاد تشم رائحة الأعشاب التي تشبثت بشعر المرأة العجوز والحديقة وانسكبت على جلدها. تتمسك بذكرى ابتسامة إستيل الملتوية، وضحكتها الشبيهة بالغراب، والصوت الذي استخدمته حين تحدثت إلى الآلهة، والصوت الذي استخدمته مع آدي. تعود بذاكرتها إلى الصغر، حين علمتها إستيل ألا تخاف من العواصف والظلال والأصوات في الليل.

مدينة نيويورك

19 مارس 2014

II

تميل آدي على النافذة وتراقب شروق الشمس فوق بروكلين.

تلف أصابعها حول كوب الشاي وتستمتع بالحرارة على راحتيها. الزجاج مضبب مع البرد، بقايا الشتاء تتشبث بأطراف النهار. كانت ترتدي أحد قمصان هنري، من القطن وعليه شعار كولومبيا. رائحته مثل رائحة هنري. مثل الكتب القديمة والقهوة الطازجة.

تتسلل حافية إلى غرفة النوم، حيث يرقد هنري ووجهه لأسفل، وذراعاه مطويتان تحت الوسادة، وخده في الناحية الأخرى. وكان، في تلك اللحظة، يشبه لوس كثيرًا، برغم أنه لا يوجد أبدًا ما يشبه لوس. يتأرجح التشابه بينهما مثل الرؤية المزدوجة. جدائل الشعر، مثل الريش الأسود على الوسادة البيضاء، يتلاشى إلى زغب ناعم في مؤخرة رقبته. يرتفع ظهره وينخفض، بثبات مع إيقاع النوم السلس الضحل.

تضع آدي الكوب على طاولة السرير، بين أكواب هنري والساعة الجلدية. تتتبع بإصبعها الحافة المعدنية الداكنة، والأرقام الذهبية مثبتة على الخلفية السوداء. تتأرجح مع لمستها، وتكشف النقش الصغير على ظهرها.

عش في رفاهية.

تمر عليها رعشة صغيرة، وكانت على وشك التقاطها حين يئن هنري في وسادته، احتجاجًا خفيفًا على الصباح.

تترك آدي الساعة وتصعد إلى السرير بجانبه. "هالو". يبحث عن نظارته ويلبسها وينظر إليها ويبتسم، وهذا هو الجزء الذي لن يتقدم في العمر أبدًا. المعرفة. طي الحاضر فوق الماضي بدلاً من محوه، واستبداله. يضمها إليه.

يهمس في شعرها: "هالو. كم الساعة؟"

"الثامنة تقريبًا".

يتأوه هنري ويشدد من قبضته حولها. إنه دافئ، وتتمنى آدي بصوت عالٍ أن يتمكنا من البقاء هناك طول اليوم. لكنه مستيقظ الآن، تلك الطاقة المضطربة تلتف حوله مثل الحبل. يمكن أن تشعر بها في توتر ذراعيه، والتغيير الطفيف في وزنه.

تقول: "يجب أن أذهب"، لأنها تفترض أن هذا ما يفترض أن تقوله حين تكون في سرير شخص آخر. حين يتذكران كيف وصلت إلى هناك. لكنها لم تقل "يجب أن أعود إلى البيت" ويستشعر هنري الكلمة المحذوفة.

يسأل: "أين تعيشين؟"

تفكر، لا مكان. في كل مكان.

"أتصرفُ. المدينة مليئة بالأَسِرَّة".

"لكن ليس لديك مكان يخصك".

تنظر آدي لأسفل إلى السويت شيرت المستعار، وترى كل ممتلكاتها الحالية فوق أقرب كرسي. "لا".

"إذن يمكنك البقاء هنا".

"ثلاثة مواعيد، وتطلب مني الانتقال إلى هنا؟"

يضحك هنري لأنه أمر غير معقول بالطبع. لكنه ليس أغرب شيء في حياة أي منهما.

"ما رأيك أن أطلب منك البقاء – حاليًا".

لا تعرف آدي ماذا تقول. وقبل أن تفكر في شيء ما، ينهض من السرير، ويفتح الدرج السفلي. يدفع المحتويات إلى جانب، ويقتطع مساحة. "يمكنك وضع أغراضك هنا".

ينظر إليها، فجأة غير متأكد: "هل لديك أغراض؟"

سوف تشرح، في النهاية، تفاصيل لعنتها، والطريقة التي تلتف بها وتتجعد من حولها. لكنه لا يعرف التفاصيل بعد - لا يحتاج إلى ذلك. بالنسبة له، بدأت قصتها للتو.

"لا فائدة حقًّا، في امتلاك أكثر مما تستطيع الاحتفاظ به، حين لا يكون لديك مكان تضع فيه أغراضك".

"حسنًا، إذا حصلت على أغراض - إذا كنت تريدينها - يمكنك وضعها هنا".

مع ذلك، يتجه نائمًا إلى الحمام، وهي تحدق في المساحة التي خصصها لها، وتتساءل ماذا يحدث إذا كان لديها أشياء لتضعها جنبًا إلى جنب. هل تختفي على الفور؟ تذهب ببطء، في عداد المفقودات بلا مبالاة، مثل الجوارب التي يسرقها مجفف؟ لم تقدر على الاحتفاظ بأي شيء لفترة طويلة. فقط الجاكت الجلدي، والحلقة الخشبية، وهي معروفة دائمًا لأن لوس أراد أن تحصل عليهما - ربطهما بها تحت ستار الهدايا.

تستدير وتفحص الملابس الملقاة على الكرسي.

ملوثة بالطلاء من الهاي لاين. على قميصها لون أخضر، ومسحة أرجوانية على ركبة بنطلونها الجينز. حذاؤها أيضا مرقط باللونين الأصفر والأزرق. تعرف أن الطلاء يتلاشى، أو تشطفه بركة ماء، أو يمسح ببساطة بمرور الوقت، لكن يفترض أن تعمل الذكريات بهذا الشكل.

توجد - ثم تتلاشى شيئًا فشيئًا.

ترتدي ملابس الأمس، وتحمل الجاكت الجلدي، ولكن بدلًا من وضعه على كتفها، تطويه بعناية، وتضعه في الدرج الفارغ. إنه هناك، محاط بمساحة مفتوحة، في انتظار أن تُملَأ.

تدور آدي حول السرير، وتكاد تخطو على الكراسة.

وهي ملقاة مفتوحة على الأرض - لابد أنها انزلقت من على السرير أثناء الليل - وترفعها بحذر شديد، وكأنها مغطاة بالرماد وخيوط العنكبوت بدلًا من الورق والصمغ. تتوقع نصف توقع أن تنهار عند لمسها، لكنها تصمد، وحين تتاح لها فرصة لسحب الغلاف، تجد الصفحات القليلة الأولى ممتلئة. تنتهز آدي فرصة أخرى، وتحرك أصابعها برفق فوق الكلمات، وتشعر بملمس القلم، والسنوات المخفية وراء كل كلمة.

كتب تحت اسمها، هكذا يبدأ الأمر.

أول شيء ما زالت تتذكره الرحلة إلى السوق. أبوها جالس بجانبها في عربة مليئة بأعماله...

تحبس أنفاسها وهي تقرأ، الحمام يملأ الغرفة بسكون هادئ.

يروي لها أبوها قصصًا. لا تتذكر الكلمات لكنها تتذكر الطريقة التي رواها بها...

تستقر آدي هناك، وتقرأ حتى تنفد الكلمات، ويفسح النص الطريق لصفحة بعد صفحة من المساحة الفارغة، في انتظار أن تملأ.

حين تسمع هنري يغلق الماء، تجبر نفسها على إغلاق الكراسة، وتعيدها برفق، وتقدير تقريبًا، إلى السرير.

فكامب، فرنسا

29 يوليو 1778

III

تفكر، كان من الممكن أن تعيش وتموت ولا ترى البحر أبدًا.

لا يهم، رغم ذلك. آدي هنا الآن، منحدرات شاحبة ترتفع إلى يمينها، حراس من الحجارة على حافة الشاطئ حيث تجلس، تنورة تتجمع على الرمال. تحدق في الامتداد، والساحل يفسح المجال للمياه، والماء يفسح المجال للسماء. شاهدت الخرائط بالطبع، لكن الحبر والورق لا ينطبقان على أي شيء من هذا. على رائحة الملح، صوت الأمواج، السحب المنوِّم للمد والجزر. على نطاق البحر وحجمه، ومعرفة أن هناك المزيد في مكان ما وراء الأفق.

يمر قرن قبل أن تعبر المحيط الأطلنطي، وحين تعبره، تتساءل عما إن كانت الخرائط خاطئة، وتبدأ الشك في وجود الأرض عمومًا - لكن هنا والآن، آدي مسحورة ببساطة.

ذات مرة، كان عالمها بحجم قرية صغيرة في وسط فرنسا. لكنه يكبر باستمرار. تتكشف خريطة حياتها، كاشفة عن تلال ووديان وبلدات ومدن وبحار. كاشفة عن لومان. كاشفة عن باريس. كاشفة عن هذه.

كانت في فكامب منذ أسبوع تقريبًا، تقضي أيامها بين رصيف الميناء والمد والجزر، وإذا لاحظ أحد المرأة الغريبة وحدها على الرمال، فإنه لم ير أن من المناسب أن يضايقها. تشاهد آدي القوارب تأتي وتذهب، وتتساءل إلى أين تذهب؛ تتساءل أيضًا، ماذا يحدث إذا صعدت على أحدها، وإلى أين تأخذها. بالعودة إلى باريس، نقص الغذاء يزداد سوءًا، والعقوبات أسوأ، وكل شيء يزداد سوءًا بشكل مطرد. امتد التوتر خارج المدينة أيضًا، ووصلت الطاقة العصبية عبر الطريق كله إلى هنا، إلى الساحل. هذا سبب إضافي، كما تقول آدي لنفسها، للإبحار بعيدًا.

وبعد.

يعوقها دائمًا شيء ما.

اليوم، تهب عاصفة. إنها تحوم فوق البحر، وترتفع إلى السماء. هنا وهناك تنقسم الشمس، يتساقط خط من الضوء المحترق باتجاه المياه الرمادية الصخرية. تسترجع الكتاب، الملقى على الرمال بجانبها، وتبدأ القراءة مرة أخرى.

انتهت احتفالاتنا الآن. ممثلونا هؤلاء،

كما نبأتكم، كانوا جميعًا أرواحًا وقد

ذابوا في الهواء، في الهواء:

مكتبة
t.me/soramnqraa

إنها **عاصفة** شكسبير.[53] بين الحين والآخر تتعثر في إيقاع الكاتب المسرحي، الأسلوب الغريب، والقافية الإنجليزية، والوزن ما زال غريبًا عن عقلها. لكنها تتعلم، وهنا تجد نفسها تسقط في التيار.

ومثل النسيج الذي لا أساس له لهذه الرؤية،

أبراج السحب، القصور الرائعة،

المعابد الجليلة، الكرة الأرضية الرائعة نفسها...

تبدأ عيناها في التوتر أمام الضوء الشاحب.

نعم، كل ما ترثه، سوف يذوب،

وكما تلاشى هذا الموكب التافه،

لا تترك وراءها أثرًا -

يأتي صوت مألوف الآن من خلفها: "نحن من تلك الأشياء التي تصنع منها الأحلام، وحياتنا الصغيرة يلفها النوم".[54] صوت ناعم، مثل ضحك لاهث. "حسنًا، ليست كل الحيوات".

---

53 الاقتباس بالبنط الأسود من مسرحية العاصفة لشكسبير، الفصل الرابع، المشهد الأول.

54 الاقتباس من مسرحية العاصفة.

يلوح لوس فوقها مثل الظل.

لم تسامحه على عنف تلك الليلة في فيون. تستعد لها حتى الآن، بالرغم من أنهما تقابلا عدة مرات في السنوات الفاصلة، بتزوير هدنة حذرة.

لكنها تعرفه بشكل لا يجعلها تثق به وهو يغرق على الرمال بجانبها، وإحدى ذراعيه ملفوفة بتكاسل على ركبته، صورة لمهلة فاترة، حتى هنا: "كنْتُ هناك، كما تعلمين، حين كتب تلك الأبيات".

لا يمكنها إخفاء دهشتها: "شكسبير؟"

"من برأيك دعا في جوف الليل حين لم تأت الكلمات؟"

"أنت تكذب".

يقول: "أفتخر. وهناك فرق. سعى وليم للحصول على راعٍ، والتزمتُ بذلك".

العاصفة تهب، ستارة من المطرِ تنزلق باتجاه الساحل. تسأل، وهي تنفض الرمل من كتابها: "هل ترى نفسك بهذه الصورة حقًا؟ بصفتك فاعل خير رائعًا؟"

"لا تستائي، ببساطة لأنك اخترت اختيارًا سيئًا".

تحتج: "اخترت رغم ذلك؟ رغم كل شيء، أنا حرة".

"ومنسية".

لكنها مستعدة للشوكة: "معظم الأشياء تنسى". وتطل آدي على البحر.

يوبخ: "أديلين، يا لك من عنيدة. ومع ذلك، لم تمر حتى مائة عام. أتساءل إذن، كيف تشعرين بعد مائة أخرى".

تقول متملقة: "لا أعرف. أفترض أنه يجب عليك أن تسألني إذن".

تصل العاصفة إلى الساحل. تبدأ القطرات الأولى في السقوط، وتضغط آدي الكتاب على صدرها، لتحمي الصفحات من البلل.

ينهض لوس. يقول وهو يمد يده: "هيا معي". أمر أكثر منها دعوة، لكن المطر يتحول بسـرعة من وعد إلى تدفق مستمر، ولديها زي وحيد. تنهض بدون مساعدته وتنظف تنورتها من الرمال.

"من هنا".

يقودها عبر البلدة، نحو ظل بناية، برجها المقبب يخترق السحب المنخفضة. إنها، للدهشة، كنيسة.

"أنت تمزح".

يقول: "أنا الشخص الذي لا يبتل". وبالفعل، لا يبتل. كانت غارقة في الماء حين يصلان إلى السقيفة الحجرية، لكن لوس جاف. لم يمسه المطر.

يبتسم وهو يمد يده إلى الباب.

لا يهم أن الكنيسة مغلقة. لو كانت ملفوفة بالسلاسل، لكانت مفتوحة له. تعلمت أن هذه الحدود لا تعني شيئًا للظلام.

في الداخل، الهواء خانق، والجدران الحجرية تحتفظ بحرارة الصيف. مظلمة للغاية بحيث لا ترى أكثر من الخطوط العريضة للمقاعد، الصورة على الصليب.

يفرد لوس ذراعيه: "ها هو بيت الله".

يتردد صدى صوته في الحجرة، هادئًا وشريرًا.

تساءلت آدي دائمًا إذا كان يمكن أن تطأ قدم لوس أرضًا مقدسة، لكن صوت حذائه على أرضية الكنيسة إجابة على هذا السؤال.

تشق طريقها إلى الممر، لكنها لا تستطيع التخلص من غرابة هذا المكان. بدون أجراس، وأرغن، وأشخاص مزدحمين لتقديم الخدمات، تبدو الكنيسة مهجورة. تبدو قبرًا أكثر مما تبدو بيت عبادة.

"هل تهتم بالاعتراف بخطاياك؟"

تحرك لوس بكل سهولة في الظلال في الظلام. لم يعد وراءها، لكنه يجلس الآن في الصف الأول، ذراعاه مفرودتان على طول خلفية المقعد، ورجلاه ممددتان، وكاحلاه متقاطعتان في راحة وكسل.

ركعت آدي في الكنيسة الحجرية الصغيرة وسط فيون، وقضت أيامًا في مقاعد باريس. استمعت إلى الأجراس، والأرغن، ونداء الصلاة. إلا أنها، رغم ذلك، لم تفهم هذا التوسل قط. كيف يقربك سقف إلى الجنة؟ إذا كان الله كبيرًا جدًّا، فلماذا نبني جدرانًا لنحيطه بها؟

تتأمل أصابعها فوق المقاعد: "كان والداي مؤمنين، كانا يتحدثان دائمًا عن الله. عن قوته ورحمته ونوره. قالا إنه في كل مكان، في كل شيء". تتوقف آدي أمام المذبح. "آمنا بكل شيء بسهولة".

"وأنت؟"

تنظر آدي إلى ألواح الزجاج الملون، الصور أكثر بقليل من أشباح حين لا تضيئها الشمس. أرادت أن تؤمن. أنصتت وانتظرت أن تسمع صوت الرب، أن تشعر بحضوره، كما قد تشعر بالشمس على كتفيها، أو القمح تحت يديها. كما شعرت بوجود الآلهة القديمة التي فضلتها إستيل إلى حد كبير. لكنها هناك، في المنزل الحجري البارد، لم تشعر قط بأي شيء.

تهز رأسها وتقول بصوت عالٍ: "لم أفهم قط لماذا يجب أن أؤمن بشيء لا أستطيع الشعور به أو سماعه أو رؤيته".

يرفع لوس جبينه. ويقول: "أعتقد أنهم يسمونه الإيمان".

"يتحدث الشيطان في بيت الله". يلقي آدي نظرة على طريقته وهو يقول ذلك، وتلتقط وميضًا قصيرًا من اللون الأصفر عبر الأخضر الثابت.

يقول منزعجًا: "البيت بيت. إنه يخص الجميع أو لا أحد. وهل تظنين أنني الشيطان الآن؟ لم تكوني متأكدة جدًّا في الغابة".

تقول: "ربما، جعلتني مؤمنة".

يميل لوس برأسه إلى الخلف، تظهر ابتسامة شريرة على فمه. "وأنت تعتقدين أنني إذا كنت حقيقيًّا، فهو كذلك. النور لظلي، النهار لظلامي؟ وأنت مقتنعة، لو أنك صليت إليه فقط بدل أن تصلي لي، لأظهر لك مثل هذا اللطف والرحمة".

تساءلت مائة مرة، بالرغم من أنها لم تقل ذلك بالطبع.

تنزلق يدا لوس من على المقعد وهو يميل إلى الأمام.

ويضيف: "والآن لن تعرفي أبدًا. لكن بالنسبة لي"، يقول وهو ينهض: "حسنًا - إن **الشيطان** ببساطة كلمة جديدة لفكرة قديمة جدًّا. أما بالنسبة إلى الله، حسنًا، إذا كان كل ما يتطلبه الأمر ميلًا للدراما وقليلًا من الزخرفة الذهبية..".

ينقر بأصابعه، وفجأة لم تعد الأزرار الموجودة على معطفه، وأبازيم حذائه، وخياطة صدرته سوداء، بل مطلية بالذهب. النجوم الساطعة في ليلة غاب عنها القمر.

يبتسم، ثم يزيل الزركشة وكأنها غبار.

تشاهده يسقط، تنظر مرة أخرى لتجده هناك، على بعد بوصات من وجهها.

يهمس، والأصابع تلمس ذقنها: "لكن هذا هو الفرق بيننا، أديلين، **أنا** سأجيب دائمًا".

ترتجف، رغمًا عنها. باللمسة المألوفة جدًّا على جلدها، باللون الأخضر الفاتح لعينيه، بابتسامة الذئب الوحشية.

يقول، والأصابع تتساقط عن وجهها: "بالإضافة إلى ذلك، لكل الآلهة ثمن. لسْتُ الوحيد الذي يتاجر في الأرواح". يبقي لوس يده مفتوحة، على جانب، ويسطع الضوء في الهواء فوق راحة يده. "إنه يترك النفوس تذبل على الرفوف. وأنا أسقيها".

الضوء يلتوي ويلتف.

"يعد. وأنا أدفع مقدمًا".

يتوهج مرة واحدة، فجأة وبشكل رائع، ثم يقترب، ويأخذ شكلًا صلبًا.

تساءلت آدي دائمًا عن شكل الروح.

الروح كلمة عظيمة. مثل الرب، مثل الزمن، مثل الفضاء، وحين حاولت تخيلها، استحضـرت صورًا للبرق، أو أشعة الشمس عبر الغبار، للعواصف في أشكال بشرية، لبياض واسع بلا حدود.

الحقيقة أصغر من ذلك بكثير.

الضوء في يد لوس رخامي، زجاجي ومتوهج بضوء داخلي خافت.

"هل هذا كل شيء؟"

ومع ذلك، لا تستطيع آدي أن تبعد نظرتها عن الكرة الهشة. تشعر أنها تحاول الوصول إليه، لكنه يبتعد عن متناول يدها.

يقلب الخرزة المتوهجة بين أصابعه: "لا تنخدعي بمظهرها. تنظرين إليّ وترين رجلًا، رغم أنك تعلمين أنني لست شيئًا من هذا القبيل. هذا الشكل ليس سوى جانب، مصمم للناظر".

يلف الضوء ويتحول، وتتسطح الكرة إلى قرص. ثم حلقة.

حلقتها. يتوهج رماد الخشب، وتشعر بألم في قلبها لرؤيته، والاحتفاظ به، والشعور بالسطح البالي على جلدها. لكنها تضم قبضتيها لمنعها من يمتدا مرة أخرى.

"كيف تبدو حقًا؟"

يقرقر ويترك الضوء يستقر في راحة يده: "يمكن أن أريك، انطقي الكلمة، وسوف أضع روحك عارية أمامك. استسلمي، وأعدك أن تكون الحقيقة آخر ما ترينه".

ها هو ذا مره أخرى.

ملح مرة، وعسل في المرة التالية، وكل منهما مصمم لتغطية السم.

تنظر آدي إلى الحلقة، وتسمح لنفسها بتأملها للمرة الأخيرة، ثم تجبر نظرتها على أن تتجاوز الضوء لتلتقي بالظلام.

تقول: "كما تعلم، أعتقد أنني أفضل أن أعيش وأتساءل".

يرتجف فم لوس، ولا يمكنها معرفة إذا كان ذلك نتيجة الغضب أم اللهو. يقول وهو يغمس الضوء بين أصابعه: "براحتك، يا عزيزتي".

مدينة نيويورك

23 مارس 2014

IV

تجلس آدي مثنية على كرسي جلدي في زاوية **الكلمة الأخيرة**، والخرخرة الناعمة للقط تنبعث من الأرفف في مكان ما خلف رأسها، بينما تشاهد العملاء يميلون تجاه هنري كما تميل الزهور تجاه الشمس.

بمجرد أن تعرف شيئًا ما، تبدأ في رؤيته في كل مكان.

شخص ما ينطق كلمتين، **الفيل الأرجواني**، وفجأة، يمكن أن تراهما في نوافذ المتجر وعلى القمصان والحيوانات المحنطة ولوحات الإعلانات، وتتساءل كيف لم تلاحظ ذلك قط .

الشيء نفسه مع هنري والصفقة التي أبرمها.

رجل يضحك على كل ما يقول.

امرأة تبتسم، تشع بهجة.

فتاة مراهقة تنتهز الفرص للمس كتفه وذراعه، وتحمر خجلًا بجاذبية صارخة.

بالرغم من هذا كله، لا تشعر آدي بالغيرة.

عاشت زمنًا طويلًا جدًّا وخسرت الكثير جدًّا، والقليل الذي اقترضته أو سرقته، لم تحتفظ به لنفسها. تعلمت المشاركة – ومع ذلك، كلما اختلس هنري نظرة إليها، تشعر بفورة لطيفة من الدفء، مثل الترحيب بالظهور المفاجئ لأشعة الشمس بين السحب.

تسحب آدي ساقيها إلى الكرسي، وكتاب قصائد مفتوح في حجرها. استبدلت بالملابس الملطخة بالطلاء بنطلونًا جديدًا من الجينز الأسود، وسويتر واسعًا، سرقا من متجر اقتصادي

وهنري يعمل. لكنها احتفظت بالحذاء، والبقع الصغيرة باللونين الأصفر والأزرق، تذكيرًا بالليلة السابقة، أقرب شيء لديها للصورة، ذاكرة مادية. "مستعدة؟"

تتطلع، ترى لافتة المتجر وقد انقلبت بالفعل إلى الخارج للغلق، وهنري يقف قرب الباب، والجاكت معلق على ذراعه. يمد يده، ويساعدها على النهوض من الكرسي الجلدي، الذي لديه، كما يشرح، طريقة لأكل الناس.

يخرجان، ويصعدان الدرجات الأربع إلى الشارع.

تسأل آدي: "إلى أين؟"

الوقت مبكر، وهنري ينبض بطاقة متوترة. يبدو أن حالته تزداد سوءًا عند الغسق، وغروب الشمس علامة ثابتة ليوم ذهب، والوقت يمر مع فقدان الضوء.

"هل زرت مصنع الآيس كريم؟"

"يبدو ممتعًا".

يتجهم: "لقد زرْتِه بالفعل".

"لا أمانع في الذهاب مرة أخرى".

لكن هنري يهز رأسه ويقول: "أريد أن أريك شيئًا جديدًا". ثم يسأل: "هل يوجد أي مكان لم تذهبي إليه؟" وبعد لحظة طويلة، تهز آدي كتفيها.

تقول: "أنا متأكدة من أنه يوجد. لكني لم أجده بعد".

قصدت أن يكون الأمر مضحكًا وخفيفًا، لكن هنري يعبس، ويفكر بعمق، وينظر حوله.

يقول وهو يمسك بيدها: "حسنًا. تعالي معي".

بعد ساعة، يقفان في جراند سنترال.[55]

---

55 جراند سنترال المحطة الجنوبية الأخيرة لخطوط هارلم وهدسون ونيو هافن التابعة لمترو نورث للسكك الحديدية، وتخدم الأجزاء الشمالية من مدينة نيويورك.

تقول وهي تنظر حولها في المحطة الصاخبة: "أكره أن أفسد عليك الأمر، لكني جئت هنا من قبل. جاء معظم الناس".

لكنه يبتسم لها ابتسامة كلها انزعاج: "من هنا".

تتبعه أسفل السلم الكهربائي إلى المستوى السفلي للمحطة. إنهما متشابكان، يدا بيد، عبر بحر ثابت من مسافري المساء، نحو قاعة الطعام الصاخبة، لكن هنري يتوقف لحظة، تحت تقاطع أقواس القرميد، والممرات المتفرعة في كل اتجاه. يشدها إلى أحد أركان الأعمدة، حيث تنقسم الأقواس، وتتقوس فوقها وعبرها، ويوجهها نحو الجدار المكسو بالبلاط.

يقول: "ابقي هنا"، ويبدأ في الابتعاد.

تسأل: "إلى أين تذهب؟" ملتفة بالفعل لتتبعه.

لكن هنري يعود، يضغط كتفيها ويحولها إلى قوس. يقول: "ابقي هنا، هكذا. واستمعي".

تدير آدي أذنها إلى الحائط المبلط، لكنها لا تسمع أي شيء من زحمة السير على الأقدام، وقعقعة حشود المساء. تنظر بحذر.

"هنري، أنا لا -"

لكن هنري ليس هناك. إنه يركض عبر القاعة إلى الجانب الآخر من القوس، ربما على بعد ثلاثين قدمًا. ينظر إليها خلفه، ثم يستدير ويدفن وجهه في الزاوية، باحثًا عن العالم بأسره مثل طفل يلعب الاستغماية، يعد حتى عشرة.

تشعر آدي بأنها سخيفة، لكنها تميل بالقرب من الجدار المبلط وتنتظر وتستمع.

وبعد ذلك، وبشكل مستحيل، تسمع صوته: "آدي".

تُذهَل. الكلمة بصوت منخفض لكنها واضحة وكأنه يقف بجانبها مباشرة.

تسأل القوس: "كيف تفعلون هذا؟" وتستطيع سماع الابتسامة في صوته حين يرد.

"الصوت يتبع منحنى القوس. ظاهرة تحدث حين تنحني المسافات بشكل صحيح. يسمى معرض الهمس".

تتعجب آدي. ثلاثمائة عام، وما زالت هناك أشياء جديدة أتعلمها.

يأتي الصوت على البلاط: "تحدثي معي".

تهمس في الحائط: "ماذا يجب أن أقول؟"

يقول هنري بهدوء في أذنها: "حسنًا. لماذا لا تحكي لي قصة؟"

باريس، فرنسا

29 يوليو 1789

V

باريس تحترق.

في الخارج، تفوح رائحة البارود والدخان، وبالرغم من أن المدينة لم تكن قط هادئة حقًّا، إلا أن الضوضاء ظلت طول الأسبوعين الماضيين بلا توقف. طلقات المسدسات، ونيران المدافع، والجنود يصرخون بالأوامر، والرد ينتقل من فم إلى فم.

تحيا فرنسا. تحيا فرنسا. تحيا فرنسا.[56]

بعد أسبوعين من اقتحام الباستيل، تبدو المدينة مصممة على تمزيق نفسها إلى جزأين. ومع ذلك، يجب أن تستمر، ويجب أن تبقى، وجميع من بداخلها، تركوا ليجدوا طريقًا للتغلب على العاصفة اليومية.

اختارت آدي أن تتحرك ليلًا بدلًا من ذلك.

تتسلل في الظلام، سيف يحتك بوركها وقبعة ثلاثية الحواف تنزل فوق جبينها. نزعن الملابس من رجل أصيب برصاصة في الشارع، القماش الممزق والبقعة الداكنة على البطن مخبأة تحت سترة أنقذتها من جثة أخرى. لا يمكن للمتسول أن يختار، ومن بالغ الخطورة أن تسافر وحدها بصفتها امرأة. والأسوأ في هذه الأيام أن تلعب دور نبيلة – من الأفضل أن تندمج بطرق أخرى.

56 بالفرنسية في الأصل.

اجتاح تيار المدينة، منتصـرًا ومنتشيًا في آن، وفي الوقت المناسب، تتعلم آدي تذوق التغييرات في الهواء، والشعور بالخط الفاصل بين القوة والعنف. لكن هذه الليلة، التمرد لا يزال جديدًا، والطاقة غريبة ولا يمكن فهمها.

وبالنسبة للمدينة نفسها، أصبحت شوارع باريس كلها متاهة، حيث أدى البناء المفاجئ للحواجز والمتاريس إلى تحويل أي مسار إلى سلسلة من الطرق المسدودة. وليس من المستغرب إذن أن تدور حول زاوية أخرى وتجد كومة من الصناديق والحطام تحترق أمامها.

تقسم آدي بصوت خافت، وهي على وشك العودة مرة أخرى، حين تسمع صوت أحذية على الطريق خلفها وينفجر مسدس، ويتصدع الحاجز فوق رأسها.

تستدير لتجد نصف دستة من الرجال يمنعونها من الانسحاب، مرتدين زي التمرد المرقّط. تلمع بنادقهم وسيوفهم في ضوء المساء. وهي إذن ممتنة لأن ملابسها كانت ملكًا لعامة الناس ذات يوم.

تسلك آدي حلقها، حريصة على أن يكون صوتها عميقًا وخشنًا وهي تصيح: "**تحيا فرنسا!**"[57]

رد الرجال بهتافاتهم، لكن ما أثار فزعها أنهم لا يتراجعون. وبدلًا من ذلك، استمروا في التقدم اتجاهها وأياديهم على أسلحتهم. في ضوء النيران، كانت عيونهم كابية من النبيذ، وطاقة الليل المجهولة.

يسأل أحدهم: "ماذا تفعل هنا؟"[58]

يقول آخر "يمكن أن يكون جاسوسًا. الكثير من الجنود يتجولون بالزي الموحد. ينهبون جثث الموتى البواسل".

تصرخ قائلة: "لا أريد أي مشاكل. أنا ببساطة تائه. اسمحوا لي أن أمر، وسوف أرحل".

---

57 بالفرنسية في الأصل.

58 أستخدم في الترجمة ضمير المذكر لأنها هنا تتصرف على أنها رجل.

يتمتم الثاني "وتعود مع دستة أخرى".

ترد قائلة: "لست جاسوسًا، ولا جنديًا، ولا جثة. كنت أشاهد فقط –"

يقاطعها ثالث: "—للتخريب".

يقترح آخر: "أو اقتحام متاجرنا".

لم يعودوا يصرخون. لا حاجة لذلك. اقتربوا بما يكفي للتحدث بنبرات عادية، ضاغطين ظهرها على المتراس المحترق. إذا تمكنت فقط من تجاوزهم، تبتعد بعيدًا عن الأنظار وبعيدًا عن الأذهان – ولكن لا مهرب. سدت جميع الشوارع الجانبية. والصناديق تحترق خلف آدي.

"إذا كنت صديقًا، فأثبت ذلك".

"ضع سيفك".

"أزل قبعتك. لنرَ وجهك".

تبلع آدي ريقها، وتلقي بالقبعة جانبًا على أمل أن يكون الظلام كافيًا لإخفاء نعومة ملامحها. ولكن بعد ذلك، يتصاعد الحاجز خلفها، ويفسح شعاع مكانه للهب، وللحظة، تضيء النار، وهي تعلم أن الضوء قوي بما يكفي لرؤيتها. تعرف من تغير وجوههم.

تقول مرة أخرى: "اسمحوا لي بالمرور"، ويدها تمتد إلى السيف عند وركها. تعرف كيف تستخدمه، وتعرف أيضًا أنهم خمسة وهي واحدة، وإذا سحبت السيف، فلن يكون هناك مخرج من هذا إلا به. الوعد بالبقاء على قيد الحياة راحة صغيرة ضد احتمال ما قد يحدث أولًا.

يقتربون، وتسحب أدي السيف. تهدر: "**تراجعوا**".

ولدهشتها توقف الرجال عن التقدم. تتوقف خطواتهم، ويسقط الظل على وجوههم، وتتراخى التعبيرات. تنزلق الأيدي من الأسلحة، وتتدلى الرؤوس على الأكتاف، ويمضي الليل ساكنًا، باستثناء فرقعة الصناديق المحترقة ونسمة صوت على ظهرها.

"البشر غير مهيئين للسلام".

تستدير، وسيفها لا يزال مرفوعًا، وتجد لوس، حوافه سوداء أمام النيران. لا ينسحب بعيدًا عن السيف، بل يمد يده ببساطة ويمرر يده على الفولاذ بكل متعة تلامس بشرة عاشق، موسيقيّ يداعب آلة موسيقية. تكاد تتوقع أن يغني النصل تحت أصابعه.

يقول الظلام: "عزيزتي أديلين، تبتكرين طرقًا للبحث عن المتاعب". تنجرف تلك النظرة الخضراء الزاهية إلى الرجال الساكنين. "كم كنت محظوظة بوجودي هنا".

تردد كالببغاء: "أنت الليل نفسه. ألا يجب أن تكون في كل مكان؟"

تظهر ابتسامة على وجهه. "يا لها من ذكرى جيدة". تلتف أصابعه حول نصلها ويبدأ الصدأ. "كم يجب أن يكون ذلك مرهقًا".

تقول بلا مبالاة: "لا على الإطلاق. إنها هدية. فكر في كل ما يمكن تعلمه. ولدي كل الوقت لأتعلم - "

يقاطعها وابل من الرصاص من بعيد، رد مدفع، ثقيل مثل الرعد. يتجهم لوس نفورًا، وتسعد برؤيته مضطربًا. صوت المدفع مرة أخرى، ويأخذها من معصمها.

يقول: "تعالي، لا أستطيع أن أفكر في هذا الصخب".

يستدير بسرعة، ويشدها في أعقابه. لكنه بدل أن يتقدم إلى الأمام، يخطو جانبًا في الظل العميق لأقرب جدار. تتراجع آدي للخلف، متوقعة أن تصطدم بالحجر، لكن الجدار ينفتح، ويتبدل العالم، وقبل أن تستنشق أنفاسها، تتراجع، ترحل باريس، وكذلك لوس.

لأنها غارقة في ظلام مطلق.

إنه ليس ساكنًا مثل الموت، وليس فارغًا أو هادئًا. هناك عنف في هذا الفراغ الأسود الأعمى. أجنحة طيور تضرب بشرتها. رياح تندفع في شعرها. ألف صوت يهمس. خوف وسقوط، شعور بري وحشي، وحين تفكر في الصراخ، يكون الظلام قد تلاشى مرة أخرى، ويتحسن الليل، ولوس بجوارها مرة أخرى.

تتأرجح آدي، وتستند على المدخل، وتشعر بتوعك وفراغ وارتباك.

تسأل: "ماذا حدث؟" لكن لوس لا يرد. يقف الآن على بعد عدة أقدام، يداه مفرودتان على درابزين الجسر وهو ينظر إلى النهر.

لكنه ليس نهر السين.

لا متاريس مشتعلة. لا نيران مدافع. لا رجال ينتظرون، والأسلحة بجانبهم. فقط نهر أجنبي يجري تحت جسر أجنبي، والمباني الأجنبية ترتفع على طول ضفاف أجنبية، وأسطح منازلها مغطاة بالقرميد الأحمر.

يقول، وهو يعدل طرفي كميه: "هذا أفضل". بطريقة ما، في طرفة عين، غير ملابسه، والياقة أعلى الآن، وزركشة من الحرير الناعم، بينما ترتدي آدي السترة غير الملائمة نفسها، التي أنقذتها من أحد شوارع باريس.

يمر زوجان وذراع كل منهما في ذراع الآخر، ولا تلمس سوى ارتفاعات اللسان الأجنبي وانخفاضاته.

تسأل: "اين نحن؟"

يلقي لوس نظرة حذرة، ويقول شيئًا ما بالتدفق المتقطع نفسه قبل أن يكرر ما قاله بالفرنسية. "نحن في فلورنسا".

فلورنسا. سمعت الاسم من قبل، لكنها تعرف القليل عنه، ومن الواضح - أنه ليس في فرنسا بل في إيطاليا.

تسأل: "ماذا فعلت؟ كيف فعلت ذلك - لا، لا تهتم. أعدني فقط".

يقوس حاجبًا: "أديلين، بالنسبة لشخص ليس لديه سوى الوقت، أنت متعجلة دائمًا". وحينها، يبتعد، وتُترك آدي لتسير في أعقابه.

تتأمل غرابة المدينة الجديدة. تتميز فلورنسا بأشكال غريبة وحواف حادة وقباب وأبراج وجدران حجرية بيضاء وأسقف مغطاة بالنحاس. إنها مكان مرسوم في لوحة

مختلفة، موسيقى تُعزف بآلة مختلفة. يرفرف قلب آدي بجمال المدينة، ويبتسم لوس وكأنه يمكن أن يشعر بسرورها.

"هل تفضلين شوارع باريس المحترقة؟"

"اعتقدت أنك ستكون مولعًا بالحرب".

يقول باقتضاب: "هذه ليست حربًا. إنها مجرد مناوشة".

تتبعه إلى فناء مفتوح، ساحة تتناثر فيها مقاعد حجرية، الهواء مثقل برائحة أزهار الصيف. يمشي إلى الأمام، صورة رجل نبيل يشم هواء الليل، يتباطأ فقط حين يرى رجلًا، تحت ذراعه زجاجة نبيذ. يثني أصابعه، ويغير الرجل مساره، ويأتي طائعًا مثل كلب. يتحول لوس إلى تلك اللغة الأخرى، وهي لغة ستعرفها باسم لغة فلورنسا، ورغم أنها لا تعرف الكلمات بعد، إلا أنها تعرف الإغراء في صوته، ذلك اللمعان الغامض الذي يتشكل في الهواء من حولها. وتعرف أيضًا المظهر الحالم في عيني الإيطالي وهو يسلم النبيذ بابتسامة هادئة ويبتعد ذاهلًا.

يغرق لوس على مقعد ويسحب كأسين من العدم.

آدي لا تجلس. تقف وتراقب وهو يفتح الزجاجة ويصب الخمر، ويقول: "لماذا أكون مولعًا بالحرب؟"

وهي تعتقد أن هذه هي المرة الأولى التي يسأل فيها سؤالًا صادقًا، سؤالًا لا يقصد منه التحريض والمطالبة والإكراه: "ألست إله الفوضى؟"

يتعكر تعبيره. "أنا إله الوعد، أديلين، والحروب تصنع رعاة رهيبين". يقدم لها كأسًا، وحين لا تمد يدها لأخذها، يرفعها كأنها نخبها. "حياة طويلة".

لا تستطيع آدي أن تسيطر على نفسها. تهز رأسها مرتبكة. "في بعض الليالي، تحب أن تراني أعاني، حتى أستسلم. وفي أخرى، تبدو عازمًا على أن تجنبني إياها. أتمنى أن تقرر".

يكتسح ظل وجهه: "صدقيني يا عزيزتي، أنت لا تفعلين ذلك". تمر قشعريرة صغيرة خلالها وهو يرفع كأس النبيذ إلى شفتيه. "لا تنسي هذا – أي شيء منه – من فضلك، يا أديلين". تتوهج عيناه انزعاجًا: "أريد ببساطة أن أكون الشخص الذي يكسرك".

تنظر حولها إلى الساحة التي تصطف على جانبيها الأشجار، مضاءة بالفوانيس، وضوء القمر يسطع على الأسطح المغطاة باللون الأحمر: "حسنًا، عليك أن تبذل جهدًا أكبر من..".

لكنها تتأرجح وانتباهها يعود إلى المقعد الحجري. تتمتم وهي تنظر في الساحة الفارغة: "أوه، الجحيم". لأن لوس رحل، بالطبع.

مدينة نيويورك

6 أبريل 2014

VI

يقول هنري مذعورًا: "تركك هناك ببساطة؟"

آدي تأخذ طبقًا به طعام مقلي وتحركه بين أصابعها. "هناك أماكن أسوأ يجب تركها".

يجلسان إلى طاولة مرتفعة فيما يسمى حانة - ما يعتبر حانة خارج بريطانيا - يتشاركان طلبًا من السمك ورقائق البطاطس بالخل ونصف لتر من البيرة الدافئة.

يمر بهما نادل ويبتسم لهنري.

تبطئ فتاتان متجهتان إلى الحمام حين تدخلان في مداره، وتحدقان وهما تغادران مرة أخرى.

يتدفق تيار من الكلمات من طاولة مجاورة، والمقاطع المنخفضة والسريعة للغة الألمانية، ويرتجف فم آدي بابتسامة.

يسأل هنري: "ماذا؟"

تميل إليه. "الاثنان هناك". تميل برأسها في اتجاههما. "إنهما يتشاجران. يبدو أن الرجل نام مع سكرتيرته. ومساعدته. ومدربة البيلاتس.[59] عرفت المرأة بالاثنتين الأولين، لكنها غاضبة بجنون بشأن الثالثة، لأنهما يأخذان البيلاتس في الأستوديو نفسه".

يحدق هنري فيها، متعجبًا: "ما عدد اللغات التي تعرفينها؟"

---

59 البيلاتس: تمارين باستخدام جهاز خاص، مصمم لتحسين القوة البدنية، والمرونة، والوقوف، وتعزيز الإدراك.

تقول: "كثيرة"، لكن من الواضح أنه يريد أن يعرف، لذا تعدها على أصابعها. "الفرنسية بالطبع. والإنجليزية. اليونانية واللاتينية. الألمانية والإيطالية والإسبانية والسويسرية وبعض البرتغالية، برغم أنها ليست بشكل مثالي".

"كنت تصلحين جاسوسًا رائعًا".

ترفع جبينها خلف زجاجتها: "من قال إنني لم أكن؟"

الأطباق فارغة حين تنظر حولها، ترى النادل يدخل إلى المطبخ. تقول وهي تمسك بيده: "تعال".

يتجهم هنري: "لم ندفع".

تقول وهي تقفز من على الكرسي: "أعرف، لكن إذا ذهبنا الآن، فسوف يعتقد أنه نسي فقط تنظيف الطاولة. لن يتذكر".

هذه مشكلة حياة مثل حياة آدي.

مضى عليها وقت طويل وهي بلا جذور، ولم تعد تعرف كيف تزرعها.

اعتادت على فقدان الأشياء، فهي ليست متأكدة من كيفية الاحتفاظ بها.

كيف تصنع مساحة في عالم بحجمها.

يقول هنري: "لا، لن يتذكرك أنت. لكنه سيتذكرني. أنا لست غير مرئي، يا آدي. أنا على عكس غير المرئي تمامًا".

غير مرئية. الكلمة تنهش جلدها.

تقول: "أنا أيضًا لست غير مرئية".

يقول وهو يحاول الوصول إلى محفظته: "تعرفين ما أعنيه. لا أستطيع المجيء والذهاب فقط. حتى لو استطعت، يبقى التصرف خطأ".

الكلمة تضرب مثل لطمة، عائدة إلى باريس، تتضاعف مع الجوع. إنها في منزل الماركيز، تتناول الطعام بملابس مسروقة، وتلتوي معدتها ولوس يشير إلى أن شخصًا ما سيدفع مقابل كل قضمة تتناولها.

يحترق وجهها خجلًا.

تقول: "حسنًا"، وهي تسحب حفنة من العشرينات من جيبها. تسقط ورقتين على الطاولة. "أفضل؟" لكن حين تنظر إلى هنري، يكون عبوسه أعمق.

"من أين حصلت على هذا المال؟"

لا تريد أن تخبره أنها خرجت من متجر المصممين ودخلت محل الرهونات، ناقلة القطع من يد إلى الأخرى. لا تريد أن توضح أن كل ما لديها - كل ما بجانبه – مسروق. وهو نفسه بطريقة ما. لا تريد آدي رؤية الحكم على وجهه، ولا تريد التفكير في مدى أنه مستحق.

تسأل: "هل يهم؟"

وهنري يقول: "نعم"، بقناعة شديدة، ووجها يتوهج باللون القرمزي.

تكز على أسنانها: "هل تعتقد أنني أريد أن أعيش بهذا الشكل؟ بلا عمل، بلا علاقات، أي وسيلة للتمسك بأي شخص أو أي شيء؟ هل تعتقد أنني أحب أن أكون وحيدة بهذا الشكل؟"

يبدو هنري متألمًا. يقول: "لست وحدك. أنا معك".

"أعلم، لكن لا يجب عليك أن تفعل كل شيء –أن تكون كل شيء".

"لا أمانع–"

"لكن أنا أمانع!" تنفجر مدفوعة بالغضب في صوتها. "أنا شخص، ولست حيوانًا أليفًا، يا هنري، ولست بحاجة إلى العطف عليَّ، أو تدليلي. أفعلُ ما عليَّ أن أفعله، وهو ليس لطيفًا دائمًا، وليس منصفًا دائمًا، لكن هذه هي الطريقة التي أعيش بها. آسفة لأنك لا توافق. لكن هذه أنا. هذا هو ما يصلح لي".

يهز هنري رأسه: "لكنه لن يصلح لنا".

تتراجع آدي وكأنها صعقت. وفجأة صارت الحانة صاخبة جدًّا، ممتلئة جدًّا، ولا يمكنها الوقوف هناك، ولا يمكنها الوقوف ساكنة، لذا تستدير، وتندفع للخارج.

حين يضربها هواء الليل، تشعر بالتوعك.

العالم يتأرجح ثم يستقر... وفي مكان ما بين خطوة وأخرى، يتبخر الغضب، وتشعر بالتعب والحزن.

لا تفهم كيف انتهت الليلة نهاية سيئة.

لا تفهم الثقل المفاجئ على صدرها حتى تدرك حقيقته – إنه الخوف. الخوف من أن تكون قد أخطأتْ، تخلصت من الشـيء الوحيد الذي كانت تريده دائمًا. الخوف من أن يكون بهذه الهشاشة، من أن ينهار بسهولة.

لكنها بعد ذلك تسمع وقع خطى، وتشعر أن هنري يقترب منها.

لا يقول أي شيء، يمشـي فقط، يتخلف نصف خطوة، وهذا نوع جديد من الصمت. في الصمت في أعقاب العواصف، لم يُحسَب الضرر بعد.

تمسح آدي دمعة من خدها: "هل أفسدْتُها؟"

يسأل: "أفسدْتِ ماذا؟"

"العلاقة بيننا".

يمسك كتفها. تستدير متوقعة أن ترى وجهه يتسم بالغضب، لكنه ثابت وسلس: "آدي. كان مجرد شجار. ليست نهاية العالم. من المؤكد أنها ليست نهايتنا".

ثلاثمائة عام كانت تحلم بهذا.

كانت تعتقد دائما أنه سيكون سهلًا.

عكس لوس.

تهمس: "لا أعرف كيف أكون مع شخص ما. لا أعرف كيف أكون شخصًا عاديًا".

تظهر على فمه ابتسامة ملتوية. "أنت لا تُصدَّقين، وقوية، وعنيدة، ورائعة. لكنني أعتقد أن من الصحيح القول إنك لن تكوني طبيعية أبدًا".

يمشيان، ذراعًا في ذراع، في هواء الليل البارد.

يسأل هنري: "هل عدت إلى باريس؟"

إنه غصن زيتون، بناء جسر، وهي ممتنة لذلك.

تقول: "في النهاية".

استغرق الأمر وقتًا أطول للعودة إلى هناك، دون مساعدة لوس، أو قيادتها الساذجة للوصول إلى المدينة، وهي محرجة لتقول إنها لم تسرع في العودة. حتى لو قصد لوس التخلي عنها، وتقطعت بها السبل هناك في فلورنسا، فقد كسر بذلك ختمًا من نوع ما. بطريقة أخرى مجنونة، أجبر على إطلاق سراحها.

حتى تلك اللحظة، لم تكن آدي تتصور قط مغادرة فرنسا. ليس من العبث التفكير في ذلك الآن، لكن العالم بدا أصغر بكثير في ذلك الوقت. ثم فجأة لم يكن كذلك.

ربما قصد أن يلقي بها في حالة من الفوضى.

ربما كان يعتقد أنها أصبحت مرتاحة للغاية، وصارت عنيدة أكثر من اللازم.

ربما أراد أن تدعوه مرة أخرى. أن تتوسل إليه ليعود.

ربما ربما ربما - لكنها لن تعرف أبدًا.

فينسيا، إيطاليا

29 يوليو 1806

VII

تستيقظ آدي على ضوء الشمس وملاءات من الحرير.

تشعر بأطرافها ثقيلة ورأسها مليء بالشاش. هذا النوع من الثقل الذي يأتي مع شدة الشمس والنوم المفرط.

الجو حار في البندقية، أكثر حرارة من باريس في أي وقت.

النافذة مفتوحة، لكن لا النسيم الخافت ولا الفراش الحريري كافيان لتبديد الحرارة الخانقة. إنه الصباح فقط، والعرق بالفعل حبات على بشرتها العارية. تخشى من التفكير في منتصف النهار وهي تتسحب مستيقظة، وترى ماتيو جالسًا عند طرف السرير.

إنه جميل بنفس القدر في ضوء النهار، جذاب وقوي، لكنها أقل تأثرًا بملامحه الجميلة، وأكثر من ذلك بهدوء اللحظة الغريب.

عادة ما تكون الصباحات مشوشة بالاعتذارات والارتباك وعواقب النسيان. وتكون مؤلمة أحيانًا، ومربكة دائمًا.

لكن ماتيو يبدو غير مرتبك تمامًا.

إنه لا يتذكرها، بالطبع، هذا واضح جدًّا - لكن وجودها هناك، هذه الغريبة في سريره، لا يبدو أنه يخيفه أو يضايقه. ينصب اهتمامه فقط على لوحة الرسم المتوازنة على ركبته، والفحم الذي ينساب برشاقة عبر الورقة. فقط حين تلمح نظرته إليها، ثم إلى أسفل مرة أخرى، تدرك أنه يرسمها.

لا تأتي بأي حركة لتغطي نفسها، للوصول إلى السليب المسدل على الكرسي، أو الروب الخفيف عند طرف السرير. لم تخجل آدي من جسدها منذ وقت طويل. في الواقع، صارت تتمتع بالإعجاب به. ربما يكون التخلي الطبيعي الذي يأتي مع الوقت، أو ربما ثبات شكلها، أو ربما يكون التحرر الذي يأتي بمعرفة أن المتفرجين لن يتذكروا.

هناك حرية في أن تُنسَى رغم كل شيء.

ومع ذلك، لا يزال ماتيو يرسم، والحركات سريعة وسهلة.

تسأل بلطف: "ماذا تفعل؟" فيرفع بصره عن اللوحة.

يقول: "آسف. الطريقة التي تبدين بها. اضطررت لالتقاطها".

تعبس آدي، يبدأ في النهوض، لكنه يطلق صوتًا خانقًا ويقول: "ليس بعد"، ويتطلب الأمر كل قوتها للبقاء هناك، على السرير، واليدان متشابكتان في الملاءات حتى يتنهد ويضع العمل جانبًا، عينان لامعتان بالشفق الذي يميز الفنانين.

"هل يمكن أن أرى؟" تسأل باللحن الإيطالي الذي تعلمته.

يقول: "لم تكتمل"، حتى وهو يقدم لها اللوحة.

تحدق آدي في الرسم. العلامات سهلة وغير دقيقة ودراسة سريعة بيد موهوبة. وجهها بالكاد مرسوم، يكاد يكون مجردًا في إيماءات من الضوء والظل.

إنها هي- وليست هي.

صورة مشوهة بفلتر أسلوب شخص آخر. لكنها تستطيع أن ترى نفسها فيها. من منحنى خدها إلى شكل كتفيها، وشعرها المنكوش من أثر النوم ونقاط الفحم المتناثرة على وجهها. سبع بقع من النمش مرسومة مثل النجوم.

تمسح الفحم باتجاه الحافة السفلية للصفحة، حيث تذوب أطرافها في مفارش السرير، وتشعر أنه يلطخ بشرتها.

ولكن حين ترفع يدها بعيدًا، يتلطخ إبهامها ويكون الخط نظيفًا. لم تترك أثرًا. ومع ذلك، تركت. أثارت إعجاب ماتيو، وأثار إعجابها على الصفحة.

يسأل: "هل أعجبتك؟"

تتمتم: "نعم"، وتقاوم الرغبة في نزع اللوحة من إضمامة الورق، لتأخذها معها. تريد الحصول على كل بوصة منها، والاحتفاظ بها، والتحديق في الصورة كما حدق نرسيس في البركة. لكن إذا أخذتها الآن، فسوف تختفي، أو تنتمي إليها، وهي وحدها، وبعد ذلك تضيع لا محالة، تُنسَى.

إذا احتفظ ماتيو بالصورة، فسوف ينسى المصدر، وليس الرسم نفسه. ربما يعود إليه حين ترحل، ويتساءل عن المرأة الممددة في ملاءاته، وحتى لو كان يعتقد أنها نتاج بعض الاحتفالات في حالة سكر، بعض أحلام الحمى، ستظل صورتها موجودة، فحم على ورق، رق ممسوح تحت عمل مكتمل.

سيكون حقيقيًا، وستكون حقيقية.

لذا تفحص آدي الرسم، ممتنة لتأثير ذاكرتها، وأعادته إلى الفنان. تنهض وتتناول ملابسها.

يسأل ماتيو: "هل قضينا وقتًا ممتعًا؟ أعترف بأنني لا أتذكر".

تكذب: "ولا أنا".

يقول بابتسامة خليعة: "حسنًا إذن، لابد أنه كان وقتًا جيدًا للغاية".

يقبِّل كتفها العاري، ونبضها يرفرف، جسدها يسخن مع ذكرى الليلة السابقة. إنها غريبة عنه الآن، لكن ماتيو لديه شغف سهل لفنان مغرم بأحدث موضوع له. سيكون الأمر بسيطًا بما يكفي للبقاء، والبدء من جديد، والاستمتاع برفقته يومًا آخر - لكن أفكارها لا تزال في الرسم، ومعنى تلك الخطوط، وقيمتها.

تقول وهي تميل لتقبيله للمرة الأخيرة: "يجب أن أذهب. حاول أن تتذكرني".

يضحك، الصوت مرح وخفيف وهو يضمها، يترك أشباح أصابع الفحم على بشرتها: "كيف يمكن أن أنسى؟"

في تلك الليلة، يحول غروب الشمس القنوات إلى اللون الذهب.

تقف آدي على جسر فوق الماء، وتدلك الفحم الذي لا يزال على إبهامها، وتفكر في اللوحة، أداء الفنان، مثل صدى الحقيقة، تفكر في كلمات لوس نفسه منذ فترة طويلة، حين أخرجها من صالون جوفرين.

الأفكار أكثر وحشية من الذكريات.

كان يقصد أن يكون تعليقًا لاذعًا، بلا شك، لكن كان عليها أن تعتبره دليلًا، ومفتاحًا. الذكريات قاسية، لكن الأفكار أكثر حرية. تتخلص من الجذور وتنتشر وتتشابك وتنفصل عن مصدرها. إنها ذكية وعنيدة، وربما - ربما - في متناول اليد.

لأنه على بعد بنايتين، في ذلك الاستوديو الصغير فوق المقهى، يوجد فنان، وفي إحدى صفحاته، توجد لوحة، لوحة لها. والآن تغلق آدي عينيها، وتوجه رأسها إلى الخلف، وتبتسم، وتأمل أن ينتفخ صدرها. صدع في جدران هذه اللعنة التي لا تنضب. اعتقدت أنها فحصت كل شبر، ولكن هنا، باب، موارب إلى غرفة جديدة وغير مكتشفة.

يتغير الهواء من ظهرها، ورائحة الأشجار الهشة، مستحيلة ولا مكان لها في حرارة البندقية الشديدة.

تفتح عينيها: "مساء الخير يا لوس".

"أديلين".

تستدير لتواجهه، هذا الرجل الذي جعلته حقيقيًا، هذا الظلام، هذا الشيطان الذي عاد للحياة. وحين سألها إذا كانت قد اكتفت، إذا كانت متعبة، إذا كانت سترضخ له الليلة، تبتسم وتقول: "ليس الليلة".

تحك إصبعها بإبهامها من جديد، وتتحسس الفحم، وتفكر في إخباره باكتشافها، فقط لترى دهشته.

تريد أن تقول له، وجدت طريقة لأترك بصمة، كنت تعتقد أنه يمكنك محو هذا العالم، لكن لا يمكنك ذلك. ما زلْتُ هنا. سأكون دائما هنا.

طعم الكلمات - هذا الانتصار - حلو مثل السكر على لسانها. ولكن هناك ضوء تحذير في نظرته الليلة، وتعرف أن لوس سيجد طريقة لقلب الأمر ضدها، ليأخذ منها العزاء الصغير قبل أن تجد طريقة لاستخدامه.

لذا لا تقول شيئًا.

مدينة نيويورك

25 أبريل 2014

VIII

وانتشرت موجة من التصفيق على العشب.

إنه يوم ربيعي رائع، أحد الأيام الأولى حيث يستمر الدفء مع غروب الشمس، وهما يجلسان على بطانية على حافة بروسبكت بارك والفنانون يصعدون ويهبطون من على خشبة المسرح المعد عبر المنطقة الخضراء.

يقول ومطرب جديد يتسلق السلم: "لا أصدق أنك تتذكرين كل شيء".

تقول: "إن الأمر يشبه رؤية ذلك من قبل، أنت فقط من يعرف بالضبط أين رأيت أو سمعت أو شعرت بشيء من قبل. تعرف كل زمان ومكان، وتبقى الأمور مكدسة فوق بعضها مثل صفحات في كتاب طويل جدًّا ومعقد".

يهز هنري رأسه: "كنت أفقد عقلي".

تقول بمرح: "أوه، لقد فقدْتُه. لكن حين تعيش طويلًا بما يكفي، ينتهي حتى الجنون".

المطرب الجديد... ليس جيدًا.

صبي مراهق صوته موزع بالتساوي بين الدمدمة والصياح. لم تتمكن آدي من التقاط أكثر من كلمة أو كلمتين، ناهيك عن اكتشاف اللحن. لكن المرج ممتلئ، والجمهور مفعم بالحماس، متحمس للأداء أقل من حماسه لفرصة التلويح بالبطاقات المرقمة.

إنه رد بروكلين على ميكروفون مفتوح: حفل خيري يدفع فيه الناس مقابل الأداء، ويدفع الآخرون لإصدار حكم عليهم.

"يبدو نوعًا من القسوة"، أشارت حين سلمها هنري البطاقات.

يقول وهو يتأرجح في النغمات النهائية لآلة الساكسفون المسطحة: "لسبب وجيه".

تنتهي الأغنية بموجة من التصفيق الضعيف.

الحقل عن بحر من رقم 2 ورقم 3. وهنري يحمل 9.

تقول: "لا يمكنك منحهم جميعًا تسعات وعشرات".

يهز هنري كتفيه: "أشعر بالتعاطف معهم. يتطلب الأمر الكثير من الشجاعة للنهوض والأداء. ماذا عنك؟"

تنظر إلى البطاقات: " لا أعرف".

"أخبرْتِني أنك كنت مستكشفة مواهب".

"نعم، حسنًا، كان أسهل من أن أخبرك بأنني شبح عمره ثلاثمائة وثلاث وعشرون عامًا هوايته الوحيدة إلهام الفنانين".

هنري يمد يده ويمرر إصبعه على خدها: "لسْتِ شبحًا".

تبدأ الأغنية التالية وتنتهي ويتساقط التصفيق المتناثر مثل المطر عبر العشب.

هنري يعطيها رقم 7.

آدي تحتفظ برقم 3.

ينظر هنري إليها مذعورًا.

تقول: "ماذا؟ لم يكن ذلك جيدًا جدًّا".

"هل كنا نصنف الموهبة؟ حسنًا، قرف".

تضحك آدي، وهناك فترة هدوء بين الأعمال، وبعض الخلاف حول من يفترض أن يصعد بعد ذلك. تتسرب الموسيقى المسجلة من مكبرات الصوت، وهما مستلقيان على العشب، ورأس آدي مستقر على بطنه، حركة شهيقه وزفيره مثل موجة ضحلة تحتها.

ها هو ذا نوع جديد من الصمت، أكثر ندرة من بقية الأنواع. الهدوء السهل للمساحات المألوفة والأماكن التي تملأ ببساطة لأنك لا تشغلها وحدك. كراسة بجانبها على البطانية.

ليست الزرقاء؛ تلك الممتلئة بالفعل. هذه الجديدة خضراء بلون الزمرد، تقريبًا نفس ظل عيني لوس حين يتفاخر.

يبرز قلم بين الصفحات يحدد موضع هنري. كل يوم، كانت آدي تحكي له قصصًا.

تحدثت وهي تتناول البيض والقهوة عن سيرها المؤلم إلى لومان. في المكتبة ذات صباح، أثناء تفريغ الإصدارات الجديدة، استعادت السنة الأولى في باريس. متشابكة في الملاءات الليلة الماضية، حكت له عن ريمي. طلب هنري الحقيقة، الحقيقة، وهي تحكيها. في قطع، شظايا مطوية مثل علامات الكتب بين حركة أيامهما.

هنري مثل برق معبأ، يعجز عن الجلوس ساكنًا لفترة طويلة، مليئًا بطاقة عصبية، لكن في كل لحظة هناك هدوء، قطعة صغيرة من الهدوء والسكينة، يمسك بأحدث دفتر، وقلم، ورغم أنها تعجب دائمًا برؤية الكلمات - كلماتها - المتطايرة عبر الصفحة، تضايقه لإلحاحه في كتابتها.

تذكره، وهي تسوي شعره: "لدينا وقت".

تتمدد آدي بجانبه، وتنظر إلى الضوء المحتضر، والسماء مخططة بالأرجواني والأزرق. إنه الليل تقريبًا، وهي تعلم أن سقفًا لن يفعل شيئًا إذا بدا الظلام في طريقها، لكنها مستلقية هنا، تحت السماء المفتوحة، وما زالت تشعر بأنها معرضة للخطر.

كانا محظوظين، محظوظين جدًّا، لكن مشكلة الحظ تكمن في أنه ينتهي دائمًا.

وربما ببساطة بسبب النقر العصبي بأصابع هنري على اليوميات.

وربما ببساطة لأن السماء غير مقمرة.

وربما ببساطة لأن السعادة مخيفة.

الفرقة التالية تصعد إلى المسرح.

ولكن مع دقات الموسيقى عبر العشب، لا يمكن أن تبعد عينيها عن الظلام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

لندن، إنجلترا

26 مارس 1827

IX

يمكن أن تعيش في المعرض الوطني.

في الواقع، أمضت هنا موسمًا، تتجول من غرفة إلى أخرى، وتتغذى على اللوحات والبورتريهات، والمنحوتات والمنسوجات. حياة مضت بين أصدقاء، بين أصداء.

تتنقل عبر القاعات الرخامية، وتعد القطع التي لمستها، والعلامات التي تركتها يد أخرى، لكنها تسترشد بعلاماتها.

في آخر إحصاء، كان هناك ستة في هذه المجموعة بالذات.

ستة أعمدة تحملها عاليًا.

ستة أصوات تحملها.

ست مرايا تعكس أجزاء ظهرها للعالم.

لا توجد علامة على لوحة ماتيو، ليست بين هذه الأعمال المكتملة، لكنها ترى تلك الخطوط المبكرة تنعكس في تحفته، الميوز، تراها مرة أخرى في منحوتة لوجه يستريح على يد، لوحة لامرأة تجلس على شاطئ البحر.

إنها شبح، ثرثارة، توضع مثل فيلم في العمل.

لكنها هناك.

إنها هناك.

يخبرها أحد المضيفين أنهما سيغلقان قريبًا، وتشكره آدي وتستمر في جولتها. يمكنها البقاء،

لكن القاعات الواسعة ليست مريحة مثل الشقة في كنسينجتون، وهي جوهرة تُركت خالية في أشهر الشتاء. تتوقف آدي أمام قطعتها المفضلة، بورتريه لفتاة أمام مرآة. ظهرها للفنان، الغرفة والفتاة معروضان بتفاصيل شديدة، لكن انعكاسها مجرد خطوط. وجهها فقط معروض في البقع الفضية للمرآة. ومع ذلك، عن قرب، يمكن لأي شخص أن يرى النمش المتناثر، مثل النجوم العائمة على السماء الرمادية.

يقول صوت من خلفها: "كم أنت ذكية".

كانت آدي وحدها في المعرض، وهي الآن ليست وحدها.

تنظر إلى اليسار، وترى لوس يحدق من خلفها في اللوحة، ورأسه مائل وكأنه معجب بالعمل، وللحظة، تشعر آدي وكأنها خزانة، مفتوحة. ليست مضطربة، ولا تنتظر متوترة، لأنه لا تزال هناك أشهر على ذكرى لقائهما.

تسأل: "ماذا تفعل هنا؟"

يرتجف فمه، مستمتعًا بمفاجأتها: "أنا في كل مكان".

لم يخطر ببالها قط أنه يمكن أن يأتي كما يشاء، وأنه غير ملزم بطريقة ما بمواعيد اتفاقهما. كانت زياراته، تمامًا مثل غيابه، عن قصد دائمًا - باختياره.

يقول، "أرى أنك كنت مشغولة"، والعينان الخضـراوان تتأملان البورتريه. كانت مشغولة. نثرت نفسها مثل فتات الخبز، موزعة في مئات الأعمال الفنية. لن يكون من السهل عليه محوها كلها.

ومع ذلك، هناك ظلام في نظرته، مزاج لا تثق فيه.

يمد يده، تتتبع إصبعه الإطار.

تقول: "دمرها، وسأصنع المزيد".

يقول، ويده تسقط: "لا يهم، أنت لا تهمين، يا أديلين".

الكلمات تلدغ، حتى الآن.

"خذ أصداءك وتظاهر بأنها صوت".

ليست غريبًا عليها سوء مزاج لوس، خطوطه المزاجية السيئة، القصيرة والساطعة مثل البرق. لكن هناك عنف في نبرته الليلة. حدة، وهي لا تعتقد أن مكرها هو ما يزعجه، لمحتها هذه، المطوية بين طبقات الفن.

لا، هذا المزاج المظلم أحضره معه.

ظل يزحف في أعقابه.

لكن مر ما يقرب من قرن منذ أن صفعته، في تلك الليلة في فيون، حين رد عليها، وحولها إلى جثة هامدة على أرضية منزل إستيل. وبدل أن تتراجع عند رؤية الأسنان، تقدم الطُّعم: "قلت ذلك بنفسك، يا لوس. الأفكار أكثر وحشية من الذكريات. ويمكن أن أكون جامحة. يمكن أن أكون عنيدة مثل الأعشاب، ولن تقتلعني. وأعتقد أنك سعيد بذلك. أعتقد أن هذا سبب مجيئك، لأنك تشعر بالوحدة أيضًا".

تومض عينا لوس بلون أخضر مزعج وعاصف. يزجر: لا تكوني سخيفة: "الآلهة معروفة للجميع".

تعترض قائلة: "لكن قلة قليلة من الناس يتذكرونها. كم عدد من قابلوك أكثر من مرتين – مرة لعقد صفقة ومرة لدفع الثمن؟ كم عدد من كانوا جزءًا من حياتك بقدر ماكنت أنا؟" تبتسم آدي ابتسامة انتصار: "ربما لهذا لعنتني بهذا الشكل. لكي تكون لديك صحبة. لكي يتذكرك شخص ما".

يكون فوقها في لحظة، يضغط ظهرها إلى حائط المتحف: "لعنتك لأنك حمقاء".

وتضحك آدي.

"كما تعلم، حين تخيلت الآلهة القديمة، وأنا طفلة، كنت أفكر فيكم على أنكم خالدون، فوق المخاوف التافهة التي ابتلي بها عبادكم. اعتقدت أنكم أكبر منا. ولكنكم لستم أكبر منا. إنكم متقلبون وترغبون كما يرغب البشر الذين تحتقرونهم". تحكم يداه الضغط على يديها، لكنها لا ترتجف، ولا ترتعد، ببساطة تحدق في نظرته. "لسنا مختلفين، أليس كذلك؟"

يشتد غضب لوس، ويصبح وقحًا، وتتحول خضـرة عينيه إلى اللون الأسود. "تدعين أنك تعرفينني جيدًا الآن. لنرَ.." . تسقط يده من كتفها إلى معصمها، وبعد فوات الأوان، تدرك ما يقصد فعله.

مر أربعون عامًا منذ أن جرها في الظلام آخر مرة، لكنها لم تنس الشعور، والخوف البدائي والأمل الجامح والحرية المستهترة لفتح الأبواب في الليل.

إنه لانهائي –.

ثم ينتهي الأمر، وهي على يديها وركبتيها على أرضية خشبية، وأطرافها ترتجف من غرابة الرحلة.

هناك سرير، غير مرتب وفارغ، والستائر مفتوحة تمامًا، والأرض مغطاة بنوت موسيقية، والهواء عطن وكأن في الفضاء مرضًا.

يتمتم لوس: "يا لها من مضيعة للوقت".

تنهض آدي على قدميها مترنحة: "أين نحن؟"

يقول: "تخطئين وتظنين أنني إنسان وحيد. بعض البشـر البائسين يبحثون عن رفقة. لست هذا أو ذاك".

حركة، عبر الغرفة، وتدرك أنهما ليسا وحدهما. شبح لرجل، أبيض الشعر بعينين جامحتين، يجلس على مقعد البيانو، وظهره للمفاتيح.

إنه يتوسل باللغة الألمانية.

يقول: "ليس بعد"، وهو يمسك بحفنة من النوت الموسيقية على صدره. "ليس بعد. أحتاج إلى المزيد من الوقت".

صوته غريب ومرتفع جدًا كأنه لا يسمع. لكن صوت لوس، حين يجيب، يكون بنبرة جادة ناعمة، جرس منخفض، صوت محسوس بقدر ما هو مسموع.

يقول: " المزعج في الوقت أنه لا يكفي أبدًا. ربما عقد قصير جدًّا، ربما لحظة. لكن الحياة تنتهي دائمًا مبكرًا جدًّا".

يتوسل الرجل: "أرجوك"، وهو ينزل على يديه وركبتيه أمام الظلام، وترتجف آدي من أجله، وهي تعلم أن توسلاته لن تجدي.

"اسمح لي أن أعقد صفقة أخرى!"

يجبر لوس الرجل على الوقوف على قدميه: "انتهى وقت الصفقات، يا هر بيتهوفن. الآن، يجب أن تنفذ المطلوب".

يهز الرجل رأسه: "لا".

ولا تستطيع آدي رؤية عيني لوس، لكنها تشعر بأن مزاجه يتغير. تموجات الهواء في الغرفة من حولهم، والريح، وشيء أقوى.

يقول لوس: "سلم روحك. وإلا أخذتها بالقوة".

يصرخ الرجل في حالة هستيرية الآن: "لا! ابتعد أيها الشيطان. ابتعد، و- "

هذا آخر شيء يقوله، قبل أن **يظهر** لوس.

هذه هي الطريقة الوحيدة للتفكير في الأمر.

والشعر الأسود يرتفع من وجهه، يتسلق الهواء كالأعشاب، وتموجات جلده وتشققاته، وما يظهر ليس رجلًا. إنه وحش. إنه إله. إنه الليل نفسه، وشيء آخر، شيء لم تره من قبل، شيء لا تستطيع تحمل النظر إليه. شيء أقدم من الظلام.

"**استسلمي**".

والآن لم يعد الصوت صوتًا على الإطلاق، بل مزيجًا من أغصان تنهش ورياح صيف، وهدير منخفض لذئب، وتحول مفاجئ للصخور تحت الأقدام.

الرجل يهتف ويتوسل. يصيح: "النجدة!" لكن بلا جدوى. إذا كان هناك أحد خلف الباب، فلن يسمع.

"النجدة!" يصيح مرة أخرى، بلا فائدة.

ثم يدس الوحش يده في صدره.

يتأرجح الرجل شاحبًا ورماديًّا، والظلام يقطف روحه مثل قطعة من الفاكهة. تنفصل بصوت تمزق، ويتعثر الملحن ويسقط على الأرض. لكن عيني آدي ثابتة على انبثاق النور في يد الظل، ترتج وتتأرجح. وقبل أن تتمكن من فحص شرائط اللون الملتفة على سطحها، قبل أن تتساءل عن الصور الملتفة في الداخل، يغلق الظلام أصابعه حول الروح، وتفرقع خلاله مثل البرق، ويغرق بعيدًا عن الأنظار.

يجلس الملحن مستلقيًا على مقعد البيانو، ورأسه إلى الخلف وعيناه خاويتان.

سوف تعرف أن يد لوس خفية دائمًا. يرون عمله ويسمونه مرضًا، يسمونه قصورًا في القلب، يسمونه جنونًا، انتحارًا، جرعة زائدة، حادثًا.

لكنها الليلة تعرف فقط أن الرجل الذي على الأرض مات.

يتحول الظلام إلى آدي، بعد ذلك، ولا أثر للوس في الدخان المتصاعد. لا توجد عينان خضراوان. لا ابتسامة مرحة. لا شيء سوى فراغ متوعد، ظل ممتلئ بالأسنان.

مر وقت طويل منذ أن شعرت آدي بخوف حقيقي. تعرف الحزن؛ الوحدة والأسى. لكن الخوف يعرفه من لديهم ما يخسرونه.

ومع ذلك.

محدقة في ذلك الظلام، تخاف آدي.

تريد أن تستقر ساقاها، وتريد أن تثبت في مكانها، وتثبت، وهو يخطو الخطوة الأولى، والثانية، ولكن في الثالثة، تجد نفسها تتراجع. بعيدًا عن الظلام الذي يتلوى، الليل الوحشي، حتى يستقر ظهرها على الحائط.

لكن الظلام يواصل التقدم.

مع كل خطوة للأمام، يحتشد، ويثبت الحواف حتى يصبح دخانًا معبأ في كأس أكثر مما هو عاصفة. يتشكل الوجه، وتتدحرج الظلال إلى تجعيدات سوداء فضفاضة، والعينان - هناك عينان مرة أخرى الآن - تبرقان مثل حجر التجفيف، ويضيق الفم الكهفي إلى قوس كيوبيد، وتنحني الشفاه إلى شكل خبيث.

ويكون لوس مرة أخرى، ملفوفًا بقناع من اللحم والعظام، قريبًا بما يكفي لدرجة أنها تستطيع أن تشعر بهواء الليل البارد الذي ينطلق منه مثل النسيم.

وهذه المرة، حين يتحدث، يكون ذلك بالصوت الذي تعرفه جيدًا. يقول: "حسنًا يا حبيبتي..". ويد ترتفع إلى خدها. "هل نحن مختلفان جدًّا الآن؟"

ليس لديها فرصة لترد.

يدفع بأقل ما يمكن، وينفتح الجدار خلفها، وهي غير متأكدة مما إذا كانت قد سقطت، أو إذا امتدت الظلال وسحبتها لأسفل، غاب لوس فقط، وغابت غرفة الملحن، وعلى الفور، الظلام في كل مكان، ثم تقف في الخارج، على الضفاف المرصوفة بالحصى، والليل مليء بالضحك والأضواء الساطعة على الماء، ورجل يغني لحنًا رقيقًا في مكان ما على نهر التايمز.

مدينة نيويورك

15 مايو 2014

X

فكرة إحضار القط إلى البيت فكرة آدي.

ربما كانت تتوق دائمًا إلى حيوان أليف.

ربما تعتقد ببساطة أنه يشعر بالوحدة حتمًا.

ربما تعتقد أنه سيفيد هنري.

لا تعرف. لا يهم. كل ما تفعله أنه في يوم من الأيام، وهو يغلق المتجر، تظهر بجانبه على المنحدر، ورواية تحت ذراع والقط المخطط العتيق في الأخرى، وهذا كل شيء.

حملا بوك إلى بيت هنري، وأدخلاه من الباب الأزرق، وصعدا إلى شقة بروكلين الضيقة، وبالرغم من خرافات هنري، لا يتحول إلى غبار، حين ينفصل عن متجره. إنه ببساطة يتجول لمدة ساعة قبل أن يتكئ على مجموعة فلسفية، وها هو في البيت.

وكذلك هي.

يلتفان معًا على الأريكة حين تسمع نقرة كاميرا بولارويد، وترى الفلاش المفاجئ، وفي لحظة تتساءل عما إذا كان سينجح، إذا كان هنري قادرًا على التقاط صورتها، كما كتب اسمها.

لكن حتى الكتابة في يومياته ليست كتابتها تمامًا. إنها قصتها بقلمه، حياتها بكلماتها.

وبالتأكيد، حين يكشف الفيلم، وتظهر صورة بولارويد، لا تكون صورتها، لا تكون حقًّا. الفتاة في الإطار شعرها بني متموج. الفتاة في الإطار ترتدي قميصها الأبيض. لكن الفتاة في الصورة بلا وجه. إذا كان لها، فقد قلبتها الكاميرا، وكأنها التقطت أثناء عملية دوران.

وكانت تعلم أن ذلك لن ينجح، لكن قلبها لا يزال يغرق.

يقول هنري، وهو يدير الكاميرا في يديه: "لا أفهم".

يسأل: "هل يمكن أن أحاول مرة أخرى؟" وتتفهم الدافع. من الصعب النجاح، حين يكون المستحيل واضحًا جدًّا. لا يستطيع عقلك فهم ذلك، لذا حاول مرة ومرة، مقتنعًا أن الأمر هذه المرة، سيكون مختلفًا.

تعرف أن المرء يجن بهذا الشكل.

لكن آدي تلاطف هنري وهو يحاول مرة ثانية وثالثة. تشاهد والكاميرا تحشر، وتقذف بطاقة فارغة، تعود معرضة لضوء شديد، معرضة لضوء خافت، غير واضحة، حتى يسبح رأسها مع ومضات بيضاء.

تسمح له بالمحاولة من زوايا مختلفة، في ضوء مختلف، حتى تتناثر الصور على الأرض بينهما. إنها هناك، وليست هناك، حقيقية، وشبح.

لابد أنه يراها تتأرجح أكثر قليلًا مع كل ومضة، والحزن يتصاعد من الشقوق، ويجبر نفسه على ترك الكاميرا.

تحدق آدي في الصور، وتفكر في اللوحة في لندن، وصوت لوس في رأسها.

لا يهم.
أنت لا تهمين.

تلتقط المحاولة الأخيرة، وتفحص شكل الفتاة في الإطار، وملامحها غير واضحة لا يمكن التعرف عليها. تغلق عينيها، وتذكر نفسها بأن هناك طرقًا كثيرة لترك بصمة، وتذكر نفسها أن الصور تكذب.

وبعد ذلك تشعر بجسم الكاميرا الصلب يوضع في يديها، وهي تسحب النفس لتخبره بأن ذلك لن ينجح، ولن ينجح، ولكن هنري هناك، خلفها، تطوي أصابعها على أصابعه، رافعًا عدسة الكاميرا إلى عينها. تاركًا لها توجيه ضغط يديه بالطريقة التي رسمت بها على الجدار

الزجاجي. ويتسارع قلبها وهي تأخذ لقطة للصور المتناثرة على الأرض، وقدماها الحافيتان أسفل الإطار.

تحبس أنفاسها وتأمل.

نقرة. ومضة.

هذه المرة، تظهر الصورة.

هذه حياة في أطر ثابتة.

لحظات مثل صور بولارويد. مثل اللوحات. مثل الزهور مضغوطة بين صفحات الكتاب. محفوظة بشكل مثالي.

يأخذ الثلاثة قيلولة في الشمس.

تمسِّد آدي شعر هنري وهي تروي له القصص، وهو يكتب ويكتب ويكتب.

وهنري، يضغط عليها في السرير، وأصابعهما متشابكة، وتنفسهما سريع، يتردد صدى اسمها في شعرها.

ها هما، معًا في مطبخه، ذراعاه في ذراعيها، ويداها فوق يديه وهما يقلبان البشاميل، ويعجنان عجينة الخبز.

والطعام في الفرن، يحيط وجهها بيدين معفرتين بالدقيق، ويترك آثارًا في كل مكان يلمسه.

تحدث فوضى، والغرفة تمتلئ برائحة الخبز الطازج. وفي الصباح، يبدو أن الأشباح رقصت عبر المطبخ، وتظاهرا بوجود اثنين بدلًا من واحد.

فيون سور سارت

29 يوليو 1854

XI

لم يُفترَض أن تتغير فيون.

وآدي تكبر، كانت فيون دائمًا ساكنة بشكل مؤلم جدًّا، مثل هواء الصيف قبل العاصفة. قرية منحوتة في الحجر. ومع ذلك، ماذا قال لوس؟

حتى الصخور تبلى وتتلاشى.

لم تبلَ فيون. وبدلًا من ذلك، تحولت وكبرت وانبثقت جذور جديدة وقطعت أخرى. تراجعت الغابة بالقوة، وقطعت الأشجار على حافة الغابة لإشعال المواقد وإفساح المجال أمام الحقول والمحاصيل. هناك الآن جدران أكثر. ومبان أكثر. وطرق أكثر.

وآدي تشق طريقها عبر المدينة، وشعرها مدسوس تحت بونيه محكم، تحدد اسمًا ووجهًا وشبحًا لشبح عائلة كانت تعرفها من قبل. لكن فيون شبابها تلاشت أخيرًا، وهي تتساءل عما إذا كان هذا هو ما تبدو عليه الذاكرة بالنسبة للآخرين، هذا المحو البطيء للتفاصيل.

لأول مرة، لم تتعرف على كل الطرق. لأول مرة، لا تكون متأكدة من أنها تعرف طريقها.

تأخذ منعطفًا، متوقعة أن تجد منزلًا، لكنها بدلا من ذلك تجد منزلين، يفصل بينهما جدار حجري منخفض. تتجه إلى اليسار، وبدلًا من الحقل المفتوح، تجد إسطبلًا محاطًا بسياج. أخيرًا، تتعرف على الطريق إلى البيت، وتحبس أنفاسها وهي تشق طريقها إلى الممر، وتشعر بشيء داخلها يتراخى عند رؤية شجرة الطقسوس القديمة، لا تزال منحنية ومعقدة على الحافة.

لكن المكان خلف الشجرة تغير. ثياب جديدة على عظام قديمة. أزيلت ورشة والدها، ولم يبق من أثر السقيفة إلا ظل على الأرض، والعشب الذي كان هنا لفترة طويلة، ظله مختلف إلى حد ما. وبالرغم من أن آدي اعتادت على سكون الأماكن المهجورة البالية، إلا أنها تقابل بالحركة والأصوات والضحك.

انتقل شخص آخر إلى منزل عائلتها، وهو أحد الوافدين الجدد في المدينة المتنامية. عائلة مع أم تبتسم أكثر، وأب لا يبتسم، وولدين يركضان في الفناء، وشعرهما بلون القش. يطارد الأكبر كلبًا فر بجورب، والصغير يتسلق شجرة الطقسوس القديمة، وقدماه الحافيتان تجدنا نفس العقد والانحناءات التي كانت تجدها، وهي فتاة، ولوحة الرسم مطوية تحت ذراعها. لابد أنها كانت في مثل عمره... أم أنها كانت أكبر؟

تغلق عينيها، وتحاول الاحتفاظ بالصورة، لكنها تفلت وتنزلق بين أصابعها. تلك الذكريات المبكرة، لا تحصر في حيز مغلق. تلك السنوات السابقة، ضاعت في تلك الحياة الأخرى. عيناها مغمضتان للحظة فقط ولكن حين تفتحهما تجد الشجرة خالية. ذهب الولد.

يقول صوت، في مكان ما خلفها: "مرحبًا".

إنه الأصغر، وجهه منشرح وينظر إلى أعلى.

تقول: "مرحبا".

"هل أنت تائهة؟"

تتردد، ممزقة بين نعم ولا، غير متأكدة أيهما أقرب إلى الحقيقة.

تقول: "أنا شبح". تتسع عينا الصبي بدهشة وبهجة ويطلب منها إثبات ذلك. تطلب منه أن يغمض عينيه، وحين يغمضهما، تنسل مبتعدة.

في المقبرة، ترسخت جذور الشجرة التي غرستها آدي.

تلوح فوق قبر إستيل، تغمر عظامها في بركة من الظل.

تمرر آدي يدها على اللحاء، وهي تتأمل كيف نمت الشتلة إلى شجرة سميكة الجذع، وجذورها وأغصانها تتمدد على كل جانب. غرست منذ مائة عام - فترة زمنية كانت ذات يوم أطول من أن تفهم، والآن أصعب من أن تقاس. حتى ذلك الوقت، كانت تحسب الوقت

بالثواني، والمواسم، باللقطات الباردة وذوبان الجليد، بالانتفاضات وأعقابها. رأت المباني تتساقط وترتفع، والمدن تحترق وتتجدد، والماضي والحاضر يتحولان إلى شيء مائع سريع الزوال.

لكن هذا، هذا ملموس.

تحددت السنوات في خشب ولحاء وجذر وتربة.

تجلس آدي مستندة على قبر المرأة تريح عظامها العجوز في الظل المرقط، وتستعيد الوقت منذ زيارتها الأخيرة. تروي لإستيل قصصًا عن إنجلترا وإيطاليا وإسبانيا، وعن ماتيو والمعرض، عن لوس، وفنها وكل الطرق التي تغير بها العالم. وبالرغم من عدم وجود إجابة، باستثناء حفيف الأوراق، تعرف ما قد تقوله المرأة العجوز.

كل شيء يتغير أيتها الفتاة الحمقاء. إنها طبيعة العالم. لا شيء يبقى على حاله.

تفكر، **ما عدا أنا**، لكن إستيل تجيب، جافة مثل الحطب.

ولا حتى أنت.

افتقدت مشورة المرأة العجوز، حتى في رأسها. أصبح الصوت هشًا، تلاشى في السنوات الفاصلة، ملطخًا مثل كل تلك الذكريات الزائلة.

لكن هنا، على الأقل، تعود إليها.

كانت الشمس قد عبرت السماء حين تنهض وتمشي إلى حافة القرية، إلى حافة الغابة، إلى المكان الذي كانت المرأة العجوز تسميه البيت ذات يوم. لكن الزمن تسلق هذا المكان أيضًا. الحديقة، التي نمت ذات يوم، ابتلعتها الغابة الزاحفة، وانتصرت البرية في حربها ضد الكوخ، دمرته، وبرزت الشتلات بين الهياكل. تعفن الخشب، وانزلقت الحجارة، وانهار السقف، وتستمر الأعشاب والكروم في القضاء على ما تبقى بعملية بطيئة.

حين تأتي في المرة التالية، لن يكون هناك أثر، البقايا ابتلعتها الغابة الزاحفة. لكن الطحالب حاليًا لا تزال تدفن الهيكل ببطء.

وآدي في منتصف الطريق إلى الكوخ المتحلل تدرك أنه ليس مهجورًا تمامًا.

حركة خفيفة في الكومة المدمرة، تحدق، متوقعة أن تجد أرنبًا، أو ربما غزالًا صغيرًا. بدلًا من ذلك، تجد ولدًا يلعب وسط الأنقاض، ويتسلق بقايا الجدران الحجرية القديمة، ويقطع الحشائش بعصا سحبت من الغابة.

تعرفه. إنه الابن الأكبر، الصبي الذي رأته أول مرة يطارد كلبًا في فنائها. ربما يكون في التاسعة أو العاشرة. يبلغ من العمر ما يكفي لتضييق عينيه ريبة حين يراها.

يمد عصاه وكأنها سيف.

يسأل: "من أنت؟"

وهذه المرة لا تكتفي بأن تكون شبحًا: "أنا ساحرة".

لا تعرف لماذا تقول ذلك. ربما لمجرد التهكم على نفسها. ربما لأنه حين لا تكون الحقيقة خيارًا، يأخذ الخيال مساره. أو ربما لأنه ما قد تقوله إستيل، لو كانت هنا.

يعبر ظل وجه الصبي. يقول: "لا يوجد شيء اسمه السحرة"، لكن صوته مهتز وهو يقول ذلك، وحين تتقدم للأمام يخشخش الحذاء فوق الأغصان التي جففتها الشمس، ويبدأ في التراجع.

تحذره: "هذه عظامي التي تلعب عليها. أقترح عليك النزول قبل أن تسقط".

يتعثر الصبي من الدهشة، كاد ينزلق على بقعة من الطحالب.

تفكر: "إلا إذا كنت تفضل البقاء. أنا متأكدة من أن هناك متسعًا لعظامك أيضًا".

يعود الصبي إلى الأرض وينطلق راكضًا. تشاهده آدي وهو يرحل، وضحكة إستيل التي تشبه نعيق الغراب ترن في أذنيها.

لا تنزعج لتخويف الطفل. لا تتوقع أن يتذكر. ومع ذلك، يأتي غدًا مرة أخرى، وتقف مختبئة على حافة الغابة وتشاهده يبدأ تسلق الأنقاض، يتردد فقط، وظل متوتر في عينيه. تراقبه وهو يتراجع، وتتساءل عما إذا كان يفكر في السحرة والعظام نصف المدفونة. إذا كانت الفكرة قد نمت مثل عشبة في رأسه.

لكن آدي اليوم وحدها، وتفكيرها في إستيل فقط.

تمرر يديها على طول جدار شبه متساقط، وتفكر في البقاء، لتصبح ساحرة بجوار الغابة، من نسج حلم شخص آخر. تتخيل إعادة بناء منزل المرأة العجوز، حتى أنها تركع لتكديس بعض الحجارة الصغيرة. ولكن بحلول الرابعة، تتفتت الكومة، وتهبط الصخور على العشب العشبي تمامًا كما كانت قبل أن ترفعها.

الحبر يمحى.

الجرح يلتئم.

المنزل ينهار.

تتنهد آدي وحفنة من الطيور تحلق من الغابة المجاورة، وتنعق ساخرة. تستدير آدي نحو الأشجار. لا تزال هناك بقية ضوء، ساعة ربما حتى الليل، ومع ذلك، وهي تحدق في الغابة، يمكن أن تشعر بالظلام يحدق من جديد. تتجول بين الحجارة نصف المدفونة وتدخل في الظل تحت الأشجار.

تنساب قشعريرة خلالها.

الأمر يشبه الدخول في حجاب.

تشق طريقها بين الأشجار. ذات مرة، كانت تخشى أن تتوه. الآن، الخطوات محفورة في ذاكرتها. لا تستطيع أن تتوه حتى لو حاولت.

الهواء هنا أكثر برودة، والليل أقرب تحت المظلة. من السهل الآن أن ترى كيف فقدت مسار الوقت في ذلك اليوم. كيف أصبح الخط الفاصل بين الغسق والظلام ضبابيًّا جدًّا. وهي تتساءل، هل كانت تدعو، لو عرفت الساعة؟

هل كانت ستصلي وهي تعلم أي إله يجيب؟

لا تجيب على نفسها.

لا تحتاج إلى ذلك.

لا تعرف كم من الوقت بقي هناك، خلفها، إذا كان قد تبعها لبعض الوقت بهدوء. تعرف فقط اللحظة التي تسمع فيها الفروع تتكسر خلفها.

"يا له من حج غريب تصرين عليه".

تبتسم آدي لنفسها: "فعلا؟"

تستدير لترى لوس متكئًا على شجرة.

ليست المرة الأولى التي تراه منذ الليلة التي حصد فيها روح بيتهوفن. لكنها لم تنس ما رأت. ولم تنس أنه أراد أن ترى ذلك، وأن تنظر إليه، وتعرف حقيقة قوته. لكن كان غباء. مثل قلب الورق حين تكون أعلى الرهانات على الطاولة.

تفكر، وهو يستقيم مبتعدًا عن الشجرة، **أراك، رأيت شكلك الحقيقي. لا يمكن أن تفزعني الآن.**

يخطو في بركة ضحلة من الضوء.

يسأل: "ماذا يدفعك للعودة إلى هنا؟"

تهز آدي كتفيها: "سَمِّه الحنين".

يرفع ذقنه: "أسميه الضعف. أن تمشي في دوائر فقط حين يمكنك السير في طرق جديدة".

تعبس آدي: "كيف لي أن أشق طريقًا وأنا لا أستطيع حتى رفع كومة من الحجارة؟ أطلق سراحي، وانظر بعد ذلك إلى أي مدى أسافر".

يتنهد ويذوب في الظلام.

حين يتحدث مرة أخرى، يكون وراءها، وصوته يهب خلال شعرها. يوبخ: "أديلين، أديلين"، وهي تعلم أنها إذا استدارت مرة أخرى، فلن يكون هناك، ولذا تتمسك بموقعها، وعيناها على الغابة. لا تجفل حين تنزلق يديه على جلدها. حين تلتف ذراعه حول كتفيها.

عن قرب، تفوح منه رائحة البلوط والأوراق والحقل المبلل بالمطر.

يهمس: "ألست متعبة؟"

تجفل من الكلمات.

إنها مستعدة لهجومه، انتقاداته اللفظية، لكنها ليست مستعدة لهذا السؤال، ولا مستعدة للطريقة اللطيفة التي يسأل بها.

مرت **مائة وأربعون سنة**. قرن ونصف، تعيش مثل صدى، مثل شبح. إنها متعبة بالطبع.

"ألا ترغبين في الراحة يا عزيزتي؟"

الكلمات تتدلى مثل مخاط الشيطان على جلدها.

"يمكن أن أدفنك هنا، بجوار إستيل. أزرع شجرة، وأجعلها تنمو فوق عظامك".

تغلق آدي عينيها.

نعم، إنها متعبة.

قد لا تشعر بالسنوات وهي تضعف عظامها، وجسدها أصبح هشًّا مع تقدم العمر، لكن الإرهاق شيء جسدي، مثل العفن، داخل روحها. هناك أيام تحزن فيها لاحتمال عام آخر، عقد آخر، قرن آخر. هناك ليالٍ لا تستطيع فيها النوم، لحظات تستلقي فيها مستيقظة وتحلم بالموت.

لكنها تستيقظ، وترى الفجر الوردي والبرتقالي على الغيوم، أو تسمع رثاء كمان وحيد، والموسيقى واللحن، وتتذكر أن في العالم مثل هذا الجمال.

وهي لا تريد أن تفتقده — تفتقد أي قدر منه.

تستدير آدي في دائرة ذراعي لوس وتنظر في وجهه.

لا تعرف إن كان الليل الزاحف، أم طبيعة الغابة نفسها، لكنه يبدو مختلفًا. في السنوات القليلة الماضية، رأته مرتبطًا بالمخمل والدانتيل، على أحدث صيحات الموضة. ورأته خاويًا، جامحًا وعنيفًا. لكنه هنا، ليس كذلك.

ها هو الظلام الذي التقت به تلك الليلة. السحر الوحشي في صورة عاشق.

حوافه تتحول إلى ظل، بشـرته بلون ضوء القمر، وعيناه ظل الطحلب خلفه بالضبط. إنه وحشي.

لكنها كما هي.

تقول، مستدعية ابتسامة: "متعبة؟ إنني أستيقظ للتو".

تستعد لاستيائه، الظل الوحشي، وميض الأسنان.

لكن لا أثر للون الأصفر في عينيه.

في الواقع، إنهما ظل جديد وخفيف من اللون الأخضر.

يستغرق الأمر سنوات حتى تعرف معنى هذا اللون، وتفهم أنه تسلية.

الليلة، هناك فقط تلك اللمحة القصيرة، ثم لمسة شفتيه على خدها.

يتمتم: "حتى الصخور"، ثم يختفي.

مدينة نيويورك

13 يونيو 2014

XII

فتى وفتاة يسيران ذراعًا في ذراع.

إنهما متجهان إلى نيتينج فاكتوري، ومثل معظم الأشياء في وليمزبرج،[60] ليس الأمر كما يبدو، ليس متجرًا للحرف اليدوية أو مكانًا للغزل، ولكنه مكان للحفلات الموسيقية على الحافة الشمالية لبروكلين.

إنه عيد ميلاد هنري.

في وقت سابق، حين سألها عن موعد عيد ميلادها، وحين أخبرته أنه في مارس، عبر ظل على وجهه.

"آسف لأنه فاتني".

تقول مائلة عليه: "هذه هي روعة أعياد الميلاد. تحدث كل عام".

ضحكت قليلاً حينها، وكذلك هو، لكن كان في صوته شيء أجوف، حزن ظنته مجرد حيرة.

وضع أصدقاء هنري بالفعل طاولة قرب المسرح، وصناديق صغيرة مكدسة على الطاولة بينهم.

"هنري!" يصرخ روبي، وزجاجتان من البيرة فارغتان بالفعل أمامه.

تنكش بيا شعره: "طفلنا الصيفي الجميل حرفيًّا".

---

60 نيتينج فاكتوري: موقع واسع لسلسلة أماكن حفلات موسيقية وطنية صغيرة مع مطعم ملحق للبالغين فقط، والاسم حرفيًا يعني مصنع الحياكة. وليمزبرج: حي في بروكلين، نيويورك.

ينزلق انتباههم أمامه ويهبط عليها.

يقول: "مرحبًا يا شباب، هذه آدي".

تقول بيا: "أخيرا! كنا نشتاق لمقابلتك".

بالطبع، كانوا قد قابلوها بالفعل.

لأسابيع كانوا يطلبون مقابلة الفتاة الجديدة في حياة هنري. استمروا في اتهامه بإخفائها، لكن آدي قابلتهم أثناء تناول البيرة في الميرشنت، وكانوا يقضون ليالي مشاهدة الأفلام في بيت بيا، وتقابلوا في صالات العرض والحدائق. وفي كل مرة تتحدث بيا عن **الرؤية من قبل**، ومرة أخرى عن الحركات الفنية، وفي كل مرة يتكلم روبي، بالرغم من آدي تبذل أقصى ما في وسعها لتهدئته.

يبدو أن الأمر يزعج هنري أكثر مما يزعجها. لابد أنه يعتقد أنها قد تصالحت مع الأمر، لكن الحقيقة أنه لا يوجد شيء يمكن العثور عليه. الحلقة اللامتناهية من مرحبًا، **مَنْ هذه، من اللطيف مقابلتك، مرحبًا** تضعف عندها مثل الماء عند الصخر- الضرر بطيء، لكن لا مفر منه. تعلمت ببساطة التعايش معه.

تقول بيا وهي تفحصها: "تعرفين، تبدين مألوفة جدًّا".

ينهض روبي من الطاولة ليأتي بمجموعة من المشروبات، ويضيق صدر آدي عند التفكير في تكرار الأمر معه، والاضطرار لبدء كل شيء مرة أخرى، لكن هنري يتدخل، ويلمس ذراع روبي ويقول: "**فهمْتُ**".

تعترض بيا: "عيد الميلاد لا يفيدك!" لكن هنري يلوح لها ويبتعد وسط الحشد المتزايد.

وتُترَك آدي بمفردها مع صديقيه. تقول: "إنه لأمر رائع حقًّا أن ألتقي بكما كليكما. هنري يتحدث عنكما طول الوقت".

تضيق عينا روبي شكًّا.

يمكن أن تشعر بالجدار يرتفع بينهما، مرة أخرى، لكنها لم تعد غريبة على مزاج روبي، لم تعد، ولذا تواصل: "أنت ممثل، أليس كذلك؟ أود أن أحضر أحد عروضك. يقول هنري إنك رائع".

يشد الملصق الموجود على زجاجة البيرة. يتمتم: "طبعا أكيد..". لكنها تلتقط حافة ابتسامة وهو يقول ذلك.

ثم تتدخل بيا: "يبدو هنري سعيدًا. سعيدًا حقًّا".

يقول هنري: "أنا"، وهو يضع مجموعة من زجاجات البيرة.

تقول بيا وهي ترفع كأسها: "في صحة التاسعة والعشرين".

شرعوا في مناقشة مزايا العصر، واتفقوا على أنه عام عديم الفائدة إلى حد ما، فيما يتعلق بأعياد الميلاد، وهو يقارب الثلاثين التذكارية.

تمسك بيا بياقة هنري: "لكن في العام المقبل، تصبح بالغًا رسميًّا".

يقول: "أنا متأكد من أن ذلك كان في الثامنة عشرة".

"لا تكن سخيفا. ثمانية عشر عامًا تكفي للتصويت، وواحد وعشرون عامًا تكفي للشرب، لكن الثلاثين تكفي لاتخاذ القرارات".

ينزعج روبي: "أقرب إلى أزمة منتصف العمر من أزمة ربع العمر".

ينطلق صوت الميكروفون، وينخفض قليلًا ورجل يصعد على المسرح ويعلن عن حفل افتتاح خاص.

"إنه نجم صاعد، أنا متأكد من أنكم سمعتم اسمه، إن لم تكونوا سمعتم به فسوف تسمعون به قريبًا. صفقوا لتوبي مارش!"

يترنح قلب آدي.

يهتف الجمهور ويهلل، وروبي يصفر، ويقف توبي على خشبة المسرح، نفس الصبي الجميل الخجول، لكن وهو يلوح للحشد، يرتفع ذقنه، ابتسامته ثابتة وفخورة. الفرق بين خطوط البحث الأولى للرسم والرسم النهائي.

يجلس أمام البيانو ويبدأ العزف، وتصيبها النغمات الأولى بما يشبه الحنين. وبعد ذلك يبدأ الغناء.

"أحب فتاة لم أقابلها قط".

ينقضي الوقت، وهي في غرفة جلوسه، جالسة على مقعد البيانو، يتصاعد بخار الشاي على حافة النافذة وأصابعها التائهة تلتقط المذكرات.

"لكني أراها كل ليلة على ما يبدو..".

إنها في سريره، ويداه العريضتان تعزفان اللحن على البشـرة. يتوهج وجهها في الذكرى وهو يغني.

"وأنا خائف للغاية، خائف من أن أنساها، بالرغم من أنني لم أقابلها إلا في أحلامي".

لم تعطه الكلمات مطلقًا، لكنه وجدها على أي حال.

صوته أوضح وأقوى ونبرته أكثر ثقة. أحتاج فقط إلى الأغنية المناسبة. شيء يجعل الحشد يميل ويستمع.

تغمض آدي عينيها، الماضي والحاضر متشابكان في رأسها.

كل تلك الليالي في ألوي، أشاهده يلعب.

في كل الأوقات وجدها في الحانة وابتسم.

كل تلك المرات الأولى لم تكن مرات أولى بالنسبة لها.

الرق الممسوح ينزف خلال الورقة.

يتطلع توبي من البيانو، ولا توجد طريقة تمكنه من رؤيتها في مكان بهذا الحجم، لكنها متأكدة من أن عينيه تلتقيان بعينيها، وتميل الغرفة قليلًا، ولا تعرف إذا كان بسبب البيرة التي شربتها بسـرعة هائلة أم أنه دوار الذاكرة، ولكن بعد ذلك تنتهي الأغنية، وتحل محلها موجة من التصفيق الحار، فتقف، وتتجه نحو الباب.

يقول هنري: "آدي، انتظري"، لكنها لا تستطيع، بالرغم من أنها تعرف ما يعنيه الرحيل، تعلم أن روبي وبيا سوف ينسيانها، وتضطر إلى البدء من جديد، وكذلك هنري – لكنها لا تهتم في تلك اللحظة.

لا تستطيع التنفس.

ينفتح الباب ويندفع الليل، وتلهث آدي، دافعة الهواء إلى رئتيها.

ويجب أن يبدو سماع موسيقاها أمرًا جيدًا، يجب أن يبدو مناسبًا. بالرغم من كل شيء، لقد ذهبت لزيارة قطع من فنها مرات كثيرة جدًا.

لكنها كانت مجرد قطع، مجردة من سياقها. طيور منحوتة على قواعد رخامية ولوحات خلف حبال. صناديق تعليمية مثبتة على جدران بيضاء وصناديق زجاجية تمنع الخلط بين الحاضر والماضي.

يختلف الأمر حين ينكسر الزجاج.

إنها والدتها في المدخل، ذبلت حتى العظام.

إنه ريمي في صالون باريس.

إنه سام يدعوها للبقاء في كل مرة.

إنه توبي مارش، يعزف أغنيتهما.

الطريقة الوحيدة التي تعرف بها آدي كيف تستمر هي أن تواصل التقدم. إنهم أورفيوس، وهي يوربيدس، وكلما عادوا، تُدمَّر.

هنري خلفها مباشرة: "آدي؟ ماذا حدث؟"

تقول، وهي تمسح الدموع وتهز رأسها لأن القصة طويلة جدًا وقصيرة جدًا: "آسفة. لا يمكنني العودة إلى هناك، لا يمكنني الآن".

ينظر هنري بحذر، ولا بد أنه رأى اللون يتساقط من وجهها أثناء العرض لأنه يقول: "هل تعرفينه؟ هذا الرجل توبي مارش؟"

لم تروِ له تلك القصة – لم يصلا إليها بعد.

تقول: "عرفته"، وهذا ليس صحيحًا تمامًا، لأنه يجعل الأمر يبدو وكأنه شيء في الماضي، حين يكون الماضي الشيء الوحيد الذي لا يحق لآدي الحصول عليه، ويجب أن يسمع هنري الكذبة المدفونة في الكلمات، لأنه يعبس. ويعقد يديه خلف رأسه.

"هل ما زلت تحملين مشاعر له؟"

وتريد أن تكون صادقة، وتقول إنها تحمل بالطبع. إنها لا تغلق الأمور أبدًا، ولا تستطيع أبدًا أن تقول وداعًا - لا توجد فترات أو علامات تعجب، فقط عمر من الحذف. يبدأ كل شخص آخر من جديد، ويحصل على صفحة فارغة، لكن صفحتها مليئة بالنصوص. يتحدث الناس عن حمل مشاعل لألسنة اللهب القديمة، ألسنة ليست نارًا كاملة، لكن يدي آدي مليئة بالشموع. كيف يفترض لها أن تضعها أو تطفئها؟ نفد الهواء لديها منذ فترة طويلة.

لكنه ليس حبًّا.

إنه ليس حبًّا، وهذا ما يسأل عنه.

تقول: "لا. إنه فقط - فاجأني. آسفة".

يسأل هنري عما إذا كانت تريد العودة إلى البيت، ولا تعرف آدي إن كان يقصد أن يعودا معًا، أو تعود وحدها، لا تريد أن تعرف، وبالتالي تهز رأسها، ويعودان، وقد تغيرت الأضواء، والمسرح فارغ، وموسيقى البيت تملأ الهواء حتى العرض الرئيسي، وبيا وروبي يتحدثان، تنحني الرؤوس تمامًا كما كانت حين دخلا. وتبذل آدي قصارى جهدها لتبتسم حين يصلان إلى الطاولة.

يقول روبي: "ها أنت ذا!"

تسأل بيا: "إلى أين ذهبت؟" وعيناها تنتقلان من هنري إليها. "ومن هذه؟"

يحرك ذراعه حول خصرها: "يا رفاق، هذه آدي".

روبي ينظر إليها من أعلى إلى أسفل، لكن بيا تكتفي بابتسامة.

تقول: "أخيرا! كنا نتشوق لمقابلتك..".

في الطريق إلى برلين، ألمانيا

29 يوليو 1872

XIII

تهتزُّ الزجاجات هزة خفيفة على الطاولة والقطار ينطلق عبر الريف الألماني. تجلس آدي في عربة الطعام، تشرب قهوتها وتحدق من النافذة، وتتعجب من السرعة التي يمر بها العالم.

البشر قادرون على أشياء عجيبة. على القسوة والحرب وأيضًا على الفن والاختراع. تفكر في هذا مرات ومرات على مر السنين، حين تسقط القنابل، وتسقط المباني، حين يلتهم الإرهاب دولًا بأكملها. ولكن أيضًا حين تثير الصور الأولى الإعجاب في فيلم، وحين ترتفع الطائرات في الهواء، وحين تنتقل الأفلام من الأبيض والأسود إلى الألوان.

إنها مندهشة.

تندهش دائمًا.

مستغرقة في أفكارها، فهي لا تسمع المحصل حتى يكون بجانبها، إحدى يديه تأتي تستريح برفق على كتفها.

يقول: "آنسة،[61] تذكرتك، من فضلك".

تبتسم آدي: "بالطبع".

تنظر أسفل الطاولة، وتتظاهر بتفتيش حقيبتها.

تقول وهي تنهض: "آسفة، لا بد أنني تركتها في مقصورتي".

61 آنسة: بالألمانية في الأصل.

ليست المرة الأولى التي تتعرض فيها لهذا الموقف، لكنها أول مرة يقرر فيها الحمال أن يتبعها، يتتبعها مثل الظل وهي تشق طريقها نحو عربة لا تخصها، بحثًا عن تذكرة لم تشترها قط.

تسرع آدي، على أمل أن تغلق بابًا بينهما، لكن لا فائدة، المحصل معها في كل خطوة، تبطئ، وتتوقف أمام باب يؤدي إلى مقصورة ليست مقصورتها بالتأكيد، على أمل أن تكون فارغة على الأقل.

ليست فارغة.

حين تمد يدها للمقبض، يفلت، ويفتح على مقصورة معتمة، رجل أنيق يميل في المدخل، وخصلات الشعر الأسود تتدلى مثل الحبر على صدغيه.

تشعر بارتياح.

يقول المحصل: "الهر فالد"،[62] مستقيمًا، وكأن الرجل في الباب دوق، وليس الظلام.

يبتسم لوس. ويقول بصوت ناعم وغني مثل عسل الصيف: "ها أنت ذا، أديلين". تنزلق عيناه الخضراوان من عليها إلى المحصل. يقول وابتسامة خبيثة على شفتيه: "لديها طريقة للتهرب، زوجتي. الآن، ماذا أعادك إليَّ؟"

تبتسم آدي ابتسامتها المميزة، حلوة بخجل. تقول: "حبيبي. نسيتُ تذكرتي".

يقهقه، ويسحب قصاصة من جيب معطفه. يقترب لوس من آدي: "يا لك من كثيرة النسيان، يا عزيزتي".

توشك أن تأخذ موقفًا معاديًا، لكنها تمسك بلسانها، تتكئ بدلًا من ذلك على قيمته.

يقوم المحصل بفحص التذكرة، ويتمنى لهما ليلة سعيدة، وحين يرحل تبتعد عن لوس.

يحرك لسانه: "عزيزتي أديلين. هذه ليست طريقة لمعاملة الزوج".

تقول: "لست عزيزتك. ولم أكن بحاجة إلى مساعدتك".

يرد بجفاف: "بالطبع لم تكوني. تعالي، دعينا لا نتشاجر في القاعة".

---

62 الهر فالد Herr Wald: بالألمانية في الأصل.

يجذبها لوس إلى المقصورة، أو على الأقل، هذا ما تعتقد أنه يفعله، ولكن بدلًا من الدخول إلى الحدود المألوفة للمقصورة، لم تجد سوى الظلام، الشاسع والعميق. يتوقف قلبها عن الخطوة المفقودة، السقوط المفاجئ، والقطار يسقط بعيدًا، العالم يسقط بعيدًا، ويعودان إلى العدم، الفضاء الفارغ بينهما، وهي تعلم أنها لن تعرف ذلك أبدًا معرفة كاملة، ولن تكون قادرة على استيعاب طبيعة الظلام. لأنها تدرك الآن حقيقة هذا المكان.

إنه هو.

إنها حقيقته، الليل الواسع والوحشي، الظلمة المليئة بالوعد والعنف والخوف والحرية.

وحين يتشكل الليل حولهما، لم يعودا في القطار الألماني، بل في شارع، وسط مدينة لا تعرفها حتى الآن أنها ميونيخ.

وينبغي أن تكون غاضبة من الاختطاف، والتغيير المفاجئ في اتجاه ليلتها، لكنها لا تستطيع أن تخنق الفضول الذي يزدهر في أعقاب ارتباكها. التدفق المفاجئ لشيء جديد. إثارة المغامرة.

يتسارع قلبها، لكنها عقدت العزم على عدم السماح له برؤية إعجابها. إنها تشك في أنه يرى ذلك على أي حال.

في العينين بريق مبهج، خيط من الأخضر الداكن.

إنهما يقفان على سلم دار أوبرا بأعمدة، وقد اختفت ملابس السفر، واستُبدِل بها فستانٌ أرقى بكثير، وتتساءل آدي عما إذا كان الفستان حقيقيًّا، بقدر ما يكون أي شيء حقيقيًّا، أم أنه مجرد شعوذة من الدخان والظل. يقف لوس بجانبها، وحول ياقته وشاح رمادي، وعينان خضراوان ترقصان تحت حافة قبعة من الحرير.

يضج المساء بالحركة، رجال ونساء يتسلقون السلم وأذرعهم متشابكة لمشاهدة العرض. تعلم أنه عمل من أعمال فاجنر، **تريستان وإيزولد**، بالرغم من أن هذه الأشياء لم تكن تعني لها شيئًا بعد. إنها لا تعرف أنها ذروة مسيرته. إنها لا تعرف أنها أصبحت تحفته. لكنها يمكن أن تتذوق الوعد، مثل السكر في الهواء، لأنها تمر عبر ردهة من الأعمدة الرخامية والأقواس المرسومة، وفي قاعة حفلات موسيقية من المخمل والذهب.

يريح لوس يدًا على جزء صغير من ظهرها، ويوجهها للأمام إلى مقدمة بلكونة، مقصورة منخفضة تطل على المنصة بشكل مثالي. يتسارع قلبها من الإثارة، قبل أن تتذكر فلورنسا.

قال: **لا تظني أن هذا لطف. أريد ببساطة أن أكون الشخص الذي يكسرك.**

لكن ليس هناك أي شر في عينيه وهما يجلسان في مقعديهما. لا التواء قاسٍ لابتسامته. فقط متعة قط ضعيف في الشمس.

يصل كأسان ممتلئتان بالشمبانيا، ويقدم لها إحداهما. يقول والأضواء تخفت والستارة ترتفع: "ذكرى سعيدة".

تبدأ الموسيقى.

التوتر المتصاعد للسيمفونية، نغمات مثل الأمواج: تتدحرج في القاعة، وتتحطم على الجدران. انعكاس عاصفة على سفينة.

وبعد ذلك، وصول تريستان. وصول إيزولد.

أصواتهما أكبر من المسرح.

سمعت عن المسرحيات الموسيقية، بالطبع، سيمفونيات ومسرحيات، أصوات نقية للغاية تجعلها تبكي. لكنها لم تسمع شيئًا مثل هذا قط.

الطريقة التي يغنون بها. نطاق عواطفهم وحجمها.

العاطفة اليائسة في تحركاتهم. القوة الخام لفرحهم وألمهم.

تريد أن تكتم هذا الشعور وتحمله معها في الظلام.

تمر سنوات قبل أن تسمع أسطوانة من هذه السيمفونية وترفع مستوى الصوت حتى يؤذي، وتحيط نفسها بصوت، بالرغم من أنه لن يكون مثل هذا أبدًا.

ذات مرة، تبعد آدي نظرتها من العازفين على المسرح، لترى أن لوس يتفرج عليها بدل أن

يتفرج عليهم. وهناك مرة أخرى، ذلك الظل الغريب للأخضر. ليس خجلًا، أو توبيخًا، ليس قسوة، ولكنه مبهج.

تدرك لاحقًا أن هذه هي الليلة الأولى التي لا يطلب فيها أن تستسلم.

المرة الأولى التي لم يذكر فيها روحها.

لكنها الآن تفكر فقط في الموسيقى، السيمفونية، القصة. يشدها مرة أخرى إلى المسرح ألم في نغمة. تشابك الأطراف في عناق، نظرة العشاق على المسرح.

تميل إلى الأمام، تتنفس الأوبرا حتى تؤلم صدرها.

تنسدل الستارة على الفصل الأول، وتقف آدي، وتصفق بقوة.

يضحك لوس، ضحكة ناعمة كالحرير، وهي تغرق في مقعدها: "تستمتعين بها".

وهي لا تكذب، حتى نكاية فيه: "إنها رائعة".

تظهر ابتسامة على وجهه: "هل يمكنك تخمين أيها لي؟"

في البداية، لم تفهم، ثم فهمت، بالطبع.

تنهار معنوياتها. تسأل: "هل أنت هنا لتطالب بها؟" وتشعر بارتياح حين يهز لوس رأسه.

يقول: "لا، ليس الليلة. لكن قريبًا".

تهز آدي رأسها: "لا أفهم. لماذا ينهون حياتهم بمجرد أن يصلوا إلى ذروتها؟"

ينظر إليها: "عقدوا صفقتهم. كانوا يعرفون التكلفة".

"لماذا يبادل أي شخص موهبة حياة مقابل بضع سنوات من المجد؟"

تعبس ابتسامة لوس: "لأن الوقت قاسٍ على الجميع، وأقسى على الفنانين. لأن الرؤية تضعف والأصوات تذبل والموهبة تتلاشى". يميل مقتربًا منها، ويلوي خصلة من شعرها حول إصبع. يقول: "لأن السعادة قصيرة، والتاريخ دائم، وفي النهاية، يريد الجميع أن يُذكروا".

الكلمات سكين، تقطع بسرعة وعمق.

تبعد آدي يده، ويعود انتباهها إلى المسرح بينما تستأنف الأوبرا.

إنها مسرحية طويلة، ومع ذلك، انتهت بسرعة.

ساعات، انقضت في لحظات. تتمنى آدي أن تتمكن من البقاء، قابعة في هذا المقعد، وتبدأ الأوبرا مرة أخرى، وتنثني بين العشاق ومأساتهم، وتتوه في جمال أصواتهم.

ومع ذلك، لا يسعها إلا أن تتساءل. إذا كانت كل الأشياء التي أحبتها آدي، أحبتها بسببها - أو بسببه.

يقف لوس مقدمًا ذراعه.

لا تأخذها.

يمشيان، جنبًا إلى جنب، في ليل ميونيخ، وما زالت آدي تشعر بالحيوية في أعقاب الأوبرا، والأصوات ترن في أعماقها مثل الجرس.

لكن لسؤال لوس أصداء أيضًا.

أي منها لي؟

تنظر إليه، الشكل الأنيق بجانبها في الظلام:

"ما أغرب صفقة قمت بها على الإطلاق؟"

يوجه لوس رأسه للوراء، ويفكر. ويقول "جان دارك. روح مقابل سيف مبارك حتى لا تُهزَم".

تعبس آدي. "لكنها هُزِمتْ".

"آه، لكن ليس في معركة". ابتسامة لوس تصبح خبيثة. قد تبدو الدلالات صغيرة يا أديلين، لكن قوة الصفقة تكمن في صياغتها. طلبت حماية إله والسيف في يديها. لم تطلب القدرة على الاحتفاظ به".

تهز آدي رأسها في حيرة.

"أرفض أن أصدق أن جان دارك عقدت صفقة مع الظلام".

تنفرج الابتسامة، كاشفة الأسنان: "حسنًا، ربما جعلتها تعتقد أنني كنت أكثر من ذلك بقليل... ملائكيٌّ؟ لكن في أعماقي، أعتقد أنها كانت تعرف. العظمة تتطلب التضحية. من تضحين به أقل ممن تضحين من أجله. وفي النهاية، أصبحت ما أرادت".

"شهيدة؟"

"أسطورة".

تهز آدي رأسها. "لكن الفنانين. فكر في كل ما كان يمكن أن يفعلوه. ألا تحزن على خسارتهم؟"

يكفهر وجه لوس. وتتذكر حالته المزاجية في الليلة التي التقى بها في ناشيونال، وتتذكر كلماته الأولى في غرفة بيتهوفن.

يا لها من خسارة.

يقول: "بالطبع أحزن. لكن كل الفنون الرائعة لها تكلفة". ينظر بعيدًا. "يجب أن تعرفي هذا. رغم كل شيء، إننا كلينا راعيان، بطريقتنا".

تقول: "لست مثلك"، لكن الكلمات لا تحتوي على الكثير من السم. "أنا ملهمة وأنت لص".

يهز كتفيه. ولا يقول إلا: "عطاء وأخذ".

وحين يتأخر الوقت، ويغادر، ويتركها تتجول، تستمر الأوبرا، محفوظة تمامًا في ذاكرتها، تتساءل آدي بهدوء وصمت، إذا كانت أرواحهم ثمن منصف لمثل هذا الفن الجميل.



مدينة نيويورك

4 يوليو 2014

XIV

تنفجر الأضواء فوق المدينة.

اجتمعا على سطح مبنى روبي مع عشرين آخرين لمشاهدة الألعاب النارية وهي تنفجر وتلون أفق منهاتن باللونين الوردي والأخضر والذهبي.

تقف آدي وهنري معًا، بالطبع، لكن الجو حار جدًّا بشكل يحول دون التلامس. كؤوسه تضبب باستمرار، ويبدو أنه أقل اهتمامًا بشرب البيرة من حمل العلبة بجانب عنقه.

تهب نسمة في الهواء، حاملة قدرًا من الارتياح بقدر ما يحمل تنفيس المجفف، ويصدر كل شخص على السطح أصواتًا مبالغًا فيها، سامحة بإطلاق أصوات تعبر عن الدهشة التي قد تكون من الألعاب النارية، أو ببساطة عاصفة الهواء التي تتقدم ببطء.

يوجد حوض سباحة للأطفال وسط السطح محاطًا بكراسي الحديقة، وحشد من الناس يغرقون أقدامهم في الماء الفاتر.

انتهت الألعاب النارية، وآدي تنظر حولها بحثًا عن هنري، لكنه يتجول بعيدًا.

كان في حالة مزاجية غريبة طول اليوم، لكنها تفترض أن الجو الحار، يكتم على كل شيء. أغلقت المكتبة، وقضيا معظم اليوم ممددين معًا على الأريكة أمام مروحة صندوقية، وبوك يخدش في مكعب ثلج وهما يشاهدان التلفزيون، الحرارة كافية لتهدئة حتى طاقة هنري الجنونية.

كانت متعبة جدًّا ولا تستطيع أن تروي له قصصًا. وكان متعبًا جدًّا ولا يستطيع كتابتها.

تفتح أبواب السطح ويظهر روبي، ويبدو وكأنه غار على شاحنة الآيس كريم، وكانت ذراعاه مليئتين بالثلج الذائب. الناس يهتفون ويهتفون، وهو يقوم بجولاته على السطح، ويوزع الحلوى التي كانت مجمدة.

السحر للمرة الثانية عشـرة، تفكر وهو يسلمها قطعة فاكهة، لكن رغم أنه لا يتذكرها، من الواضح أن هنري قال بما فيه الكفاية، أو ربما يتعرف روبي على كل شخص آخر، ويستنبط.

أحد هذه الأشياء التي ليس لها مثيل.

لا تضيع آدي ثانية. تبتسم ابتسامة مفاجئة. "يا إلهي، لابد أنك روبي". تلقي ذراعيها حول رقبته. "حكى لي هنري كل شيء عنك".

يتحرر روبي من ذراعيها: "هل حكى لك؟"

"أنت الممثل. قال إنك رائع. إنها مسألة وقت فقط وتكون في برودواي". يحمر روبي خجلًا إلى حد ما، ينظر بعيدًا: "أود أن أحضر أحد عروضك. ماذا تؤدي الآن؟"

يتردد روبي، لكنها يمكن أن تشعر به يتلعثم، ممزقًا بين تجنبها ومشاركتها أخباره. يقول: "نعيد تقديم **فاوست**. تعلمين، رجل يعقد صفقة مع الشيطان..".

تقضم آدي الآيس بوب،[63] مرسلة موجة من الصدمات عبر أسنانها. تكفي لإخفاء التكشيرة وروبي يستمر.

"لكنها تقدم على مسـرح أكثر **متاهة**. فكري في ميستوفيليس، لكن بطريقة جوبلن كنج".[64] يشير إلى نفسه وهو يقول ذلك: "إنها دورة رائعة حقًا. الأزياء مدهشة. على أي حال، لن تفتتح حتى سبتمبر".

تقول: "يبدو الأمر رائعًا. أتلهف على رؤيتها".

على ذلك يبتسم روبي تقريبًا: "أعتقد أنها ستكون رائعة".

تقول وهي ترفع الآيس بوب: "في صحة فاوست".

---

63 الآيس بوب: وجبة خفيفة من عصير مجمد على عصا؛ مصاصة.

64 جوبلن كنج شخصية خيالية في الفيلم الخيالي المتاهة **Labyrinth**، عام 1986.

يرد روبي: "والشيطان".

تلوثت يداها وصارتا لزجتين، تغرقهما في حوض السباحة وتتجه للبحث عن هنري. تجده أخيرًا وحيدًا في ركن على السطح، امتداد لا تصل إليه الأضواء. يحدق في الخارج - ليس إلى أعلى، ولكن إلى أسفل فوق الحافة.

تقول وهي تمسح يديها في الشورت: "أعتقد أنني أربكت روبي أخيرًا".

يقول: "حسنًا؟" وهو لا يستمع حقًّا. حبة عرق تتساقط على خده، ويغمض عينيه في نسيم الصيف الخافت ويتأرجح قليلًا على قدميه.

تسحبه آدي بعيدًا عن الحافة: "ما بك؟"

عيناه كئيبتان، ويبدو للحظة أنه ملبوس، ضائع.

يقول بهدوء: "لا شيء. مجرد تفكير".

عاشت آدي فترة كافية للتعرف على الكذب. الكذب لغته الخاصة، مثل لغة المواسم، أو الإيماءات، أو ظل عيني لوس.

لذا تعرف أن هنري يكذب عليها الآن.

أو على الأقل، لا يخبرها بالحقيقة.

وتعتقد أنها ربما مجرد عاصفة من عواصفه. ربما نتيجة حرارة الصيف.

الأمر ليس كذلك بالطبع، وبعد ذلك، تعرف الحقيقة، وتتمنى لو سألت، تتمنى لو ضغطت، تتمنى لو عرفت.

في وقت لاحق - لكنه الليلة، يضمها. الليلة، يقبلها بعمق وجوع، وكأنه يستطيع أن يجعلها تنسى ما رأته.

وتتركه آدي يحاول.



في تلك الليلة، حين يعودان إلى البيت، يكون الجو حارًا جدًّا بشكل يحول دون التفكير، والنوم، وبالتالي يملآن حوض الاستحمام بالماء البارد، ويطفئان الأنوار، وينسلان إلى الداخل، وهما يرتجفان من الارتياح الرحيم المفاجئ.

يستلقيان في الظلام، والأرجل العارية تتشابك تحت الماء. وأصابع هنري تعزف لحنًا على ركبتها.

يتأمل: "حين التقينا أول مرة، لماذا لم تخبريني باسمك الحقيقي؟"

تتطلع آدي إلى بلاط السقف الغامق، وترى إيزابيل كما كانت في ذلك اليوم الأخير، جالسة على الطاولة، وعيناها فارغتان. ترى ريمي في المقهى، يحدق حالمًا أمام كلماتها، عاجزًا عن سماعها.

تقول وهي تمرر أصابعها في الماء: "لأنني لم أعتقد أنني أستطيع ذلك. حين أحاول إخبار الناس بالحقيقة، تخلو وجوههم من التعبير. حين أحاول أن أقول اسمي، يعلق دائمًا في حلقي". تضحك. "إلا معك".

يسأل: "لكن لماذا؟ إذا كنت ستُنسَين، فماذا يمنعك من قول الحقيقة؟"

تغلق آدي عينيها. إنه سؤال جيد، سألته لنفسها مئات المرات: "أعتقد أنه أراد أن يمحوني. ليتأكد من أنني أبدو غير مرئية، غير مسموعة، وغير واقعية. إنك لا تدرك حقًّا قوة الاسم حتى يختفي. قبلك، كان هو الشخص الوحيد الذي يستطيع أن ينطقه".

يلتف الصوت داخل رأسها مثل الدخان.

يا أديلين.

أديلين، أديلين.

عزيزتي أديلين.

يقول هنري: "يا له من أحمق"، وهي تضحك، وتتذكر الليالي التي صرخت مستنجدة بالسماء، ووصفت الظلام بأسوأ من ذلك بكثير.

ثم يسأل: "متى رأيته آخر مرة؟" وآدي تتلعثم.

للحظة، تكون في سرير، وملاءات حريرية سوداء ملتفة حول أطرافها، حرارة نيو أورلينز قمعية حتى في الظلام. لكن وزن لوس لطيف، ملفوف حول أطرافها، وأسنانه تتزلج على كتفها وهو يهمس بالكلمة على بشرتها.

استسلمي.

تبلع آدي ريقها، تدفع الذاكرة إلى أسفل مثل المرارة في حلقها. تقول: "منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا"، وكأنها لا تحسب الأيام. وكأن الذكرى السنوية لا تندفع ليلتقيا.

تنظر بشكل جانبي إلى الملابس المكدسة على أرضية الحمام، المسافة البادئة للحلقة الخشبية في جيب الشورت. تقول: "كان بيننا خلاف"، وهذه أبهت نسخة من الحقيقة.

ينظر هنري إليها بفضول واضح، لكنه لا يسأل عما حدث، وهي ممتنة لذلك.

للقصة ترتيب.

ستخبره حين تصل هناك.

الآن، تمد آدي يدها، وتفتح الدش، وينهمر عليها مثل المطر، مهدئًا ومستمرًّا. وهذا هو النوع المثالي من الصمت. سهل وفارغ. يجلسان متواجهين تحت التيار الجليدي، وتغلق آدي عينيها وتوجه رأسها إلى الوراء على الحوض، وتستمع إلى العاصفة المؤقتة.

الكوتسوولدز، إنجلترا

31 ديسمبر 1899

XV

تتساقط الثلوج.

ليس غشاء من الصقيع، أو بضع رقائق ضالة، لكن انهيار أبيض.

تجلس آدي متكومة في نافذة الكوخ الصغير، والنار خلفها، وكتاب مفتوح على ركبتها، تراقب السماء والثلوج تتساقط.

بشرت بتغيير السنوات بطرق عديدة.

جلست على أسطح المنازل في لندن ممسكة بزجاجات الشمبانيا، وكشاف في يدها عبر الطرق المرصوفة بالحصى في إدنبره. رقصت في قاعات باريس، وشاهدت السماء تبيض بالألعاب النارية في أمستردام. قبَّلتْ غرباء وغنت لأصدقاء لن تقابلهم أبدًا. رحلوا مع الفرقعة والهمس.

لكنها الليلة تكتفي بالجلوس ومشاهدة العالم يتحول إلى اللون الأبيض من وراء النافذة، وكل خط ومنحنى يمحوه الثلج.

الكوخ ليس كوخها بالطبع. ليس بالمعنى الدقيق للكلمة.

وجدته سليمًا إلى حد ما، مكانًا مهجورًا، أو ببساطة منسيًا. كان الأثاث باليًا، والخزائن فارغة تقريبًا. لكن كان لديها موسم لجعله كوخها، لجمع الحطب من أيكة عبر الحقل. لتعتني بالحديقة البرية، وتسرق ما لا تستطيع أن تزرعه.

إنه ببساطة مكان تريح فيه عظامها.

في الخارج، توقفت العاصفة.

يسقط الثلج على الأرض بهدوء. ناعمًا ونظيفًا مثل ورق أبيض. ربما هذا ما يدفعها للنهوض.

تسحب العباءة بإحكام حول كتفيها وتندفع للخارج، ويغرق البوت على الفور في الثلج. إنه خفيف، مخلوط في طبقة من السكر، طعم الشتاء على لسانها.

ذات مرة، وهي في الخامسة أو السادسة من عمرها، تساقطت الثلوج في فيون. مشهد نادر، طبقة بيضاء بعمق عدة بوصات غطت كل شيء. في غضون ساعات، دمرتها الخيول والعربات، والناس يمشون جيئة وذهابًا، لكن آدي وجدت مساحة صغيرة من اللون الأبيض لم تمس. هرعت إليها، تاركة وراءها أثر الحذاء. مررت يديها العاريتين على الطبقات المجمدة، وتركت آثار أصابعها. أفسدت كل بوصة من اللوحة.

وحين انتهت، نظرت حولها إلى الحقل، المغطى الآن بالمسارات، حزنت على انتهائه. في اليوم التالي، تحطم الصقيع، وذاب الجليد، وكانت هذه آخر مرة تلعب فيها في الثلج.

حتى الآن.

الآن، خطواتها تسحق الثلج المثالي، ويرتفع في أعقابها.

الآن، تمرر أصابعها عبر التلال اللطيفة، التي تستوي بعد لمستها.

الآن تلعب في الملعب ولا تترك أثرًا.

لا يزال العالم نقيًا، وتشعر بالامتنان مرة.

إنها تدور وتلف وترقص بدون رفيق عبر الثلج، تضحك على السحر الغريب والبسيط للحظة، قبل أن تخطو خطأ في رقعة أعمق مما تعتقد.

تفقد توازنها، وتنهار على كومة من الثلج، تلهث من البرد المفاجئ على طول عنقها، والثلج الذي يزحف داخل البونيه. تتطلع. بدأ الثلج يتساقط مرة أخرى، بشكل خفيف الآن، تتساقط رقائق مثل النجوم. العالم يخفت، نوع من الهدوء الرقيق. ولولا هذه الرطوبة الجليدية التي تتسرب خلال ملابسها، لاعتقدت أنها يمكن أن تبقى هنا إلى الأبد.

تقرر أن تبقى هنا على الأقل حاليًا.

تغرق في الثلج، وتتركه يبتلع حواف بصرها، حتى لا يبقى سوى إطار حول السماء المفتوحة، والليل بارد وصافٍ ومليء بالنجوم. إنها في العاشرة مرة أخرى، ممددة على العشب الطويل خلف ورشة والدها، تحلم بأن تكون في أي مكان آخر غير البيت.

كم هي غريبة الطريقة المتعرجة التي يتحقق بها الحلم.

لكنها الآن، وهي تنظر إلى الظلام اللامتناهي، لا تفكر في الحرية، بل فيه.

ثم يكون هناك.

يقف بجوارها، وسط هالة من الظلام، وتعتقد أنها ربما تجن مرة أخرى. لم تكن المرة الأولى.

يقول لوس، راكعًا بجانبها: "مائتا عام، وما زالت تتصرفين مثل طفلة".

"ماذا تفعل هنا؟"

"يمكن أن أسألك السؤال نفسه".

يمد يده، وتأخذها، وتسمح له بإخراجها من البرد، ويعودان معًا إلى المنزل الصغير، تاركين خطواته وحده في الثلج.

في الداخل، انطفأت النيران، وهي تتأوه إلى حد ما، وتأتي بالفانوس، على أمل أن يكون ذلك كافيًا لإعادة النار إلى الحياة.

لكن لوس ينظر فقط إلى الأنقاض التي تدخن وينقر بأصابعه بدون وعي، وألسنة اللهب تتصاعد داخل الموقد، وتزدهر الحرارة، وتلقي بظلالها على كل شيء.

تفكر، كيف يتحرك بسهولة عبر العالم.

كم صعَّب الأمر عليها.

يتأمل لوس الكوخ الصغير، الحياة المستعارة. يقول: "عزيزتي أديلين، لا تزالين تتوقين إلى أن تكبري وتصبحين إستيل".

تقول: "لست عزيزتك"، بالرغم من أن الكلمات فقدت سمها الآن.

"كل العالم، وأنت تقضين وقتك في لعب دور ساحرة في البرية، حيزبون تصلي لآلهة قديمة".

"لم أصلِّ لك. وأنت هنا مع ذلك".

أدخلته، مرتديًا معطفًا من الصوف ووشاحًا من الكشمير وياقة عالية على خديه، وأدركت أن هذه أول مرة ترى فيها لوس في الشتاء. إنه يناسبه، كما كان الصيف يناسبه. صارت بشـرة خديه الفاتحة بيضاء مثل الرخام، وخصلات الشعر الأسود في لون السماء الخالية من القمر. العينان الخضراوان، باردتان ومشـرقتان مثل النجوم. والطريقة التي يبدو عليها، واقفًا أمام النار، تتمنى أن ترسمه. حتى بعد كل هذا الوقت، تحن أصابعها للفحم.

يمرر يده على رف المدفأة:

"رأيت فيلًا في باريس".

كلماتها له، قبل سنوات عديدة. إنها إجابة غريبة الآن، مليئة بأشياء غير معلنة. رأيت فيلًا وفكرت فيك. كنتُ في باريس ولم تكوني هناك.

تقول: "وفكرت فيَّ".

إنه سؤال. لا يرد. بدلًا من ذلك، ينظر حوله ويقول: "هذه طريقة بائسة للتبشير بعام. يمكن أن نفعل ما هو أفضل. تعالي معي".

وتشعر بالفضول - فهي دائما فضولية - لكنها الليلة تهز رأسها. "لا".

يرتفع هذا الذقن الفخور. تلك الحواجب الداكنة تترابط معًا. "لمَ لا؟"

تهز آدي كتفيها: "لأنني سعيدة هنا. وأنا لا أثق في أن تعيدني".

تومض ابتسامته، مثل ضوء النار. وهي تتوقع أن تكون النهاية.

أن تلتفت وتجده وقد رحل، متسللًا مرة أخرى في الظلام.

لكنه لا يزال هناك، هذا الظل في بيتها المستعير.

يجلس على الكرسي الثاني.

يستحضـر أكواب النبيذ من لا شيء، ويجلسان أمام النار مثل صديقين، أو على الأقل، مثل عدوين في هدنة، يحكي لها عن باريس في نهاية عقد - نهاية القرن. عن الكتاب يتفتحون

كالزهور، عن الفن والموسيقى والجمال. عرف دائمًا كيف يغريها. يقول إنه عصـر ذهبي، زمن النور.

يقول: "ستستمتعين بها".

"أنا متأكدة من أنني سأستمتع بها".

ستذهب، في الربيع، لترى المعرض العالمي، وتشاهد برج إيفل، التمثال الحديدي يصعد نحو السماء. سوف تمشـي خلال مبانٍ مصنوعة من الزجاج، ومنشآت سريعة الزوال، وسيتحدث الجميع عن القرن القديم والقرن الجديد، وكأن هناك خطًّا في الرمال بين الحاضر والماضي. كما لو أنها لا توجد كلها معًا.

التاريخ شيء يصمم بأثر رجعي.

حاليًا تستمع إليه وهو يتحدث وهذا يكفي.

لا تتذكر الانجراف، وحين تستيقظ، يكون الوقت مبكرًا في الصباح، والكوخ فارغًا، والنار أكثر بقليل من جمر. البطانية ملقاة على كتفيها، وخلف النافذة، صار العالم أبيض مرة أخرى.

وسوف تتساءل آدي عما إذا كان قد حضر في أي وقت.

الجزء السادس

لا تتظاهر بأن هذا حب

فيون سور سارت

29 يوليو 1914

I

ينهمر المطر في فيون.

يفيض نهر سارت على ضفافه، ويحول المطر ممرات المشاة إلى أنهار موحلة. ينساب في المداخل، ويملأ أذنيها بالضوضاء الثابتة للماء المندفع، وحين تغلق آدي عينيها، تذوب السنوات، وتكون في العاشرة مرة أخرى، وتكون في الخامسة عشرة، وتكون في العشرين، وتنورتها مبللة وشعرها يتطاير خلفها وهي تعدو حافية في الريف المغسول.

لكنها بعد ذلك تفتح عينيها مرة أخرى، وقد مرت مائتا عام، ولا يمكنها إنكار أن قرية فيون الصغيرة تغيرت. إنها تتعرف عليها أقل وأقل، وتجد المزيد والمزيد من الغرابة. هنا وهناك، ما زالت تستطيع تحديد المكان الذي كانت تعرفه من قبل، لكن ذكرياتها رثة، تلك السنوات التي سبقت صفقة بيعها تذبل وتشحب.

ومع ذلك، بعض الأشياء ثابتة.

امتداد الطريق الذي يمر عبر المدينة.

الكنيسة الصغيرة القابعة في المركز.

الجدار المنخفض للمقبرة، محصن ضد مسيرة التغيير البطيئة. تتباطأ آدي في مدخل الكنيسة، تراقب العاصفة. كانت معها مظلة حين بدأت، لكن هبَّة من الرياح القوية ثنت الإطار، وهي تعلم أنها يجب أن تنتظر توقف المطر، وأنها ترتدي الفستان الوحيد. لكن وهي تقف هناك، وإحدى يديها ممدودة لتدفق الماء المتساقط، تفكر في إستيل، التي كانت تقف تحت العواصف، فاردة ذراعيها ومرحبة.

تتخلى آدي عن مأواها وتتجه إلى بوابة المقبرة.

في لحظات، تنقع في الماء، لكن المطر دافئ، ولن تذوب. تمر ببعض شواهد القبور الجديدة، والعديد من الشواهد القديمة، وتضع وردة برية على كل قبر من قبري والديها، وتذهب للعثور على إستيل.

افتقدت المرأة العجوز هذه السنوات الطويلة، وافتقدت الشعور بالارتياح معها، ونصائحها، وافتقدت قوة قبضتها، وضحكتها المجلجلة، وطريقة إيمانها بآدي حين كانت أديلين، حين كانت لا تزال هنا، لا تزال بشرية. ورغم تمسكها بها تستطيع، إلا أن صوت إستيل اختفى بمرور السنين. وهذا هو المكان الوحيد الذي لا يزال من الممكن أن تستحضره، حيث شعرت بوجودها في الأحجار القديمة، والأرض العشبية، والشجرة التي فوق رأسها وقد أثر فيها الطقس.

لكن الشجرة ليست هناك.

القبر يقبع كئيبًا في مكانه، الحجر يبلى ويتشقق، لكن الشجرة الجميلة بأطرافها العريضة وجذورها العميقة اختفت.

لا شيء يبقى سوى جذعة مسننة.

تطلق آدي صوتًا مسموعًا، وتغرق على ركبتيها، وتدير يديها على الخشب الميت والمتشقق. لا. لا، إلا هذه. فقدت الكثير، وحزنت على كل شيء من قبل، ولكن لأول مرة منذ سنوات، تصاب بخسارة بهذه الحدة لدرجة أنها تسحب نفَسها وقوتها وإرادتها.

ينفتح الأسى العميق بداخلها.

ما فائدة زرع البذور؟

لماذا تعتني بها؟ لماذا تساعدها على النمو؟

كل شيء ينهار في النهاية.

كل شيء يموت.

وهي كل ما تبقى، شبح منفرد في وقفة احتجاجية على الأشياء المنسية. تغلق عينيها وتحاول استحضار إستيل، تحاول استدعاء صوت المرأة العجوز، لتخبرها بأن الأمر سيكون على ما يرام، إنه مجرد خشب - لكن الصوت اختفى، تائهًا في العاصفة الهائجة.

آدي لا تزال جالسة هناك في الغسق.

تباطأ المطر وأصبح رذاذًا، وصنبور الماء يتدفق أحيانًا على الحجر. وهي منقوعة في الماء، لكنها لم تعد تشعر بالكثير، لا تشعر إلا بالقليل– إلى أن تشعر بالهواء المتغير ووصول الظل خلفها.

يقول: "آسف"، وهذه أول مرة تسمع فيها هذه الكلمة بهذا الصوت الحريري، والمرة الوحيدة التي تبدو فيها صادقة.

تهمس دون أن تنظر: "هل فعلت هذا؟"

ولدهشتها، ركع لوس بجانبها على الأرض الرطبة. لا يبدو أن ملابسه مبللة.

يقول: "لا يمكن أن تلوميني على كل خسارة".

لا تدرك أنها ترتجف حتى تلتوي ذراعه حول كتفيها، حتى تشعر بأطرافها ترتجف أمام ثقل وزنه الثابت.

يقول: "أعلم أنني يمكن أن أكون قاسيًا. لكن الطبيعة يمكن أن تكون أكثر قسوة".

من الواضح الآن الخط المتفحم على طول مركز الجذع. القص السـريع والحار بفعل البرق. وهذا لا يخفف من الخسارة.

لا يمكنها الوقوف لتنظر إلى الشجرة.

لا يمكنها تحمل البقاء هنا أكثر.

يقول: "تعالي"، وهو يجرها لتنهض على قدميها، وهي لا تعرف إلى أين يتجهان، ولا تهتم، طالما أنها في مكان آخر. تدير آدي ظهرها للجذع المدمر، وشاهد القبر الذي تحول إلى عدم. تفكر، حتى الصخور، وهي تتبع لوس بعيدًا عن المقبرة والقرية والماضي.

لن تعود أبدًا.



تغيرت باريس بالطبع أكثر بكثير مما تغيرت فيون.

على مر السنين، رأتها مصقولة لدرجة التألق، مباني حجرية بيضاء مغطاة بأسقف بلون الفحم. نوافذ طويلة وشرفات حديدية وشوارع واسعة تصطف على جانبيها محلات زهور ومقاهٍ تحت مظلات حمراء.

يجلسان في باحة، ثوبها يجف في نسيم الصيف، وزجاجة بورت مفتوحة بينهما. تشرب آدي بعمق، محاولة محو صورة الشجرة، وهي تعلم أن أي كمية من النبيذ لن تمحو ذكرياتها.

لكن ذلك لا يمنعها من المحاولة.

في مكان ما على طول نهر السين، يبدأ عزف كمان. تحت النغمات العالية تسمع رعشة محرك السيارة. الصهيل العنيد لحصان. الموسيقى الغريبة لباريس.

يرفع لوس كأسه: "ذكرى سنوية سعيدة، عزيزتي أديلين".

تنظر إليه، تتحرك شفتاها بالرد المعتاد، لكنها تتوقف قبل أن تكمل.

إذا كانت عزيزته، فيجب أن يكون عزيزها الآن أيضًا.

ترد: "ذكرى سنوية سعيدة، يا لوس"، لمجرد أن ترى ملامح وجهه.

تُكافَأ بجبين مرتفع، والتواء فمه إلى أعلى، وتحول خضرة عينيه دهشة.

ثم ينظر لوس إلى أسفل، ويلف كأس البورت بين أصابعه.

يقول، لنفسه تقريبًا: "أخبرتني ذات مرة أننا متشابهان، كلانا... وحيدان. كرهتك لأنك قلْتِ ذلك. لكني أفترض أنك كنت على حق في بعض النواحي. أفترض"، يواصل ببطء: "هناك شيء ما في فكرة الشراكة".

أقرب شيء بشري يبدر منه.

تسأل: "هل تشتاق إليَّ حين لا تكون هنا؟"

تنجرف العينان الخضراوان إلى أعلى، بلون الزمرد حتى في الظلام: "أنا هنا، معك، أكثر بكثير مما تعتقدين".

تقول: "بالطبع، أنت تأتي وتذهب وقتما تشاء. وليس أمامي سوى الانتظار".

تغمق عيناه لذةً: "هل تنتظرينني؟"

والآن آدي هي التي تنظر بعيدًا: "قلت ذلك بنفسك. نتوق جميعًا إلى الشراكة".

"وإذا كنت تستطيعين الاتصال بي، كما أستطيع الاتصال بك؟"

يتسارع قلبها إلى حد ما.

لا تنظر إلى أعلى، ولهذا تراه يتدحرج نحوها على الطاولة. شريط رفيع منحوت من خشب الدردار الباهت.

إنها حلقة.

إنها حلقتها.

الهدية التي قدمتها للظلام في تلك الليلة.

الهدية التي احتقرها، وحولها إلى دخان.

استحضرت الصورة في كنيسة على شاطئ بحر.

لكن إذا كان هذا وهْمًا الآن، فهو أمر استثنائي. ها هو الشق حيث قطع إزميل والدها جزءًا عميقًا جدًّا. وها هو المنحنى صار ناعمًا كالحجر بسنوات القلق.

إنها حقيقية. لابد أن تكون حقيقية. ومع ذلك –

"دمرْتَها".

يقول لوس وهو ينظر إلى كأسه: "أخذتها. الأمر مختلف".

يشتعل الغضب في أعماقها: "قلْتَ إنها لا شيء".

"قلْتُ إنها ليست **كافية**. لكنني لا أفسد الجمال بدون سبب. كانت ملكي، لبعض الوقت، لكنها كانت ملكك دائمًا".

تنظر آدي بدهشة إلى الحلقة: "ماذا يجب أن أفعل؟"

"تعرفين كيف تستدعين آلهة".

صوت إستيل خافت كالنسيم.

لابد أن تتواضعي أمامهم.

"البسيها، وسوف آتي". يرجع لوس إلى الخلف في كرسيه، والنسيم الليلي يهب خلال تلك الخصلات القاتمة. يقول: "ها. تعادلنا الآن".

تقول: "لن نكون متعادلين أبدًا"، وهي تدير الحلقة بين إصبعها وإبهامها، وتقرر ألا تستخدمها.

إنه تحدٍّ. لعبة، استعراض في شكل هدية. رهان أكثر مما هي حرب. معركة إرادات. بالنسبة لها سيكون لبس الحلقة، استدعاء لوس، بمثابة انسحاب، والاعتراف بالهزيمة.

أن تستسلم.

تضع الرمز في جيب تنورتها، وتجبر أصابعها على ترك التعويذة.

عندها فقط تلاحظ التوتر في الهواء في تلك الليلة. إنها طاقة شعرت بها من قبل، لكنها لا تستطيع وضعها، حتى يقول لوس: "هناك حرب على وشك أن تندلع".

لم تسمع. يخبرها عن اغتيال ابن إمبراطور النمسا، ويعلو وجهه قناع من الاستياء الكئيب.

يقول بكآبة: "أكره الحرب".

"كنت أعتقد أنك مولع بالصراع".

يقول: "بعد ذلك يولد الفن". لكن الحرب تجعل الكلبيين مؤمنين. والمتملقين متلهفين للخلاص، يتشبث الجميع فجأة بأرواحهم، يتشبثون بها كما تتشبث مربية بأجود اللآلئ". يهز لوس رأسه: "يعيدون لي الحقبة الجميلة".[65]

"من كان يعلم أن الآلهة تشعر بالحنين إلى هذا الحد؟"

---

65 الحقبة الجميلة: إشارة إلى فترة الاستقرار التي سبقت الحرب العالمية الأولى.

ينهي لوس كأسه وينهض: "يجب أن تغادري قبل أن تبدأ". تضحك آدي. يبدو وكأنه يهتم. الحلقة تقبع، ثقل مفاجئ في جيبها. يمد يده: "يمكن أن آخذك".

ينبغي أن تقبل، ينبغي أن تقول نعم. يجب أن تتركه يقودها خلال الظلام الرهيب ويخرجها منه مرة أخرى، وتجنب نفسها المحيط، أسبوعًا بائسًا مختبئة في بطن سفينة في البحر، جمال الماء الذي لطخته الطبيعة اللامتناهية.

لكنها تعلمت جيدًا أن تتمسك بموقفها.

يهز لوس رأسه: "ما زلت عنيدة حمقاء".

تفكر بالبقاء، لكن بعد رحيله، لا يمكنها إلا أن تستحضر الظلال في نظرته، الطريقة القاتمة التي تحدث بها عن الصراع القادم. إنها علامة، حتى حين تخشى القتال آلهة وشياطين.

بعد أسبوع، تستسلم آدي، وتصعد على متن سفينة إلى نيويورك. وحين ترسو، يكون العالم في حالة حرب.

مدينة نيويورك

29 يوليو 2014

II

إنه مجرد يوم آخر.

هذا ما تقوله آدي لنفسها.

إنه مجرد يوم - مثل كل الأيام الأخرى - لكنه بالطبع ليس كذلك.

مرت ثلاثمائة عام منذ أن كان من المفترض أن تتزوج - مستقبل ضد إرادتها.

ثلاثمائة عام منذ أن ركعت في الغابة، واستدعت الظلام، وفقدت كل شيء إلا الحرية.

ثلاثمائة سنة.

يجب أن تكون هناك عاصفة، خسوف. طريقة ما للاحتفال بالذكرى. لكن اليوم يبزغ مثاليًّا، وصافيًا، وأزرق.

السرير خالٍ بجوارها، لكنها تسمع صوت هنري الناعم وهو يتحرك في المطبخ، ولا بد أنها كانت تقبض على البطانيات، لأن أصابعها تتألم، عقدة من الألم وسط كفها اليسرى.

حين تفتح يدها، تسقط الحلقة الخشبية.

تزيحها من على السرير وكأنها عنكبوت، فألّا سيئًا، وتسمع صوت ارتطامها بالأرض، وترتد، وتتدحرج بعيدًا عبر الأرضية الصلبة. تشد آدي ركبتيها، وتترك رأسها يسقط عليها، وتتنفس في الفراغ بين ضلوعها، وتذكر نفسها أنها مجرد حلقة، وهو مجرد يوم. لكنها تشعر بحبل في صدرها، يلتف ويضيق بشكل مخيف ومزعج، يخبرها بأن تذهب، بأن تضع أكبر مسافة ممكنة بينها وبين هنري، في حالة قدومه.

تقول لنفسها إنه لن يفعل ذلك.

تقول لنفسها، مر وقت طويل.

لكنها لا تريد أن تغامر.

تدق مفاصل هنري على الباب المفتوح، فتنظر وتراه يمسك بصحن به كعكة، وثلاث شموع في قمتها.

وتضحك بالرغم من كل شيء: "ما هذا؟"

"هاي، ليس كل يوم تبلغ فيه صديقتك الثلاثمائة".

"هذا ليس عيد ميلادي".

"أعلم، لكنني لا أعرف ماذا أسميه بالضبط".

وبهذه الطريقة، يرتفع الصوت مثل الدخان في رأسها.

ذكرى سعيدة، يا حبي.

يقول هنري: "تمني أمنية".

تبلع آدي ريقها وتطفئ الشموع.

يغرق في السرير بجوارها. يقول: "لديَّ يوم كامل. بيا تغطي العمل في المتجر، وأعتقد أنه يمكننا استقلال القطار إلى..". لكنه يتوقف حين يرى وجهها: "ماذا؟"

الرهبة تنهش بطنها، أعمق من الجوع. تقول: "لا أعتقد أننا يجب أن نكون معًا. ليس اليوم".

تبدو التعاسة على وجهه: "أوه".

تحيط آدي خده بيدها: "إنه مجرد يوم، يا هنري".

يقول: "أنت على حق". إنه يوم. لكن كم من أيام أفسد؟ لا تدعيه يأخذه منك". يقبِّلها: "منا".

إذا وجدهما لوس معًا، فسيأخذ أكثر من ذلك.

يصر هنري: "تعالي"، سأعيدك قبل فترة طويلة من موعد نومك. وبعد ذلك، إذا كنت تريدين قضاء الليل بعيدًا، أتفهمُ ذلك. تقلقين بشأنه في الظلام، لكن مرت ساعات حتى ذلك الحين، وأنت تستحقين يومًا جيدًا. ذاكرة جيدة".

وهو على حق. إنها تستحق.

ترتخي الرهبة قليلًا في صدرها.

تقول: "حسنًا"، كلمة واحدة صغيرة، ويضيء وجه هنري بمرح تمامًا: "فيم تفكر؟"

يختفي في الحمام، ويعود مرتديًا شورت سباحة أصفر، وفوطه ملقاة على كتفه. ألقى لها البيكيني الأزرق والأبيض.

"لنذهب".

شاطئ روكواي[66] بحر من الفوط الملونة، والأعلام المغروسة في الرمال.

يتدفق الضحك مع المد حيث يصنع الأطفال أكوامًا على شكل قلاع ويستريح الناس تحت أشعة الشمس الساطعة. يفرد هنري فوطهما على رقعة ضيقة من الرمال الخالية، ويضع عليها الحذاء، ثم تمسك آدي بيده ويجريان على الشاطئ، وباطن أقدامهما يلسع حتى يصلا إلى خط المد الرطب ويغوصان في الماء.

تلهث آدي مع اندفاع أمواج الترحيب، باردة حتى في حرارة الصيف، وتختفي حتى يلتف المحيط حول خصرها. يضع هنري رأسه بجانب رأسها، ويعود، والماء يقطر من نظارته. يشدها إليه ويقبل الملح من أصابعها. تبعد الشعر عن وجهه. يبقيان هناك، متشابكين معًا في الأمواج.

يقول: "انظري، أليس هذا أفضل؟"

وهو أفضل.

إنه أفضل.

---

66 شاطئ روكواي: حي في شبه جزيرة روكواي في مدينة نيويورك.

يسبحان حتى تتألم أطرافهما، ويبدأ جلدهما في التجعد، ثم يتراجعان إلى الفوط المنتظرة على الشاطئ، ويتمددان ليجفا تحت أشعة الشمس. الجو حار جدًا ولا يسمح بالبقاء فترة طويلة، وسرعان ما تكفي رائحة الطعام المنبعثة من الممر الخشبي لجذبهما مرة أخرى.

يجمع هنري أغراضه ويبدأ السير على الشاطئ، وتنهض آدي لتتبعه، وهي تهز الرمال من فوطتها.

وتسقط الحلقة الخشبية.

تقبع هناك، أغمق من الشاطئ إلى حد ما، مثل قطرة مطر على رصيف جاف. تذكير. تنحني آدي عليها، وتمسح حفنة من الرمل من فوقها، قبل أن تهرول خلف هنري.

يتوجهان إلى منطقة البارات المطلة على الشاطئ، ويطلبان سندويشات التاكو وإبريق من المارجريتا[67] المجمدة، متذوقين النكهة القوية والبرد الحلو المملح. يمسح هنري الماء من نظارته، وتنظر آدي إلى المحيط، وتشعر بأن الماضي ينثني على الحاضر، مثل المد والجزر.

رؤي من قبل. عرف من قبل. عيش من قبل.[68]

يسأل هنري: "ما هذا؟"

تلقي آدي نظرة باتجاهه: "حسنًا؟"

يقول: "تظهر هذه النظرة على وجهك، حين تتذكرين".

تنظر آدي إلى المحيط الأطلنطي، الحافة اللامتناهية للشاطئ، والذكريات تتدحرج على طول الأفق. وهما يأكلان، تحكي له عن جميع الشواطئ التي رأتها، حين سافرت عبر القناة الإنجليزية، كانت المنحدرات البيضاء في دوفر تظهر بين الضباب. حين أبحرت على ساحل إسبانيا، وحين سافرت خلسة في أحشاء قارب، وكيف، وحين عبرت إلى أمريكا، وقد مرض كل من في السفينة، وكان عليها أن تتظاهر بالمرض حتى لا يظنوا أنها ساحرة.

---

67 كوكتيل مصنوع من التكيلا وعصير الحمضيات.

68 بالفرنسية في الأصل.

وحين سئمت من الكلام، ونفدت مشروباتهما، يقضيان الساعات القليلة التالية في القفز بين ظل منصات الامتياز ولمسة الأمواج الرائعة، ويظلان على الرمال فترة تكفي فقط أن يجفًا.

يمر اليوم بسرعة كبيرة، كما تمر الأيام الطيبة.

وحين حان وقت الذهاب، يشقان طريقهما إلى مترو الأنفاق، ويغوصان على المقعد، وهما في حالة سكر ونعاس بتأثير الشمس، وينطلق القطار.

يخرج هنري كتابًا، لكن عيني آدي تلسعانها، وهي تتكئ عليه، مستمتعة برائحة الشمس والورق، والمقعد البلاستيك والهواء الفاسد، ولم تشعر بمثل هذا الارتياح قط. شعرت أنها تغرق في هنري، ورأسها يتدلى على كتفه.

ثم همس في شعرها بثلاث كلمات.

يقول: "أحبك"،[69] وتتساءل آدي إذا كان هذا هو الحب، فهو شيء لطيف. إذا كان من المفترض أن يكون هذه الرقة، هذا اللطف.

الفرق بين الحرارة والدفء.

الشغف والقناعة.

تقول: "أحبك أيضًا".

تريد أن يكون ذلك حقيقيًا.

---

69 في الأصل I love you، ومن هنا يأتي الحديث عن ثلاث كلمات.

شيكاغو، إلينوس

29 يوليو 1928

III

فوق الحاجز ملاك.

لوح من الزجاج الملون، مضاء من الخلف، بصورة واحدة، كأس مرفوعة ويد ممدود، وكأنها دعوة للصلاة.

لكنها ليست كنيسة.

أماكن بيع الخمور المهربة كالأعشاب هذه الأيام، تنبت بين حجارة الحظر. وهذا المكان ليس له اسم، باستثناء الملاك مع كؤوسه، والرقم XII فوق الباب - اثنا عشـر، ساعة منتصف النهار ومنتصف الليل - الستائر والمقاعد المخملية التي تسترخي مثل النائمين حول الأرضية الخشبية، والأقنعة المعطاة للرعاة عند الباب.

إنه، مثل معظمها، مجرد شائعة، سر ينتقل من فم إلى فم منتشٍ.

وآدي تحبه.

تتحمس بشدة لهذا المكان.

ترقص - أحيانًا بمفردها، وأحيانًا بصحبة غرباء. تنسى نفسها في موسيقى الجاز التي تهز الجدران، وترتد، وتملأ الفضاء المزدحم بالموسيقى. ترقص، حتى يتشبث ريش قناعها بخديها، وتلهث آدي، ويحمر وجهها، وتتراجع، وتسقط على كرسي جلدي.

كان منتصف الليل تقريبًا، وأصابعها تنجرف مثل عقارب الساعة إلى حلقها، حيث تتدلى الحلقة على حبل فضي، ويدفئ الشريط الخشبي بشرتها.

إنه دائما في متناول اليد.

ذات مرة، حين انقطع الحبل، اعتقدت أنها فقدت، فقط لتجدها آمنة في جيب بلوزتها. ومرة أخرى، تركتها على حافة النافذة، ووجدتها بعد ساعات في رقبتها مرة أخرى.

الشيء الوحيد الذي لا تفقده.

تتلاعب بها، وهي عادة كسولة الآن، مثل التفاف خصلة من الشعر حول إصبع. إنها تتزلج على حافة الشريط مع ظفرها، تلفها، حريصة على عدم ترك الحلقة تنزلق فوق عقلة إصبعها.

وصلت إليه مائة مرة: حين تكون وحيدة، حين تشعر بالملل، حين ترى فيه شيئًا من الجمال والفكر. لكنها عنيدة جدًّا، وهو فخور جدًّا، وهي مصممة على الفوز في هذه الجولة.

أربعة عشر عامًا قاومت الرغبة في لبسها.

وأربعة عشر عامًا لم يأت.

لذا كانت محقة - إنها لعبة. نوع آخر من التنازل، نسخة أقل من الاستسلام.

أربعة عشر عامًا.

وهي وحيدة، وفي حالة سكر إلى حد ما، وتتساءل عما إذا كانت الليلة ليلة انكسارها. سيكون سقوطًا، لكن ليس من ارتفاع كبير. ربما - ربما - لكي تشغل يديها، قررت أن تحصل على مشروب آخر.

تذهب إلى الحانة وتطلب كأسًا من الجن، لكن الرجل بالقناع الأبيض يضع كأسًا من الشمبانيا أمامها بدلًا من الجن. تطفو بتلة ورد بين الفقاعات، وحين تسأل، يومئ برأسه إلى ظل في كشك مخملي. قناعه مصنوع ليبدو مثل الأغصان، والأوراق إطار مثالي لعينين مثاليتين.

وآدي تبتسم على مرأى منه.

تكون كاذبة إذا قالت إنه ليس سوى ارتياح. وزن تخففت منه. نَفَس تحرر.

تقول وهي تغرق في كشكه: "فزتُ".

ورغم أنه ينثني أولًا، إلا أن عينيه مشرقتان بالنصر: "كيف؟"

"لم أتصل، ومع ذلك أتيت".

رفع ذقنه، وهو يفحصها بازدراء: "تفترضين أنني هنا من أجلك".

تقول وهي تنزلق في إيقاعه السلس المنخفض: "نسيتُ. هناك الكثير من البشر المجانين احتلت عليهم وسلبتهم أرواحهم".

ابتسامة ساخرة تظهر على الشفتين المثاليتين: "أعدك، يا أديلين، المجانين من أمثالك".

تنزعج: "قلة؟ سأحاول بجدية أكبر".

يرفع كأسًا ويوجهها نحو الحاجز: "تبقى الحقيقة، أنت التي أتيتِ إليَّ. هذا المكان ملكي".

تنظر آدي حولها ويتضح الأمر فجأة. ترى العلامات في كل مكان.

تدرك لأول مرة أن الملاك الموجود فوق الحاجز بدون أجنحة. وخصلات الشعر حول وجهه سوداء. والشريط الذي اعتبرته هالة قد يكون أيضًا ضوء القمر.

وتتساءل عما جذبها إلى هنا في المرة الأولى. تتساءل إذا كانا مثل مغناطيسين، هي ولوس.

إذا كانا قد دارا حول بعضهما البعض فترة طويلة حتى أنهما الآن يتشاركان في مدار.

سوف تصبح من هواة مكانه، هذه الأنواع من الأندية. سوف يغرسها في عشرات المدن، ويهتم بها كالحدائق، ويجعلها تنمو في البرية. مكتبة سُر مَن قرأ

سيقول، إنها وفيرة مثل الكنائس، وشعبيتها ضعف شعبية الكنائس.

وبعد فترة طويلة من أيام الحظر، تظل تزدهر وتلبي أذواقًا كثيرة، وتتساءل إذا كانت الطاقة هي التي تغذيه، أم أنها أرض لتهيئة النفوس. مكان للعب والتطفل والوعد. وبطريقة ما، مكان للصلاة، وإن كان نوعًا مختلفًا من العبادة.

يقول لوس: "ربما أفوز أنا".

تهز آدي رأسها وتقول: "إنها مجرد صدفة. لم أتصل".

يبتسم، ينظر إلى الحلقة على جلدها: "أعرف قلبك. شعرت أنه يتعثر".

"لكنني لم أتصل".

يقول: "لا"، الكلمة ليست سوى نفَس: "لكنني تعبت من الانتظار".

تقول بابتسامة: "اشتقتَ إليّ"، وتظهر لمحة عابرة في العينين الخضراوين. كسر في الضوء.

"الحياة طويلة والبشر مملون. أنت شراكة أفضل".

"نسيتَ أنني إنسان".

يقول وفي صوته ظل شفقة: "أديلين، لم تكوني إنسانًا منذ الليلة التي التقينا فيها. لن تكوني إنسانًا مرة أخرى".

تتدفق الحرارة خلالها عند سماع الكلمات. لم يعد الدفء لطيفًا، بل غضبًا.

تقول: "ما زلت إنسانًا"، ويضيق الصوت حول الكلمات كما لو كانت تنطق اسمها.

يقول وجبينه ينحني على جبينها: "إنك تتنقلين بينهم كالشبح، لأنك لست واحدة منهم. لا يمكن أن تعيش مثلهم. لا يمكن أن تحب مثلهم. لا يمكن أن تنتمي إليهم".

فمه يحوم فوق صوتها، ولم يكن صوته إلا نسيمًا.

"أنت تنتمين إليّ".

هناك صوت كالرعد في مؤخرة حلقه.

"معي".

وحين تنظر إلى عينيه، ترى ظلًّا جديدًا باللون الأخضر، وتعرف حقيقته بالضبط. لون رجل غير متوازن. يرتفع صدره وينخفض كأنه كائن بشري.

هنا مكان لوضع السكين.

"أفضل أن أكون شبحًا".

ولأول مرة، يجفل الظلام. يتراجع مثل ظلال في وجه الضوء. تشحب عيناه غضبًا، ويظهر الإله الذي تعرفه، الوحش الذي تعلمت مواجهته.

يتمتم لوس: "افعلي ما يحلو لك"، وهي تنتظره حتى ينزف في الظلام، وتستعد للمفاجأة، تصل إلى الفراغ، وتتوقع أن يتم ابتلاعها وتُبصَق على الجانب الآخر من العالم.

لكن لوس لا يختفي ولا هي أيضًا.

يومئ برأسه إلى النادي. ويقول: "هيا، إذن، ارجعي إليهم".

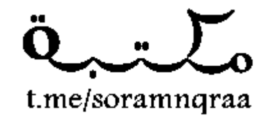
وكانت تفضل أن ينفيها. بدلًا من ذلك، قامت، رغم أنها فقدت رغبتها في تناول المشروبات والرقص وأي نوع من الشراكة.

الأمر يشبه مثل الخروج من ضوء الشمس، الغرفة الرطبة أصبحت باردة على جلدها، وهو يجلس هناك في كشكه المخملي، وهي تتجول في حركات ليلها، وللمرة الأولى تشعر بالفراغ بينها وبين البشر، وتخشى أن يكون على حق.

في النهاية، تغادر.

وفي اليوم التالي، يغطى المكان، ويرحل لوس. وبهذه الطريقة، ترسم خطوط جديدة، وتثبت القطع، وتبدأ المعركة.

لن تراه مرة أخرى حتى الحرب.



مدينة نيويورك

29 يوليو 2014

V

يوقظ القطار A آدي من النوم.

تفتح عينيها بالضبط والأضواء فوق رأسها تومض وتنطفئ، وتغرق العربة في الظلام. ويندفع الذعر مثل تيار في صدرها، والعالم وراء النوافذ مظلم، لكن يد هنري تضغط على يدها.

يقول: "إنه مجرد خط"، والأنوار تضاء مرة أخرى، ويستقر القطار مرة أخرى في حركته السهلة، وتدرك حين يأتي الصوت من الميكروفون الداخلي أنهما عادا إلى بروكلين، آخر امتداد مترو الأنفاق تحت الأرض مرة أخرى، وحين يغادران، تبقى الشمس بأمان في السماء.

يمشيان عائدين إلى بيت هنري، حيث الحرارة والنعاس، والتخلص من الملح والرمل، وينهاران فوق الملاءات، ويبرد الشعر المبلل جلدهم. يتكوم بوك حول قدميها. يضمها هنري إليه، والسرير بارد، وهو دافئ، وإذا لم يكن حبًا، فهذا يكفي.

يتمتم في شعرها: "خمس دقائق".

ترد، والكلمتان شبه توسل، شبه وعد وهي تحضنه: "خمس دقائق".

في الخارج، تحوم الشمس فوق المباني.

لا يزال لديهم وقت.

تستيقظ آدي في الظلام.

حين أغمضت عينيها، كانت الشمس لا تزال عالية. الآن، الغرفة مليئة بالظلال، والسماء كدمة زرقاء عميقة خلف النافذة.

ما زال هنري نائمًا، والغرفة هادئة جدًّا، ساكنة جدًّا، والهلع يزحف إلى أعماق آدي وهي جالسة.

لا تنطق اسمه، ولا تفكر حتى فيه وهي تنهض على قدميها ببطء، حابسة أنفاسها وهي تخطو إلى القاعة المظلمة. تفحص غرفة المعيشة، وتستعد لرؤيته جالسًا على الأريكة، وذراعاه الطويلتان ممدودتان على ظهرها المبطن.

أديلين.

لكنه ليس هناك.

بالطبع ليس هناك.

مر ما يقرب من ثلاثين عامًا.

لا يأتي. وتمل آدي من انتظاره.

تعود إلى غرفة النوم، وترى هنري واقفًا، وشعره خصلات سوداء منكوشة يبحث تحت الوسائد عن نظارته.

يقول: "آسف. كان يجب أن أضبط المنبه". يفتح شنطة، ويضع بداخلها غيار ملابس. "يمكن أن أقيم في بيت بيا. سوف-"

لكن آدي تمسك يده: "لا تذهب".

يتردد هنري: "هل أنت متأكدة؟"

إنها غير متأكدة من أي شيء، لكنها قضت يومًا سعيدًا، ولا تريد أن تضيع ليلتها، ولا تريد أن تمنحها له.

أخذ ما يكفي.

لا يوجد طعام في الشقة، لذا يرتديان ملابسهما ويتوجهان إلى الميرشنت، وهناك راحة واسترخاء من هذا كله، كما أن تشوش الاستيقاظ بعد حلول الظلام يضاف إلى تأثيرات البقاء في الشمس فترة طويلة. إنه يضفي على كل شيء جوًّا حالمًا، والنهاية المثالية ليوم مثالي.

يخبران النادلة بأنها يحتفلان، وحين تسأل عما إذا كان عيد ميلاد أو خطوبة، ترفع آدي كأس البيرة وتقول: "ذكرى سنوية".

تقول النادلة: "تهانينا، كم سنة؟"

تقول: "ثلاثمائة".

يغص هنري بشرابه، وتضحك النادلة، على افتراض أنها مزحة. تبتسم آدي ببساطة.

تأتي أغنية من النوع الذي يسمع في الضوضاء فتشده ليقف.

تقول: "ارقص معي"، وهنري يحاول أن يقول لها إنه لا يرقص، رغم أنها كانت هناك، في الفورث ريل، حين اندفعا إلى الإيقاع، وهو يقول هذا مختلف، لكنها لا تصدقه، لأن الزمن يتغير، لكن الجميع يرقصون، رأتهم يرقصون الفالس والرقص الرباعي، وهرولة الثعلب والجيف، ودستة أخرى من الرقصات، وهي متأكدة من قدرته على رقص إحداها على الأقل.

وهكذا تسحبه بين الطاولات، ولم يكن هنري يعرف حتى أن الميرشنت به قاعة للرقص، ولكنها موجودة، وهما الوحيدان عليها. توضح له آدي كيف يرفع يده ويتحرك معها حركات مماثلة. توضح له كيف يتقدم، وكيف يلفها، وكيف يبطئ. وتوضح له أين يضع يديه، وكيف يشعر بالإيقاع في وركيها، ولفترة قصيرة، يكون كل شيء مثاليًا، وسهلًا، وصحيحًا.

يتعثران ويضحكان ويصلان إلى البار لتناول مشروب آخر.

يقول هنري: "زجاجتان من البيرة"، ويومئ النادل، ويبتعد خطوات، ويعود بعد دقيقة، ويضع مشروباتها.

لكن البيرة واحدة فقط.

والمشروب الآخر شمبانيا، وبتلة ورد مكسوة بالسكر تطفو في الوسط. تشعر آدي بانقلاب العالم، نفق الظلام.

أسفل الكأس ملاحظة، مكتوبة بالفرنسية الأنيقة المائلة.

من أجل عزيزتي أديلين.

يقول هنري: "هاي، لم نطلب هذا".

يشير النادل إلى نهاية البار. "تحية من الرجل اللطيف هناك..". يبدأ، بصوت منخفض. يقول: "ها. كان هناك للتو".

يخفق قلب آدي في صدرها. تمسك بيد هنري: "لابد أن تذهب".

"ماذا؟ انتظري-"

لكن لا يوجد وقت. تدفعه نحو الباب.

"آدي".

لا يمكن أن يراهما لوس معًا، لا يمكن أن يعرف أنهما وجدا-

"آدي". تنظر أخيرا إلى الخلف. وتشعر أن العالم ينسحب من تحتها.

البار ساكن تمامًا.

ليس فارغًا، لا؛ لا يزال ممتلئا بالناس.

لكن لا أحد منهم يتحرك.

توقفوا جميعًا عن منتصف الخطوة، منتصف الكلام، منتصف الرشفة. لم يتجمدوا، بالضبط، ولكنهم سكنوا قسرا. دمى، تحوم في خيوط. لا تزال الموسيقى تعزف. بهدوء، الآن، لكنه الصوت الوحيد في المكان إلى جانب أنفاس هنري غير المستقرة، وخفقان قلبها .

وصوت يرتفع من الظلام.

"أديلين".

يحبس العالم كله أنفاسه، ويتقلص إلى الصدى الناعم لسقوط الأقدام على الأرضية الخشبية، والشخص يخرج من الظل.

ثلاثون عامًا، وها هو، لم يتغير كما لم تتغير، الخصلات السوداء نفسها، العينان الخضراوان نفسهما، الالتواء الخجول نفسه لقوس فم كيوبيد. يرتدي قميصًا أسود بياقة مثبتة بأزرار،

وأكمام قميصه مطوية إلى المرفقين، وجاكت بدلة ملقى على كتف، ويده الأخرى مثبتة بشكل غير محكم في جيب بنطلونه.

صورة البساطة.

يقول: "حبيبتي، تبدين في حالة جيدة".

يرتخي شيء ما في داخلها عند سماع صوته، كما هو الحال دائمًا. شيء ما في مركزها يسترخي، ينطلق بدون ارتياح. لأنها انتظرت، انتظرت بالطبع، حبست أنفاسها في حالة رعب بقدر ما هي حالة أمل. الآن يندفع الكلام من رئتيها.

"ماذا تفعل هنا؟"

يتمتع لوس بالجرأة على أن يبدو متحديًا: "إنها الذكرى السنوية لنا. لم تنسي بالتأكيد".

"مرت ثلاثون عامًا".

"غلطة من؟"

"غلطتك، تمامًا".

يتسم ابتسامة على حافة فمه. ثم تنزلق نظرته الخضراء نحو هنري: "أفترض أنه يجب أن أتباهى بالتشابه".

لا تبتلع آدي الطعم. "لا علاقة له بهذا. أبعده. سوف ينسى".

تختفي ابتسامة لوس: "لو سمحت. تحرجيننا كلينا". ينحت حولهما دائرة بطيئة، يدور نمر على فريسته: "وكأنني لا أتابع كل صفقاتي. هنري شتراوس، يتوق بشدة إلى أن يكون مرغوبًا. باع روحه ليكون محبوبًا فقط. يا له من ثنائي جيد لابد أنكما تشكلانه".

"دعنا نشكله إذن".

يرتفع جبين متجهم: "هل تعتقدين أنني أقصد الفصل بينكما؟ لا على الاطلاق. الوقت سيفعل ذلك قريبًا جدًا". ينظر إلى هنري: "الوقت يمر. أخبرني، هل ما زلت تحسب حياتك بالأيام، أم أنك بدأت قياسها بالساعات؟ أم أن ذلك يجعل الأمر أكثر صعوبة؟"

تنظر آدي بينهما، وتقرأ اللون الأخضر المنتصر في عيني لوس، واللون ينزف من وجه هنري.

لا تفهم.

"أوه، أديلين".

الاسم يسحبها للخلف.

"يعيش البشر حياة قصيرة، أليس كذلك؟ بعضها أقصر بكثير من البعض الآخر. تذوقي الوقت المتبقي لكما. وأعلم أنه كان اختياره". وحينها، يستدير لوس ويذوب في الظلام.

في أعقابه، يعج البار بالحركة من جديد. تتصاعد الضوضاء عبر الفضاء، وتحدق آدي في الظلال حتى تتأكد من أنها فارغة.

يعيش البشر حياة قصيرة.

تستدير نحو هنري، الذي لم يعد يقف خلفها، لكنه سقط على كرسي.

بعضها أقصر بكثير من البعض الآخر.

رأسه ينحني، وإحدى يديه تمسك بمعصمه حيث تلبس الساعة. أين هو، بطريقة ما، مرة أخرى. إنها متأكدة من أنه لم يلبسها. من المؤكد أنه لم يكن يلبسها.

ولكن ها هي، تلمع مثل غل حول معصمه.

كان اختياره.

تقول وهي راكعة أمامه: "هنري".

يهمهم: "أردت أن أخبرك".

تسحب الساعة نحوها وتفحص الوجه. كانت مع هنري لمدة أربعة أشهر، وفي ذلك الوقت، تسلل عقرب الساعات من السادسة والنصف إلى العاشرة والنصف. أربعة أشهر وأربع ساعات أقرب إلى منتصف الليل، وكانت تفترض دائمًا أنها ستلف مرة أخرى.

قال عمر، وعرفت أنها كذبة.

لابد أنها كذبة.

لن يمنح لوس أبدًا إنسانًا آخر الكثير من الوقت - بعدها.

عرفتْ، لابد أنها عرفت. لكنها اعتقدت أنه ربما باع روحه مقابل خمسين أو ثلاثين أو حتى عشرة - كان ذلك كافيًا.

لكن هناك اثنتا عشـرة ساعة فقط في الساعة، اثنا عشـر شهرًا فقط في السنة، ولم يكن له أن يفعل ذلك، لم يكن من الممكن أن يكون بهذه الحماقة.

تقول: "هنري، ما المدة التي طلبتها؟"

يتوسل: "آدي"، وللمرة الأولى، يبدو اسمها خاطئًا على شفتيه. إنه يتصدع. إنه ينكسر.

تسأل: "حتى متى؟"

يصمت فترة طويلة.

ثم أخبرها، في النهاية، بالحقيقة.

مدينة نيويورك

4 سبتمبر 2013

V

طفل مريض بقلبه المكسور.

متعب من دماغه المليء بالعاصفة.

وبالتالي يشـرب حتى لا يشعر بالقطع تتكدس في صدره، حتى لا يسمع الرعد يتدحرج في رأسه. يشـرب حين يخبره أصدقاؤه بأنه سيكون على ما يرام. يشـرب حين يخبرونه بأنه الأمر سينتهي. يشـرب حتى تفرغ الزجاجة ويصبح العالم ضبابيًّا عند الأطراف. لا يكفي أن يخف الألم فيغادر ويتركونه يرحل.

وعند نقطة ما، أثناء السير إلى البيت، يبدأ المطر.

عند نقطة ما، يغلق تليفونه ولا يرد.

عند نقطة ما، تنزلق الزجاجة، ويقطع يده.

عند نقطة ما، يكون خارج مبناه، ويغوص على المنحدر، ويضغط كفيه على عينيه، ويقول لنفسه إنها مجرد عاصفة أخرى.

لكن هذه المرة، لم تظهر أي علامات على أنها ستمر. هذه المرة، لا يوجد انكسار في السحب، ولا ضوء في الأفق، والرعد في رأسه عالٍ جدًّا. لذا يأخذ بعض حبوب أخته، تلك المظلات الوردية الصغيرة، لكنها تبقى غير مناسبة للعاصفة، وبالتالي يأخذ بعض حبوبه أيضًا.

يتكئ على السلم المغطى بآثار المطر، ويتطلع إلى المكان الذي يلتقي فيه السطح بالسماء، ويتساءل، ليس للمرة الأولى، كم خطوة من هنا إلى الحافة.

إنه غير متأكد من الموعد الذي يقرر القفز.

ربما لا يقرر أبدًا.

ربما يقرر الدخول، ثم يقرر الصعود إلى الطابق العلوي، وحين يصل إلى بابه يقرر الاستمرار، وحين يصل إلى الباب الأخير، يقرر الصعود إلى السطح - وعند نقطة ما، يقف هناك تحت المطر الغزير، ويقرر أنه لم يعد يريد أن يقرر.

هنا طريق مستقيم. قطعة من الأسفلت الفارغ ممتلئة بالقطران، لا شيء سوى خطوات بينه وبين الحافة. تؤثر الحبوب، وتخفف الألم وتترك وراءها نعومة هادئة أسوأ بطريقة ما. تنغلق عيناه، وأطرافه ثقيلة جدًا.

يقول لنفسه إنها مجرد عاصفة، لكنه سئم البحث عن مأوى.

إنها مجرد عاصفة، ولكن هناك دائمًا انتظار آخر في أعقابها.

إنها مجرد عاصفة، مجرد عاصفة - لكنها الليلة شديدة، وهو ليس كافيًا، ولذا يعبر السقف، ولا يبطئ حتى يتمكن من الرؤية من الجانب، ولا يتوقف حتى تلمس أطراف حذائه هواء الفراغ.

وهنا يجده الغريب.

هنا يقدم الظلام عرضًا.

ليس لمدى الحياة - لعام واحد.

سيكون من السهل أن ينظر إلى الوراء ويتساءل كيف استطاع أن يفعل ذلك، وكيف استطاع أن يتخلى عن الكثير مقابل القليل جدًا. لكن الحذاء حاليًا يلمس الليل بالفعل، الحقيقة البسيطة أنه كان سيبيع روحه بمقابل أقل، وكان سيبادل بحياة كاملة من هذا النوع يومًا واحدًا فقط - ساعة، دقيقة، لحظة - من السلام.

فقط لتخدير الألم في صدره.

فقط لتهدئة العاصفة في رأسه.

سئم الأذى، سئم التعرض للأذى. ولهذا، حين يمد الغريب يده، ويعرض أن يسحب هنري بعيدًا عن الحافة، لا يتردد.

يقول نعم ببساطة.

مدينة نيويورك

29 يوليو 2014

VI

الآن كل شيء منطقي.

وهو منطقي.

هذا الفتى، الذي لم يكن يجلس ساكنًا قط، ولا يضيع الوقت قط، ولا يؤجل شيئًا قط. هذا الصبي، الذي يكتب كل كلمة تقولها، وبالتالي يكون لديها شيء حين يرحل، ولا يريد أن يخسر ولو يومًا واحدًا، لأنه لا يملك الكثير.

هذا الصبي تقع في حبه.

هذا الصبي الذي سوف يرحل قريبًا.

تسأل: "كيف؟ كيف يمكن أن تتخلى عن الكثير جدًّا مقابل القليل جدًّا؟"

هنري ينظر إليها، بوجه أجوف.

يقول: "في تلك اللحظة، كان يمكن أن أعطيها بمقابل أقل".

سنة. بدت طويلة، ذات يوم.

الآن لا وقت على الإطلاق.

سنة، وقد انتهت تقريبًا، وكل ما يمكن أن تراه منحنى ابتسامة لوس، لون الانتصار في عينيه. لم يكونا ماهرين، ولم يكونا محظوظين، ولم يتخطيا إشعاره. وكان يعرف، بالطبع كان يعرف، وترك الأمر يصل إلى هذا الحد.

تركها تسقط.

يقول هنري: "آدي، من فضلك"، لكنها بالفعل تتحرك عبر البار.

يحاول الإمساك بيدها، لكن فات الأوان.

إنها بالفعل بعيدة.

ذهبت بالفعل.

ثلاثمائة سنة.

عاشت ثلاثمائة عام، وفي تلك القرون، فقدت توازنها في مرات كثيرة، ومرت لحظات لم تتمكن فيها من الحفاظ على توازنها أو التقاط أنفاسها. حين تركها العالم تشعر بالضياع والانكسار واليأس.

الوقوف خارج بيت والديها في تلك الليلة بعد الصفقة.

على الأرصفة في باريس، حيث تعلمت قيمة الجسد.

ريمي، ضاغطًا العملات في راحة يدها.

منقوعة في المياه، عند الجذع المدمر لشجرة بلوط إستيل.

لكن في هذه اللحظة، لا تضيع آدي أو تنكسر أو تيأس.

تغضب.

تدفع يدها في جيبها والحلقة فيه بالطبع. إنها هناك دائمًا. تسقط حبات الرمل من السطح الخشبي الأملس وآدي تدس الشريط على مفصل إصبعها.

مرت ثلاثون عامًا منذ آخر مرة لبستها، لكن الحلقة تنزلق بسهولة.

تشعر بالرياح، مثل نفس بارد على ظهرها، وتستدير، متوقعة أن تجد لوس.

لكن الشارع فارغ – فارغ على الأقل من الظلال والوعود والآلهة.

تلف الحلقة حول إصبعها.

لا شيء.

تصرخ أسفل البناية: "اظهر!"

الرؤوس تدور، لكن آدي لا تهتم. سينسونها قريبًا جدًّا، وحتى لو لم تكن شبحًا، فهذه نيويورك، مكان محصن ضد تصرفات شخص غريب في الشارع.

تقسم: "اللعنة". تسحب الحلقة من إصبعها، وتطرحها على الطريق، تسمعها ترتد، وتتدحرج. ثم ينخفض الصوت فجأة. ينطفئ أقرب ضوء شارع، ويأتي صوت من الظلام.

"كل هذه السنوات، ومازال مزاجك بهذا الشكل".

شيء ما يمسح رقبتها، ثم خيط فضي، رقيق مثل لمعان الندى، الشيء نفسه الذي انقطع منذ فترة طويلة، يلمع على طوقها.

تتدلى أصابع لوس على جلدها: "هل اشتقت إليّ؟"

تستدير لتدفعه بعيدًا، لكن يديها تمران مباشرة، ويكون خلفها. وحين تحاول مرة ثانية، يكون صلبًا وقاسيًا مثل الصخر.

تزمجر: "أبطله"، وتضربه على صدره، لكن قبضتها تلامس بالكاد مقدمة قميصه قبل أن يمسك معصمها.

"من أنت لتعطيني أوامر، يا أديلين؟"

تحاول التحرر منه، لكن قبضته كالصخر.

يقول، بشكل عرضي تقريبًا: "كما تعلمين، كان هناك وقت تتذللين فيه، تضغطين على تربة الغابة الرطبة وتطلبين شفاعتي".

"تريد أن أتوسل؟ حسنًا إذن. أرجوك. لو سمحت. أبطله".

يتقدم إلى الأمام، ويجبرها على التراجع: "هنري عقد صفقته".

"لم يكن يعلم –"

يقول لوس: "إنهم يعرفون دائمًا. إنهم فقط لا يريدون قبول التكلفة. الروح أسهل شيء للتداول. إنه الوقت الذي لا يفكر فيه أحد".

"لوس، من فضلك".

تلمع عيناه الخضراوان، ليس بالفساد أو بالانتصار، بل بالقوة. ظل من يعرف أنه مسيطر.

يسأل: "لماذا ينبغي عليَّ؟ لماذا **أفعل** ذلك؟"

لدى آدي دستة إجابات، لكنها تسعى جاهدة للعثور على الكلمات المناسبة، تلك التي قد ترضي الظلام، ولكن قبل أن تعثر عليها، يمد لوس يده، ويرفع ذقنها، وتتوقع منه أن يلعب دورهما القديم المتعب، أن يسخر منها، أو يطلب روحها، لكنه لا يفعل أي شيء من ذلك.

يقول: "اقضـي الليلة معي. غدًا. لنحظَ بذكرى سنوية حقيقية. امنحيني ذلك، وسأفكر في تحرير مستر شتراوس من التزاماته". يرتعش فمه. "إذا استطعت إقناعي".

إنها كذبة بالطبع.

إنه فخ، لكن ليس أمام آدي خيار آخر.

تقول: "أقبل"، ويبتسم الظلام، ويذوب حولها.

تقف على الرصيف بمفردها حتى يستقر قلبها، ثم تعود إلى الميرشنت.

لكن هنري ذهب.

تجده في البيت، جالسًا في الظلام.

إنه على حافة السـرير، والبطانيات لا تزال متشابكة من قيلولة بعد الظهر. يحدق أمامه، في المسافة، كما حدق في تلك الليلة الصيفية على السطح، بعد الألعاب النارية.

وتدرك آدي أنها ستفقده، كما فقدت الجميع.

لا تعرف إن كانت تستطيع أن تفقده، ليس مرة أخرى، ليس هذه المرة. ألم تخسـر ما يكفي؟

يهمس وهي تقترب منه: "آسف".

يقول: "آسف جدًّا"، وهي تمرر أصابعها في شعره.

تتوسل: "لماذا لم تخبرني؟"

يهدأ هنري لحظة، ثم يقول: "كيف تمشين حتى نهاية العالم؟" يتطلع إليها. "أردتُ التشبث بكل خطوة".

تنهيدة ناعمة مرتجفة.

"كان عمي مصابًا بالسرطان، وأنا لا أزال في الكلية. كانت حالته ميؤوس منها. منحه الأطباء بضعة أشهر، وأخبر الجميع، وهل تعرفين ماذا فعلوا؟ لم يتمكنوا من التعامل مع الأمر. ظهر عليهم الحزن، حزنوا عليه قبل احتضاره. لا توجد طريقة لعدم معرفة حقيقة أن شخصًا ما يحتضر. يتلاشى كل ما هو طبيعي، ويترك شيئًا خاطئًا وفاسدًا في مكانه. آسف يا آدي. لم أكن أريد أن تنظري إليّ بهذه الطريقة".

تصعد إلى السرير وتجذبه بجانبها.

يقول: "آسف"، بصوت رقيق وثابت كأنه يصلي.

يرقدان هناك، وجهاً لوجه، وأصابعهما متشابكة.

"آسفة".

وتجبر آدي نفسها على أن تسأل: "كم يتبقى لك؟"

يبلع هنري ريقه: "شهر".

تهبط الكلمات مثل ضربة على جلد حساس.

يقول: "أكثر من ذلك بقليل. ستة وثلاثون يومًا".

تهمس آدي: "إننا بعد منتصف الليل".

يزفر هنري: "إذن خمسة وثلاثون".

تضمه أكثر، ويضمها أكثر، ويبقيان حتى يتألما، وكأن شخصًا قد يحاول في أي لحظة أن يفصل بينهما، وكأن الآخر قد ينزلق، ويختفي.

فرنسا المحتلة

23 نوفمبر 1944

VII

يصطدم ظهرها بالجدار الحجري الخشن.

تغلق الزنزانة، والجنود الألمان يضحكون خلف القضبان وآدي تسقط على الأرض وتسعل دمًا.

تتجمهر حفنة من الرجال في أحد أركان الزنزانة وهم يتسكعون ويهمهمون. على الأقل لا يبدو أنهم يهتمون بأنها امرأة. لاحظ الألمان. رغم أنهم أمسكوا بها وهي تلبس بنطلونًا لا يوصف ومعطفًا، ورغم أنها أبقت شعرها مشدودًا إلى الوراء، إلا أنها عرفت بالطريقة التي عبسوا بها وشهقوا أنهم يستطيعون معرفة جنسها. أخبرتهم بدستة لغات مختلفة عما يمكن أن تفعله إذا اقتربوا، وضحكوا، ورضوا بضربها بلا معنى.

انهض، تحث جسدها المرهق.

انهضي، تحث عظامها المتعبة.

تجبر آدي نفسها على الوقوف، تتعثر في مقدمة الزنزانة. تلف يديها حول الفولاذ المتجمد، تدفعه حتى تصرخ عضلاتها، حتى تئن القضبان، لكنها لا تتحرك. تنقب في الأقفال حتى تنزف أصابعها، ويضرب جندي بيده على القضبان ويهددها بإشعال النار في جسدها.

يا لها من حمقاء.

إنها حمقاء لاعتقادها أنها ستنجح. للاعتقاد بأن النسيان يعني أن تكون غير مرئية، وأنه سيحميها هنا.

كان يجب أن تبقى في بوسطن، حيث كان أسوأ ما تقلق بشأنه حصص الإعاشة في زمن الحرب وبرد الشتاء. ما كان يجب أن تعود. كان شرفًا أحمق وكبرياء عنيدة. كانت هذه الحرب الأخيرة، وحقيقة أنها هربت، فرت عبر المحيط الأطلنطي بدلًا من مواجهة الخطر في الوطن. لأنه بطريقة ما، رغم كل شيء، هذا ما سوف تكون عليه فرنسا دائمًا.

الوطن.

وفي مكان ما على طول الطريق، قررت أنها تستطيع المساعدة. ليس بالمعنى الرسمي بالطبع، لكن الأسرار بلا صاحب. يمكن لأي شخص أن يلمسها ويتاجر فيها، حتى لو كان شبحًا.

الشيء الوحيد الذي كان عليها فعله هو ألا يُقبَض عليها.

ثلاث سنوات من نقل الأسرار عبر فرنسا المحتلة.

ثلاث سنوات، فقط لينتهي بها الحال هنا. في سجن خارج أورلينز.

ولا يهم أن ينسوا وجهها. لا يهم، لأن هؤلاء الجنود لا يهتمون بالتذكر. هنا، كل الوجوه غريبة، وأجنبية، ولا اسم لها، وإذا لم تخرج، فإنها ستختفي.

تستند آدي على الحائط الجليدي وتسحب سترتها الممزقة بالقرب منها. تغلق عينيها. إنها لا تصلي، ليس بالضبط، لكنها تفكر فيه. ربما تتمنى حتى لو كان الصيف - في إحدى ليالي يوليو حيث قد يجدها بنفسه.

فتشها الجنود بقسوة وأخذوا كل ما قد تستخدمه لإيذائهم أو الفرار. أخذوا الحلقة أيضًا، وقطعوا الحبل الجلدي الذي علقت به، ورموا الشريط الخشبي.

ومع ذلك، حين تتجول في ملابسها الرثة، تبقى الحلقة هناك، تنتظر مثل عملة معدنية في ثنية جيبها. إنها ممتنة، إذن، لأنه لا يبدو أنها تخسرها. ممتنة، وهي ترفعها إلى إصبعها.

للحظة، تتعثر - تسعة وعشرون عامًا كانت الحلقة معها، بكل الخيوط المرتبطة بها.

تسعة وعشرون عامًا، ولم تستخدمها.

لكن حاليًا، حتى إرضاء لوس المتعجرف أفضل من الخلود في زنزانة السجن، أو أسوأ.

إذا جاء.

تلك الكلمات، همسة في مؤخرة عقلها. خوف لا تستطيع أن تتخفف منه. تنتفض شيكاغو مثل المرارة في حلقها.

الغضب في صدرها. السم في عينيه.

أفضل أن أكون شبحًا.

كانت مخطئة.

لا تريد أن تكون من هذا النوع من الأشباح.

وهكذا، ولأول مرة منذ قرون، تصلي آدي.

تمرر الشريط الخشبي فوق إصبعها، وتحبس أنفاسها، وتتوقع أن تشعر بشيء ما، إثارة السحر، واندفاع الرياح.

لكن لا شيء.

لا شيء، وتتساءل إن كانت، بعد كل هذا الوقت، مجرد خدعة أخرى، وسيلة لترفع آمالها، لمجرد أن تسقط، واحتمال أن تتحطم. لديها لعنة جاهزة على لسانها، حين تشعر بالنسيم – لا يلدغ، لكنه دافئ، يخترق زنزانة السجن، ويحمل رائحة الصيف من بعيد.

يتوقف الرجال في الزنزانة عن الكلام.

يتراخون في ركنهم، مستيقظين لكنهم خاملون، يحدقون في الفضاء، وكأنهم مستغرقون في التفكير. خارج الزنزانة، تتوقف أحذية الجنود عن دق الحجارة، وتتساقط الأصوات الألمانية مثل حصاة في بئر.

العالم يسير بشكل غريب، هادئًا بشكل مستحيل.

حتى يكون الصوت الوحيد هو النقر الرقيق شبه الإيقاعي لأصابع تتحرك على القضبان.

لم تره منذ رأته في شيكاغو.

يقول ويده تندفع على القضبان الجليدية: "يا أديلين، يا لها من حالة أنت فيها".

تضحك ضحكة صغيرة مؤلمة: "الخلود يولد درجة عالية من تحمل الخطر".

يقول وكأنها لا تعرف بالفعل: "هناك ما هو أسوأ من الموت".

ينظر حوله إلى السجن، يتجهم ازدراءً، ويتمتم: "حروب".

"قل لي إنك لا تساعدهم".

يبدو لوس مستاءً تقريبًا: "حتى أنا لي حدود".

"تفاخرت أمامي مرة بنجاحات نابليون".

يهز كتفيه. هناك طموح وهناك شر. وبقدر ما أرغب في إنشاء قائمة بمآثري السابقة، فإن حياتك هي الأهم الآن". يميل بمرفقيه على القضبان. "كيف تخططين للخروج من هنا؟"

تعرف ما يريد أن تفعله. يريد أن تتوسل. وكأن ارتداء الحلقة لم يكن كافيًا. وكأنه لم يربح هذا الدور بالفعل، هذه اللعبة. تنقبض معدتها، وتؤلمها كدمات ضلوعها، وتشعر بالعطش لدرجة أنها يمكن أن تبكي لمجرد الحصول على ما تشربه. لكن آدي لا تنحني.

تقول بابتسامة متعبة: "أنت تعرفني. أجد طريقة دائمًا".

يتنهد لوس. ويقول: "براحتك"، وهو يستدير، والوضع صعب جدًّا؛ لا تستطيع تحمل فكرة أن يتركها هنا وحدها.

تنادي بيأس، مندفعة إلى القضبان: "انتظر"، - فقط لتجد القفل يفتح، وباب الزنزانة يتأرجح تحت وزنها.

ينظر لوس إلى الوراء بحذر، وكاد يبتسم، مستديرًا نحوها بما يكفي ليقدم يده.

تتعثر إلى الأمام، خارج الزنزانة إلى الحرية، نحوه. وللحظة، يكون العناق كل ما هناك، وهو صلب ودافئ، ينحني حولها في الظلام، ويكون من السهل تصديق أنه حقيقي، وأنه إنسان، وأنه في البيت.

لكن العالم ينفتح بعد ذلك، وتبتلعهما الظلال تمامًا.

السجن يفسح المجال للعدم، للسواد، للظلام الجامح. وحين تبتعد عنه، تعود إلى بوسطن، حيث تبدأ الشمس في الغروب، ويمكنها تقبيل الأرض في ارتياح تام. تسحب آدي السترة حولها، وتغرق في الرصيف، والساقان ترتجفان، ولا يزال الشريط الخشبي ملفوفًا حول إصبعها. نادت وجاء. طلبت وأجاب. وهي تعلم أنه سيمسكه عليها، لكنها الآن لا تهتم.

لا تريد أن تكون وحيدة.

لكن وآدي تتطلع إلى شكره، يكون قد رحل.

مدينة نيويورك

30 يوليو 2014

VIII

يتتبعها هنري في الشقة وهي تستعد.

يسأل: "لماذا توافقين على هذا؟"

لأنها تعرف الظلام أفضل من أي شخص، تعرف عقله إن لم يكن قلبه.

تقول آدي وهي تشد شعرها: "لأنني لا أريد أن أفقدك".

يبدو هنري متعبًا، خاويًا. يقول: "فات الأوان".

لكن لم يفت الأوان.

لم يفت بعد.

تمد آدي يدها في جيبها وتحسس على الحلقة في مكانها دائمًا، تنتظر، والخشب دافئ من الضغط على جسدها. تخرجها، لكن هنري يمسك يدها.

يتوسل: "لا تفعلي هذا".

تسأل والكلمات تخترق الغرفة: "هل تريد أن تموت؟"

يتراجع قليلًا عند سماع الكلمات: "لا. لكنني اخترت، يا آدي".

"وقد أخطأْتَ".

يقول: "عقدت صفقة. وأنا آسف. آسف لأنني لم أطلب المزيد من الوقت. آسف لأنني لم أخبرك بالحقيقة قبل ذلك. لكن هذا ما كان".

تهز آدي رأسها: "ربما تكون قد حققت سلامًا بهذا، يا هنري، لكنني لم أحقق".

يحذر: "لن يؤثر ذلك. لا يمكنك التفكير فيه".

تتخلص آدي من قبضته. تقول وهي تضع الحلقة في إصبعها: "أنا مستعدة للمحاولة".

لا يوجد طوفان ظلام.

مجرد سكون، هدوء ممل، وبعد ذلك –

طرقة.

وهي ممتنة لأنه على الأقل لم يدخل بدون استئذان. لكن هنري يقف بينها وبين الباب، ويداه مستعدتان عبر القاعة الضيقة. لا يتحرك وعيناه تتوسلان. تمد آدي يدها وتغطي وجهه.

تقول: "يجب أن تثق بي".

يتصدع بداخله شيء ما. تسقط يد من على الإطار.

تقبله، ثم تنسل، وتفتح الباب للظلام.

"أديلين".

يجب أن يبدو لوس غير مرتاح في قاعة المبنى، لكنه لا يبدو كذلك أبدًا.

كانت الأضواء على الجدران خافتة إلى حد ما، خفت إلى ضباب أصفر يلف الخصلات السوداء حول وجهه، ويلتقط شظايا من الذهب في عينيه الخضراوين.

كان يرتدي بنطلونًا أسود محبوكًا على جسمه تمامًا، وقميصًا بأزرار في الياقة، والكمان مطويان إلى المرفقين، ودبوس من الزمرد عند ربطة العنق الحريرية على حلقه.

الجو حار جدًّا لا يناسبه مثل هذا الزي، لكن يبدو أن لوس لا يهتم. يبدو أن الحرارة، مثل المطر، مثل العالم نفسه، لا تؤثر فيه.

لا يخبرها أنها تبدو جميلة.

لا يخبرها بأي شيء.

يستدير ببساطة، متوقعًا منها أن تتبعه.

وهي تدخل القاعة، ينظر إلى هنري. ويغمز.

كان يجب أن تتوقف آدي عند هذا الحد.

كان يجب أن تستدير، وتدع هنري يسحبها إلى الداخل. كان عليهما أن يغلقا الباب بالترباس في وجه الظلام.

لكنهما لم يفعلا.

لا يفعلان.

تختلس آدي نظرة إلى هنري، الذي لا يزال في طريق الباب، وسحابة تلوح على وجهه. تريد أن يغلق الباب، لكنه لا يغلقه، وليس لديها خيار إلا الابتعاد، واتباع لوس وهو يراقب هنري.

في الطابق السفلي، يفتح باب المبنى، لكن آدي تقف. تنظر إلى العتبة. يندمج الظلام في الإطار، يتلألأ بينها وبين درجات السلم المؤدية إلى الشارع.

لا تثق في الظلال، ولا يمكن أن ترى إلى أين تقودها، وآخر ما تحتاج إليه أن يحاصرها لوس في أرض بعيدة حين يسوء الليل.

تقول: "هناك قواعد الليلة".

"أوه؟"

تقول وهي تومئ برأسها إلى الباب: "لن أغادر المدينة. ولن أذهب بتلك الطريقة".

"من خلال باب؟"

"من خلال الظلام".

يرتفع حاجبا لوس: "ألا تثقين بي؟"

تقول: "لم أثق بك قط. لا جدوى من البدء الآن".

يضحك لوس، برقة وبلا صوت، ويخرج لينادي على سيارة. بعد ثوانٍ، تنطلق سيارة سيدان سوداء أنيقة حتى الرصيف. يمد يده لمساعدتها. لا تأخذها.

لا يعطي عنوانا للسائق.

والسائق لا يسأل عن عنوان.

وحين تسأل آدي إلى أين يذهبان، لا يرد لوس.

سرعان ما يكونان على جسر منهاتن.

لابد أن الصمت بينهما محرج. المحادثة المتوقفة بين رفيقين سابقين منذ فترة طويلة جدًّا، وتبقى غير كافية لغفران أي شيء.

ما ثلاثون سنة مقابل ثلاثمائة؟

لكن هذا صمت وليد إستراتيجية.

هذا صمت لعبة الشطرنج.

وهذه المرة، لابد أن تفوز آدي.

لوس أنجلوس، كاليفورنيا

7 أبريل 1952

IX

يقول ماكس وهو يرفع كأسه: "يا إلهي، أنت جميلة".

تحمر آدي خجلًا، وتسقط عيناها على كأس المارتيني في يدها.

التقيا في الشارع خارج الويلشاير[70] في ذلك الصباح، وكانت التجاعيد من ملاءات سريره لا تزال تضغط على جلدها. كانت تتسكع على الرصيف في ثوبه الخمري المفضل، وحين خرج في نزهة الصباح، توقف وسأل إن كان جريئًا بما يسمح له بأن يمشـي معها، أينما تذهب، وحين وصلا إلى هناك، إلى مبنى جميل اختير عشوائيًا، قبّل يدها، وقال إلى اللقاء، لكنه لم يغادر، ولم تغادر أيضًا. أمضيا طول اليوم معًا، في نزهة من مقهى إلى حديقة إلى متحف الفن، واجدين مبررًا للاستمرار في معًا. وحين أخبرته أنه أفضل عيد ميلاد لها منذ سنوات، حدق في وجهها هلعًا، وصدمته فكرة أن فتاة مثلها تجد نفسها وحدها، وها هما يشـربان المارتيني في فندق روزفلت.

(ليس عيد ميلادها بالطبع، وهي ليست متأكدة من السبب الذي جعلها تقول له إنه عيد ميلادها. ربما لمعرفة ما يفعله. ربما لأنها تشعر بالملل من تكرار الليلة نفسها مرة أخرى).

يقول: "هل قابلت شخصًا من قبل وشعرت أنك تعرفينه منذ عصور؟"

تبتسم آدي.

يقول الكلام نفسه دائمًا، لكنه يقصد ما يقوله في كل مرة. تلعب بالخيط الفضي عند حلقها، والحلقة الخشبية مدسوسة في حافة فستانها عند العنق. ولا يبدو عادة أنها يمكن أن تتخلى عنها.

70 الويلشاير: أحد أرقى المباني السكنية في لوس أنجلوس.

يظهر نادل عند مرفقها ومعه زجاجة من الشمبانيا.

تسأل: "ما هذا؟"

يقول ماكس متألقًا: "للفتاة التي عيد ميلادها في هذه الأمسية الخاصة، وللرجل المحظوظ الذي يقضيها معها".

تعجب بالفقاعات الصغيرة التي تتصاعد عبر الكأس، وتعرف حتى قبل أن تأخذ رشفة أنها أصلية؛ قديمة، باهظة الثمن. تعرف أيضًا أن ماكس يستطيع بسهولة تحمل تكلفة الرفاهية.

إنه نحات - وكان لدى آدي دائمًا ضعف تجاه الفنون الجميلة - وموهوب، نعم، لكنه بعيد كل البعد عن الجوع. على عكس العديد من الفنانين الذين رافقتهم آدي، فهو من عائلة ثرية، وأموال الأسرة قوية بما يكفي لمواجهة الحروب، والسنوات العجاف بينها.

يرفع كأسه والظل يسقط على الطاولة.

تفترض أنه ظل النادل، لكن ماكس يتطلع مستهجنًا إلى حد ما: "هل يمكن أن أساعدك؟"

وتسمع آدي صوتًا مثل الحرير والدخان: "أعتقد أنك تستطيع".

إنه لوس يرتدي حلة سوداء أنيقة. إنه جميل. إنه جميل دائمًا: "أهلًا عزيزي".

يزداد عبوس ماكس. "أنتما الاثنان، هل يعرف كل منكما الآخر؟"

تقول "لا"، في الوقت الذي يقول فيه لوس "نعم"، وهذا ليس عدلًا، بالطريقة التي ينطلق بها صوته لا صوتها.

تقول، بحدة في نبرة صوتها: "إنه صديق قديم، لكن-"

يقاطعها مرة أخرى. "لكننا لم نتقابل منذ فترة، لذا إذا كنت تريد أن تكون لطيفًا جدًّا..".

يحتد ماكس: "هذا شخص وقح للغاية -"

"اذهب".

كلمة واحدة فقط، لكنها تجعل الهواء يتموج بقوة، والمقطع يلتف مثل الشاش حول رفيقها. يتلاشى الانفعال من وجه ماكس. يتلاشى الانزعاج، ويختفي التعبير من عينيه وهو ينهض عن الطاولة ويبتعد. حتى أنه لم ينظر إلى الخلف قط.

تقسم وهي تغرق في مقعدها: "اللعنة، لماذا يجب أن تكون حمارًا بهذا الشكل؟"

يجلس لوس على الكرسي الشاغر ويرفع زجاجة الشمبانيا ويعيد ملء كأسيهما: "عيد ميلادك في مارس".

تقول: "حين تصبح في مثل عمري، تحتفل بقدر ما تريد".

"منذ متى وأنت معه؟"

تقول وهي ترشف من كأسها: "شهرين. ليست فترة سيئة للغاية. ينجذب إليَّ كل يوم".

"وينساك كل ليلة".

تؤلمها الكلمات، لكن ليس بالعمق الذي كانت عليه في السابق: "يرافقني على الأقل".

تحدق العينان الزمرديتان في جلدها. يقول: "وأنا كذلك، إذا أحببت".

هبة من الدفء تكتسح خديها.

لا يعرف أنها افتقدته. فكرت فيه، بالطريقة التي اعتادت أن تفكر بها في غريبها، وحيدة في السرير في الليل. فكرت فيه كلما لعبت بالحلقة في حلقها، وكلما لم تلعب بها.

تقول وهي تنهي كأسها: "حسنًا، جردتني من رفيقي. أقل ما يمكن أن تفعله أن تحاول ملء الفراغ".

وبهذه الطريقة، عاد اللون الأخضر في عيني لوس، أكثر إشراقًا.

يقول، وهو يرفعها من كرسيها: "تعالي، مازال الليل في أوله ويمكن أن نفعل ما هو أفضل بكثير".

ينبض نادي السيكادا[71] بالحياة.

ثريات آرت ديكو[72] معلقة على ارتفاع منخفض، تتلألأ تحت سقف مصقول. سجادة حمراء بالية وسلالم تكتسح مقاعد البلكونة. طاولات مغطاة بمفارش وأرضية رقص مصقولة مثبتة أمام خشبة مسرح منخفضة.

يصلان وفرقة نحاسية تنهي مجموعتها، ويتدفق صوت الأبواق والساكس عبر النادي. المكان مزدحم، ومع ذلك، حين يسحبها لوس وسط الحشد، تكون هناك طاولة فارغة في المقدمة. أفضل طاولة في المنزل.

يحتلان مقعديهما، وبعد لحظات يظهر نادل، معه كأسان من المارتيني متوازنان على صينية. تفكر في أول عشاء تشاركا فيه في منزل الماركيز، منذ قرون، كانت الوجبة جاهزة حتى قبل أن توافق على تناولها، وتتساءل عما إذا كان لوس قد خطط للأمر مسبقًا، أو إذا كان العالم ينحني ببساطة لتلبية رغبته.

ينفجر الحشد في هتافات وفنان جديد يأخذ مكانه على خشبة المسرح.

رجل نحيل بوجه شاحب، وحاجبين ضيقين يتقوسان تحت قبعة فيدورا رمادية.

يحدق لوس فيه بفخر حاد بشيء يملكه.

تسأل: "ما أسمه؟"

يرد "سيناترا"، والفرقة تصعد، ويبدأ الرجل الغناء. لحن سلس وحلو، ينساب في الغرفة. تستمع آدي، مفتونة، ثم يبدأ الرجال والنساء في النهوض من المقاعد والدخول إلى حلبة الرقص.

تقف آدي وتمد يدها. وتقول: "ارقص معي".

ينظر لوس إليها، لكنه لا ينهض.

---

71 نادي ليلي عتيق في لوس أنجلوس.

72 آرت ديكو: أسلوب الفن الزخرفي السائد في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي، يتميز بأشكال هندسية دقيقة وجريئة وألوان قوية ويستخدم بشكل ملحوظ في الأغراض المنزلية وفي الهندسة المعمارية.

تقول: "ماكس كان يرقص معي".

تتوقع منه أن يرفض طلبها، لكن لوس ينهض ويمسك يدها ويقوده إلى الحلبة.

تتوقع منه أن يكون صلبًا وقاسيًا، لكن لوس يتحرك برشاقة حركة السوائل من الرياح المندفعة في حقول القمح، والعواصف التي تتدفق في سماوات الصيف.

تحاول أن تتذكر وقتًا كانا فيه قريبين بهذا الشكل، ولا تستطيع.

حافظا دائمًا على مسافة بينهما.

الآن، ينهار الفضاء.

يقول لوس: "حتى لو كان كل من قابلتهم يتذكرون، ما زلت أعرفك أفضل معرفة".

تبحث في وجهه: "وهل أعرفك؟"

يحني رأسه فوق رأسها: "أنت الوحيدة التي تعرفني".

كتفه مصبوب على خدها.

يداه، مصبوبتان على خصرها.

صوته مصبوب على الأماكن المجوفة بداخلها وهو يقول: "أريدك".

ثم مرة أخرى: "كنت أريدك دائمًا".

ينظر لوس إليها، والعينان الخضـراوان داكنتان لذةً، وتقاتل آدي لتحفظ اتزانها.

تقول: "تريدني جائزة. تريدني وجبة أو كأسًا من النبيذ. مجرد شيء آخر يُستهَلك".

يحني رأسه ويضغط بشفتيه على ترقوتها: "هل هذا خطأ؟"

لن تكون متأكدة تمامًا مما حدث أولًا – إن كانت قبلته، أو قبلها، ومن بدأ الإيماءة، ومن نهض ليستقبلها. ستعرف فقط أنه كان بينهما فراغ، وقد اختفى. فكرتْ في تقبيل لوس من قبل، بالطبع، حين كان مجرد كائن من نسج خيالها، وبعد ذلك، حين كان أكثر من ذلك. لكن في كل استدعاءاتها، كان يأخذ فمها وكأنه جائزة. ورغم كل شيء، هكذا قبلها في الليلة التي التقيا بها، حين ختم الصفقة بالدماء على شفتيها. هذه هي الطريقة التي افترضت أنه سيقبلها بها دائمًا.

لكنه الآن يقبلها مثل أي شخص يتذوق سمًا. بحذر، وحرص، وخوف تقريبًا.

طعمه مثل هواء الليل، مسكر بثقل عواصف الصيف. طعمه مثل الآثار الباهتة لدخان خشب بعيد، ونار تحتضر في الظلام. طعمه مثل الغابة، وبطريقة ما، مستحيل، مثل البيت.

ثم يحل الظلام حولها، حولهما، ويختفي نادي السيكادا؛ الموسيقى المنخفضة ولحن المغني الذي ابتلعه الفراغ الضاغط، بالرياح المندفعة، وتسارع القلوب، وآدي تسقط، إلى الأبد وخطوة واحدة إلى الوراء - ثم تجد قدماها الأرضية الرخامية الناعمة لغرفة الفندق، ولوس هناك، يدفعها إلى الأمام، وهي هناك، تجذبه إلى أقرب حائط.

يرتفع ذراعاه حولها، مكونين قفصًا فضفاضًا ومفتوحًا.

يمكنها كسره، إذا حاولت.

لا تحاول.

يقبلها مرة أخرى، وهذه المرة لا يتذوق سمًا. هذه المرة، لا يوجد حذر ولا تراجع؛ القبلة مفاجئة وحادة وعميقة، تسرق الهواء والفكر وتترك الجوع فقط، وللحظة، يمكن أن تشعر آدي بالظلام يتثاءب، وتشعر بأنه ينفتح حولها، رغم أن الأرض لا تزال هناك.

قبلت الكثير من الناس. لكن لا أحد منهم يقبل مثله. لا يكمن الاختلاف في الجوانب الفنية. فمه ليس أفضل شكل للمهمة. يكمن فقط في الطريقة التي يستخدمها.

إنه الفرق بين تذوق الخوخ في غير موسمه، وأول قضمة من فاكهة أنضجتها الشمس.

الفرق بين الرؤية بالأبيض والأسود فقط والحياة في فيلم بالألوان.

تلك المرة الأولى، كانت نوعًا من القتال، بدون التخلي عن حذرهما، فكل منهما يراقب اللمعان الواضح لنصل خفي يبحث عن لحم.

حين يصطدمان أخيرًا، يكون ذلك بكل قوة جسدين بقيا متباعدين لفترة طويلة.

إنها معركة دارت على الملاءات.

وفي الصباح، تظهر على الغرفة كلها علامات حربهما.

يقول: "مر وقت طويل منذ لم أرغب في المغادرة".

تنظر إلى النافذة، أول حافة رقيقة من الضوء. "لا تغادر إذن".

يقول: "لا بد. أنا ظلام".

تسند رأسها على يد. "هل تختفي مع الشمس؟"

"أذهب ببساطة حيث يحل الظلام مرة أخرى".

تنهض آدي، وتذهب إلى النافذة، وتغلق الستائر، وتغمر الغرفة مرة أخرى باللون الأسود الفاتح.

تقول وهي تتحسس طريق عودتها إليه: "هناك، الآن الظلام مرة أخرى".

يضحك لوس، بصوت خافت وجميل، ويسحبها إلى السرير.

في كل مكان، وليس في أي مكان

1952-1968

X

إنه الجنس فقط.

على الأقل، يبدأ بهذه الطريقة.

إنه شيء يجب إخراجه من نظامها.

إنها بدعة للمتعة.

تتوقع آدي نصف توقع أن يحترقا في ليلة، لتضيع أي طاقة جمعاها في سنوات دورانها.

لكن بعد شهرين، جاء ليجدها مرة أخرى، يخرج من العدم ويعود إلى حياتها، وتفكر في مدى غرابة الأمر، أن تراه على خلفية من ألوان الخريف الحمراء والذهبية، والأوراق المتغيرة، ووشاح الفحم المعقد حول عنقه.

تمر أسابيع على زيارته التالية.

وبعد ذلك، أيام فقط.

سنوات طويلة من ليالي الوحدة، وساعات من الانتظار والكراهية والأمل. وهو هناك الآن.

ومع ذلك، تقدم آدي لنفسها وعودًا صغيرة في الفراغ بين زياراته. لن تبقى بين ذراعيه.

لن تنام بجانبه.

لن تشعر بشيء سوى شفتيه على جلدها، ويداه متشابكتان في يديها، وثقله عليها.

وعود صغيرة لكنها لا تلتزم بها.

إنه الجنس فقط.

وبعد ذلك لا يكون الأمر كذلك.

يقول لوس: "تناولي الطعام معي" والشتاء يفسح الطريق للربيع.

يقول "ارقصي معي" مع بداية العام الجديد.

يقول: "كوني معي"، أخيرًا، وعقد من الزمان يسلم أوراقه إلى العقد التالي.

وفي إحدى الليالي تستيقظ آدي في الظلام على الضغط الناعم لأطراف أصابعه ترسم أنماطًا على بشرتها، وتندهش من النظرة في عينيه. لا، ليست النظرة. المعرفة.

إنها المرة الأولى التي تستيقظ فيها في السرير مع شخص لم ينسها بالفعل. المرة الأولى التي سمعت فيها اسمها مرة أخرى بعد النوم. المرة الأولى لم تشعر فيها بالوحدة.

وشيء ما في شظاياها.

لم تعد آدي تكرهه. لم تعد تكرهه منذ فترة طويلة.

لا تعرف متى بدأ التحول، وما إذا كان قد بدأ في نقطة زمنية محددة، أو كما حذرها لوس ذات مرة، التآكل البطيء لساحل.

كل ما تعرفه أنها متعبة، وهو المكان الذي تريد أن تستريح فيه. وأنها، بطريقة ما، سعيدة.

لكنه ليس حبًا.

كلما شعرت آدي أنها تنسى، تضغط أذنها على صدره العاري وتستمع إلى طبلة الحياة، وسحب النفَس، ولا تسمع إلا الغابة في الليل، صمت الصيف الهادئ. تذكير بأنه كذبة، وأن وجهه ولحمه مجرد تمويه.

إنه ليس إنسانًا، وهذا ليس حبًا.



مدينة نيويورك

30 يوليو 2014

XI

تنزلق المدينة خلف النافذة، لكن آدي لا تدير رأسها، ولا تعجب بأفق منهاتن، والمباني ترتفع على كل جانب. بدلًا من ذلك، تفحص لوس، منعكسًا في الزجاج الغامق، خط فكه، قوس جبينه، الزوايا التي رسمتها يدها منذ سنوات طويلة. تراقبه، كما يراقب المرء ذئبًا على حافة الغابة، في انتظار رؤية ما يفعله.

إنه أول من كسر حاجز الصمت.

أول من نقل قطعة.

"هل تتذكرين الأوبرا في ميونيخ؟"

"أتذكر كل شيء، يا لوس".

"الطريقة التي نظرت بها للممثلين على خشبة المسرح، وكأنك لم تشاهدي مسرحًا من قبل".

"لم أر قط مسرحًا مثل هذا".

"الدهشة في عينيك، عند رؤية شيء جديد. كنت أعرف حينها أنني لن أفوز أبدًا".

تريد أن تتذوق الكلمات مثل رشفة من النبيذ الجيد، لكن العنب يفسد في فمها. لا تثق به.

تتوقف السيارة خارج الكوكو،[73] وهو مطعم فرنسي جميل على الجانب السفلي من سوهو، حيث يتسلق اللبلاب الجدران الخارجية. زارت المكان من قبل، وتناولت وجبتين من أفضل

73 الكوكو: الاسم بالفرنسية، ويعني الوقواق.

الوجبات التي تناولتها في نيويورك، وتتساءل إن كان لوس يعرف مدى إعجابها به، أو إن كان يشاركها ذوقها.

مرة أخرى، يمد يده.

مرة أخرى، لا تأخذها.

تشاهد آدي زوجين يقتربان من أبواب المطعم، فقط ليجداه مغلقًا، تراقبهما وهما يبتعدان، ويتمتمان بشيء عن الحجوزات. ولكن حين يمسك لوس المقبض، ينفتح الباب بسهولة.

في الداخل، تتدلى ثريات ضخمة من الأسقف العالية، والنوافذ الزجاجية الكبيرة تلمع باللون الأسود. يبدو المكان كبيرًا، يكفي لاستيعاب مائة شخص، لكنه فارغ الليلة، باستثناء طاهيين مرئيين في المطبخ المفتوح، ونادلين، ومدير المطعم الذي ينحني بشدة مع اقتراب لوس.

يقول بصوت حالم: "مسيو دوبوا، يا مدموزيل".

يقودهما إلى مائدتهما، أمام كل مكان وردة حمراء. يسحب المدير كرسيها للخلف، وينتظر لوس أن تجلس في مقعدها قبل أن يجلس في مقعده. يفتح الرجل زجاجة ميرلو، ويصب، ويرفع لوس كأسه لها ويقول: "في صحتك، يا أديلين".

لا توجد قائمة. لا يوجد طلب يؤخذ. تصل الأطباق ببساطة.

فطائر فوا جراب الكرز، ولحم الأرنب. هلبوت في الزبدة البيضاء، وخبز طازج ونصف دستة من أنواع الجبن.

الطعام رائع بالطبع.

لكن وهما يأكلان، يقف المضيف والخادمان بجوار الجدران، عيونهم مفتوحة، فارغة، وتعبير لطيف على وجوههم. كرهتْ دائمًا هذا الجانب من سلطته والطريقة اللامبالية في استخدامها.

تميل كأسها في اتجاه الدمى.

تقول: "أبعدهم"، ويبعدهم. إيماءة صامتة، ويختفي الخادمان، وها هما وحيدان في المطعم الفارغ.

تسأل حين يذهبان: "هل تفعل ذلك بي؟"

يهز لوس رأسه. ويقول: "لم أستطع"، وتعتقد أنه يقصد ذلك لأنه كان يهتم بها كثيرًا، لكنه بعد ذلك يقول: "ليس لدي أي سلطة على النفوس الموعودة. إرادتهم تخصهم".

إنها تعزية باردة، كما تعتقد، لكنها شيء ما.

ينظر لوس إلى نبيذه. يقلب القصبة بين أصابعه، وفي الزجاج الغامق، ترى الاثنين، متشابكين في ملاءات من الحرير، ترى أصابعها في شعره، ويداه تعزفان أغنيات على بشرتها.

يقول: "أخبريني يا أديلين. هل كنت تفتقدينني؟"

بالطبع كانت تفتقده.

يمكنها أن تقول لنفسها، كما أخبرته، أنها كانت تفتقد أن تُرى فقط، أو تفتقد قوة انتباهه، نشوة حضوره - لكن الأمر أكثر من ذلك. كانت تفتقده كما يفتقد شخص ما الشمس في الشتاء، رغم أنه يخشى حرارة الشمس. كانت تفتقد نبرة صوته، ومعرفة لمسته، واحتكاك القداحة بالحجر في محادثاتهما، والطريقة التي يتلاءمان بها معًا.

إنه الجاذبية.

إنه ثلاثمائة سنة في التاريخ.

إنه الثابت الوحيد في حياتها، الوحيد الذي سوف يتذكر، يتذكرها دائمًا.

لوس الرجل الذي حلمت به وهي صغيرة، ثم الرجل الذي كرهته أكثر من غيره، والرجل الذي أحبته، وكانت آدي تفتقده كل ليلة يبتعد عنها، ولم يكن يستحق أي ألم من ألمها لأنها كانت غلطته، كانت غلطته ألا يتذكرها غيره، كانت غلطته أنها خسرت باستمرار، ولم تقل شيئًا من ذلك لأنه لن يغير شيئًا، ولأنه لا يزال هناك شيء واحد لم تخسره. جزء من قصتها يمكن أن تحافظ عليه.

هنري.

وبالتالي تناور آدي.

تمد يدها عبر الطاولة وتمسك بيد لوس وتخبره بالحقيقة.

"أفتقدك".

تلمع عيناه الخضـراوان وتتحولان عند الكلام. يمسح الحلقة بإصبعها، ويتتبع لولبة الخشب.

يسـأل: "كـم مـرة كدت تلبسـينها؟ كم مـرة فكـرت بي؟" وتفترض أنـه يلقي لهـا بالطعم - حتـى يخـف صوتـه إلى الهمـس، أضعـف لفة رعـد في الهـواء بينهـما. "لأنني فكـرت فيك. دائما".

"لم تأت".

"لم تدعيني".

تنظر إلى أيديهما المتشابكة. تقول: "أخبرني يا لوس. هل كان أي شيء من هذا حقيقيًّا؟"

"ما الحقيقي بالنسبة لك، يا أديلين؟ بما أن حبي لا يساوي شيئًا؟"

"أنت غير قادر على الحب".

يعبس، وعيناه تومضان بلون الزمرد: "لأنني لست بشرًا؟ لأنني لا أذبل ولا أموت؟"

تقـول وهـي تسـحب يدهـا: "لا، أنـت غـير قـادر عـلى الحـب لأنـك لا يمكـن أن تفهم معنـى أن تهتـم بشـخص آخـر أكثر مما تهتم نفسـك. لـو كنت تحبني، لسـمحْتَ لي بـأن أذهب الآن".

ينقر لوس بأصابعه ويقول: "يا له من هراء. لأنني أحبك لن أفعل ذلك. الحب جائع. الحب أناني".

"إنك تفكر في التملك".

يهز كتفيه: "هل الاختلاف كبير بينهما؟ رأيت ما يفعله البشر بالأشياء التي يحبونها".

تقول: "الناس ليسوا أشياء. ولن تفهمهم أبدًا".

"أفهمك يا أديلين. أعرفك أفضل من أي شخص آخر في هذا العالم".

تأخذ نفسا هادئًا: "لأنك لم تسمح بأن يكون لي أي شخص آخر. أعلم أنك لن تعفيني، يا لوس، وربما تكون على حق، إننا لبعضنا. لذا، إذا كنت تحبني، اترك هنري شتراوس. إذا كنت تحبني، دعه يذهب".

تومض أعصابه في وجهه: "هذه ليلتنا، يا أديلين. لا تفسديها بالحديث عن شخص آخر".

"لكنك قلت-"

يقول، متراجعًا عن الطاولة: "تعالي، هذا المكان لم يعد يناسب ذوقي".

كان النادل قد وضع للتو تورتة كمثرى على المنضدة، لكنها تتحول إلى رماد ولوس يتكلم، وآدي تتعجب، كما تعجبتْ دائمًا، من مزاج الآلهة.

تبدأ: "لوس"، لكنه يقف بالفعل، ويلقي بالمنديل في الطعام الفاسد.

نيو أورلينز، لويزيانا

29 يوليو 1970

XII

"أحبك".

يقول ذلك وهما في نيو أورلينز، يتناولان الطعام في حانة مخفية في الحي الفرنسي، إحدى منشآته الكثيرة.

تهز آدي رأسها، مندهشة من أن الكلمات لا تتحول إلى رماد في فمه: "لا تدَّعِ أن هذا هو الحب".

يومض الانزعاج على وجه لوس: "ما الحب إذن؟ أخبريني. أخبريني بأن قلبك لا يرفرف حين تسمعين صوتي. لا يتألم حين تسمعين اسمك على شفتي".

"أتألم من أجل اسمي، لا من أجل شفتيك".

تلتف حافة فمه، وعيناه الآن بلون الزمرد. إشراق يولد من المتعة. يقول: "ربما ذات مرة. ولكنه الآن أكثر".

تخشى أن يكون على حق.

وحينها، يضع أمامها صندوقًا.

إنه بسيط وأسود، وحين تمسكه آدي يكون صغيرًا بما يكفي ليناسب راحة يدها.

لكنها لم تفعل ذلك، ليس في البداية.

تسأل: "ما هذا؟"

"هدية".

لكنها لا تأخذها.

يقول وهو يرفع الصندوق من على الطاولة: "بصراحة، يا أديلين، لن يعض".

يفتحه ويعيده أمامها.

في الداخل، مفتاح نحاسي بسيط، وحين تسأله إلى أين يؤدي، يقول: "البيت".

تتصلب آدي.

لم يكن لها بيت، منذ فيون. لم يكن لها، في الواقع، مكان خاص بها، وهي ممتنة تقريبًا، قبل أن تتذكر، بالطبع، أنه السبب.

"لا تسخر مني، يا لوس".

يقول: "لا أسخر منك".

يأخذ بيدها ويقودها عبر الكوارتر،[74] إلى مكان في نهاية شارع بوربون، منزل أصفر ببلكونة، ونوافذ بارتفاع الأبواب. تدخل المفتاح في القفل، وتسمع الصوت الثقيل للفتح، وتدرك أنه إذا كان يخص لوس بدلًا منها، فسيفتح الباب ببساطة. وفجأة، يبدو المفتاح النحاسي حقيقيًّا وصلبًا في يدها، شيئًا نفيسًا.

ينفتح الباب على منزل بسقوف عالية وأرضيات خشبية وأثاث وخزائن ومساحات ينبغي ملؤها. تخطو إلى البلكونة، وترتفع أصوات الكوارتر، متعددة الطبقات، لتلتقي بها في الهواء الرطب. تتسرب موسيقى الجاز في الشوارع، وتتحطم وتتداخل مع لحن مشوش، وتتغير وتنبض بالحياة.

يقول لوس: "إنه لك، بيت"، وأصوات التحذير القديمة، في أعماق نخاع عظامها.

لكن في هذه الأيام، أصبحت منارة متقلصة، منارة بعيدة جدًّا عن الميناء.

---

74 الكوارتر، أو الحي الفرنسي، القلب التاريخي للمدينة ويشتهر بالحياة الليلية النابضة بالحياة والمباني الملونة بشرفات من الحديد الزهر. يتميز شارع بوربون بنوادي الجاز والمطاعم والبارات الصاخبة التي تقدم الكوكتيلات القوية.

يضمها إليه، وتلاحظ آدي مرة أخرى الطريقة المثالية التي يتناسبان بها معًا.

كما لو أنه خلق من أجلها.

وكان كذلك. هذا الجسد، هذا الوجه، هذه السمات، جعلتها تشعر بالراحة.

يقول: "لنخرج".

تريد آدي البقاء، لتعميد المنزل، لكنه يقول إنه سيكون هناك وقت، سيكون هناك دائمًا وقت. ولمرة، لا تخشى فكرة الأبد. لمرة، لا تتأرجح الأيام والليالي، بل تتقدم.

تعلم أنه مهما كان هذا فلن يدوم.

لا يمكن أن يدوم.

لا شيء يدوم على الإطلاق.

لكنها سعيدة في هذه اللحظة.

يشقان طريقهما عبر الكوارتر، ذراعًا في ذراع، ويشعل لوس سيجارة، وحين تخبره أنها مضرة بصحته، يطلق ضحكة لاهثة، صامتة، والدخان يتدفق بين شفتيه.

تبطئ خطواتها أمام نافذة المتجر.

المتجر مغلق بالطبع، لكن حتى من خلال الزجاج الغامق، يمكنها رؤية سترة جلدية سوداء بأبازيم فضية ملفوفة على مانيكان.

يومض انعكاس لوس من خلفها وهو يتابع نظرتها.

يقول: "إننا في الصيف".

"لن يدوم الصيف".

يملس لوس بيديه على كتفيها وتشعر بالجلد الناعم يستقر على بشرتها، والمانيكان في النافذة الآن عارية، وتحاول ألا تفكر في كل السنوات التي مرت بدونه، وأجبرت على المعاناة من البرد، كان عليها أن تختبئ وتقاتل وتسرق طول الوقت. تحاول ألا تفكر فيها، لكنها تفكر.

في منتصف طريق العودة إلى المنزل الأصفر ينفصل لوس عنها.

يقول: "لدي عمل عليّ القيام به. اذهبي إلى البيت".

البيت – تقعقع الكلمة في صدرها وهو يبتعد. لكنها لا تذهب.

تراقب لوس حول الزاوية، وعبر الشارع، ثم تتباطأ في الظل وهو يقترب من متجر مرسوم على بابه كف مضيئة.

على الرصيف تقف امرأة مسنة، تغلق، هيكلها ينحني فوق حلقة مفاتيح، وحقيبة كبيرة تتدلى من كوعها.

لابد أنها تسمعه قادمًا، لأنها تتمتم بشيء ما في الظلام، شيء عن الإغلاق، شيء عن يوم آخر. ثم تستدير وتراه.

في زجاج نافذة المتجر، ترى آدي لوس، أيضًا، ليس كما هو بالنسبة لها، ولكن كما ينبغي أن يظهر للمرأة في المدخل. احتفظ بتلك التجاعيد الداكنة، لكن وجهه أكثر رشاقة، وأكثر حدة بطريقة ذئب، وعيناه عميقتان، وأطرافه رفيعة جدًّا ولا يمكن أن تكون بشرية.

يقول، والكلمات تنحني في الهواء: "الصفقة صفقة، وقد تمت".

تراقب آدي، وهي تتوقع من المرأة أن تتوسل، أن تهرب.

لكنها تضع حقيبتها على الأرض وترفع ذقنها.

تقول: "الصفقة صفقة. وأنا متعبة".

وبطريقة ما، هذا أسوأ.

لأن آدي تفهم.

لأنها متعبة أيضًا.

وهي تشاهد الظلام يتراجع مرة أخرى.

مضى أكثر من مائة عام منذ آخر مرة رأت فيها آدي حقيقة حياته، تلك الليلة الهائجة، بكل قسوتها. هذه المرة فقط، لا يوجد تمزيق، ولا تمزق، ولا رعب.

الظلام يطوى ببساطة حول المرأة العجوز مثل العاصفة، ينطفئ النور.

تستدير آدي مبتعدة.

تعود إلى المنزل الأصفر في شارع بوربون، وتصب لنفسها كأسًا من النبيذ، لطيفًا وباردًا وأبيض. الجو حار جدًّا. أبواب البلكونة مفتوحة للتهوية في ليل الصيف. وهي تتكئ على حاجز تسمعه يصل، ليس في الشارع، كما قد يفعل المحب المغازل، بل في الغرفة خلفها.

وحين تلتف ذراعاه حول كتفيها، تتذكر آدي الطريقة التي أمسك بها المرأة في المدخل، والطريقة التي كان يلتف بها حولها، ويبتلعها بالكامل.

مدينة نيويورك

30 يوليو 2014

XIII

يتحسن مزاج لوس إلى حد ما وهما يمشيان.

الليل دافئ، القمر هلال بالكاد فوقهما. يسقط رأسه إلى الخلف، ويستنشق، متنفسًا في الهواء وكأنه لم ينضج بحرارة الصيف، عدد كبير جدًّا من الناس في مساحة صغيرة جدًّا.

تسأل: "منذ متى وأنت هنا؟"

يقول: "إنني آتي وأذهب"، لكنها تعلمت قراءة المسافة بين كلماته، وتخمن أنه كان في نيويورك تقريبًا طول فترة وجودها، متربصًا مثل الظل في ظهرها.

لا تعرف إلى أين يذهبان، وللمرة الأولى، تتساءل إن كان لوس يعرف هو الآخر، أو إن كان يمشي ببساطة، محاولًا ترك مسافة بينهما وبين نهاية وجبتهما.

لكن وهما يشقان طريقهما في أطراف المدينة، تشعر بمرور الوقت من حولهما، ولا تعرف إن كان هذا سحره أم ذاكرتها، لكن مع كل كتلة عابرة، تندفع منه إلى السين. يقودها بعيدًا عن البحر. تتبعه في فلورنسا. إنهما جنبًا إلى جنب في بوسطن، ذراعًا في ذراع في شارع بوربون.

إنهما هنا، معًا، في نيويورك. وهي تتساءل ماذا يحدث لو لم ينطق الكلمة. لو لم يقلب يده. لو لم يفسد كل شيء.

يقول، مستديرًا نحوها وعيناه تتألقان مرة أخرى: "الليل لنا، الى أين يمكن أن نذهب؟"

تفكر، إلى البيت، رغم أنها لا تستطيع أن تقول ذلك.

تنظر إلى ناطحات السحاب، وتندفع إلى الجانبين.

وتتساءل "أيها منظره أفضل؟"

بعد لحظة، يبتسم لوس، وتومض أسنانه، ويقول: "اتبعيني".

على مر السنين، عرفت آدي الكثير من أسرار المدينة.

لكنْ هنا سر لم تكن تعرفه.

إنه لا يقيم تحت الأرض، بل على السطح.

فوق أربعة وثمانين طابقًا، يتم الوصول إليه بمصعدين، الأول لا يوصف ويرفع فقط إلى الطابق الحادي والثمانين. والثاني، نسخة طبق الأصل مباشرة من **بوابات جحيم** رودن،[75] بأجسادها الملتوية، التي تختبئ للهروب، يأخذك إلى بقية الطريق.

إذا كان لديك مفتاح.

يسحب لوس الكارت السوداء من جيب قميصه ويضعه في فم متثائب على طول إطار المصعد.

تسأل والأبواب تفتح: "هل هذا المكان ملكك؟"

يقول على سبيل الإجابة وهما يدخلان: "ليس هناك شيء ملكي حقًا".

صعود قصير، ثلاثة طوابق قصيرة، وحين يتوقف، تفتح الأبواب على منظر متصل للمدينة.

يظهر اسم البار بأحرف سوداء عند قدميها.

الطريق المنخفض.

تندهش آدي: "هل أخذت إلى جهنم؟"

يقول، وفي عينيه انزعاج: "جهنم نوع مختلف من النوادي".

---

75 عمل نحتي ضخم للفنان الفرنسي أوجست رودن (1840-1917) يصور مشهدًا من الجحيم، القسم الأول من الكوميديا الإلهية لدانتي. يبلغ ارتفاعه 6 أمتار وعرضه 4 أمتار وعمقه مترًا ويحتوي على 180 شخصية.

الأرضيات من البرونز، والسور زجاجي، والسقف مفتوح على السماء، والناس يطحنون على أرائك مخملية ويغطسون أقدامهم في برك ضحلة، ويتسكعون على طول الشرفات التي تحيط بالسقف، للاستمتاع بالمدينة.

تقول المضيفة: "مستر جرين. مرحبًا بعودتك".

يقول برقة: "شكرًا لك، رينيه، هذه أديلين. أعطيها كل ما تريده".

تنظر إليها المضيفة، لكن لا يوجد إكراه في عينيها، ولا إحساس بأنها سحرت، مجرد تعاون موظف، شخصية جيدة جدًّا في وظيفتها. آدي تسأل عن أغلى مشروب، ورينيه تبتسم ابتسامة عريضة للوس: "وجدت نظيرتك".

يقول وهو يلمس بيده ظهر آدي ويوجهها إلى الأمام: "وجدتها". تسرع خطوتها حتى تبتعد، وتنسل خلال الحشد الصاخب إلى الحاجز الزجاجي، وتطل على منهاتن. لا توجد نجوم مرئية بالطبع، لكن نيويورك تتدحرج بعيدًا إلى كل جانب، مجرة ضوئها.

هنا، على الأقل، يمكن أن تتنفس.

إنه الضحك السهل للجماهير. الضجيج المحيط لأشخاص يستمتعون، أجمل بكثير من الهدوء الخانق للمطعم الفارغ، صمت السيارة المنعزل. إنها السماء تنفتح فوقها. جمال المدينة من كل جانب، وحقيقة أنهما ليسا وحدهما.

تعود رينيه بزجاجة من الشمبانيا، وغشاء مرئي من الغبار يكسو الكأس.

تشرح وهي تمسك الزجاجة للفحص: "دوم بريجنون، 1959، من خزانتك الخاصة، مستر جرين".

يلوح لوس بيده، وتفتح الزجاجة، وتصب كأسين، الفقاعات صغيرة جدًّا بحيث تبدو مثل بقع من الماس في الكأس.

ترشف آدي، تتذوق الطريقة التي تفور بها على لسانها.

تقوم بمسح الحشد، المليء بأنواع الوجوه التي قد تتعرف عليها، رغم أنها غير متأكدة من المكان الذي رأتهم فيه. يوجههم لوس إليها، أعضاء مجلس الشيوخ والممثلين والمؤلفين والنقاد، وتتساءل إن كان أي منهم قد باع روحه. إن كان أي منهم على وشك أن يبيعها.

تنظر آدي في كأسها، ولا تزال الفقاعات تتصاعد بسلاسة إلى السطح، وحين تتكلم، تأتي الكلمات مجرد همس، الحشد الثرثار سرق الصوت. لكنها تعرف أنه يستمع، وتعلم أنه يستطيع أن يسمعها.

"دعه يذهب، يا لوس".

يضيق فمه إلى حد ما. يحذر: "أديلين".

"أخبرتني أنك ستستمع".

يتكئ على الحاجز ويفرد ذراعيه. "حسنًا، أخبريني. ماذا ترين فيه، هذا العاشق البشري الأخير؟"

تريد أن تقول. **هنري شتراوس رصين ولطيف، إنه ذكي ومشرق ولطيف ودافئ.**

هو كل ما ليس أنت،

لكن آدي تعرف أنها يجب أن تعالج الأمر برفق.

تقول: "ماذا أرى فيه؟ أرى نفسي. ليس ما أنا عليه الآن، ربما، لكن ما كنت عليه، في الليلة التي أتيت فيها لإنقاذي".

يتجهم لوس: "هنري شتراوس أراد أن يموت. وأنت أردتِ أن تعيشي. لا شبه بينكما".

"الأمر ليس بهذه البساطة".

"هل هو كذلك؟"

تهز آدي رأسها: "ترى فقط العيوب والأخطاء، ونقاط الضعف لتستغلها. لكن البشر مشوشون، يا لوس. هذا ما يجعلهم مدهشين. إنهم يعيشون ويحبون ويرتكبون الأخطاء، ويشعرون إلى حد كبير. وربما - ربما لم أعد منهم".

الكلمات تمزقها وهي تنطقها، لأنها تعلم أنها صحيحة. في كل الأحوال.

تواصل: "لكنني أتذكر. أتذكر كيف هو الحال، وهنري-"

"ضائع".

تعترض قائلة: "إنه يبحث. وسيجد طريقه، إذا تركته".

يقول لوس: "لو تركته، لقفز من فوق السطح".

تقول: "أنت لا تعرف ذلك. لن تعرف أبدًا، لأنك تدخلت".

"أنا أعمل في مجال النفوس يا أديلين، وليس في مجال الفرصة الثانية".

"وأنا أتوسل إليك أن تتركه يذهب. لن تعطيني فرصتي، لذا أعطني فرصته، بدلًا منها".

يزفر لوس، ويمرر يده عبر السقف. ويقول: "اختاري شخصًا ما".

"ماذا؟"

يديرها لتواجه الحشد: "اختاري روحا تحل محله. اختاري شخصًا غريبًا. العني أحدهم بدلا منه". صوته منخفض وسلس وواثق. يقول بلطف: "هناك تكلفة دائمًا. يجب دفع ثمن. هنري شتراوس قايض روحه. هل تبيعين شخصًا آخر لاستعادتها؟"

تحدق آدي في السطح المزدحم، الوجوه التي تتعرف عليها والوجوه التي لا تتعرف عليها. الصغار والكبار، معا وبمفردهم.

هل هناك أي بريء؟

هل هناك أي قسوة؟

لا تعرف آدي إن كانت تستطيع أن تفعل ذلك - حتى ترفع يدها. حتى تشير إلى رجل في الحشد، وقلبها ينغمس في معدتها وهي تنتظر أن يتركها لوس، ويتقدم للأمام، ويطالب بثمنه.

لكن لوس لا يتحرك.

يضحك فقط.

يقول وهو يقبل شعرها: "عزيزتي أديلين، بدلْتِ أكثر مما تعتقدين".

تشعر بالدوار والمرض وهي تلتف لتواجهه. تقول: "كفى لعبًا".

يقول: "حسنًا"، قبل أن يسحبها إلى الظلام.

يبتعد السطح، ويرتفع الفراغ حولها، ويبتلع كل شيء ما عدا سماء بلا نجوم، أسود عنيف لانهائي. وحين ينسحب مرة أخرى لاحقًا، يصمت العالم، وتختفي المدينة، وتكون وحيدة في الغابة.

نيو أورلينز، لويزيانا

1 مايو 1984

XIV

هكذا ينتهي بها الأمر.

مع احتراق الشموع على العتبة، يلقي الضوء غير المستقر بظلال طويلة على السرير. في أحلك جزء من الليل يمتد إلى ما وراء النافذة المفتوحة، وأول احمرار خدود للصيف في الهواء، وآدي بين ذراعي لوس، التف الظلام حولها مثل ملاءة.

تفكر، وهذا هو البيت.

ربما هذا هو الحب.

وهذا أسوأ جزء. نسيتُ شيئًا في النهاية. نسيت الخطأ الوحيد. الخطأ الوحيد الذي يفترض أن تتذكره. نسيت أن الرجل الذي في السرير ليس رجلًا. وأن الحياة ليست حياة. وأن هناك ألعابًا ومعارك، لكنها كلها في النهاية حرب من نوع ما.

لمسة مثل الأسنان على فكها.

الظلام يهمس على بشرتها: "عزيزتي أديلين".

تقول: "لست عزيزتك"، لكن فمه يبتسم فقط قرب حلقها.

يقول: "ومع ذلك، نحن معًا. ننتمي لبعضنا".

أنت تنتمي الي.

تسأل: "هل تحبني؟"

تزحف أصابعه على طول وركيها: "تعرفين أنني أحبك".

"إذن دعني أذهب".

"أنا لا أحبسك هنا".

تقول، وهي تنهض على ذراع واحدة: "ليس هذا ما أعنيه، حررني".

يتراجع، بما يكفي فقط لأن تكون عينه في عينها: "لا يمكن أن أكسر الصفقة". يسقط رأسه، وخصلات الشعر الأسود تلمس خدها. يهمس عند ياقتها: "لكن ربما يمكن أن أثنيها".

يخفق قلب آدي في صدرها.

"ربما يمكن أن أغير الشروط".

تحبس أنفاسها وكلمات لوس تتهادى على بشرتها.

يتمتم: "يمكن أن أجعلها أفضل. كل ما عليك أن تستسلمي".

الكلمة صدمة باردة.

تسدل ستارة على مسرحية: تتلاشى الإعدادات الجميلة، الإخراج، الممثلون المدربون كلهم خلف القماش الغامق.

استسلمي.

همس أمر في الظلام.

تحذير لرجل مكسور.

طلب يتكرر مرات ومرات لسنوات - حتى توقف. منذ متى توقف عن السؤال؟ لكنها تعرف بالطبع - حين تغيرت طريقته، حين رق مزاجه تجاهها.

وهي حمقاء. إنها حمقاء لاعتقادها أن ذلك يعني السلام لا الحرب.

استسلمي.

يسأل متظاهرًا بالارتباك حتى ترمي بالكلمة في وجهه: "ما هذا؟"

تزجر: "أستسلم؟"

يقول: "إنها مجرد كلمة". لكنه علمها قوة الكلمة. الكلمة كل شيء، وكلمته أفعى، حيلة ملتفة، لعنة.

يقول: "إنها طبيعة الأشياء".

يقول: "لتغيير الصفقة".

لكن آدي تتراجع، تبتعد، تتحرر منه: "ومن المفترض أن أثق بك؟ أن أستسلم، وأصدق أنك ستعيدني؟"

وهكذا لسنوات طويلة، بطرق كثيرة مختلفة يطلب الشيء نفسه.

هل تخضعين؟

"لابد أنك تعتقد أنني حمقاء، يا لوس". يحترق وجهها غضبًا: "إنني مندهشة من صبرك. ولكنك كنت دائمًا مولعًا بالمطاردة".

تضيق عيناه الخضراوان في الظلام: "أديلين".

"لا تجرؤ على نطق اسمي". تقف الآن على قدميها، تدندن بغضب. "كنت أعرف أنك وحش، يا لوس. رأيت ذلك غالبًا بما فيه الكفاية. ومع ذلك، ما زلت أعتقد – اعتقدتُ بطريقة ما - بعد كل هذا الوقت - ولكنه بالطبع، لم يكن الحب، أليس كذلك؟ لم يكن حتى لطفًا. كانت مجرد لعبة أخرى".

تعتقد في لحظة أنها قد تكون مخطئة.

لجزء من لحظة حين يبدو لوس جريحًا ومرتبكًا، وتتساءل لو كان يقصد ما قاله فقط، لو -

لكن انتهى الأمر.

يسقط الألم من وجهه ويصبح ظلًّا، ويكون التأثير سلسًا مثل سحابة عبر الشمس. ابتسامة متجهمة على شفتيه.

"ويا لها من لعبة مرهقة".

تعرف أنها تطيلها، لكن الحقيقة لا تزال تحطمها. إذا كانت قد شُرِختْ من قبل، فهي الآن تنكسر.

"لا يمكن أن تلوميني لمحاولة توزيع الورق بشكل مختلف".

"ألومك في كل شيء".

ينهض لوس، والظلام ينسحب إلى حرير من حوله: "أعطيتك كل شيء".

"لم يكن أي شيء من هذا حقيقيًّا!"

لا تبكي.

لا تمنحه الشعور بالرضا لرؤيتها تتألم.

لا تعطيه أي شيء، مرة أخرى.

هكذا تبدأ المعركةُ.

أو بالأحرى، هكذا ينتهي الأمر.

معظم المعارك، رغم كل شيء، ليست نتاج لحظة. إنها تُبنَى على مدى أيام أو أسابيع، كل جانب يجمع نيرانه، ويؤجج لهيبه.

لكن هذه المعركة دارت على مدى قرون.

قديمة وحتمية مثل تحول العالم، وانقضاء عصر، وتصادم فتاة والظلام.

كان يجب أن تعرف أن ذلك سيحدث.

ربما عرفت.

لكن حتى يومنا هذا، لا تعرف آدي كيف بدأ الحريق. إذا كانت الشموع التي دفعتها من على الطاولة، أو المصباح الذي دفعته من على الحائط، أو الأضواء التي حطمها لوس، أو أنها كانت مجرد نكاية أخيرة.

تعرف أنها لا تملك القوة لتدمير أي شيء، ومع ذلك فعلتها. فعلاها. ربما سمح لها بإشعال النار. ربما ترك النار تحرق ببساطة.

لا يهم، في النهاية.

تقف آدي في شارع بوربون وتراقب المنزل وهو يحترق، وحين يأتي رجال الإطفاء، لا يكون هناك شيء ينقذ. يكون مجرد رماد.

ضاعت حياة أخرى في الدخان.

ليس لدى آدي أي شيء، ولا حتى المفتاح في جيبها. كان هناك، لكن حين تمد يدها إليه يكون قد اختفى. تمتد يدها إلى الحلقة الخشبية التي لا تزال في عنقها.

تخلعها، وتلقي الشريط في أنقاض منزلها المُدخن، وتبتعد.

مدينة نيويورك

13 يوليو 2014

XV

آدي محاطة بالأشجار.

الرائحة الطحلبية للصيف في الغابة.

يخيم عليها الخوف، اليقين المفاجئ الرهيب بأن لوس كسر قاعدتين بدلًا من واحدة، أنه جرها في الظلام، وسرقها بعيدًا عن نيويورك، وتركها في مكان ما بعيدًا، بعيدًا عن البيت.

لكن حين تتكيف عيناها، وتستدير، وترى الأفق يرتفع فوق الأشجار، تدرك أنها في سنترال بارك بالتأكيد.

يسيطر عليها شعور بالارتياح.

ثم ينجرف صوت لوس في الظلام.

يقول: "أديلين، أديلين..". ولا يمكنها معرفة الصدى من صوته ببساطة، غير مقيد باللحم والعظام والأشكال الزائلة.

تنادي: "لقد وعدْتَ".

"هل وعدْتُ؟"

يخرج لوس من الظلام، كما خرج تلك الليلة، مزيجًا من الدخان والظل. عاصفة معبأة في بشرة.

سألها مرة: هل أنا الشيطان أم الظلام؟ هل أنا وحش أم إله؟

لم يعد يرتدي البدلة السوداء الأنيقة، ولكن كما كان حين استدعته أول مرة، كان غريبًا يرتدي بنطلونًا، وسترة شاحبة مفتوحة عند حلقه، وشعره الأسود يتلوى على صدغيه.

سحر الحلم منذ سنوات طويلة.

لكن شيئًا واحدًا تغير. لا يوجد انتصار في عينيه. اختفى اللون منهما، فشحبتا وصارتا رماديتين تقريبًا. ورغم أنها لم تر الظل قط، إلا أنها تخمن أنه حزن.

يقول: "سأعطيك ما تريدين. إذا فعلْتِ شيئًا واحدًا".

تسأل: "ماذا؟"

يمد لوس يده.

يقول: "ارقصي معي".

في صوته اشتياق، وضياع، وتعتقد أنها ربما تكون نهاية هذا كله، كل شيء. لعبة أخيرة. حرب بلا رابحين.

ولذا توافق على الرقص.

لا توجد موسيقى، لكن لا يهم.

حين تمسك بيده تسمع اللحن رقيقًا ومهدئًا في رأسها. ليست أغنية بالضبط، لكنه صوت الغابة في الصيف، وهدوء الرياح المستمر عبر الحقول. وهو يقترب منها، تسمع كمانًا منخفضًا حزينًا على طول نهر السين. تنزلق يده على يدها، وتسمع همهمة مطردة على شاطئ البحر. تحلق السيمفونية في ميونيخ. تميل آدي برأسها على كتفه، وتسمع المطر يتساقط في فيون، والفرقة النحاسية ترن في صالة لوس أنجلوس، وتموج الساكسفون عبر النوافذ المفتوحة في بوربون.

يتوقف الرقص.

تتلاشى الموسيقى.

تنزلق دمعة على خدها: "كل ما عليك أن تطلق سراحي".

يتنهد لوس وترفع ذقنها: "لا أستطيع".

"بسبب الصفقة".

"لأنك ملكي".

تفلت آدي منه. تقول وهي تبتعد: "لم أكن ملكك قط، يا لوس، لم أكن ملكك في الغابة في تلك الليلة. ولم أكن حين أخذتني إلى الفراش. كنْتَ الشخص الذي قال إنها مجرد لعبة".

"كذبت". الكلمات، سكين. يقول: "أحببتني. وأحببتك".

تقول: "ومع ذلك، لم تأت إليَّ إلا حين وجدت شخصًا آخر".

تستدير نحوه متوقعة أن ترى العينين مصفرتين حسدًا. لكنهما، بدلًا من ذلك، خضراوان عشبيتان تنضحان غطرسة، عكس التعبير على وجهه، الارتفاع الخافت لجبين، ميل فمه.

يقول: "أوه، أديلين. هل تعتقدين أن كلًّا منكما وجد الآخر؟"

الكلمات خطوة ضائعة.

هبوط مفاجئ.

"هل تعتقدين حقًّا أنني سأترك ذلك يحدث؟"

تميل الأرض تحت قدميها.

"بالنسبة لكل الصفقات التي أعقدها، قد يمر مثل هذا الشيء بدون إشعار مني؟"

تغمض آدي عينيها، وهي مستلقية بجانب هنري، أصابعهما متشابكة معًا في العشب. إنها تنظر إلى سماء الليل. تضحك على فكرة أن لوس أخطأ أخيرًا.

يقول الآن: "لا بد أنكما اعتقدتما أنكما ذكيان للغاية. عاشقان تقاطع نجماهما، التقيا صدفة. ما احتمالات أن تلتقيا، وأن تكونا مرتبطين بي، وكل منكما باع روحه مقابل شيء لا يمكن إلا للآخر أن يوفره؟ حين تكون الحقيقة أسهل بكثير من ذلك - أضع هنري في طريقك. أعطيته لك، ملفوفًا بشريط مثل هدية".

تسأل، وحلقها يغلق على الكلمة: "لماذا؟ لماذا تفعل ذلك؟"

"لأن هذا ما أردتِ. كنْتِ حريصة جدًّا على حاجتك للحب، ولا يمكن أن تري ما وراءه. أعطيتك هذا، أعطيتك إياه، حتى يمكن أن تري أن الحب لا يستحق المساحة التي احتفظت بها من أجله. المساحة التي بقيت مني".

"لكنه يستحق كل هذا العناء. إنه يستحق".

يمد يده ليلمس خدها: "لن يكون الأمر كذلك حين يرحل".

تنسحب آدي مبتعدة. من كلماته لمسة: "هذه قسوة، يا لوس. حتى بالنسبة لك".

يزمجر: "لا، القسوة ستكون عشر سنوات بدلًا من سنة واحدة. ستتمثل القسوة في السماح لك بالعيش معه، ويكون عليك أن تعاني أكثر بسبب الخسارة".

تهز رأسها: "أختار ذلك على أي حال! لم تنوِ قط السماح له بالعيش، أليس كذلك؟"

يميل لوس برأسه. "الصفقة صفقة، يا أديلين. والصفقات ملزمة".

"إنك تفعل كل هذا لتعذبني -"

يسخر: "لا. فعلت ذلك لأوضح لك. لتفهمي. تضعينهم على قاعدة تمثال، لكن البشر حياتهم قصيرة وباهتون وكذلك حبهم. إنه ضحل ولا يدوم. تتوقين إلى الحب البشري، لكنك لست بشرية، يا أديلين. لم تكوني بشرية منذ قرون. لا مكان لك معهم. تنتمين إليَّ".

تتراجع آدي، والغضب يتصلب مثل الجليد بداخلها.

تقول: "يا له من درس صعب بالنسبة لك. لا يمكنك الحصول على كل ما ترغب".

يسخر: "أرغب؟ الرغبة للأطفال. إذا كانت رغبة، فسوف أتخلص منك الآن". يقول، وفي صوته بغض مرير: "كنت لأنساك منذ قرون، إنه احتياج. والاحتياج مؤلم ولكنها صبور. هل تسمعني يا أديلين؟ أنا في حاجة إليك. مثلما أنت في حاجة إليَّ. أحبك كما تحبينني".

تسمع الألم في صوته.

ربما لهذا تريد أن تؤذيه أكثر.

علمها جيدًا أن تجد نقطة الضعف في الدرع.

تقول: "لكن هذه هي الحقيقة، يا لوس، لا أحبك إطلاقًا".

الكلمات هادئة وثابتة، لكنها تدمدم في الظلام. ترفُّ الأشجار، والظلال كثيفة، وعينا لوس تحرقان ظلًّا لم تره قط. لون سامٌّ. وتخاف لأول مرة منذ قرون.

يسأل بصوت مسطح وقاس مثل حجارة النهر: "هل يعني لك الكثير؟ اذهبي إذن. اقضي الوقت مع حبك الانساني. ادفنيه واندبيه واغرسي شجرة فوق قبره". تبدأ حوافه في الاختفاء في الظلام. يقول: "سأظل هنا. وأنت أيضًا".

يستدير لوس، ويختفي.

تبرك آدي على ركبتيها في العشب.

تبقى هناك حتى تتسرب الخيوط الأولى من الضوء إلى السماء، وبعد ذلك، أخيرًا، تجبر نفسها على النهوض مرة أخرى، وتمشي إلى مترو الأنفاق في الضباب، وكلمات لوس تدور في رأسها.

أنت لست بشرية يا أديلين.
هل تعتقدين أن كلًّا منكما وجد الآخر؟
لا بد أنكما اعتقدتما أنكما ذكيان للغاية.
اقضي الوقت مع حبك.
سأظل هنا.
وأنت أيضًا.

تشرق الشمس حين تصل إلى بروكلين.

تتوقف لتتناول الفطور، امتيازًا، اعتذارًا، لأنها بقيت بعيدة طول الليل. وذلك حين ترى الصحف مكدسة أمام كشك بيع الصحف. حينها ترى التاريخ مختومًا في الزاوية العلوية.

6 أغسطس 2014.

غادرت الشقة في 30 يوليو.

قال، **اقضي الوقت مع حبك.**

لكن لوس أخذ الوقت. لم يسرق ليلة فقط. أخذ أسبوعًا كاملًا.

سبعة أيام ثمينة تمحى من حياتها... وحياة هنري.

تركض آدي.

تتعثر على الباب، وتصعد السلم، وتقلب محفظتها، لكن المفتاح اختفى، تدق على الباب، والرعب يتدفق من خلالها بأن العالم تغير، وأن لوس أعاد كتابته بطريقة ما أكثر من مرة، أخذ أكثر بطريقة ما، أخذ كل شيء.

لكن القفل ينزلق، وينفتح الباب، وهنري هناك، منهك، أشعث، وهي تعلم، من خلال النظرة في عينيه، أنه لم يتوقع عودتها. في وقت ما، بين الصباح الأول والتالي، والتالي، اعتقد أنها ذهبت.

تلقي آدي ذراعيها حوله الآن.

تقول: "آسفة جدًّا"، ليس على الأسبوع المسروق فقط. على الصفقة، اللعنة، حقيقة أنها غلطتها.

تكرر: "آسفة"، وهنري لا يصرخ، ولا يغضب، ولا حتى يقول **إنني أخبرتك**. ببساطة يمسكها بقوة، ويقول، "كفى"، ويقول، "عديني"، ويقول، "ابقي".

ليست أسئلة، لكنها تعرف أنه يسألها، ويتوسل لها لتترك الأمر، وتتوقف عن القتال، وتتوقف عن محاولة تغيير مصائرهما، وتبقى معه حتى النهاية.

ولا تتحمل آدي فكرة الاستسلام، والخضوع، والتسليم بدون قتال.

لكن هنري منكسر، وهي غلطتها، وفي النهاية توافق.

مدينة نيويورك

أغسطس 2014

XVI

هذه أسعد أيام حياة هنري.

يعرف أن البوح به غريب.

لكن هناك حرية غريبة، ارتياح خاص في المعرفة. النهاية تندفع لمقابلته، ومع ذلك، لا يشعر أنه يسقط نحوها.

يعلم أنه يجب أن يخاف.

كل يوم يستعد لتوتر الرعب، وينتظر أن تتدحرج غيوم العاصفة، ويتوقع أن يتسلل الذعر الحتمي إلى صدره، ويمزقه. لكن لأول مرة منذ شهور، منذ سنوات، وبقدر ما يتذكر، لا يخاف. إنه قلق على أصدقائه، بالطبع، على المكتبة والقط. ولكن بعيدًا عن همهمة اهتمام منخفضة، لا يوجد سوى هدوء غريب وثبات وراحة لا تصدق لأنه وجد آدي، وأنه يعرفها، أنه يحبها، أنها هنا بجانبه.

إنه سعيد.

إنه مستعد.


مكتبة
t.me/soramnqraa

إنه غير خائف.

هذا ما يقوله لنفسه.

إنه غير خائف.

يقرران الذهاب إلى شمال الولاية.

للخروج من المدينة، بعيدًا عن ركود حرارة الصيف.

لرؤية النجوم.

يستأجر سيارة، وينطلقان شمالًا، ويدرك، في منتصف الطريق على نهر هدسون، أن آدي لم تلتقِ بعائلته قط، ثم يدرك، بثقل قابض مفاجئ، أنه لا يفترض أن يعود إلى البيت قبل عيد رأس السنة اليهودية، وأنه سوف يكون قد رحل حينها. إذا لم يسلك هذا المخرج، فلن تتاح له الفرصة أبدًا ليودع عائلته.

وبعد ذلك، تبدأ الغيوم في التدحرج، ويحاول الخوف التسلل إلى صدره، لأنه لا يعرف ما يقوله، ولا يعرف جدواه.

وبعد ذلك يجتاز المخرج، بعد فوات الأوان، ويستطيع أن يتنفس مرة أخرى، وتشير آدي إلى لافتة تحمل فواكه طازجة، ويقطعان الطريق السريع ويشتريان خوخًا من الكشك، وسندويشات من السوق، وينطلقان لمدة ساعة شمالًا إلى حديقة عامة، حيث الشمس حارة لكن الظل تحت الأشجار بارد، ويقضيان النهار يتجولان في مسارات الغابات، وحين يحل الليل يقومان بنزهة بالسيارة المستأجرة، ويتمددان بين العشب البري والنجوم.

كثيرة جدًّا، لا يبدو الليل مظلمًا.

ولا يزال سعيدًا.

ولا يزال يستطيع التنفس.

ليس لديهما خيمة، لكن الجو حار جدًّا ولا يحتاج إلى أغطية على أي حال.

يرقدان على بطانية في العشب، وينظران إلى شبح مجرة درب التبانة، وهو يفكر في الآرتيفاكت على الهاي لاين، ومنظر السماء، ومدى قرب النجوم في ذلك الوقت، والآن، إلى أي مدى تبعد.

يقول: "إذا كان بإمكانك القيام بذلك مرة أخرى، فهل تعقدين الصفقة؟"

وتقول آدي نعم.

تقول، كانت حياة قسوة ووحدة، وكانت رائعة أيضًا. عاشت حروبًا، وقاتلت فيها، وشهدت ثورة ونهضة. تركت بصماتها على ألف عمل فني، مثل بصمة الإبهام في قاع وعاء التجفيف. رأت الأعاجيب، وبجنون، رقصت على ضفاف الجليد وتجمدت حتى الموت على نهر السين. وقعت في حب الظلام مرات عديدة، ووقعت في حب إنسان مرة واحدة.

وهي متعبة. متعبة بشكل لا يوصف.

لكنها عاشت بدون أدنى شك.

تقول: "ليس هناك ما هو جيد أو سيئ تمامًا. الحياة فوضوية أكثر من ذلك بكثير".

وهناك في الظلام، يسأل إن كان الأمر يستحق ذلك حقًّا.

هل كانت لحظات الفرح تستحق امتدادات الحزن؟

هل كانت لحظات الجمال تستحق سنين الألم؟

وهي تدير رأسها وتنظر إليه وتقول: "دائمًا".

يناما تحت النجوم، وحين يستيقظان في الصباح، تكون الحرارة قد انخفضت، والهواء بارد، والهمسات الأولى لموسم آخر، والأولى التي لن يراها، تنتظر بعيدة.

ومع ذلك، يقول لنفسه إنه لا يخاف.

ثم تتحول الأسابيع إلى أيام.

عليه أن يودِّع البعض.

يلتقي بيا وروبي في الميرشنت ذات ليلة. تجلس آدي عبر البار، تشرب صودا وتمنحه مساحة. يريدها هناك، ويحتاجها هناك، مرساة صامتة في العاصفة. لكنهما يعرفان أنها إذا كانت على الطاولة معه، فقد تنسى بيا وينسى روبي، وهو يريد أن يتذكرا.

ولفترة قصيرة، كل شيء طبيعي بشكل مدهش ومؤلم.

تتحدث بيا عن اقتراح أطروحتها الأخيرة، ويبدو أن المرة التاسعة هي السحر، لأنها قُبِلتْ، وتحدث روبي عن العرض الأول للبرنامج في الأسبوع المقبل، ولم يخبره هنري بأنه تسلل إلى البروفة النهائية أمس، وأنه توارى مع آدي. في الصف الأخير من المقاعد، متهدلًا منخفضًا حتى يتمكن من مشاهدة روبي على المسرح، متألقًا وجميلًا، وفي مكانه، مسترخيًا على عرشه مع توهج بوي، وابتسامة شيطان، وسحره الخاص.

وأخيرًا، يكذب هنري ويخبرهما أنه سيغادر المدينة.

شمال الولاية لرؤية والديه. يقول، لا، لم يحن الوقت، لكن والدته طلبت زيارة أبناء عمومته. يقول لعطلة نهاية الأسبوع فقط.

يسأل بيا إذا كانت تستطيع العمل في المتجر.

يسأل روبي إذا كان سيطعم القط.

ويقولان نعم، بكل بساطة، لأنهما لا يعرفان أنه وداع. يدفع هنري الحساب، ويمزح روبي، وتشكو بيا من زملائها الجامعيين، ويخبرهما هنري أنه سيتصل بهما عند عودته.

وحين ينهض للذهاب، تقبل بيا خده، ويشده روبي ليعانقه، ويقول روبي إنه من الأفضل ألا يفوت عرضه، وقد وعد هنري بأنه لن يفوته، ثم يذهبان، ذهبا.

ويقرر أن الوداع يجب أن يكون بهذا الشكل.

ليست نقطة، بل انتقال مفاجئ، عبارة بصوت منخفض، إلى أن يوجد شخص لالتقاطها.

إنه باب ترك مفتوحًا.

إنه انجراف إلى النوم.

ويقول لنفسه إنه غير خائف.

يقول لنفسه إنه بخير، إنه بخير.

وفقط حين يبدأ في الشك، تكون يد آدي هناك، ناعمة وثابتة على ذراعه، تقوده إلى البيت. ويصعدان إلى السرير، ويتعانقان أمام العاصفة.

وفي وقت ما في منتصف الليل، يشعر أنها تنهض، ويسمعها تتجول في الردهة.

لكن الوقت متأخر، وهو لا يفكر في أي شيء.

يتدحرج، ويعود إلى النوم، وحين يستيقظ مرة أخرى، لا يزال الجو مظلمًا، وقد عادت إلى جانبه في السرير.

والساعة على المنضدة تقترب من منتصف الليل.

مدينة نيويورك

4 سبتمبر 2014

XVII

إنه يوم عادي.

يبقيان في السرير، ملتفين معًا في عش من الملاءات، وجهًا لوجه، واليدان تتتبعان الذراعين، والخدين، والأصابع تحفظ البشرة. يهمس باسمها، مرات ومرات، كما لو كانت تستطيع حفظ الصوت، أن تعبئه لاستخدامه عند رحيله.

آدي، آدي، آدي.

وهنري، رغم هذا كله، سعيد.

أو على الأقل، يقول لنفسه إنه سعيد، ويقول لنفسه أنه مستعد، ويقول لنفسه إنه غير خائف. ويقول لنفسه إنهما إذا بقيا هنا، في السرير، فسوف يستمر اليوم. إذا حبس أنفاسه، يمكنه منع الثواني من التقدم، ويثبت الدقائق بين أصابعهما المتشابكة.

إنه التماس غير معلن لكن يبدو أن آدي تشعر به، لأنها لا تحرك ساكنًا للنهوض. وبدلًا من ذلك، تبقى معه في السرير، وتروي له القصص.

ليس عن الذكريات السنوية – مرت في 29 يوليو - ولكن عن شهور سبتمبر وشهور مايو، عن الأيام الهادئة، التي لا يتذكرها أي شخص آخر. تحكي له عن أحواض السباحة الخيالية في جزيرة سكاي، والشفق القطبي في أيسلندا، عن السباحة في بحيرة صافية لدرجة أنها تستطيع رؤية قاع البحيرة على بعد عشرة أمتار، في البرتغال – أم في إسبانيا؟

هذه هي القصة الوحيدة التي لن يكتبها أبدًا.

قصة فشله لا يستطيع أن يكشف نفسه، ليترك يدي آدي وينسل من السرير، ويأخذ أحدث كراسة من الرف - هناك ست كراسات الآن، والأخيرة نصف ممتلئة فقط، وهو يدرك أنها ستبقى هكذا، تلك الصفحات الفارغة الأخيرة، خطه بالحروف الملتصقة، نهاية خاطئة لقصة مستمرة، وقلبه يسرع إلى حد ما، تلعثم ضئيل من الذعر، لكنه لا يسمح له بالبدء، يعلم أنه سوف يمزقه، الطريقة التي تحول بها رعشة بردًا لحظيًّا إلى برد يجعل الأسنان تصطك، ولا يمكنه أن يفقد قبضته، ليس بعد، ليس بعد.

ليس بعد.

هكذا تتحدث آدي، وهو يستمع، ويترك القصص تنزلق مثل الأصابع خلال شعره. وكلما حاول الذعر أن يشق طريقه إلى السطح، يقاومه، يحبس أنفاسه ويقول لنفسه إنه بخير، لكنه لا يتحرك، ولا ينهض. لا يستطيع، لأنه إذا فعل ذلك، كسر التعويذة، ويسرع الوقت وينتهي بسرعة كبيرة.

يعرف أنه أمر سخيف، موجة غريبة من الخرافات، لكن الخوف موجود الآن، حقيقي الآن، والسرير آمن، وآدي ثابتة، وهو سعيد جدًّا لوجودها هنا، سعيد جدًّا لكل دقيقة منذ التقيا.

في وقت ما بعد الظهر، يشعر بالجوع فجأة. يتضور جوعًا.

لا يجب أن يتضور جوعًا. إنه شعور تافه، وخاطئ، وغير مهم الآن، لكن الجوع سريع وعميق، ومع وصوله، تبدأ عقارب الساعة بالدق.

لا يستطيع إيقاف الوقت.

الوقت يسرع الآن إلى الأمام، يندفع متقدمًا.

وتنظر إليه آدي وكأنها تستطيع قراءة أفكاره، وترى العاصفة تتجمع في رأسه. لكنها مشرقة. إنها سماوات صافية.

تسحبه من السرير إلى المطبخ، ويجلس هنري على كرسي ويستمع وهي تصنع عجة وتحكي له عن المرة الأولى التي ركبت فيها طائرة، وسمعت أغنية في الراديو، ورأت صورة متحركة.

هذه هي الهدية الأخيرة التي يمكن أن تقدمها له، هذه اللحظات لن يحصل عليها أبدًا. وهذه آخر هدية يمكن أن يقدمها لها، الاستماع.

ويتمنى أن يتمكنا من العودة إلى السرير مع بوك، لكنهما يعلمان أنه لا مجال للعودة. والآن بعد أن نهض، لا يمكنه تحمل السكون. لديه طاقة لا تهدأ، وحاجة ماسة، وليس هناك ما يكفي من الوقت، وهو يعلم بالطبع أنه لن يكون هناك أبدًا.

هذا الوقت ينتهي دائمًا قبل أن تكون جاهزًا بثانية.

تلك الحياة هي الدقائق التي تريدها ناقصة دقيقة.

وهكذا يرتديان ملابسهما، ويخرجان، ويمشيان، في دوائر مغلقة والذعر يبدأ في الانتصار. تضغط يد على زجاج هش، ضغطًا ثابتًا على شقوق تتمدد، لكن آدي موجودة، أصابعها ملتفة عبر أصابعه.

تقول: "هل تعرف كيف تعيش ثلاثمائة سنة؟"

وتبتسم حين يسأل كيف. "كما تعيش. ثانية بعد الأخرى".

وفي النهاية تتعب ساقاه، وينحسر الأرق، لا يتلاشى بل يضعف إلى درجة يمكن التحكم فيها، ويذهبان إلى الميرشنت، ويطلبان طعامًا لا يأكلانه، ويطلبان بيرة لا يشربانها لأنه لا يستطيع تحمل الخدر في هذه الساعات القليلة الباقية، بقدر ما تكون مخيفة حين يواجهها وهو يقظ.

وهو يدلي ببعض التعليقات حول وجبته الأخيرة، ويضحك على الفكرة المَرضية عنها، وتتلاشى ابتسامة آدي، ثانية واحدة فقط، ثم يعتذر، ويتأسف، وهي تحتضنه، وكان الذعر قد نهش ببراثنه فيه.

العاصفة تختمر في رأسه، والسماء تتموج في الأفق، لكنه لا يقاومها.

يتركها تأتي.

فقط حين يبدأ المطر، يدرك أن العاصفة حقيقية.

يميل برأسه إلى الخلف، ويشعر بقطرات المطر على وجنتيه، ويفكر في الليلة التي ذهبا فيها إلى الفورث ريل، وقد حبست الأمطار الغزيرة أنفاسهما حين وصلا إلى الشارع. يفكر في ذلك قبل أن يفكر في السطح، وهذا شيء رائع.

يشعر بأنه بعيد جدًّا عن هنري الذي صعد إلى هناك قبل عام - أو ربما ليس بعيدًا على الإطلاق. إنها مجرد خطوات، رغم كل شيء، من الشارع إلى الحافة.

لكن ما كان عليه أن يقدمه مقابل التراجع.

يا الله، ماذا يقدم مقابل يوم آخر فقط.

غابت الشمس الآن، والضوء يضعف، ولن يراها مرة أخرى، ويصدمه الخوف، فجأة وبشكل غادر. إنها هبة ريح تخترق مشهدًا ساكنًا للغاية. يقاومها مرة أخرى، ليس بعد، ليس بعد، ليس بعد، وتعصر آدي يده، حتى لا ينفجر.

تقول: "ابق معي"، فيجيب، "أنا هنا".

تشتد قبضة أصابعه على أصابعها.

ليس عليه أن يسأل، ليس عليها أن تجيب.

هناك اتفاق غير معلن على أنها ستكون معه حتى النهاية.

هذه المرة، لن يكون بمفرده.

وهو بخير.

لا بأس.

سيكون بخير.

XVIII

حان الوقت تقريبًا، وهما على السطح.

السقف نفسه الذي كاد أن يقفز من فوقه قبل عام، السقف نفسه الذي وقف فيه مع الشيطان وعقد صفقته. لحظة مكررة، ولا يعرف إن كان لابد أن يكون هنا، إن كان لابد أن يكون هنا، لكنه يشعر بأنه على ما يرام.

يد آدي تمسك بيده، وهذا يبدو على ما يرام، أيضًا. قوة أرضية ضد عاصفة تهب.

لا يزال هناك القليل من الوقت، العقرب على الساعة جزء من جزء من كسر من منتصف الليل، ويمكنه سماع صوت بيا في رأسه.

ستصل فقط إلى موتك مبكرًا.

وهنري يبتسم، على غير رغبته، ويتمنى لو قال المزيد لبيا وروبي، لكن الحقيقة البسيطة أنه لم يثق بنفسه. ودعهما، رغم أنهما لن يعرفا ذلك حتى رحيله، وهو آسف لذلك، من أجلهما، لأي ألم قد يسببه. إنه سعيد بوجودهما معًا.

تشتد قبضة يد آدي في يده.

حان الوقت تقريبًا، وهو يتساءل كيف يكون شعور المرء بفقد روحه.

إذا كان فجائيًّا وعنيفًا مثل نوبة قلبية، أو سهلًا مثل النوم. يتخذ الموت أشكالًا كثيرة. وربما هذه الميتة أيضًا. هل يظهر الظلام ويمد يده إلى صدره، ويخرج روحه من بين ضلوعه كما في حيلة سحرية؟ أم تجبره قوة ما على إنهاء ما بدأه؟ أن يمشي إلى حافة السطح ويقفز؟ هل يُعثَر عليه في الشارع، وكأنه قفز؟

أم يجدونه هنا فوق السطح؟

لا يعرف.

لا يحتاج إلى أن يعرف.

إنه مستعد.

إنه غير مستعد.

لم يكن مستعدًّا العام الماضي على السطح، حين مد الرجل يده. لم يكن مستعدًّا في ذلك الوقت، ولم يكن مستعدًّا الآن، وبدأ يشك في أنه لا أحد يكون مستعدًّا أبدًا، لا حين تأتي اللحظة، ولا حين يمد الظلام يده ليطالب بجائزته.

تتدفق الموسيقى، رقيقة وصغيرة، من نافذة الجار المفتوحة، ويبعد هنري أفكاره عن الموت، وحافة السطح، إلى الفتاة ويدها في يده، التي تطلب منه أن يرقص معها.

يضمها، تفوح منها رائحة الصيف، تفوح منها رائحة الوقت، تفوح منها رائحة البيت.

تقول: "أنا هنا".

وعدته آدي بالبقاء معه حتى النهاية.

النهاية. النهاية. النهاية.

يتردد الصدى في رأسه مثل دقات الساعة، لكنه ليس الوقت، ما زال لديه وقت، رغم أنه يتلاشى بسرعة هائلة.

إنهم يعلمونك في نشأتك أنك لست سوى شيء واحد في كل مرة - غاضبًا، وحيدًا، راضيًا - لكنه لم يكتشف أن هذا صحيح أبدًا. إنه دستة أشياء في المرة الواحدة. إنه ضائع وفزع وممتن، إنه آسف وسعيد وخائف.

لكنه ليس وحيدًا.

بدأ المطر مرة أخرى، أصبح الهواء رطبًا برائحة العواصف المعدنية في المدينة، ولا يهتم هنري، يعتقد أن هناك شيئًا يمكن قوله للتوازن.

يكملان دائرة بطيئة على السطح.

لم ينم جيدًا لأيام، فصارت ساقاه ثقيلتين، وعقله بطيئًا جدًّا، والدقائق تتسارع من حوله، ويتمنى لو كانت الموسيقى أعلى، ويتمنى لو كانت السماء أفتح، ويتمنى لو كان لديه المزيد من الوقت.

لا أحد مستعد للموت على الإطلاق.

حتى حين يعتقد أنه يريد ذلك.

لا أحد مستعد.

إنه ليس مستعدًّا.

لكن حان الوقت.

حان الوقت.

تقول آدي شيئًا ما، لكن الساعة توقفت عن الحركة، وهي معلقة عليه بلا وزن الآن، وقد حان الوقت، ويمكن أن يشعر بنفسه ينزلق، ويمكن أن يشعر بحواف عقله تهدأ، والليل ثقيل، وفي أي لحظة يكون غريبًا. سوف يخرج إلى الظلام.

توجه آدي وجهه إلى وجهها، وتقول شيئًا ما، وهو لا يريد أن يستمع، يخشى أن يكون وداعًا، لا يريد إلا أن يتمسك بهذه اللحظة، أن يجعلها تدوم، وأن يجعلها تسكن، أن يحول الفيلم إلى إطار متجمد، لتكن هذه هي النهاية، ليس الظلام، ليس العدم، بل مجرد لحظة دائمة. ذاكرة محاصرة في العنبر، في كأس، في زمن.

لكنها ما زالت تتحدث.

تقول: "وعدْتَ أنك ستستمع، وعدْتَ أنك ستدون ما تسمع".

لا يفهم. المذكرات على الرف. كتب قصتها – كل جزء.

يقول: "فعلْتُ. فعلْتُ".

لكن آدي تهز رأسها.

تقول: "هنري. لم أحكِ لك النهاية".

مدينة نيويورك

1 سبتمبر 2014

(ثلاث ليال حتى النهاية)

XIX

بعض القرارات تحدث دفعة واحدة.

والبعض الآخر يتراكم بمرور الوقت.

فتاة تعقد صفقة مع الظلام بعد سنوات من الحلم.

فتاة تقع في حب صبي في لحظة وتقرر تحريره.

لا تعرف آدي متى قررت ذلك بالضبط.

ربما عرفت منذ الليلة التي عاد فيها لوس إلى حياتها.

أو ربما عرفت منذ الليلة التي كتب فيها اسمها.

أو ربما عرفت منذ أن قال تلك الكلمة:

أتذكرك.

إنها غير متأكدة.

لا يهم.

ما يهم هو أنه، قبل النهاية بثلاث ليالٍ، تنزلق آدي من السرير. ويتقلب هنري في نومه، ويستيقظ بما يكفي لسماعها وهي تزحف إلى الردهة، ولكن ليس بما يكفي لسماعها تلبس حذاءها، أو تتسلل في الظلام.

كانت الساعة الثانية تقريبًا - ذلك الوقت بين المتأخر جدًا والمبكِّر جدًا - وقد هدأت حتى بروكلين إلى مجرد همهمة وهي تمشي عبر بنايتين إلى حانة الميرشنت. تبقى ساعة حتى الإغلاق، وتضاءل الحشد أمام عدد قليل من العازمين على مواصلة الشرب.

تأخذ آدي كرسيًّا في البار وتطلب كأسًا من التكيلا. لم تكن قط ممن يتناولون الخمور القوية، لكنها تتناول الكأس في جرعة واحدة، وتشعر بالدفء في صدرها وتمد يدها في جيبها وتجد الحلقة.

تلتف أصابعها حول الشريط الخشبي.

تسحبه للخارج، وتوازن الحلقة في وضع مستقيم على الكاونتر.

تلفه مثل عملة معدنية، ولكن لا يوجد ملك أو كتابة، لا نعم أو لا، لا يوجد خيار إلا الخيار الذي اتخذته بالفعل. قررت أن تلبسه حين يستقر. حين يسقط - ولكن حين يبدأ في التذبذب والتقلب، تنزل يد فوقه، وتضغط عليه مسطحًا على الحاجز.

اليد ناعمة وقوية، والأصابع طويلة، والتفاصيل تمامًا كما رسمتها ذات يوم. "ألا يجب أن تكوني مع حبك؟"

ليست هناك روح فكاهة في عيني لوس. إنهما مسطحتان ومظلمتان.

تقول: "إنه نائم، وأنا لا أستطيع". انسحبت يد لوس، وآدي تنظر إلى الدائرة الشاحبة للحلقة ما زالت على الكاونتر.

يقول، وهو يمسح شعرها: "أديلين، لن يؤذي. وسوف يمر. كل الأشياء تمر".

تتمتم: "إلا بالنسبة لنا". ثم تضيف، وكأنها تضيف لنفسها: "أنا سعيدة لأنه كان عامًا واحدًا فقط".

يغرق لوس على المقعد بجانبها: "وكيف كان حبك البشري؟ هل كان كل ما حلمت به؟"

تقول: "لا"، وهذه هي الحقيقة.

كانت مشوشة. كانت صعبة. كانت رائعة وغريبة ومرعبة وهشة - هشة جدًا حتى أنها تؤلم - وكانت كل لحظة تستحق. لا تخبره بأي من ذلك. بدلا من ذلك، تركت "لا" معلقة في الهواء بينهما، ثقيلة مع ثقل افتراض لوس. عيناه، هذا الظل الأخضر المتعجرف.

"لكن هنري لا يستحق أن يموت ليثبت وجهة نظرك".

الغطرسة تومض، يتخللها الغضب.

يقول: "الصفقة صفقة. لا يمكن كسرها".

"ومع ذلك، أخبرتني ذات مرة أنه يمكن ثني الصفقة، وإعادة كتابة الشروط. هل كنت تعني ذلك؟ أم كان مجرد جزء من حيلة لأستسلم؟"

يغمق تعبير لوس: "لم تكن هناك حيلة، يا أديلين. لكن إذا كنت تعتقدين أنني سأغير شروط صفقته - "

تهز آدي رأسها. وتقول: "لا أتحدث عن صفقة هنري. أتحدث عن صفقتي". تدربتْ على الكلمات، لكنها ما زالت تتعثر على لسانها بشكل محرج. "لا أطلب رحمتك، وأنا أعلم أنك لا تعرف الإحسان. لذا أنا أعرض مبادلة. دع هنري يذهب. دعه يعيش. دعه يتذكرني، و- "

"هل تسلمين روحك؟" في بصره ظل وهو يقول ذلك، تردد في الكلمات، الرغبة قلق، وهي تعرف حينها، تعرف أنها تؤثر عليه.

تقول: "لا. ولكن فقط لأنك لا تريد ذلك". وقبل أن يتمكن من الاحتجاج، تتابع قائلة: "تريدني".

لا يقول لوس شيئًا، لكن عينيه ساطعتان، واهتمامه ظاهر.

تقول: "كنْتَ على حق. لسْتُ واحدة منهم. لم أعد. وقد تعبت من الفقد. تعبت من الحداد على كل ما حاولت أن أحبه". تمد يدها لتلمس خد لوس. "لكني لن أفقدك.

ولـن تخســرني. لـذا نعـم". تنظـر مبـاشرة إلى عينيـه. "افعل هـذا، وسـأكون لـك، طالما أنك تريـدني بجانبك".

يبدو أنه يحبس أنفاسه، لكنها لا تستطيع التنفس. العالم ينقلب، يتعثر، مهدد بالسقوط.

وبعد ذلك، أخيرًا، يبتسم لوس وعيناه الخضراوان تسطعان بالنصر.

"أقبل".

وهي تعلم أن الأمر تم.

مدينة نيويورك

4 سبتمبر 2014

XX

قال هنري: "لا"، الكلمة التي ابتلعت العاصفة نصفها.

المطر يتساقط بقوة وبسرعة على السطح. عليهما.

توقفت الساعة، واليد ملقاة باستسلام. لكنه لا يزال هناك.

يقول، وهو يلتفت برأسه: "لا يمكن أن تفعلي ذلك، لن أدعك".

ترمقه آدي بنظرة شفقة، لأنه بالطبع لا يستطيع إيقافها. لم يكن أحد يستطيع على الإطلاق.

اعتادت إستيل أن تقول إنها عنيدة مثل حجر. ولكن حتى الحجارة تبلى إلى عدم.

وهي لم تبلَ.

يقول مرة أخرى: "لا يمكن أن تفعلي هذا"، وتقول: "تم بالفعل"، ويشعر هنري بدوار، ويشعر بتوعك، ويشعر بالأرض تتأرجح تحته.

يتوسل: "لماذا؟ لماذا تفعلين ذلك؟"

تقول: "فكر في الأمر على أنه شكر لك، على رؤيتي. على أنك توضح لي كيف أبدو حين أُرَى. لأنني محبوبة. الآن لديك فرصة ثانية. لكن عليك السماح لهم برؤيتك كما أنت. عليك أن تجد من يرونك".

إنها غلطة.

إنها غلطة بكل معنى الكلمة.

"أنت لا تحبينه".

تعبر وجهها ابتسامة حزينة.

تقول: "حصلت على نصيبي من الحب"، وحان الوقت، لابد أنه حان، لأن رؤيته ضبابية، والحواف تسودُّ.

"استمع لي". صوتها لحوح الآن. "يمكن أن تبدو الحياة طويلة جدًّا أحيانًا، لكنها في النهاية تمر بسرعة كبيرة". عيناها تلمعان بالدموع، لكنها تبتسم. "الأفضل أن تعيش حياة جيدة، يا هنري شتراوس".

تبدأ في الانسحاب، لكن قبضته تشتد: "لا".

تتنهد، والأصابع تتخلل شعره: "أعطيتني الكثير، يا هنري. وأريد منك شيئًا آخر". يضغط جبينها على جبهته: "أريد منك أن تتذكر".

ويمكنه أن يشعر بقبضته تنزلق والظلام يسدل على بصره، ماسحًا الأفق والسقف والفتاة تنحني أمامه. تقول: "عِدْني"، وبدأ وجهها يتلطخ، لمسة شفتيها، وخصلات الشعر البني في وجه على شكل قلب، وعينان واسعتان، وسبع بقع من النمش مثل النجوم.

تهمس: "وعد"، وهو يرفع يديه فقط، ليضمها، ليعدها، لكن حين يقترب ذراعاه حولها، تكون قد اختفت.

ويسقط.

الفصل السابع

أتذكرك

مدينة نيويورك

5 سبتمبر 2014

I

هكذا ينتهي الأمر.

صبي يستيقظ وحيدًا في السرير.

ينسل ضوء الشمس من فجوة في الستائر، والمباني وراءها تتلألأ بآثار المطر.

يشعر بالخمول وآثار الشرب، ولا يزال يشعر ببقايا النوم. يعلم أنه كان يحلم، لكنه لا يستطيع أن يتذكر طول حياته تفاصيل الحلم، ولا بد أنه لم يكن ممتعًا للغاية، لأنه يشعر فقط براحة عميقة عند الاستيقاظ.

ينظر بوك إلى قمة اللحاف، بعينين برتقاليتين واسعتين وينتظر.

الوقت متأخر، يمكن للصبي أن يعرف من زاوية الضوء وأصوات حركة المرور في الشارع.

لم يقصد أن ينام فترة طويلة.

الفتاة التي يحبها تستيقظ أولًا دائمًا. تقلبها تحت الملاءات، أهمية عنايتها، اللمسة الناعمة لأصابعها على جلده - كافية دائمًا لإيقاظه من النوم. مرة واحدة فقط استيقظ أولًا، وشعر بسرور غريب لرؤيتها، وركبتاها مطويتان إلى جسمها ووجهها مدسوس في الوسائد، ولا تزال غارقة في النوم.

لكن ذلك الصباح كان ممطرًا بعد الفجر مباشرة، وكان العالم رماديًا، واليوم الشمس مشرقة جدًّا لدرجة أنه لا يعرف كيف ينام أي منهما.

يتدحرج ليوقظها.

لكن الجانب الآخر من السرير فارغ.

يبسط يده على المكان الذي يجب أن تكون فيه، لكن الملاءات باردة وناعمة.

ينادي، وهو يقف: "آدي؟"

يتنقل عبر الشقة، ويتفقد المطبخ، والحمام، وسلم الطوارئ، رغم أنه يعرف، يعرف، أنها ليست هناك.

"آدي؟"

ثم يتذكر بالطبع.

ليس الحلم، لم يكن هناك حلم، الليلة السابقة فقط. آخر ليلة في حياته.

الرائحة الخرسانية الرطبة للسطح، آخر تكة للساعة وعقربها على الثانية عشرة، ابتسامتها وهي تنظر إلى وجهه، وتجعله يعدها بأن يتذكر.

والآن هو هنا، وقد ذهبتْ، ولا أثر لها خلفها باستثناء الأشياء الموجودة في رأسه و-

اليوميات.

نهض، ويعبر الغرفة إلى مجموعة الأرفف الضيقة حيث احتفظ بها: الأحمر، والأزرق، والفضي، والأسود، والأبيض، والأخضر؛ ستة دفاتر، كلها لا تزال موجودة. يسحبها من الرف، ويفردها على السرير، وهو يفعل ذلك، تتساقط صور البولارويد.

الصورة التي التقطها في ذلك اليوم لآدي، وجهها ضبابي، وظهرها إلى الكاميرا، وشبح على حواف الإطار، يحدق فيها فترة طويلة، مقتنعًا أنه إذا حدَّق، فسوف تدخل إلى البؤرة. لكن بغض النظر عن طول نظرته، كل ما يستطيع رؤيته الأشكال والظلال. الشيء الوحيد الذي يمكنه تمييزه بقع النمش السبع، وهي باهتة للغاية لا يستطيع معرفة إن كانت مرئية حقًا، أو أن ذاكرته تملأها ببساطة حيث يجب أن تكون.

يضع الصورة جانبًا ويمد يده إلى الكراسة الأولى، ثم يتوقف، مقتنعًا تمامًا بأنه إذا فتحها، فسوف يجد الصفحات فارغة، وقد مسح الحبر مثل أي علامة أخرى حاولت رسمها.

لكن عليه أن ينظر، وهكذا يفعل، وها هي، صفحة بعد صفحة مكتوبة بخط مائل، محميًا من اللعنة بحقيقة أن الكلمات نفسها كلماته، رغم أن القصة قصتها.

تريد أن تكون شجرة.

لا عيب في روجر.

إنها ببساطة تريد أن تعيش قبل أن تموت.

سوف يستغرق الأمر سنواتها لتتعلم لغة هاتين العينين.

تشق طريقها، وتخرج، يداها مفرودة عبر كومة عظام ظهر رجل ميت.

هذا أولها. كيف كان ينبغي أن يكون.

تشعر به يضغط ثلاث عملات في يدها.

الروح كلمة عظيمة. الحقيقة أصغر بكثير.

لا يستغرق الأمر منها وقتًا طويلًا للعثور على قبر والدها.

يلتقط الكراسة التالية.

باريس تحترق.

يتراجع الظلام.

والتالية.

فوق الحاجز ملاك.

يجلس هنري لساعات على جانب السرير، ويقلب كل صفحة من كل كراسة، وكل قصة ترويها، وحين ينتهي، يغلق عينيه ويضع رأسه بين يديه وسط الكراسات المفتوحة.

لأن الفتاة التي أحبها ولت.

وهو لا يزال هنا.

يتذكر كل شيء.

بروكلين، نيويورك

13 مارس 2015

II

"هنري صموئيل شتراوس، هذا هراء".

تغلق بيا الصفحة الأخيرة على كاونتر القهوة، مما أذهل القط، الذي انجرف على كومة قريبة من الكتب. "لا يمكنك إنهاء ذلك هناك". تمسك بباقي المخطوطة على صدرها، وكأنها تحميها منه. صفحة العنوان تحدق فيه مرة أخرى.

الحياة الخفية لآدي لارو.

"ماذا حدث لها؟ هل ذهبت بالفعل مع لوس؟ رغم كل هذا؟"

هنري يهز كتفيه: "أفترض ذلك".

"هل تفترض ذلك؟"

الحقيقة أنه لا يعرف.

أمضى الأشهر الستة الماضية في محاولة نسخ القصص من الكراسات، لتجميعها في هذه المسودة. وفي كل ليلة، بعد أن تتقلص يداه ويشعر بألم في رأسه من التحديق في شاشة الكمبيوتر، ينهار في السرير - لا يحمل رائحتها، لم يعد يحملها الآن - ويتساءل كيف تنتهي.

إذا انتهت.

كتب دستة من النهايات المختلفة للكتاب، نهايات كانت سعيدة فيها، ونهايات لم تكن سعيدة فيها، ونهايات كانت هي ولوس في حالة حب جنوني، ونهايات حيث تشبث بها مثل تنين بكِنْزه، ولكن تلك النهايات كلها نهاياته وليست نهاياتها. هذه قصته وهذه قصتها. وأي شيء يكتبه بعد تلك الثواني الأخيرة المشتركة، تلك القبلة الأخيرة، سيكون خيالًا.

حاول.

لكن هذا حقيقي - رغم أنه لن يعرفه أي شخص آخر.

لا يعرف ما حدث لآدي، وأين ذهبت، وكيف حالها، لكن يمكنه أن يأمل. يأمل أن تكون سعيدة. يأمل أنها لا تزال مفعمة ببهجة التحدي والأمل العنيد. يأمل ألا تكون قد فعلت ذلك من أجله فقط. يأمل، بطريقة ما أن يراها مرة أخرى في يوم من الأيام.

تقول بيا: "أنت حقًّا في طريقك للاندماج في هذا القرف، أليس كذلك؟"

يتطلع هنري.

يريد أن يخبرها أن هذا كله صحيح.

إنها قابلت آدي، تمامًا كما كتب، وقالت الكلام نفسه كل مرة. يريد أن يخبرها أنهما كانا صديقين. كانا، في تلك الليلة الأولى من بقية حياتنا بطريقة ما. وكان هذا، بالطبع، كل ما حصلت عليه آدي.

لكنها لن تصدقه، وبالتالي يتركها تعيش كما هي باعتبارها قصة.

يسأل: "هل أعجبتك؟"

ويفتر وجه بيا عن ابتسامة. لا يوجد ضباب في عينيها الآن، ولا لمعان، وهو لم يكن قط أكثر امتنانًا لمعرفة الحقيقة.

تقول: "إنها جيدة يا هنري. إنها حقًّا، جيدة حقًّا". تنقر على صفحة العنوان. "فقط تأكد من أن تشكرني في كلمة الشكر".

"ماذا؟"

"أطروحتي. هل تتذكر؟ أردْتُ أن تكون عن الفتاة في تلك اللوحات. الشبح في الصورة. إنها هي، أليس كذلك؟ "

إنها هي، بالطبع.

يمرر هنري يده على المخطوطة، وهو يشعر بارتياح وحزن لإنجازها. يتمنى لو عاش معها فترة أطول قليلًا، يتمنى لو عاش معها.

لكنه الآن سعيد بإنجازها.

لأنه في الحقيقة بدأ ينسى بالفعل.

ليس لأنه وقع ضحية لعنتها. لم تُمْحَ بأي شكل. التفاصيل تشحب ببساطة، كما يشحب كل شيء، تتلألأ بدرجات، ويفقد العقل قبضته على الماضي لإفساح المجال للمستقبل.

لكنه لا يريد أن يتركها.

إنه يحاول ألا يتركها.

يرقد في فراشه ليلًا، ويغمض عينيه، ويحاول استحضار وجهها. الانحناء الدقيق لفمها، الظل المحدد لشعرها، الطريقة التي أضاء بها مصباح السرير عظام خدها الأيسر، صدغها، ذقنها. صوت ضحكتها في وقت متأخر من الليل، صوتها وهي على وشك أن تنام.

يعلم أن هذه التفاصيل ليست بنفس أهمية التفاصيل التي في الكتاب، لكنه لا يتحمل بعد أن يفقدها.

الإيمان يشبه الجاذبية إلى حدٍّ ما. يؤمن عدد كاف من الناس بشيء، فيصبح صلبًا وحقيقيًّا مثل الأرض تحت القدمين. لكن حين تكون الشخص الوحيد الذي يتمسك بفكرة، أو ذكرى، أو فتاة، فمن الصعب أن تمنعها من أن تتلاشى.

تقول بيا: "علمت أنك ستصبح كاتبًا. كل الدلائل، كنت تعيش في حالة إنكار".

يقول شاردًا: "لستُ كاتبًا".

"قل ذلك للكتاب. ستبيعه، أليس كذلك؟ لابد أنك - إنه جيد للغاية".

يقول مستغرقًا في التفكير: "أوه. نعم، أعتقد أنني أود المحاولة".

وسوف يحاول.

يحصل على وكيل، ويعرض الكتاب في مزاد، وفي النهاية يبيع العمل بشرط واحد - أن يكون هناك اسم واحد فقط على الغلاف، ليس اسمه - وفي النهاية، يوافقون. يعتقدون أنها خدعة تسويقية ذكية، بلا شك، لكن قلبه يسعد بفكرة الأشخاص الآخرين الذين يقرؤون هذه الكلمات - ليست كلماته، بل كلماتها، واسمها ينتقل من شفاه إلى شفاه، ومن عقل إلى ذاكرة.

آدي، آدي، آدي.

سيكون المقدم كافيًا لسداد قروض الدراسة، وهو ما يكفي للسماح له بالتنفس قليلًا بينما يكتشف ما يفعله بعد ذلك. إنه لا يعرفه حتى الآن، لكنها المرة الأولى التي لا يفزع فيها.

العالم واسع، ولم ير سوى القليل منه بعينيه. يريد السفر، والتقاط الصور، والاستماع إلى قصص الآخرين، وربما صنع بعض القصص الخاصة به. رغم كل شيء، تبدو الحياة طويلة جدًا أحيانًا، لكنه يعلم أنها ستمضي بسرعة كبيرة، ولا يريد تفويت أي لحظة.

لندن، إنجلترا

3 فبراير 2016

III

المكتبة على وشك الإغلاق.

يحل الظلام مبكرًا من هذا الوقت من العام، وفي توقعات الطقس ثلوج، وهو أمر نادر في لندن. ينشغل الموظفون المتنوعون، ويفككون الشاشات القديمة ويضعون عروض جديدة، محاولين إنهاء عملهم قبل أن يتحول الضباب في الخارج إلى صقيع.

تتلكأ في مكان قريب، وإبهامها يتزلج على طول الحلقة عند حلقها بينما تقوم فتاتان مراهقتان بإعادة رص أرفف جدار في القصص الجديدة.

تسأل واحدة: "هل قرأتها؟"

تقول الأخرى: "نعم، نهاية هذا الأسبوع".

تقول الأولى: "لا أصدق أن المؤلف لم يضع اسمه عليها. لابد أنها حيلة من حيل الترويج".

تقول الثانية: "لا أعرف. أعتقد أنها عمل فاتن. يجعل الأمر برمته يبدو حقيقيًّا. وكأن هنري يحكي قصتها حقًّا".

الفتاة الأولى تضحك: "أنت رومانسية جدًّا".

يقاطعهما رجل أكبر: "معذرة، هل يمكن الحصول على نسخة من **آدي لارو؟**"

تشعر بوخزة في جلدها. ينطق الاسم بكل سهولة. أصوات تنطلق بلسان أجنبي.

تنتظر حتى ينتقل ثلاثتهم إلى درج النقود، ثم تقترب أخيرًا من العرض. ليست مجرد طاولة، بل رف كامل، ثلاثون نسخة من الكتاب، مكشوفة، ويتكرر الوضع على الحائط. الأغلفة بسيطة، معظم المساحة مخصصة للعنوان، وهو طويل وكبير بما يكفي لملء الغلاف.

وهو مكتوب بخط متصل، تمامًا مثل الملاحظات الموجودة في اليوميات بجانب السرير، وهي نسخة أكثر وضوحًا من كلماتها بخط هنري.

الحياة الخفية لآدي لارو.

تمرر أصابعها على الاسم، وتحس أن الحروف المنقوشة تتقوس وتنحني تحت لمسها، وكأنها كتبتها بنفسها.

الفتاتان في المحل على حق. لا يوجد اسم المؤلف. لا توجد صورة على الظهر. لا توجد علامة على هنري شتراوس، باستثناء حقيقة بسيطة وجميلة أن الكتاب في يديها، والقصة حقيقية.

تفتح الغطاء الخلفي، وتتجاوز العنوان إلى الإهداء. توجد ثلاث كلمات صغيرة في وسط الصفحة.

أتذكرك.[76]

تغلق عينيها، وتراه كما كان في ذلك اليوم الأول في المتجر، ومرفقاه متكئان على الكاونتر وهو ينظر لأعلى، ويعبس في وجهها من خلف نظارته.

أتذكرك.

تراه في الآرتيفاكت، في المرايا ثم في مجال النجوم، ترى أصابعه تتتبع اسمها على الحائط الزجاجي، ويحدق في البولارويد، يهمس عبر جراند سنترال ورأسه منحنٍ فوق اليوميات، وخصلات الشعر الأسود تسقط في وجهه. تراه مستلقيًا بجوارها في السرير، على العشب شمال الولاية، على الشاطئ، وأصابعهما متشابكة مثل حلقات في سلسلة .

تشعر بالدائرة الدافئة لذراعيه وهو يضمها تحت الأغطية، ورائحته النظيفة، وخفة صوته حين قالت، لا تنسَ، وقال، أبدًا.

تبتسم، تمسح دموعها، وهي تراه على السطح في تلك الليلة الأخيرة.

---

76 أتذكرك: في الأصل I remember you، ومن هنا الحديث عن ثلاث كلمات.

كثيرًا ما قالت آدي أهلًا، لكن هذه كانت المرة الأولى والوحيدة التي قالت فيها وداعًا. تلك القبلة، مثل علامة ترقيم طال انتظارها. ليست شرطة طويلة لسطر متقطع، أو علامة حذف لهروب هادئ، لكنها نقطة، قوس مغلق، نهاية.

نهاية.

هذا ما يتعلق بالعيش في الحاضر، والحاضر فقط، إنها جملة متتالية. وكان هنري وقفة مثالية في القصة. فرصة لتلتقط أنفاسها. لا تعرف إن كان ذلك حبًّا أم مجرد مهلة. إن كانت القناعة يمكن أن تنافس العاطفة، يكون الدفء قويًّا مثل الحرارة.

لكنها كانت هدية.

ليست لعبة أو حربًا أو معركة إرادات.

مجرد هدية.

الوقت والذاكرة، مثل عاشقين في حكاية.

تتصفح فصول الكتاب، كتابها، وتتعجب من رؤية اسمها في كل صفحة. حياتها تنتظر أن تقرأ. إنها أكبر منها الآن. أكبر من أي منهم، البشر، أو الآلهة، أو الأشياء التي لا تحمل أسماء. القصة فكرة، برية مثل الحشائش، تظهر أينما تزرع.

تبدأ القراءة، حتى تصل إلى أول شتاء لها في باريس وحينها تشعر أن الهواء يتغير في ظهرها.

تسمع الاسم، مثل قبلة، في قفاها:

"أديلين".

لوس هناك إذن. ذراعاه حول كتفيها، وهي تتكئ على صدره. إنهما يتسقان معًا. اتسقا دائمًا، رغم أنها تتساءل، حتى الآن، إذا كانت مجرد طبيعته، دخان يتمدد لملء أي مساحة تتوفر له.

تسقط عيناه على الكتاب في يديها. اسمها يتمدد على الغلاف.

يقول: "يا لك من ذكية"، ويتمتم بالكلمات في جلدها. لكنه لا يبدو غاضبًا.

يقول: "يمكن أن تكون القصة لديهم ما دمت معي".

تتلوى بين ذراعيه لتنظر إليه.

لوس جميل حين يشمت.

لا يجب أن يكون كذلك بالطبع. الغطرسة سمة غير جذابة، لكن لوس يعلنها بارتياح وكأنها مصممة له خصيصًا. يتألق بنور عمله. إنه معتاد على أن يكون على حق. أن يكون مسيطرًا.

عيناه خضراوان زاهيتان بالنصر.

ثلاثمائة عام كان عليها أن تتعلم طبيعة أمزجته. تعرفها كلها الآن، معنى كل ظل، تعرف أعصابه ورغباته وأفكاره، فقط من خلال فحص هاتين العينين.

تتعجب، في الفترة نفسها، لم يتعلم قط قراءة مزاجها.

أو ربما كان لا يرى إلا ما يتوقعه: غضب المرأة، وحاجتها، وخوفها وأملها وشهوتها، وكل الأشياء الأكثر بساطة وشفافية.

لكنه لم يتعلم قط أن يقرأ مكرها، أو ذكاءها، ولم يتعلم قط قراءة الفروق الدقيقة في أفعالها، والإيقاعات الدقيقة لحديثها.

وبينما تنظر إليه، تفكر في كل الأشياء التي ستقولها عيناها.

ارتكب خطأ فادحًا.

الشيطان يكمن في التفاصيل، وقد تغاضى عن شيء حاسم.

قد تبدو هذه الدلالات صغيرة، لكنه علمها ذات مرة أن الكلمات كل شيء. وحين نحتت شروط صفقتها الجديدة، حين قايضت روحها بنفسها، لم تقل إلى الأبد، ولكنها قالت **طالما تريدني بجانبك.**

والتعبيران ليسا متماثلين على الإطلاق.

لو استطاعت عيناها الكلام، لضحكتا.

لقالتا إنه إله متقلب، وقبل أن يحبها بوقت طويل، كرهها، وقادها إلى الجنون، وبفضل ذاكرتها التي لا تشوبها شائبة، أصبحت دارسة لمكائده، وباحثة في قسوته. كان أمامها ثلاثمائة عام للدراسة، وسوف تصنع من ندمه تحفة فنية.

ربما يستغرق الأمر عشرين عامًا.

ربما يستغرق الأمر مائة عام.

لكنه غير قادر على الحب، وسوف تثبت ذلك.

سوف تفسده. تفسد فكرته عنه.

سوف تكسر قلبه، وسوف يكرهها مرة أخرى.

سوف تدفعه إلى الجنون، وتطرده بعيدًا.

وبعد ذلك، سوف يرفضها.

وتكون حرة في النهاية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

تحلم آدي بإخبار لوس بهذه الأشياء، فقط لترى الظل يقلب عينيه، الخضراوين بالتفوق. الخضراوين بالتنازل والخسارة.

ولكن إذا كان قد علمها أي شيء فقد علمها الصبر.

لذا لم تقل آدي شيئًا عن اللعبة الجديدة، والقواعد الجديدة، والمعركة الجديدة التي بدأت.

تبتسم فقط، وتعيد الكتاب إلى رفِّه.

وتتبعه في الظلام.



كلمة شكر

يعرف أي شخص يتابعني عبر الإنترنت أن علاقتي بالقصص متوترة إلى حد ما.

أو بالأحرى، ببعث الحياة فيها. بالقبض على الوحش الفوضوي تمامًا حتى ترتجف ذراعاي ويؤلمني رأسي وأعرف أنني إذا أسقطته الآن، قبل أن يصبح جاهزًا، سيتحطم، وسأضطر إلى محوه، وسأخسر على الأقل بعض المقطوعات على طول الطريق.

وهكذا، وأنا أواصل قصة آدي، ساندني عدد كبير جدًّا من الناس.

وبدونهم، لم يكن هناك كتاب.

هذا هو المكان الذي من المفترض أن أشكرهم جميعًا.

(أكره كلمات الشكر).

(أو بالأحرى، أكره كلمات الشكر. لدي ذاكرة رهيبة. أعتقد أن عقلي مليء بالثغرات بسبب كل هذه الكتب، لذلك حين يتعلق الأمر بشكر الأشخاص الذين ساعدوا في ظهور هذا الكتاب، أتجمد، متأكدة من أنني سأنسى).

(أعلم أنني سأنسى).

(إنني أنسى دائما).

(أعتقد أن هذا هو السبب في أنني أكتب، لأحاول التقاط الأفكار قبل أن تفلت وتتركني أحدق في الفضاء أتساءل لماذا دخلت هذه الغرفة، أو لماذا فتحت علامة تبويب المتصفح، أو ماذا كنت أبحث عنه في الثلاجة).

(إنه أمر مثير للسخرية بالطبع، بالنظر إلى موضوع هذا الكتاب).

(هذا الكتاب، الذي عاش في رأسي فترة طويلة، وشغل مساحة كبيرة، مسؤول على الأقل عن بعض النسيان).

لذلك، ستكون هذه القائمة غير كاملة.

هذا الكتاب مهدى إلى والدي، الذي سار في شوارع حي شرق ناشفيل واستمع لي وأنا أوضحت لأول مرة الفكرة التي تنمو في رأسي.

إلى أمي، التي اتبعتني في كل طريق متعرج، ولم تتركني أتوه قط.

إلى أختي، جينا، التي كانت تعرف بالضبط متى أحتاج إلى الكتابة، ومتى احتاج إلى التوقف عن الكتابة والذهاب للحصول على كوكتيل فاخر بدلًا من ذلك.

إلى وكيلتي، هولي، التي جرتني عبر العديد من مستنقعات النار، ولم تدعني قط أحترق أو أغرق أو تأكلني **الاندفاعات**.

إلى محرري، ميريام، التي كانت معي في كل خطوة على الطريق الطويل المتعرج.

إلى وكيلة الدعاية، كريستين، التي أصبحت فارستي وبطلتي وصديقتي.

إلى لوسيل وسارة وإيلين وبقية فريقي المذهل في تور، الذين آمنوا بهذه القصة حين كانت فكرة، وشجعوني حين كانت مسودة، ودافعوا عنها حين كانت كتابًا مكتملًا، وجعلوني أشعر، في كل خطوة، وكأنني أستطيع أن أتركها، وأنتم تصممون على أن أكملها.

إلى أصدقائي – وأنتم تعرفون من أنتم – الذين جروني خلال الظلام وهربوا معي بحثًا عن الكلمات (والدجاج المشوي).

إلى ألماري وريد كيت، لإعطائي مكانًا للتفكير والكتابة وإمدادي بأواني الشاي الوفيرة.

إلى دانييل، وإيلدا، وبريت، وودان، لشغفكم، وللبيتزا التي تندس تحت الباب.

إلى كل بائع كتب أبقاني على الرفوف هذه المدة الطويلة.

إلى كل قارئ أخبرني أنه لا يمكنه الانتظار، بينما يعد بأنه سينتظر.



فهرس

فيون سور سارت، فرنسا 29 يوليو 1714 6

الجزء الأول

الآلهة التي تستجيب بعد حلول الظلام 7

مدينة نيويورك 10 مارس 2014 8

II 15

فيون سور سارت، فرنسا صيف 1698 18

فيون سور سارت، فرنسا خريف 1703 23

فيون سور سارت، فرنسا ربيع 1707 29

مدينة نيويورك 10 مارس 2014 34

مدينة نيويورك 10 مارس 2014 37

فيون سور سارت، فرنسا 29 يوليو 1714 40

فيون سور سارت، فرنسا 29 يوليو 1714 48

فيون سور سارت، فرنسا 29 يوليو 1714 54

مدينة نيويورك 10 مارس 2014 ... 61
مدينة نيويورك 10 مارس 2014 ... 66
فيون سور سارت، فرنسا 30 يوليو 1714 ... 72
فيون سور سارت، فرنسا 30 يوليو 1714 ... 83
مدينة نيويورك 11 مارس 2014 ... 90
لومان، فرنسا 31 يوليو 1714 ... 93
مدينة نيويورك 12 مارس 2014 ... 100

الجزء الثاني
أعتم أجزاء الليل 105

مدينة نيويورك 12 مارس 2014 ... 106
مدينة نيويورك 12 مارس 2014 ... 116
باريس، فرنسا 9 أغسطس 1714 ... 123
باريس، فرنسا 29 يوليو 1715 ... 137
مدينة نيويورك 13 مارس 2014 ... 143
مدينة نيويورك 13 مارس 2014 ... 146

باريس، فرنسا ....29 يوليو 1716.................... 153
مدينة نيويورك ....13 مارس 2014.................... 162
مدينة نيويورك ....13 مارس 2014.................... 166
باريس، فرنسا ....29 يوليو 1719.................... 173
مدينة نيويورك ....13 مارس 2014.................... 185
XII 187
باريس، فرنسا ....29 يوليو 1720.................... 192
مدينة نيويورك ....13 مارس 2014.................... 196

الجزء الثالث

ثلاثمائة سنة وثلاث كلمات 197
باريس، فرنسا ....29 يوليو 1724.................... 198
مدينة نيويورك ....15 مارس 2014.................... 206
III 213
باريس، فرنسا ....29 يوليو 1724.................... 218
مدينة نيويورك ....15 مارس 2014.................... 225

باريس، فرنسا 29 يوليو 1724 232
مدينة نيويورك 16 مارس 2014 236
VIII 245
باريس، فرنسا 29 يوليو 1751 253
مدينة نيويورك 16 مارس 2014 260
مدينة نيويورك 17 مارس 2014 264
فيون سور سارت، فرنسا 29 يوليو 1764 269
مدينة نيويورك 17 مارس 2014 273

الجزء الرابع

الرجل الذي قضى يومًا في المطر 275

مدينة نيويورك 4 سبتمبر 2013 276
II 285
مدينة نيويورك 17 مارس 2014 290
مدينة نيويورك 18 مارس 2014 293

مدينة نيويورك ... 5 سبتمبر 2013 ... 296
مدينة نيويورك ... 18 مارس 2014 ... 307
مدينة نيويورك ... 5 سبتمبر 2013 ... 309
مدينة نيويورك ... 7 سبتمبر 2013 ... 314
مدينة نيويورك ... 18 مارس 2014 ... 321
مدينة نيويورك ... 13 سبتمبر 2013 ... 323
مدينة نيويورك ... 18 مارس 2014 ... 331
مدينة نيويورك ... 19 سبتمبر 2013 ... 334
مدينة نيويورك ... 23 أكتوبر 2013 ... 341
مدينة نيويورك ... 14 نوفمبر 2013 ... 345
مدينة نيويورك ... 18 مارس 2014 ... 348
مدينة نيويورك ... 9 ديسمبر 2013 ... 350
مدينة نيويورك ... 31 ديسمبر 2013 ... 358
مدينة نيويورك ... شتاء 2014 ... 365
مدينة نيويورك ... 18 مارس 2014 ... 366

الجزء الخامس

الظل الذي ابتسم والفتاة التي ردت الابتسامة 369

فيون سور سارت 29 يوليو 1764 370

مدينة نيويورك 19 مارس 2014 379

فكامب، فرنسا 29 يوليو 1778 383

مدينة نيويورك 23 مارس 2014 391

باريس، فرنسا 29 يوليو 1789 395

مدينة نيويورك 6 أبريل 2014 402

فينسيا، إيطاليا 29 يوليو 1806 407

مدينة نيويورك 25 أبريل 2014 411

لندن، إنجلترا 26 مارس 1827 414

مدينة نيويورك 15 مايو 2014 421

فيون سور سارت 29 يوليو 1854 424

مدينة نيويورك 13 يونيو 2014 432

في الطريق إلى برلين، ألمانيا 29 يوليو 1872 438

مدينة نيويورك 4 يوليو 2014 445

الكوتسوولدز، إنجلترا 31 ديسمبر 1899 450

الجزء السادس

لا تتظاهر بأن هذا حب 455

فيون سور سارت 29 يوليو 1914 456

مدينة نيويورك 29 يوليو 2014 463

شيكاغو، ألينوس 29 يوليو 1928 468

مدينة نيويورك 29 يوليو 2014 473

مدينة نيويورك 4 سبتمبر 2013 480

مدينة نيويورك 29 يوليو 2014 482

فرنسا المحتلة 23 نوفمبر 1944 487

مدينة نيويورك 30 يوليو 2014 492

لوس أنجلوس، كاليفورنيا 17 أبريل 1952 496

في كل مكان، وليس في أي مكان 1952–1968 503

مدينة نيويورك 30 يوليو 2014 505

نيو أورلينز، لويزيانا 29 يوليو 1970 510

مدينة نيويورك 30 يوليو 2014 515

نيو أورلينز، لويزيانا 1 مايو 1984 521
مدينة نيويورك 13 يوليو 2014 526
مدينة نيويورك أغسطس 2014 532
مدينة نيويورك 4 سبتمبر 2014 537
XVIII 541
مدينة نيويورك 1 سبتمبر 2014 (ثلاث ليال حتى النهاية) 544
مدينة نيويورك 4 سبتمبر 2014 548

الفصل السابع

أتذكرك 551

مدينة نيويورك 5 سبتمبر 2014 552
بروكلين، نيويورك 13 مارس 2015 556
لندن، إنجلترا 3 فبراير 2016 560

كلمة شكر 565

مكتبة
t.me/soramnqraa

حياة لن يتذكرها أحد، وقصة لن تنسى أبدًا.

"إن آدي لارو، بالنسبة لشخص لُعِن بأن يُنسى،
أكثر الشخصيات المبهجة التي لا تُنسى،
وقصتها أبهج استحضار لخلود مستحيل."

نيل جيمان

"ستجذب رواية الحياة الخفية لآدي لارو القراء
بعمق مثل صفقة البطلة الفاوستية؛ سوف
تجد نفسك في منعطفات سريعة تتألم من
حسرة القلب، وتتوهج بسعادة من الذكاء
الشرير اللذيذ حقًا الذي ينتظرك".

نوامي نوفيك

معلقة ببراعة بين الظلمة والنور، بين الأسطورة
والواقع، رواية – للمفارقة، لن تنسى."

أليكس إي هارو

الحياة الخفية لآدي لارو كتاب من نوع لا تراه إلا
مرة في العمر، تمرد جريء ومبهج ضد الزمن
والقدر وحتى الموت نفسه - وتذكير قوي بأن
الحب هو السحر الوحيد الذي يكفي لقهره.

بينج شيفرد

telegram @soramnqraa

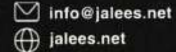
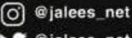
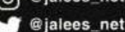
تصميم الغلاف: أحمد الصباغ

امسح الرمز


ISBN 978-9921-772-16-6






info@jalees.net
jalees.net

@jalees_net

@jalees_net